

عبد الكريم الفيلاالى

النَّارِخُ السِّيَّاسِيُّ
لِلْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ الْكَبِيرِ

الجزء التاسع

إن الأمة التي لا تعرف ماضيها تتمزق في حاضرها
وتعرف الذل والتحقير والبخس والإهانة في مستقبلها
المؤلف

البيان السياسي
للغريب العربي الكبير

عبد الكريم الفيلاي

الطبعة الأولى

20 اغسطس 2006

الجزء التاسع

رقم الإيداع القانوني

2006/1287

5 يونيو 2006

الترقيم الدولي

(ردمك) 9954-8702-0-2

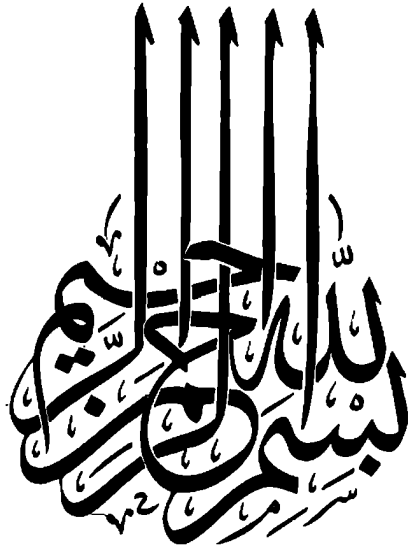
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

للطبعة

مركز الدراسات والبحوث
السياسية والاجتماعية

23 ش مرشدي - عابدين - القاهرة

هاتف : 002023925376



تتمة الباب الخامس والحشرون

الفصل الرابع والخمسون بحث المائتين الصراع بين السلفية والوثنية (102)

من تمعن تاريخ المغرب العربي الكبير، يجد أن الصراع بين السلفية والوثنية بدأ منذ أن ظهر الإسلام وانتصر في هذه الديار، منذ عهد البرغواطية وما تلاها في المغرب الأقصى، وصراعات أسد ابن الفرات وابن رستم، وما عرفته القيروان، ويخبرنا البيدق في أخبار المهدي ابن تومرت انه بدأ عمله الاصلاحى في عيد الفطر بقسطنطينية حين اختلط الرجال بالنساء فدخل فيهم ضربا بالعصا يمينا، وشمالا، حتى فرقهم، وكان هذا منه زيادة على ما كان يلقي من دروس كما سبق والتي كان من نتائجها عبد المومن بن على الكومي، ورغم ما عرفت به معارف ابن تومرت المنطقية فإنه بسط عقيدة التوحيد بسطا في الأبيات التالية:

ولاذاته شيء عقيدة صائب	عقيدتنا أن ليس مثل صفاته
وأخبارها للظاهر المتقارب	نسلم آيات الصفات بأسرها
وتأويلنا فضل اللبيب المراقب	ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا
لتسليم دين المرء خير المراكب	ونركب للتسليم سفنا فإنها

وبهذا المفهوم بدأت معركته مع المرابطين وشيوخهم الذين اتهمهم بالتجسيم، ولذلك سمي أنصاره بالموحدين أي البعيدين عن التجسيم، حتى يعرض بالمرابطين، لكن للأسف فإن مهدوية محمد بن عبد الله بن تومرت لم تقف عند هذا الحد، بل انتقلت أو نقلها

(102) عندما تناولت القلم لصياغة هذا الفصل فكرت في تقديمه لثلاثة من الشياطين الخمس الذين كتبت حولهم ما صدرته سلطة الاستبداد بواسطة الشرطة من خزانتي يوم 14/6/1968 وهم الشياطين الأعور والأقرع والأسود، والأعرج وقزم الرباط، ومن العملاء الذين كانوا مجندين أكثر لمحاربة روح الخير والحب والإخلاص في هذا الشعب الأول والخامس بلاجل ولاجل ولعل ما حققه هؤلاء وآخرين من تحول خطير لم تحقق منه قوة الحديدوا لنار زمن الاستعمار ولو 10% ولسوف تكشف الأيام والتاريخ حقيقة ذلك بالمفاجات التي عنها القوم غافلون.

الخلف طلبا للعصية المصمودية إلى مرتبة العصمة، مما حول الدعوة إلى خرافة تنبه لها خلف عبد المؤمن نفسه رغم ما تعرض له ابن رشد الذي دفع للكتابة في الموضوع كما يظهر من كتابه «كفاية المقتصد» (103) وأما بنو مرين الذين تحضروا بشكل لم يعرف لغيرهم رغم بربرتهم وقرب عهدهم بالبدواة، فإنهم لم ينساقوا كثيرا خلف الخرافات ولم يكثرثوا بتشييد الأضرحة كما سنرى منهم، ومن الذين جاؤا بعدهم، فباستثناء تشييد أبي الحسن لضريح أبي مدين شعيب بن الحسين الأنصاري دفن تلمسان، نجده وغيره من ملوك بني مرين اهتموا أكثر ببناء المدارس لنشر العلوم والمعارف (104) كما شيّدوا بعض الزوايا - يقول بن مرزوق - بدافع اجتماعي أو كرباط للجهاد، وفي ذلك يقول ابن مرزوق غير ما في مسنده الفصل الأول من الباب السابع «والظاهر أن الزويا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لرفاق الواردين واطعام المحتاج من القاصدين» لكن مع الأسف ما كادت دولة السعديين تتمكن ويستقر سلطانها، حتى طغى سلطان الخرافات والبدع التي انتشرت هنا وهناك، وكان ممن نشرها ومكنوا لها جماعة من الضالين المضلين تتقدمهم فئة من المرتزقة المتكسبين باسم الدين الذي عملت في هدم بنيانه معاولهم باسم التصوف وخرافات المشعوذين، وكانت الإنطلاقة من فاس .

لا أحد ينازع في أن الدين الإسلامي والرسالة المحمدية مذ عرفهما المغرب الى عهد الموحدين وزعيمهم محمد بن تومرت، لقيتا حروبا قاسية وصراعا مريرا خاضتهما عقيدة الإسلام ضد البرغواطية أولا، و ضد خرافات الشيعة التي فرضها عبد الله الشيعي أواخر القرن الرابع الهجري، ومع ذلك انتصرت العقيدة السليمة وتمكنت، بحيث عاش المغرب ما مضى من الزمن ولاسلطان فيه أقوى من سلطان الكتاب والسنة، ذلك أن الرسالة المحمدية التي وجدت لها تربة صالحة جاءت بالعقيدة الصالحة التي استهوت المغاربة وجمعت شملهم ووحدت صفوفهم بما أكدته من تعلق بالوحدانية لله وحده لا شريك

(103) منه مخطوط خاص في خزانة المؤلف ثم راجع محاضرات أبي علي اليوسي مصدر سابق ص 106 ط

1976 .

(104) راجع بن خلدون العبر، والمسند لابن مرزوق ط الجزائر 1981 خصوصا الباب 7 فصل 1 - 2 والباب

4ص 405 حول المدارس التي كان لها الأثر في مختلف مدن المغرب الكبير .

له، ورغم ما عرفه الشرق من صراعات كان بعضها يحاول غير ما مرة أن يقتحم عدوة المغرب مرارا من عدوة الأندلس أيام ازدهار تلك الصراعات في عهد بني أمية وبعض أيام المرابطين والموحدين، لكن الروح التي تمكن بها الإسلام والتي تستمد قوتها من رسالة التوحيد، كانت دائما هي الأقوى حبا، والأشد تمكينا، والأكثر قبولا من أعلام الفكر المغربي الذين ارتفع بينهم كل من عياض اليعصبي زمن المرابطين، وأبو الوليد بن رشد زمن الموحدين(105) أولئك الذين وإن كانوا قد بلغوا القمة في مجالات الدراسات المختلفة، إلا أن الوجه، والمنطق الذي كانوا يتعاملون به مع الشعب، هو تلك البساطة التي جاءت بها الرسالة المحمدية خالية من كل تحريف أو تأويل، ومن كل غلو أو تعقيد لأن سلامتها ونقاها هو الوسيلة التي تربط المخلوق بخالقه، أي العبد بربه، وفي الفترات التي كان يظهر فيها بعض مرضى النفوس الذين ينحون نحو ما يكدر صفاء العقيدة، سرعان ما يندم الرباط بينهم وبين الشعب، وسرعان ما ينقطع الحبل ويسقط الداعي في الهاوية المظلمة المليئة بالأوجال، لأنه وكما عرفنا التاريخ لا طريق معبد، ولا ضوء منير، ولا أمان في هذه الديار التي يقوم مجتمعها على العصبية القبلية الإسلامية إلا بسلامة العقيدة في الحاكم أولا، وفي الأوساط التي تنزعم القيادة ثانيا، وقد عرفنا التاريخ من

(105) راجع قصة ابن حزم مع المعتضد التي كان سببها وشاية بعض العلماء بأشبيلية حيث جمع المعتضد كتب ابن حزم وأحرقها، وفي ذلك يقول ابن حزم الذي قيل أن تأليفه لم يمت عام 456هـ 1063م إلا بعدما بلغ عددها 400 مجلد:

دعوني من احراق رق وكاغد
فإن تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي
يسير معي حيث استقلت ركائبي
وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
تضمنه القرطاس إذ هو في صدري
وينزل إن أنزل ويدفن في قبري

ثم قصة ابن رشد الرجل الذي زود الإنسانية بما لم يعرف قبل، حين جدد فلسفة أرسطو وقال بأزلية المادة وأنكر خلود النفس، وألف كتاب « تهافت التهافت يرد فيها على كتاب أبي حامد الغزالي « تهافت الفلاسفة » ويرفع شأن الفلسفة ويبين مزاياها بعد أن قضى عليها الغزالي في المشرق قضاء لم تبعث منه للآن، فكان لا بد من أن ينتبه الفقهاء إليه، وأبلغوا أمره للمنصور الذي نقم عليه وأمر بإبعاده إلى اليسانة، بالقرب من مدينة قرطبة، وهي مدينة اليهود، ولم يفعل ذلك به فقط، بل فعله بغيره من الذين تأثروا بابن رشد، ومنهم الذهبي أبو جعفر، ولم يقف الأمر عند حد إبعاد ابن رشد، بل نشر المنصور في حقه منشورا لتأليب الناس ضده، وهو منشور يستمد منه المرء الأسباب والنوافع التي أغلبها إفتراء على أكبر عالم يعتز به العرب والمسلمون، كما تعتز به أوروبا التي عن طريقه عرفت مالم تكن لتعرفه لولاها حتى أن بعضهم تمثل ابن رشد وقدمه فوق أكبر علمائهم وليس العكس كما توهموا.

خلال ما مضى من الدول أنه عندما يختل هذا الشرط سرعان ما نرى الحاكم يتحول من وسيلة توحيد إلى وسيلة تمزيق وتفريق والنتيجة له هو ومن حوله، ولذلك حين ما نلاحظ التظاهر من الحاكم بغير ما يعتقد، سرعان ما ينكشف وتصبح الرابطة بينه وبين الشعب هي القوة إلى أن تكل وتمل تلك القوة ويدركها الوهن، فتضعف وتزول وبزوالها يزول سلطان الحاكم الطاغية المستبد وينعدم، ولنا من عبر التاريخ صور كثيرة ومتعددة هنا وهناك.

إن القصد من هذا الاستطراد رغم أنني أوردخ للسياسة والسياسة فقط، بل وما تناولي لموضوع سلامة العقيدة ما سبق وما يأتي بعد، إلا للاستدلال على ما عرفته تلك العقيدة التي لا تفصل عن السياسة من فساد وخرافة وشعوذة وضلال بواسطة أشباه المتصوفة بل ومن أجل أن أدلل على ما قام به الشيخ الإمام شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي من عمل مشرف حرر به الفكر المغربي ثم عاد به بعد ضلال إلى عقيدة السلف، وما عرفته من نقاء وصفاء أخذت تفقدتهما اليوم بعد استقلال المغرب وموت الشيخ الإمام وضعف الروح في أوساط أشباه العلماء الذين ترهبهم أشباح الأغبياء والسفهاء من المتسلطين والدخلاء الذين حاربوا كل فضيلة وعملوا على نشر كل رذيلة.

ومهما يكن فإن الشعب المغربي الذي يتعرض اليوم لحملة عاتية ومسعورة لهدم العقيدة، تلك الحملة المتمثلة فيما يعرفه الشعب اليوم من مواسم الضلال والدعوة لاحتياها، والتي يؤكد تاريخ الماضي القريب أنها التي كانت قبل السبب في نشر فكرة الشرك والضلال قبل عهد الحماية وأثناءه، والتي أحيانا تقام حول قباب أقبر فيها الكلاب والبيغال كما سنرى.

لقد أكد لنا التاريخ السياسي أن المغاربة كبقية الشعوب الاسلامية العربية اليوم، ومنها شعب الجزيرة العربية المحيط بأقدس الرحاب التي هبط فيها الوحي وانطلقت منها الرسالة. هذا الشعب أتى عليه زمان لم يعد يعرف فيه من الدين غير العبادات شكلا، إذ مثله كمثل أكثر المسلمين لا يعرفونها سليمة وخالية من العطل، ومثلها المعاملات، لكنها أي شعوب الإسلام اليوم على دين المتسلطين عليها غير ملتزمة لا بالعبادات والا بالمعاملات إلتزاما يعتمد على الكتاب والسنة وأثارالسلف الصالح، ولذلك وجد خصوم المسلمين

والمندسين فيهم وفي مجتمعهم الفجوات والثغرات التي دخلوا منها، والتي سببها المبتدعون المتهاكون الذين وجدوا منذ عهد صاحب الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، والذي حذره القرآن العظيم من الفساق الذين كان يتقدمهم الوليد بن عقبة « يايها الذين آمنوا إن جاعكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا علي ما فعلتم نادمين» الآية 6 من سورة الحجرات»

ولعل في كتاب أصول التفسير للإمام ابن تيمية رحمه الله ما يغني عن الخوض في هذا المجال الذي استهدف له أصحاب الأسانيد، وفي طليعتهم البخاري في الجامع الصحيح، خصوصا ما حصل له مع أهل الشام(106) وإن كان كتاب البخاري أصح رغم ما عرف من محمد بن علي الذهلي(107) ومثله أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النسابوي «الذي صنّف مسنده من 300 000 حديث مسموعة، وأما عدد أحاديث كتابه فأربعة آلاف دون المكرر، وقد قال النووي في شرحه لمسلم «قول مسلم ليس كل شيء صحيح عندي وضعت هنا» أي في كتابه «وإنما وضعت هنا ما أجمعوا عليه» فقد وضع فيه أحاديث كثيرة مختلفا في صحتها لأنها من حديث من اختلفوا في صحة حديثه، ولذلك قال ابن الصلاح، وقال الإمام ابن تيمية في تفسيره لسورة الإخلاص، وإن الحديث الذي رواه مسلم في خلق التربة يوم السبت، والحديث رواه أبو هريرة حديث معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري وغيره وقالوا إنه من قول كعب الأحبار(108) ولعله في حاضر معربنا وتاريخ ماضيه القريب لم ينتبه لهذا ولم ينبه له أحد فكثرت الشعوذة والدجل

(106) راجع المنار للشيخ محمد رشيد رضا ج 51/29

(107) راجع هدي الساري ج 2 / 203 - 4.

(108) وراجع صدى النبوات لطيم أرسناي ط 1951مصر، والكتاب المقدس العهد القديم، وكتاب أضواء على السنة أو دفاع عن الحديث مصدر سابق ط 2 ص 144: ففيه الكاذبون وما جنوا على النبي صلى الله عليه وسلم، فقد ورد فيه : أخرج ابن عساکر عن الرشيد أنه جيء إليه بزندق فأمر بقتله فقال: يا أمير المؤمنين أين أنت من أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم أحرم فيها الحلال وأحل فيها الحرام، ومثله عبد الكريم بن أبي العوجاء الذي صرح بذلك وقت ضرب عنقه، وقال اسحاق بن راهويه وهو شيخ البخاري، أحفظ أربعة الاف حديث مزورة. وعن سهل بن السري قال: وضع أحمد بن عبد الله الجوباري، ومحمد بن عكاشة الكرمانني، ومحمد بن تميم الفارابي على رسول الله (ص) أكثر من عشرة آلاف حديث، وقال البخاري أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح، ولعل في كتاب « تحذير الخواص» للسيوطي من هذا ما يكفي للدلالة على ما تعرضت له السنة ممثلة في الحديث من كيد ودس أصبحا عند بعضهم حقيقة وواقع الإسلام المقتري عليه.

باسم الاسلام، ممثلة في الطوائف الضالة التي أفسد بها المفترون، وباسم بعض المتصوفة صورة الدين وشوهوا جمالها في النفوس، غير أن الشيخ الإمام محمد بن العربي العلوي الذي أدرك هذه الحقائق لم يقف كما فعل غيره من بعض المصلحين الصادقين الذين حاولوا بواسطة التوجيه على المنابر وما يحفظ لهم التاريخ من خطب رائعة في هذا المجال، أمثال العالم الجليل محمد بن محمد الرشيدى الحسيني الفجيجي رفيق السلطان المولى سليمان وهو في هذا المجال (109) أقوى من حمدون بن الحاج السلمي الذي وفيناه حقه في كتابنا التاريخ المفتري عليه، ثم بعدهما في بعض الجوانب أمثال العالم الجليل محمد كنون المعروف بـ « كنيون » الحسني المتوفى 1302 والذي ترجم له عبد الله جنون في النبوغ 297 ط بيروت 1261، لكنه لم يذكر موقف السلطان مولاي الحسن منه، وموقفه من الطرق بتفصيل، ولعل عنده لذلك سبب، وهو وإن كان معروفا لنا نتركه حتى لانقع في تكرار، فقد تعرضنا له بالإشارة في كتابنا التاريخ المفتري عليه في المغرب، ومثل الشيخ كنون عبد الله السنوسي، المتوفى بالمدينة المنورة عام 1328هـ، وهذا بعد عهد المولى سليمان أول من حمل فكرة محمد بن عبد الوهاب الداعية إلى ما كان عليه السلف في المشرق، وما أصبح موضوع اعتبار من علمائه وقتها، من العودة إلى السلفية، مما أدى إلى خلافه مع بعض أشباه العلماء في فاس «الذين لم يقبلوا منه الدعوة للرجوع إلى الكتاب والسنة بلا رجوع إلى القياس والفروع المستنبطة، ورفض التأويل في آيات وأحاديث الصفات، والمتشابهات، وإبقائها على ظاهرها، كما وردت، ورد علم المراد بها إلى الله تعالى، مع اعتقاد التنزيه كما كان عليه سلف الأمة وغير ذلك من المسائل» يقول في معجم الشيوخ ج 2 ص 84 ط 1350: فقام بينه وبين أولئك «العلماء خلاف كبير من أجل ذلك وتناظر في مجلس السلطان المولى الحسن ولزوه بالاعتزال والتمذهب بعقائد أهل البدع والأهواء، وكانوا هم الوهابيين وقتها «وإنكار الولاية والكرامات، وألف فيه بعضهم المؤلفات المحشوة بالسب والسخافات الخارجة عن الأدب،

(109) كم أتمنى أن يتناول بعض أبناء فجاج والناحية الشرقية من الذين تجردوا للبحث العلمي ترجمة هذا العالم الجليل وانتاجه بالبحث والتحليل حتى يرى الدارسون مدى عظمة هذا الشيخ الجليل رحمه الله وما كان عليه مجتمع فجاج المجاهد وقتها من تقدم في العلم وسلامة في الاعتقاد.

ونقل ما قال الناس في المعتزلة والخوارج، وما طعنوا به من الأقوال البعيدة عن الإنصاف في الإمام بن حزم وشيخ الإسلام بن تيمية (110) وإذا كان هذا حصل في مجلس السلطان المولى الحسن ولم يتدخل، ولو انتصارا للحق الواضح البين في جانب السلفية، بل ألقى حبلهما على الغارب، مما جعل عبد الله السنوسي يدرك أن المقام في المغرب الذي لامجال فيه لتأييد السلفية، لم يعد صالحا، وفعلا عاد إلى المشرق حيث قام بجولة علمية موفقة بين بلاد الترك، والشام، وأرض الحجاز، كان أثناءها محل تقدير واعتبار من خيرة علمائها، ولما توفي المولى الحسن عاد واستقر في طنجة حيث كانت الخطة قد وضعت واتفق عليها مع جماعة الأحرار من الأتراك كما سبق، ومن طنجة كان يغدو ويروح إلى المشرق أكثر من مرة، وكان اتصاله بالسلطان عبد العزيز قويا، حتى إننا لو تعمقنا لأمكننا أن نحصل على ما يؤكد أن طلب المولى عبد العزيز من الشيخ محمد عبده القدوم إلى المغرب والمساعدة على تنظيم جامعة القرويين حين قدم إمام المشرق إلى تونس ثم الجزائر 1904 وكما سجل ذلك محمد رشيد رضا في كتابه عن الشيخ الإمام، ولو بحثنا لوجدنا أنه كان للسنوسي إلى جانب المهاجرين من الأتراك الذين عرفهم المغرب في عهد المولى عبد العزيز، والمولى عبد الحفيظ، أثرهم كذلك، خصوصا وأنه بعد تنازل المولى عبد العزيز واستقراره في طنجة، لازمه السنوسي، كما رافقه حين رحلته إلى مصر وسوريا عام 1328هـ 1910م.

وفي عهد المولى عبد الحفيظ ظهر أبو شعيب الدكالي الصدقي بأسلوب غير ملتزم والذي سنتعرف على ترجمته بتفصيل بعد، لكن قبل الدخول في موضوع السلفية التي نتج عنها الفكر السياسي الذي حرر الفكر المغربي بالقضاء على الخرافات والشعوذة، ثم إلى مقاومة الاستعمار، نريد أن نحدد السلفية بمعناها السليم، وهل دخلت المغرب كما يحلو لبعضهم أن يقول عن طريق الوهابية أم أنها كانت في المغرب قبل أن يوجد محمد بن عبد الوهاب بأكثر من قرنين كدعوى ضد البدعة وما عرفت به من مزارات وتقرب

(110) راجع معجم الشيوخ 48/2 - 85 وهو للعميل الاستعماري المشهور عبد الحفيظ الفاسي مؤرخ ابن عرفة ثم راجع موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم للمفكر الإسلامي أبو الأعلى المودودي ط أولى دمشق 1964م.

للأضرحة والاستغاثة بغير الله الخ.

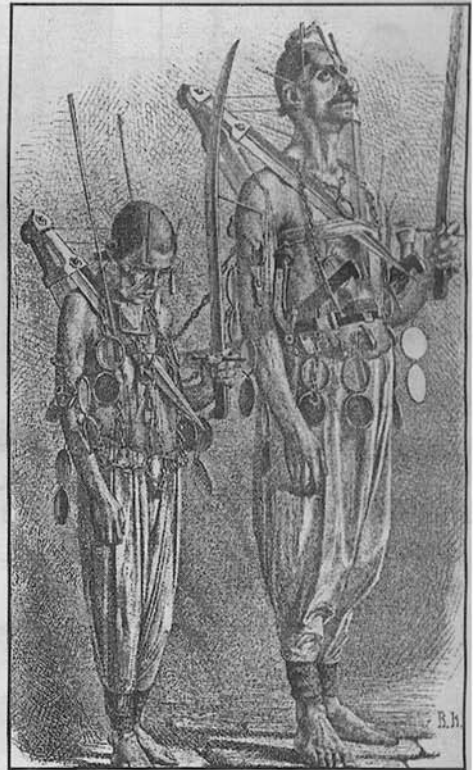
طبعاً تعرفنا على شيء من حقيقة السلفية في سلوك كثير من رجالات المغرب قديماً، ولكننا لم نعرف بالسلفية التعريف الذي ارتضاه لها السابقون وفي مقدمتهم ابن تيمية الذي يعتبر بعد أحمد بن حنبل الرائد والصادق الأمين في هذا السبيل والذي تأثر به شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي أكثر من غيره وهو الذي ناقض أفكار الأشعري وغيره من المتصوفة، والذي كانت أفكاره البلمس الذي استعمل ضد ما انتشر من مرض أفسد العقيدة ونشر الجمود الذي تمكن واستمر قرناً حتى انتهى بمجتمعات المسلمين في كثر من البلاد إلى ما لم يكن يتصوره السابقون مما أصبح مألوفاً من مظاهر الشرك المقتنع، خصوصاً في القرون العاشر وما بعده إلى أن ظهر مجدد جزئي (111) لم يكن مرتقباً، ذلكم هو محمد بن عبد الوهاب النجدي العويني رحمه الله، والذي ساعده الموقع عندما انتقل بدعوته من نجد وتهامة إلى الحرمين مقصد المسلمين للحج والعمرة، من مشارق الأرض ومغاربها، ووقتها وردت فكرة التجديد السلفية على المغرب، فتبناها المولى سليمان وبعض المصلحين من العلماء الذين كانوا حوله، على أننا وكما أشرنا قبل لانبسى أن المغرب عرف مجموعة من العلماء وفي أزمنة مختلفة حاربوا البدع ودعوا إلى التمسك بالكتاب والسنة، ولهم في ذلك آثار باقية نظماً ونثراً أمثال: شارح الرسالة أبو الحسن ومؤلف متنها ابن أبي زيد ومحمد بن عبد الله الهبطي، صاحب المنظومة المعروفة من ألف بيت تناول فيها المحدثات من البدع في الإسلام ومطلعها:

الحمد لله الذي أجرى القلم في لوحه المحفوظ من بعد العدم

ومحمد بن أبي القاسم الفيلاي صاحب شرح فتح الجليل الصمد، في شرح التكميل والمعتمد، ومبارك بن محمد الغرفي الغنبري السجلماسي صاحب المنظومة المعروفة أيضاً ضد البدع، والتي مطلعها:

الحمد لله العلي ذي الغنا المتعالي عن عوارض الفنا

(111) حول موضوع التجديد راجع كتاب أبو الأعلى المودودي المشار إليه قبل ص 4 ثم راجع الفصل التالي 243 ترجمة محمد بن عبد الوهاب وكذا مؤلفاته ط الرباط بدون تاريخ وفيه رسالته إلى أهل المغرب ص 110 وقد نشرها أبو القاسم الزياني المتوفي 1249هـ 1833م في كتابه الترجمانة الكبرى تحقيق المؤلف ط 1967 ص 394-396 والتي أجاب عنها حمدون بن الحاج السلمي بأمر من المولى سليمان وقد كان في المستوى رحم الله الجميع.



ما اقتسبته الحموشية من المشرق بلاد فارس

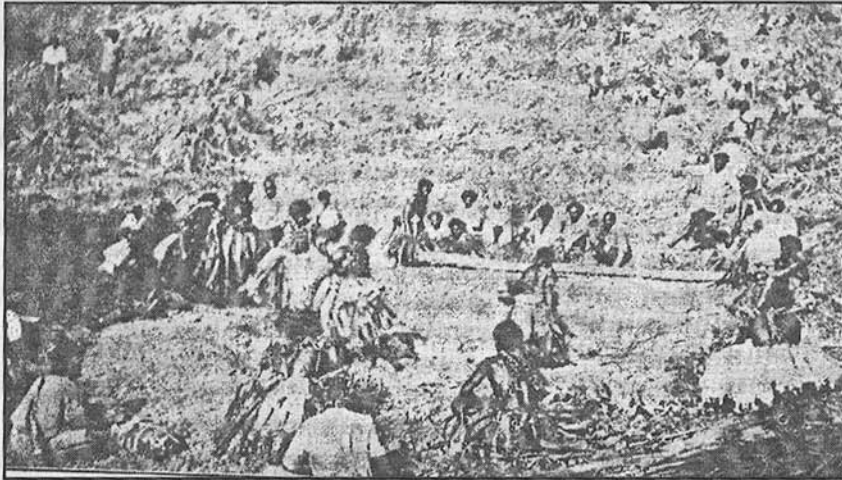




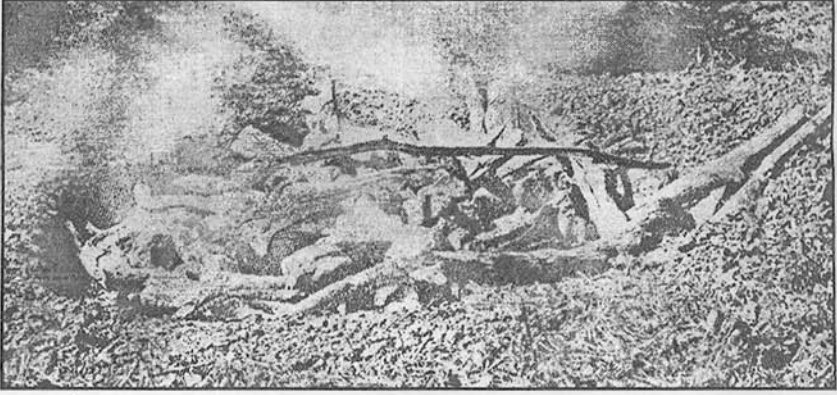
من بلاد الفرس وقد اقتبس
الحمدوشيون منهم هذا الضلال المبين



صور سبعة أشخاص من الذين يمشون على النار في جزر فيجي من جزر
الباسيفيكي. وهم من نسل زعيم قديم لايمشي على النار الا اعضاء
سلالته وتراهم قد اتشحو باوراق وازهار مأخوذة من نوع النبات يحبونه
لازما للمشي على النار



صورة المشاة على النار وهم يخرجون من صوامعهم في الادغال حيث انقطعوا عن الناس
للصوم والصلاة. وهم يدنون من الحفرة متئدين في مشيهم واحدا وراء واحد حتى إذا صاروا
على شفاها دعا الزعيم إلى اله القبيلة أن يبرد حرارة النار عليهم وعنهم أخذ من يعرفون بـ
"أولاد مولى مليانة في المغرب"



هذه الصورة قبيل الشروع في المشي على النار وهي صورة حفرة تملأ أحجاراً وحبطاً طبقات بعضها فوق بعض ثم تضرم النار فيها مدة 24 ساعة أو 36 ساعة قبل بدء الحفلة. فإذا ابيضت الاحجار حسبت انها بلغت اقصى درجة الاحماء. وقطر الحفرة نحو 25 قدماً وعمقها 3 اقدام



تحريك الحجارة الحامية بالمحاريك قبل المشي على النار بساعة أو ساعتين وهذا الضلال المبين هو الذي اقتبسته الطائفة المليانية في المغرب الأقصى

الفصل الخامس والخمسون عهد المائتين شيخ الإسلام وسلفية المصلح محمد بن عبد الوهاب

إن الذي عرف بالسلفية أو اتباع مذهب السلف هم جماعة من أنصار مذهب أحمد بن حنبل(113) الذي أحيأ عقيدة السلف، وحارب دونها، ثم تجدد ظهورهم في القرن السابع الهجري أحيأه شيخ الإسلام ابن تيمية، وشدد في الدعوة إليه، وأضاف إليه أمورا أخرى قد بعثت إلى التفكير فيها أحوال عصره، ثم ظهرت تلك الآراء في الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري أحيأها العالم السلفي محمد بن عبد الوهاب، بن سليمان، بن علي، بن محمد، التميمي النجدي، المولود عام 1115 والمتوفى في آخر ذي القعدة عام 1206هـ / 1707-1797م ولا عبرة بما كتبه عنه صاحب الاستقصا ج 8/119ط البيضاء، مما يعتبر غير مقبول ولا معتبر حول نسبة الرجل لال البيت وباستثناء أصول مذهبه.

(113) حول التجديد راجع كتاب المصلح الإسلامي أبو الأعلى المودودي تجديد الدين وإحيائه ط دمشق 1964م. ابن حنبل كنية أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني البصري، ولد ببغداد « وقيل بمرو في الطريق إلى بغداد عام 164هـ 780م كان والده قد توفي وهو صغير، فتولت والدته تربيته، حيث حفظ القرآن في صباه ثم درس علوم الدين واللغة بعد رحلات عمت بعد البصرة موطن الأباء، الكوفة، ومكة، وصنعاء، ثم تخصص في الحديث الذي واهم به حفظا وتدوينا ودراسة، وكان من شيوخه أبو يوسف والحسن بن زيادة وهيثم، وعمير، وإبن عباس، وأبي همام. والتقى ابن حنبل بالإمام الشافعي في مكة، وبغداد، وجلس للتدريس والرواية، وهو ابن الأربعين واعتمد فقهه على النص من الكتاب والسنة، ثم الأخذ بالحديث المرسل ثم الضعيف، ثم القياس مع أنه لاقياس مع النصر، وسيأتي ابن تيمية فيتشدد كما سنرى، وعزف أتباع ابن حنبل بالحنابلة، وتميزوا بالتشديد في أمر الطهارة والنجاسة، أشهر كتب بن حنبل المسند، وهو يشتمل على 30 ألف حديث جمعها ودونها ثم صنفاها ابنه عبد الله بن أحمد، وله عدة رسائل منها « الناسخ والمنسوخ » و« علل الحديث » « فضائل الصحابة » « الرد على من ادعى التناقض في القرآن » ، « كتاب الزهد » و« المناسك الكبير والصغير » وقد عرف ابن حنبل (خر) أخريات حياته محنة سببها عدم اعترافه بما ذهب إليه فسق المأمون العباسي، وانتشر في عصره من فكرة خلق القرآن، التي رفضها ابن حنبل، فكبّل بالحديد وسيق إلى طرسوس، وتوفي المأمون قبل أن يصل ابن حنبل إلى منفاه، وامتحنه المعتصم بالجلد والحبس الطويل، لكنه أصر على عقيدته، ولما تولى المتوكل ردله اعتبراره لكنه رغم ذلك رفض عطاياه بحيث كان لا يأكل إلا من عمله في نسخ الكتب إلى أن توفي رحمه الله عام 231هـ 855م وذلك في خلافة الواثق.

إن الذي تتبع مراحل دراسة محمد بن عبد الوهاب في الحجاز على الداغستاني وإسماعيل العجلون، ومحمد العفالق، وعبد اللطيف العفالق. وسواء في موطنه نجد، أو اليمن أو الشام وأصفهان، أو بغداد، وما كانت عليه كل تلك المجتمعات وقتها لا يمكنه إلا أن يسلم أن ما ظهر به هذا الرجل العظيم لم يكن نتيجة دراساته وما حصل عليه في تلك البلاد وإنما هو نتيجة تفكير وتدبر في إنتاج السابقين، خصوصا شيخ الإسلام ابن تيمية، وصاحبه ابن القيم، فتراث شيخ الإسلام ابن تيمية هو الذي كان ولا يزال قادرا على العودة بذى العقل السليم إلى ما كان عليه السابقون من رجال السلف الصالح كما رأينا، ومن الذين تحقق فيهم ذلك وبلا شك، المجدد الجزئي محمد بن عبد الوهاب الذي لم يستعمل منطق الفلاسفة، ولا سفسطة القدماء، بقدر ما أثار إنتباه الغافلين من قومه، ودعى لردهم إلى صفاء العقيدة، وما كان عليه السلف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه والتابعين من الأئمة المهتدين الذين صاروا على المحجة البيضاء أمثال أبو حنيفة النعمان بن ثابت 80 - 150هـ = 629 - 767م ومالك بن أنس 93 - 179هـ = 712 - 795م والشافعي محمد بن إدريس 150-204هـ = 767-820م وأحمد بن حنبل 164-241هـ - 780-855م وسفيان بن سعيد بن مسروق المعروف بالثوري، وأمير المؤمنين في الحديث الذي عاش ما بين 97 - 161هـ = 716-778م وهو صاحب كتب الجامع الكبير، والجامع الصغير في الحديث، وكتاب الفرائض، وغير هؤلاء من التابعين ومن صار على نهجهم إلى أن ظهر ابن تيمية الذي سنتعرف بعد على ترجمته، والذي جدد الدعوة إلى ما كان عليه السلف، وعلى نهجه صار تلميذه ابن قيم الجوزية، لكن منذ القرن التاسع والعالم الإسلامي بصفة عامة في تأخر وانحطاط، بسبب ما ظهر من البدع وما انتشر من الضلال، مما أفسد على الناس اعتقادهم، بل وحتى عباداتهم، خصوصا أمثال الشعراي عبد الوهاب المولود عام 898هـ = 1493م والمتوفي في القاهرة عام 973هـ = 1565م وهو صاحب «لواقح الأنوار القدسية، في مناقب العلماء والصوفية» الذي كان له أقبح الأثر في عقيد من يعتقد بعض ما جاء فيه «م نا 406 ومثله ما جاء قبل في «التشوف إلى رجال التصوف» لابي يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادلي المعروف بابن الزيات المتوفى 627هـ = 1229م. وإذا نحن علمنا أن موطن محمد بن عبد الوهاب في عهده،

تحول المجتمع فيه إلى شبه ما كان عليه أيام مسيلمة الكذاب، ندرك مدى أهمية العمل الذي قام به هذا الرجل، ومناصره الذي إلتزم بحق للشيخ محمد بن عبد الوهاب ولفكرته، وهو محمد بن سعود الذي آواه بعد ما طرده صهره عثمان بن معمر، بل ومن أجل عقيدته حارب ابن سعود دهام بن دواس أمير الرياض، وسليمان أمير الأحساء، وبنو خالد، وابن مفلح أمير القطيف، وبنو تويني أمير البصرة.

كانت المعركة الأولى التي تحققت النصر فيها لابن سعود، هي تلك التي هياها غدرا في منفوحة ابن دهام 1159هـ 1746م، وهي القرية التي كان أهلها قد أصبحوا من سدنة محمد بن عبد الوهاب وأنصاره، والذي كان انتصار ابن سعود له مثار قلق أزجج دهام بن دواس وغيره، كما جعل المعارك تستمر ولا تنقطع بين الرجلين، والتي انتصر فيها ابن سعود بموقعة الشايب، التي تلتها وقعة العبيد نسبة الأولى لشيخين قتلا فيها، والثانية إلى العبيد الذين كانوا فيها أكثر من غيرهم في جيش دهام بن دواس، ثم وقعة الشراك ووقعة البنية، والجزيرة، ثم وقعة البطين، وكلها كانت الدائرة فيها على دهام الذي لما أعياه السلاح وأنهك قواه تحول إلى المكر والكيد، فتظاهر لغريمة بن سعود بالندم، خصوصا وقد أصبحت الدرعية مركز ابن سعود تتطلع إلى مستقبل أكرم بما أصبح يقصدها من رجالات العلم وأنصار السلفية، لأن بها محمد بن عبد الوهاب الذي أضطهد من الجميع حتى من شقيقه سليمان، فلم يجد ملجأ غير صاحبه الذي بحق يحفظ له التاريخ أنه لولا محمد بن سعود والذين جاؤا بعده من ولده عبد العزيز الذي حارب العجمان دون أن يحسب لخيانة دهام بن دواس وما كان يضمه ضد والده أي حساب، فكانت الهزيمة الموقته بسبب تظاهر دهام بالولاء وإضماره العداء، وإذا ما انتصر حسن بن هبة الله ظاهريا، فإن الصلح الذي توسط فيه فيصل بن سهيل شيخ الظفير، سرعان ما تكشف لإبن سعود أن دهام ثعلب خبيث وتلك سنة الكون كلما أراد الله لرسالة الإصلاح أن تتمكن، فكانت تلك الحروب بصفة عامة بمثابة الإعلام لفائدة فكرة السلفية التي ظهر بها محمد بن عبد الوهاب، والتي أصبحت حديث الرائح والغادي وموضع نقاش العارفين من رواد المشعر والبيت الحرام، سواء منهم من حج أو إعتمر. وبالتالي كانت إنتصارات الفكرة تجد وراءها الانتصار للذي إلتزم بحماية صاحبها والذود عنه،

خصوصا عندما فر دهام بن دواس من الرياض بلا حرب، مخلفا وراءه من الزاد والمتاع ما أفاد منه ال سعود، بقدر ما ضعف وانهار خصمهم الذي فر إلى الخارج خائفا يترقب، وفيها مات أو قتل، كما قتل قبله عثمان بن معمر الذي قتله قومه جزاء خيانتة وغدره بالشيخ رغم مصاهرته له، حيث كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد تزوج من بنته يوم كان عنده بالعينية، فقد قتل عثمان بن معمر في مسجد بن راشد وإبراهيم بن زيد الباهلي، وموسى بن راجح وذلك في منتصف رجب من سنة 1163هـ = 1749م الأمر الذي رفع من قدر محمد بن عبد الوهاب حتى أصبح هو الذي يوافق أو لا يوافق على من يخلف عثمان بن معمر، وحتى يظهر الشيخ حسن النية، وسلامة الطوية أشار بتولية مشاري شقيق الهالك مكانه ، ثم ساندته بشرط التزامه ومساندته للفكرة التي إلتزم لها ال سعود، أما دهام الذي فر إلى الخرج، فقد مات أو قتل بها عام 1187هـ = 1773م (114) وإذا ما ذاع وانتشر ما آل إليه محمد بن عبد الوهاب، ومناصره، وإذا كان مجدد السلفية قد عرف الاضطهاد في بلاد متعددة مثل العراق ونجد، وحتى أرض الحجاز ثم هو انتصر، فإن الحديث عنه وعن مذهبه لاشك يكون مجال الصراع بين المنتصر وغير المنتصر ، خصوصا وأن الشيخ لم يقف عند حد السيف الذي حمله ابن سعود، بل عزز دعوته التي لم يكن فيها مبتدعا بل مجددا فقط، عززها بما ألف وأذاع من كتب ورسائل ذكرها غير واحد ممن كتبوا عنه، وإذا كان من المقاومين الذين اتصفوا بالقوة والعناد أمير الأحساء عريعر بن دجين، فإنه سرعان ما انتهى إلى فشل وموت فجائي، رغم حصاره للدرعية واستيلائه وهو في الطريق إليها على بريدة، وعتوه وجيوشه فيها، وتضييقه على الخابية والنبقية، وإذا ما توفي عام 1188هـ = 1774م وتولى مكانه ولده بطين، فإن ذلك كان هو قمة انتصارات ابن سعود.

(114) بالتحديد في شهر صفر، كما يخبرنا ابن بشر في تاريخه «عنوان المجد في تاريخ نجد» ثم راجع حول محمد بن عبد الوهاب تاريخ الدولة العلية، لمحمد بك فريد ص 201 ط 1912 وفيه عن الغدر الذي تعرض له عبد الله بن سعود الذي قطع رأسه ظلما من آل عثمان بعدما دخل الفرنسي أشير باشا، مدينة الدرعية تحت ستار جيوش مصر بقيادة إبراهيم باشا ولد الاستعماري محمد علي القولي، ثم راجع عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ما كتبه أحمد بن محمد ال أبو طامي ط 1395 بمكة والإعلام للزركلي 137/7 - 138 وما فيه من المصادر، وموسوعة وجدي ج 869/10 - 873 ولقد دافع وجدي عن محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله معا، دفاع المسلم الصادق بل بالغ من غير تطلع لجزء أحد، والموسوعة العربية ص 1968 ط مصر 1965

وتمر الأيام فلم يقتصر المناصر على ما حوله من إمارات نجد والأحساء، وعسير، بل تأقت نفسه إلى الحجاز وتطهير الحرمين مما لحقهما من فساد عقيدة المندسين قديما وحديثا، وفي الوقت الذي انتقلت معارك سعود بن عبد العزيز إلى الحجاز عام 1218هـ 1803 وذلك زمن المولى سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل، سلطان المغرب الذي كان بحق قد اغترف من محيط تافيلالت موطن العقيدة السليمة والاعتقاد الأسلم، الذي رعاه جماعة من العلماء منذ مات السنين، حتى إن أبا علي اليوسي ليخبرنا في محاضراته «ص 43 ط 1976 ما عاشه ورآه حين رحل إلى سجلماسة قصد الدراسة وبها الشجرة الخضراء المشار إليها، والتي كانت مقصد الزيارة النساء تعقد عليها فتائل التوسل ويضعن الدراهم تحت ما أخبر به، ووقت وجوده أمر المولى عبد الرحمن بن يوسف الشريف، مجموعة من الطلبة بإقتلاعها فاجتثت رغم رثاء جماعة من أهل السفلة «الأنصار»، وبعد هذا بمائة سنة أصبح المولى سليمان خليفة لوالده المولى محمد بن عبد الله بتافيلالت 1197هـ، وفيها كان أمثال عبد الرحمن بن حبيب وغيره من العلماء الذين كانوا أصلا من تافيلالت كبقايا أثر العالم السلفي أحمد الحبيب اللمطي، وآل الأنصاري والغازي والدقاق والبكريين(115) وغيرهم من علماء فاس كحمدون بن الحاج السلمي وعبد المجيد بن كيران السوسي رغم بعض الفلتان وبين شقرون الكناسي وغيرهم أيضا من الذين كانوا يترددون على سجلماسة التي عرفت أيضا وفي عهد جد المولى سليمان،

(115) عرفت سجلماسة منذ ذلك العهد إلى الماضي القريب مجموعة من العلماء السلفيين حافظوا فيها على سلامة العقيدة أمثال : علي بن محمد البوعصامي، ومحمد بن الشريف الحسني، والصالح بن محمد اللمطي ومحمد بن عمر اللمطي، والبشير بن محمد بن عمر بن صالح اللمطي، وحمزة بن محمد اللمطي، والبشير بن محمد بن محمد بن أحمد اللمطي، وعبد الله البومجدوري ، وعبد العلي بن عيسى الصرغيني الغرفي، ومحمد بن إبراهيم من لا يخاف، ومحمد بن الحاج من لا يخاف، والطاهر بن عمر المسيفي، ومحمد بن عمر بن صالح المسيفي، ومحمد بن أبي بكر التواتي، وعبد الله بن يحيى ، وعبد الله بن سعيد السجلماسي.

هؤلاء منهم من كان معاصرا للمولى سليمان وقد ذكرنا بعضهم في «التاريخ المفترى عليه» ومنهم من سبقه، وكلهم كانوا من السلفيين الذين أثروا في عصورهم، كل التأثير، خصوصا في سجلماسة، وفاس، ومراكش، وعموما في الجنوب الغربي شرقا، وغربا بالأخص توات وفجيج وما حولهما «ولعله لو قدر لتراجم هؤلاء أن تدرس فإنه سيتعرف من خلالها على عكس ما كان شائعا ولا زال وهو أن السلفية قريبة عهد بالظهور وأنها ترجع إلى الماضي القريب.

أمثال أحمد بن ناصر الدرعي وأحفاد أبي بكر الدلائي و أحمد بن يعقوب الولاوي والمجيلدي، والوفلاوي، وغيرهم أيضا وكل هؤلاء كانوا على نهج محمد بن عبد الوهاب قبل أن يولد محمد بن عبد الوهاب رحم الله الجميع ، لكن الذي مكن للعقيدة وأعاد إليها شبابها هو تلك الرسالة التي وردت من ابن سعود إلى علماء تونس، ومنهم إلى علماء المغرب ، والتي اهتم بها المولى سليمان لأنها صادفت ما كان يتوق إليه مما لم يتطرق إليه أحد من العلماء غير علماء سجدلماسة، وهو بناء الأضرحة والتوسل بزيارة قبور الصالحين خصوصا وأن والده محمد بن عبد الله سامحه الله، كان هو الذي بالغ في تشييد القباب على أضرحة بعض "الصالحين"، وقبله لم تعرف تلك الأضرحة ما عرفته من زخرفة وعلو، بل إن بعضها لم يكن له وجود خصوصا في موطن السلفية سجدلماسة التي شيد فيها من الأضرحة غير واحد زيادة على ضريح المولى علي الشريف رحمه الله، وسميه بمراكش، مثل ضريح أحمد لحبيب اللمطي، وضريح الحسن الداخل، جوار قصر أجرينفود، وفي جهات أخرى مثل ضريح المولى إدريس الأول بزrehون، الذي يقول ابن زيدان(116) نقلا عن المولى عبد السلام نجل السلطان المشيد أنه لم يقتصر على البناء، بل زاد فكسى القبة كلها من الداخل بالحرير الأحمر ، وسفائف الذهب الأحمر، وبسطها بالبسط الأرمينية وربما كان وقتها أحفاد إدريس عرايا، ثم شيد ضريح علي بن حزمهم، خارج باب الفتوح، وضريح عبد الله التاودي بن محمد بن يعلى، خارج باب عجيسة، ثم ضريح أحمد بن جعفر السبتي، ثم قبة ابن سليمان الجزولي وقبة الشيخ التباع وعبد الله الغزواني بمراكش ثم قبة وضريح عبد الله بن أحمد بمكناس، جدها وضريح الشيخ «ابن صالح» بمدينة مراكش؛ وقبة الغازي بن العربي بتافيلالت، وضريح الشيخ ميمون الصحراوي، وضريح الشيخ بنعيسى الفهدي بمكناس، وضريح أحمد السوسي بمراكش وهذا في الواقع يتنافى مع السلفية، بل وحتى مع ماورد في بعض المنشورات باسم السلطان محمد بن عبد الله، كالذي وجهه إلى عامة الشعب يحث فيه على الاهتمام

(116) الإتحاف ج 3/332 ط 1931 وعن ترجمة المولى إدريس راجع كل مصادر التاريخ الإسلامي ولقد نشر معظم صور تلك الأضرحة في مذكرات من التراث المغربي بمجهود يقدر من حسن بلعربي ج 4/142 ط 1985م ولعله من خلال ذلك يتعدم ما ينسب لهذا السلطان من السلفية التي ناصرها اكرم وأفضل أولاده المولى سليمان.

بالعقائد والأركان الخمس التي عددها الخ والتي تتنافى مع ما سبق.
 ورحم الله أبا علي اليوسي الذي قال في المحاضرات ص 121 ص 1976. « وكان
 الأمر يصلح بأئمة العدل ، وفقه الفقهاء . وأدب الصوفية، وقد فسد هؤلاء الثلاثة بالجور
 والمداهنة والبدعة، ففسد بهم الدين أولاً، والدنيا ثانياً كما قيل:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها
 باعوا النفوس ولم يربحوا ولم تغل في البيع أثمانها
 لقد رتع القوم في جيفة يبين لذي العقل أنتانها

هذا مع العلم أن هذا السلطان معروف بما قيل أنه كان يصرح به مما هو في
 كتاب الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية المنسوب إليه والمفتتح بقوله بعد البسمة
 «قال عبد الله المتوكل على الله المعتصم بالله، أمير المؤمنين محمد بن عبد الله الحسني،
 المالكي مذهباً الحنبلي اعتقاداً الله وليه ومولاه(117) وكل ما يمكنني قوله حول موضوع
 بناء القباب على المقابر التي يقال عنها أن ما يراد بها هو التوسل والوسيلة، وكذا ما يتبع
 ذلك من زيارة الأضرحة، فقد كفانا شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن
 تيمية عناء كل ذلك في جل ما كتب، وخصوصاً كتب العقائد، سواء منها مجموعة
 الرسائل أو الفتاوي، وبالأخص كتاب « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»(118) بل بدافع
 ما تفشى في الناس من جهل أدى إلى التعلق بتلك القباب، والالتجاء إليها والاستغاثة
 بغير الله، بل حتى الاستغاثة برسول الله منعها هو نفسه صلى الله عليه وسلم، فقد
 ذكروا أن «الطبراني» روى في معجمه الكبير أن منافقا كان يؤذي النبي صلى الله عليه
 وسلم فقال «أبو بكر» قوموا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صل
 الله عليه وسلم « إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله» وأن ذلك واضح فإن الذي
 يستغاث هو القادر على التغيير، وذلك مما اختص به سبحانه وتعالى(119).

(117) راجع الفتوحات الإلهية، طبعة الرياط 1980م ص 1 تقديم المدني ابن الحسني.

(118) نقل من الكواكب الدراري ترتيب ابن عروة الدمشقي رحمه الله صحح أصله وعلق عليه بعض الهوامش

السيد محمد رضا، طبعة ثالثة مطبعة « المنار سنة 1345هـ».

(119) راجع المذاهب الإسلامية لمحمد بوزهرة مجموعة الالف كتاب رقم 177 ص 341 بدون تاريخ ط

وكما أن الاستغاثة لا تكون إلا بالله، فالمغفرة منه سبحانه، فلا يجوز أن يقال لغير الله اغفر لي أو اغثنني، وينقل بن تيمية عن أبي يزيد البسطامي أنه كان يقول « استغاثة المخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق » كما ينقل عن «أبي عبد الله القرشي» قوله « استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون»(120).

وكما أنه لا يتقرب إلى الله بعبادة الأحياء ولا يستغاث بهم، لا يتقرب بالأموات ولا يستغاث بهم، ويقول في ذلك ابن «تيمية» إننا ليس لنا أن نطلب من الأنبياء والصالحين شيئاً بعد موتهم، وإن كانوا أحياء في قبورهم، وإن قدر أنهم يدعون للأحياء، فليس لأحد أن يطلب منهم ذلك، ولم يفعل ذلك أحد من السلف، لأن ذلك ذريعة إلى الشرك، وعبادتهم من دون الله، بخلاف الطلب من أحدهم في حياته فإنه لا يفضي إلى الشرك.

وإذا كان التقرب أو الاستغاثة بالصالحين غير جائزين في الحياة وفي الممات، والدعاء يجوز في الحياة دون الممات، فإنه لا يجوز النذر للقبور أو لسكان القبور، أو العاكفين على القبور، فإن ذلك حرام، إذ أنه يشبه النذر للأوثان، سواء أكان نذر زيت أم كان غيره، ويقول في ذلك «ومن اعتقد أن للقبور نفعا أو أجراً فهو ضال جاهل.

ويقرر أن ذلك نذر في معصية. ويقول: وأن من يعتقد أن هذه النذر باب الحوائج إلى الله تعالى، وأنها تكشف الضر، وتفتح الرزق وتحفظ المصير فهو مشرك يجب قتله(121) والذي دفع بعضهم إلى ما يقع فيه من الشرك هو معارضة بعضهم للأصول القطعية من التوحيد بشبهات يتلقاها البعض من البعض بالتسليم والتقليد الجهلي، وهل أن ما ثبت في الكتاب من حياة الشهداء، وما عليه جمهور أهل السنة من إثبات كرامات الأولياء يقتضيان جواز دعائهم ودعاء سائر الصالحين، واستغاثتهم على قضاء الحاجات، وكشف السوء، والنصر على الأعداء وسائر ما تعجز عنه من طريق الأسباب، وسنن الله في الخلق، وهذه الشبهة باطلة، وقد فصل في شرحها الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار، من خوارق العادات عند مثبتتها، وقد أجمعوا على أن كلامها يؤخذ ماصحاً منه

(120) وحتى يضرب الوهابيون المثل الحي على ذلك، قاموا بهدم القبة التي شيّدت على قبر زيد بن الخطاب في مدينة الجبيلة، ولحمد بن عبد الوهاب كتب منها : الثلاثة الأصول، وكشف الشبهات، والتوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ثم راجع الجواب عن رسالة محمد بن عبد الوهاب النجدي خ.ع. رقم 2057 لمؤلف تونسي.
(121) مجموع الرسائل والمسائل ج 55/1.

بالتسليم، فليس للمجتهد أن يقيس عليه، ولا أن يستتبط منه حكما شرعيا، ولو لم يكن معارضا لنصوص الكتاب والسنة، مثل الإستعانة بغير الله تعالى، فكيف إذا كان كذلك، وكان المستتبط مع هذا غير مجتهد ولا عالم كهؤلاء الجهال.

نعرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أوصى بن عباس رضي الله عنه قال له «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» رواه الترمذي وقال حسن صحيح، وعن هذه الوصية قال الحافظ بن عبد الرحمن بن أحمد بن رجب 736 - 795 هـ - 1335 - 1393م (122) وذلك في شرحه أنها منتزعة من قوله تعالى في سورة الفاتحة «إياك نعبد وإياك نستعين» والاستغاثة عبارة عن الضراعة في الدعاء عند شدة الضيق التي وصف الله تعالى مشركي العرب بأنهم لا يدعون غيره عندها وإنما يشركون به بعد أن ينجيهم منها: ورحم الله تقي الدين بن تيمية الذي قال في كتابه «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، روى بعض الجهال عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم، ثم زاد وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الدين (123) ولعل الذي افتري هذا الحديث المزعوم لم يدر معنى قول الله لرسوله والذين معه يوم اشتد بهم الضيق في موقعة بدر، والرسول معهم فاستغاثوا بالله فنزلت الآية «إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم» الآية 9 سورة الأنفال.

ولعلنا لو أردنا ، بسبب التفصيل فيما أصبح عليه المسلمون في مختلف بلادهم من بدع وضلال ما عرف الدين المفتري عليه من بدع المبتدعين، وضلال المفلسين، حتى انتهى ذلك إلى جزيرة العرب، ومهبط الوحي من أرض الحرمين، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، إذ هو القائل «اللهم لا تجعل قبري من بعدي وثنا يعبد» وكيف وهو الذي أرسل عليا وأمره أن يسوي بالأرض كل قبر، وأن يهدم كل صنم، وتلك رسالته إلى أمته وإلى الناس كافة «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا».

(122) راجع الزركلي 67/4 ط2.

(123) راجع الكتاب المذكور ص 124 ط 3 مطبعة المنار عام 1345 تصحيح الشيخ محمد رشيد رضا. وقد

نقله من الكواكب الدراري.

ولقد كانت من أهداف مجدد السلفية محمد بن عبد الوهاب، العودة بالمسلمين في موطنه نجد والجزيرة العربية، إلى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ثم الحنابلة وعظيم المجددين ابن تيمية، وكان مما تناوله ابن عبد الوهاب أيضا زيارة قبور الصالحين، وأنها لا تجوز بقصد التبرك أو التيمن أو التقرب إلى الله تعالى، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أن يتخذ قبره مسجدا حتى لا يزار، فقد جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، أنه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدا» وأن النبي صلى الله عليه وسلم دفن في بيت عائشة على غير ما اعتاد الناس، لكيلا يتخذ قبره مزارا، ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدا».

وأن الصحابة كانوا إذا سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم بعد مماته وأرادوا الدعاء، دعوا مستقبلين القبلة، وأن الصحابة كانوا يتجهون إلى الروضة الشرقية إذا أرادوا سفرا أو قدموا من سفر، ويقول محمد أحمد بوزهرة (124) «لقد خالف ابن تيمية بقوله هذا جمهور المسلمين بل تحداهم في عنف بالنسبة لزيارة قبر (125) النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يوافق في زيارة الروضة لأن الأساس الذي بني عليه منع زيارة الروضة بقصد التبرك والتيمن، هو خشية الوثنية، وأن ذلك خوف في غير مخاف يقول أبو زهرة، الذي اعتبره متفائلا، ولو أنه فقط أصغى إلى ما يصيح به الباعة الذين يعترضون سبيل الشيخ أبوزهرة بالعشرات في أحياء العتبة والسيدة زينب، والحسين، وغيرها من الأحياء وما ينادون به مستغيثين حتى ينفذ ما يبيعون، وأنه لو فقط استفهم أحدهم وقد حصل مني لعلم مدى ما يذهب إليه المستغيث بالقبور، وهو في مصر، فما بالك وهو قابض على الشباك في المدينة المنورة.

(124) نفس المصدر السابق 343 ثم راجع: منهاج العابدين، ومعه الكشف والتبيين وبداية الهداية، لحجة الإسلام أبو حامد الغزالي مراجعة وتعليق فضيلة الأستاذ الشيخ محمد جابر ط أولى عام 1954 ولسوف نتوسع أكثر فيما يتعلق برأي الجماعة الوهابية في الموضوع كما سيعرضه الشيخ الإمام شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي بعد إن شاء الله وذلك في الفصل الخاص ب « الصراع بين الطرقية والوطنية».

(125) راجع الزيارة الشرعية والبدعة عند ابن تيمية في كتابه « قاعدة جلية مصدر سابق ص 147.

إن الذي يضرب المثل بأبن عمر وغيره، وكيف يسلم، إنما فقط يقرر ما كان، أما ما انتهى إليه الواقع الأليم، وما أصبح عليه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، فهو تماما ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم عبد السلام بن عبد الله الملقب أبو البركات، وابن تيمية هو الإمام المحقق المجتهد المشهور المحدث المفسر الأصولي النحوي الواعظ الخطيب الحنبلي، المولود بجران عام 661هـ - 1262م والمتوفي بدمشق عام 728 - 1327م وقد بلغ رتبة الإجتهد كما جدد الدعوة من أجل العودة إلى نهج السلفية السمحاء، وإذا هو توجه إلى مصر فإنه عرف السجن فيها، وبالتالي فلابن تيمية مجال واسع في سبب التجديد والاجتهاد، تناوله د. محمد يوسف موسى في كتابه عن ابن تيمية «اعلام العرب» وغيره، ومجال التجديد هذا، هو الذي تبعه عليه محمد بن عبد الوهاب، الذي كآني به اهتم فقط بكتاب الإيمان من كتب شيخ الإسلام، وهو الكتاب الذي أوضح العقيدة، ثم بين سلامتها معتمدا وعلى الكتاب والسنة، بحيث تحدث فيه على الإسلام والإيمان، والفرق بينهما، وعن أصل الإيمان، وكذا أن الأعمال من لوازم الإيمان، وفي مجال العقيدة له من الكتب ما يزيد على الخمسين كتابا لم يخل واحد منها من تناول العقيدة والتوجيه إلى سلامتها، اعتمد فيها كلها على الكتاب والسنة وما صح عنده من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ثم على آراء الصحابة، تبعه على النهج محمد بن عبد الوهاب العويني الذي لا يجادل في شد الرحال إلى المسجد الحرام، والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، كما ورد في الحديث، والمسجد ليس هو القبر الشريف، بل القبر كان في بيت عائشة، وذلك عن قصد كما أمر صلى الله عليه وسلم، والبيت كان ولا يزال مفصولا عن المسجد لولا ما حصل من توسيع، والزيارة المشروعة التي هي التذكر والاعتبار والاستبصار، تذكر ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف تحمل الأذى من أجل تبليغ رسالة التوحيد، بل ومن أجلها قطع تلك المسافة الفاصلة بين مكة والمدينة، هو وصديقه أبو بكر، وكيف أمكنه ذلك، وثالثهما عمر، وما كان عليه من عظمة في السلوك استمدها من الصحبة والإيمان والإلتزام، فالوقوف على القبر الشريف الذي يثير في النفس التذكر والاعتبار والاستبصار، بما كان عليه صلى الله عليه وسلم في سيرته وسيرة التي دفن في بيتها، والتي قالت مقسمة «والله

ماشبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين» أو أبوها العظيم الذي أجاب عن رغبتها في شراء الكفن الجديد وهو يحتضر «أولى به الحي» وعمر الذي حين قدم عليه رسول النجاشي ثم وجده موسدا حجرا وهو يغط في نومه فقال، عدلت فنمت الخ، من يدرك هذه المعاني يقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خشية عليه، لأنه يعلم مسبقا أنه لا يستغاث بغير الله الواحد القادر وحده لا شريك له. جاء في كتاب الفتن الباب 16 من سنن بن ماجه: أخرج البزار عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرج عمر رضي الله عنه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا معاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك يا معاذ، قال يبكيني شيء سمعته من صاحب هذا القبر، أن يسيرا من الرياء شرك، وأن من عادى أولياء الله فقد أذن الله بالمحاربة، وأن الله يحب الأبرار الأخفياء الأتقياء الذين إذا غابوا لم يفتقنوا، وإذا أحضروا لم يدعوا ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، ويخرجون من كل غبراء مظلمة.

حقا لقد توسعوا بعض الشيء في معنى البدعة، مما انتقل إلى بلاد أخرى، ومنها المغرب، هذه هي الأفكار التي انتشرت قبل في جزيرة العرب بواسطة المجدد محمد بن عبد الوهاب، والتي تردد صداها من جديد في المغرب بواسطة رسالته إلى أهل المغرب ورسالة مؤيده ابن سعود إلى علماء تونس إلى المولى سليمان (126) الذي بحق كان في المستوى حين أقبل على الفكرة واعتبرها من صميم ما ورد في أثر السلف الصالح، في حين نجد جواب التونسيين (127) على رسالة محمد بن عبد الوهاب الذي أورده الزياني في

(127) راجع الترجمانة الكبرى لابي القاسم الزياني 388 - 396 وجواب علماء تونس 397 - 402 ط 1967 ثم راجع أيضا رسالة ابن سعود في نفس الاتجاه، والتي أوردها الزعيم المصري محمد بك فريد في كتابه « تاريخ الدولة العثمانية » ص 201-205 ط التقدم بالقاهرة 1912.

(127) في هذا العهد كانت خرافة التضليل قد وصلت إلى تونس وتمكنت فيها بواسطة علي الرياحي 1180-

1266هـ 1766 - 1849 والذي اتصل بأحمد التجاني بواسطة علي بن العربي حرازم برادة كاتب « جواهر المعاني» راجع مانشره محمد الشاذلي النيفر من ضلال في الندوة التي أقامتها وزارة الأوقاف بالمغرب بتاريخ 10-16 ربيع 2 عام 1406هـ 23-29/12/1985 وذلك بعنوان « الشيخ التيجاني والشيخ الرياحي» فقد أورد الرجل فيها ما يدخل في باب الشرك، ونحن في بداية القرن الخامس عشر هـ وقد عرف عالم المسلمين من العلوم والمعارف ما يكفي للقضاء على الخرافات والبدعة، وكل ما يؤدي إلى الشرك الذي عرفه المسلمون قبل بواسطة أمثال التجاني والرياحي وغيرهما كما سنرى بعد.

الترجمة الكبرى، والذي يعبر بلاشك عن وجهة نظر الأتراك الذين كان ابن سعود خلف فكرة محمد بن عبد الوهاب، يقاوم سلطانهم واستبدادهم، كما أن انتصار الزياني لاتجاه التونسيين كان لا يختلف عنهم، لأنه كان قد تعرف على كثيرين من رجالات دولة الأتراك، وفي مقدمتهم السلطان عبد الحميد الذي كان قد أرسله السلطان محمد بن عبد الله في سفارة إليه 1200هـ كما حمله عبد الحميد طلب العون مالياً من السلطان، والذي كان قد حدده بمائتي ألف، فرد عليه الزياني بقوله يعطيك مليونين كما ورد في الترجمة وقد حصل ولذلك نعتير ما أجاب به كل من علماء تونس وما علق به مؤرخ المغرب الكبير أبو القاسم الزياني حول أفكار محمد بن عبد الوهاب وأنصاره لم يكن في المستوى ولا اعتبار له فيما يرجع إلى محمد بن عبد الوهاب لأن ما أجاب به أهل تونس والزياني لا يعتبر. لأنه غير متمكن من الدراية والإطلاع على مقاصد السلفية كما دونها أحمد بن حنبل، والذين جاؤا بعده، إلى عهد شيخ الإسلام بن تيمية، وعلماء المغرب الذين يتقدمهم أمثال حمدون بن الحاج السلمي الذي رغم تطاول أبي القاسم عليه نجده يعتز بمراسلته في الترجمة 549-551-552 «فإن حمدون بحق كان في المستوى، وإن كان الزياني لم يفعل بجوابه كما فعل بجواب التونسيين (128) بحيث لم يورد نصه كاملاً، وإن كان قد دمج في شعره ما يفهم منه جوابه لابن سعود بقصيدته الميمية التي مطلعها:

حق الهناء لكم جيران ذي سلم ويارق واللواو البان والعلم

قد سدتم أنفسا يا أهل كاظمة وساكني المنجنى والواد والأضم (129)

كانت المراسلة التي تلقاها أهل تونس (عفا حكام تونس مفتيهم وقاضيهم، وقد علقنا عليها بما فيه الكفاية في تحقيقنا للترجمة الكبرى "ط" 1966" كانت تلك المراسلة

(128) راجع الترجمة وما علقنا به على جواب التونسيين وقتها وحول التصوف راجع أيضا فيها ما كتبه عن التجانية ص 460 - 66 وعن انتصار المولى سليمان للسلفية ص 466-474.

(129) وفي القصيدة الدالة على نفس ومكانة حمدون في مجال الأدب أشاد بآبى سعود باسم المولى سليمان الذي يناصر ما جاء في رسالته، راجع الترجمة 388-89 والقصيدة مطولة احتفظ الزياني لنا منها بعشرين بيتا كافية للدلالة على انتصار المولى سليمان وكبير علماء المغرب في عصره حمدون بن الحاج السلمي للفكرة السلفية غير مكرث بما نشره الزياني لعلماء تونس من الرأي المضاد، وغير المقنع ولا بما أثاره أمثال عبد السلام البنانى بما كتب حول الوهابية باسم «الفتوحات الوهابية في الرد على الوهابية» مخطوط خاص في خزانتنا ثم راجع الروضة السلیمان ص 294م.خ.ع وفي الترجمة المغرب م.خ.ع ص 176.

التي وردت على المولى سليمان عام 1227 كما عند الزياتي في الروضة كذلك، بلاشك قد وجهت من عبد العزيز بن محمد بن سعود المتوفى مقتولا غدرا بيد شيوعي من العراق، منتقم لما حصل من عبد العزيز حين غزا العراق عام 1215هـ 1800م ثم هدم قبة الحسين في كربلاء وقد قتله الشيعي في شهر رجب من عام 1218هـ 1803م، وفي هذه السنة كان قد حج أحد علماء المغرب الكبار، وهو محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران (130) والذي كان له عند المولى سليمان كبير اعتبار، وهو الذي أكد للسلطان حسن نية ابن سعود وصدق طويته، بحكم ما رأى وعلم.

كما تأكد المولى سليمان من تلك النوايا، وما كان يقصده ابن عبد الوهاب مما حمله إليه جماعة العلماء الذين حجوا مع ولده وولي عهده ابراهيم عام 1226 هـ 1811م وهم بالإضافة إلى ابن كيران، المولى الأمين ابن جعفر العلوي الرتبي، والعلامة الشهير محمد بن العربي الساحلي، وهؤلاء هم الذين أكلوا للمولى سليمان أن ماذهب إليه محمد بن عبد الوهاب لم يزد على أنه عمل على إحياء مذهب أحمد بن حنبل، وماذهب إليه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحم الله الجميع، وهو مذهب أهل السنة في العقائد، مثل الأشعرية والماتريدي وغيرهم، ونحن وإياهم يقول بعض أولئك العلماء ومنهم ابن كيران- متفقون - إلا في مسائل طفيفة مثل مسألة آيات الصفات فالمتأخرون من الأشاعرة يؤولونها ويحملونها على ما عرف من المجازات عند العرب وكل السلف، ومن تبعهم كالإمام مالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وأتباعه الحنابلة ومنهم محمد بن عبد الوهاب، والإمام أبو الحسن الأشعري، حسبما صرح بذلك في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة» وهو من آخر مؤلفاته، وكذلك المتقدمون من الأشاعرة أيضا يتركونها على ظاهرها، ولا يؤولونها، ويفوضون معنى المراد منها إلى الله مع اعتقاد التنزيه حيث كان ذلك كذلك، وهذا المذهب هو مذهب السلف الذي درج عليه أهل المغرب عموما، وهو الذي اختاره ابن

(130) الأصل الكيراني كما جاء في ترجمة أحمد بن محمد بن شعيب الكيراني من أهل فاس وأصله من كيرانة قبيلة من قبائل الريف الغربي سوس كما أورد ابن الخطيب في الإحاطة 1/272 ط 2 القاهرة و1973 قبيلة إدا وكيران حتى اليوم معروفة في إقليم سوس. وفي خزانتنا ما كتبه ابن كيران حول ابن سعود الذي كان قد فتح المدينة في الوقت الذي كان فيه ابن كيران يودي فريضة الحج وهو مخالف لفتوحات البناني البعيدة كل البعد عن سلامة العقيدة.

أبي زيد القيرواني، في عقيدة رسالته، ولم يدخل مذهب الأشاعرة إلى المغرب، إلا في المائة الخامسة بضعف، ولم ينشر إلا عند قيام دولة الموحدين، وحمل ملوكها الناس بالسيف على عقيدة إمامهم المهدي المأخوذة من مذهب الأشعرية ومادس معها من عقائد الإمامية حاول ابن رشد تلطيفها تقية منه في كتابه « كفاية المقتصد » مخطوط خاص وبالتالي فإن المولى سليمان استقبل رسالة ابن سعود بما يتفق والمقاصد الصادرة التي قصدها الرجل، إحياء لعقيدة السلف، وحرابا ضد البدع التي شوهدت وجه الإسلام، ولقد كان جواب حمدون بن الحاج السلمي رحمة الله عليه بحق في المستوى، والذي يجب هنا أن نورد أبياتا من القصيدة التي خلد بها جوابه لابن سعود باسم المولى سليمان إذ يقول بعد المطلع أعلاه:

سعود بعد سلام الله شاعك من	عرب يسير لشرق ضائع النسم
هذا كتاب إليك من محب أتى	إذا ما تأتى له الإتيان بالقدم
مخاطبا لك باللسان من قلم	إذ ما تسنى له تخاطب بقم
وإنه من سليمان وإنه باسم	الله لازلت لاسم الله أي سم
واعلم وقيت الردى لازلت بدر هدى	لبوسا أي ردى من السنى العمم
إن قمت فينا بأمر لم يقم أحد	به فجوزيت ما يجزاه نونعم

ولقد عدد حمدون في قصيدته الأسباب الدافعة لمدحه ابن سعود، وإن كان الزياني لم يوافق عليها وأن المدح كان بسبب ما جلب السعودي للحرمين من أمن مهد سبيل الحجيج، وأزال مخاوفهم التي كانت مرعبة في الطريق الخ.

ولنتعرف علي تلك المواقف الخالدة سواء من المولى سليمان، أو من حمدون بن الحاج السلمي أو غيرهما من العلماء ، وجب أن نتعرف على ما كانت عليه أحوال المغرب وظروف بعض « المتصوفة » فيه، أولئك الذين انتهوا إلى ضلال، بل وغيرهم من الذين قال فيهم رسول الله « ص » ستكون فتن، يصبح الرجل فيها مومنا ويمسي كافرا إلا من أحياه الله بالعلم، وقال « فضل العالم كفضلي على أدناكم » وقال فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة، وخير دينكم الورع » فقد انتهى المجتمع الإسلامي في المغرب إلى ضلال مبین، أفسد العقيدة والعبادات، بل والمعاملات، حتى أصبح الناس وليس لهم من الدين

في الغالب العام إلا الإسم، حتى انتهى الأمر إلى عاصمة العلوم والمعارف مدينة فاس التي فيها قبر المولى إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى، رضي الله عنهم، والذي أحيا الدين على سنن والده وجده صلى الله عليه وسلم، بل والذي لو قيل له أنه سيأتي زمان يتخذك القوم فيه وسيلة شرك لتبرأ مما يقال، بل ومما كتب على قبره مما نظمه ظالم متجن من شعر جاء فيه:

على قبرنا قف عند ضيق الحوائج تفز بعلا القدر من ذي المعارج
ألم تر أن الله أسبغ نعمته علينا وأولانا قضاء الحوائج(131)
وغير هذا من الاستغاثة التي قلنا قبل رأي الإمام ابن تيمية في صاحبها، فلنسمع إلى الضال القائل شعرا أيضا، وهو بلاشك من قبيل صاحب الشعر أعلاه.

أمولاي إدريس بن إدريس إنني إذا صحت يا للقوم أنت المقدم؟
فأبأوك الشم الأنوف وأنت ممن دؤابة قوم جارهم ليس يهضم؟
بأرضك عان من يعنه ويعتني سواك به إذ أنت في الأرض تحكم؟
لك النقض والإبرام بالله حل من أموري ماشد الوشاة وأبرموا؟
وسؤلي يسير عندكم لا يؤدكم وقدرك عند الله من ذاك أعظم؟
لك الحكم والتصريف في الغرب كل من تصرف فيه عن مقامك أحجموا؟
وأنت حفيد المصطفى وابن عمه بذلك تعطى من تشاء وتكرم؟
ولعل هذا لم يجازف إلا قريبا من مجازفة الذي نسب إلى الشيخ عبد القادر
الجيلاني بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسنی، دفن بغداد 471 - 561هـ
1078 - 1166 أنه قال ما يلي من الشعر الذي لو صدر منه فعلا، لكان لنا فيه رأي، لكن
المعروف عن الشيخ المذكور، بل وعن خلفه وسلوك مريديه، أنهم كانوا إلى السنة أقرب،
وأما ماورد في كتاب المقصد الأحمد لعبد السلام بن الطيب القادري، فإنه لا يحسب على
الشيخ عبد القادر، بل حاشاه منه أن يقول ما نسب له من القول شعرا، ولكنه داء العصر

(131) ولم يقف الأمر عند حد قبر إدريس الثاني المكتشف عام 841هـ بمسجد الشرفاء، حيث شيد القبر بإتفاق بين الوطاسي عبد الله العبدوسي والوزير يحيى بن زيان والمزار علي بن محمد بن عمران بل نقل البيتان وكتبا أيضا علي قبر عبد الله الجزار المتوفي 1122هـ 1710م وهو ابن المجاهد حجي دفن سلا المتوفي 1103هـ 1691م راجع الاتحاف الوجيز للدكالي تحقيق أبو شعرة ص 101 - 108 الرباط 1986م.

دفع بالقادري فأورد

أنا لمريدي جامع لشتاته
تمسك بنا في كل هول وشدة
مريدي إذا ما كان شرقا ومغربا
أغته إذا ما صار في أي بلدة (132)

والذي أورد هذه الأبيات الثلاث وليس في باب التعريض بالبدع هو ابن كيران العالم الفاضل والذي يجعلني أشفق عليه وعلى غيره من بعض المغاربة الذين وقعوا في شرك «المتصوفة» المغرورين الذين وصفهم أبو حامد الغزالي في الكشف والتبيين، في غرور الخلق أجمعين، هو لو أن ابن كيران فقط راجع أثر ابن القيم بتمعن لكان له غير ما عرفنا له من رأي في فكرة محمد بن عبد الوهاب ولو أنه قرأ كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية لما ذهب في الاتجاه الذي ذهب فيه تحت ضغط الظروف المحيطة وقتها بفاس.

ومن هذا كان المنطلق نحو الضلال، فصاحب الشعر ولاشك إن لم يكن من البلديين الذين هم مسلمة اليهود وأعلاج النصاري بفاس، يكون ممن أخذوا عنهم(133) ولقد كتبنا ما فيه الكفاية حول ما انتهى إليه بعضهم من شرك وكفر وضلال، وإذا كان موضوعنا السياسي هنا هو الصراع بين السلفية والوثنية التي تمثلت فيما أصبح المغرب يعرفه من طوائف ضالة بدأت عملها بتحريف نهج بعض المتصوفة المغرورين الذين وصفهم الشعراني في التنبيه، وقبله أبو حامد الغزالي في الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين(134)

حقا لقد بدأ الضلال أولا بالسكوت عن البدعة التي يخبرنا التاريخ أنها في الغالب كان أول من سبق إليها أو استحسناها في المغرب حاكم أو متعلق بالحاكم.

(132) مخطوط خاص رقم 171 ص 19.

(133) راجع قصة البلديين بفاس وهي لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي خ.ع.ك مجموع رقم 270 ص 482. ونصيحه المغتربين وعماية المضطربين في التفريق بين المسلمين لمحمد بن أحمد بن محمد ميارة خ.ع.ك 923 كُتبت بتاريخ 8 ربيع 2 عام 1052 هـ وقد اشتملت على سؤالين وبينت لفيف، 17 جوابا وبراعتين سلطانتين، بتنفيذ الحكم، إحداهما لبعض أمراء الدولة المرينية وقت احتضارها 934 والثاني لبعض أمراء الشرفاء يعني السعديين ثم 22 رسما ثم راجع كتابنا التاريخ المقترى عليه في المغرب ط الرباط 1969.

(134) راجع المصدر السابق، وطبقات الشعراني، والإحياء ومشكاة الأنوار للغزالي والفتوحات لابن عربي، والإبريز للديباغ الخ وهي بعض الكتب التي أفسدت على الناس عقيدة الإسلام وشوهت منه المظهر.

الفصل السادس والخمسون بحث المائتين البدعة طريق إلى الشرك أصولها ومصادرها

البدعة هي ما أخترع على غير مثال سابق، وهي مؤنث بدع وقد أطلقت على الخصلة المحدثّة في الدين، سواء كانت حسنة أو سيئة، وقد كثر إطلاقها على المستجدات السيئة في العقائد والعوائد والمعاملات وقد تعرضنا فيما سبق لكثير من البدع، ونتطرق هنا إلى ما جرت إليه البدع التي بدأت بتلاوة القرآن جماعات، وبطريقة لا يتحقق معها الأمر الذي يستوجب الإنصات حسب الأمر الصريح بنص القرآن « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » الآية 204 من سورة الأعراف ، وقوله صلى الله عليه وسلم « إن المصلي يناجي ربه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن » الحديث، ثم انتهت إلى الشرك والكفر والضلال بالاعتقاد في النفع والضرر من غير الله، سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرة أو قبراً أو جنياً، مما يتنافى مع التوحيد المقصود من قول لا إله إلا الله - إن المقصود بكلمة التوحيد وما قرره في شأنها مفكروا الإسلام اقتداء برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وما سبقه من الأنبياء والرسل، هو إثبات الوجدانية لله تعالى وحده لا شريك له، فهو وحده الخالق الرازق المدبر الفعال لما يريد، ولقد انتهى المجتمع الإسلامي في مجموعه رغم إقراره لهذه الحقيقة وأن الله هو النافع القادر المدبر، إلى القول أيضاً أن الصالحين ليس بيدهم ضرر ولا نفع، لكنهم يقصدون من أجل أن يكونوا شفعاء يقبل الله شفاعتهم، وهذا هو قول الكفار الذي جاء في قوله تعالى «والذين اتخنوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» وقوله تعالى «ويقولون هؤلاء شفعائنا عند الله» فالشرك شرك ولا فرق بين من يشرك بالتعلق بالأصنام أو البشر، وما ينتج عنهم من أوهام الشفاعة التي لا تكون حتى للرسول صلى الله عليه وسلم إلا بعد إذن من الله العلى القدير « قل لله الشفاعة جميعا » وقوله تعالى «من ذا

الذي يشفع عنده إلا بإذنه « وقوله تعالى « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » والذين تحق لهم الشفاعة هم الموحدون لله توحيداً خالصاً لا تشويه شائبة، لقد أثبت تاريخ الجهاد من أجل الإصلاح، أن البدع السيئة هي من أشدّ البلايا التي تسلطت على الأديان بصفة عامة فاليهودية عرفت ما عرفت منها إلى أن حاول أصحابها الحبر العظيم موسى بن ميمون صاحب كتاب "دلالة الحائرين" المتحدث عنه قبل، والمسيحية عرفت ما عرفت رغم محاولات الكثيرين من رجالها المخلصين لها منذ عهد برنبا إلى عهد لوثر، والإسلام الذي ختم الله برسالاته كل الرسالات، وجمع فيه كل الديانات، عرف أكثر مما عرفه السابقون، وذلك بسبب ما حل بساحته من ناقمين، وما عرفه لبعض الشعوب التي اعتنقته كرها من ماضي في الشرك والوثنية، وبالتالي فإن البدع جرت وليس على الإسلام وحده، بل على الدين بصفة عامة تبرم، وتنطع وتذمر، كل الذين تعرفوا عليه من خلال تلك البدع التي يحسبونها أصلاً من أصوله، فنفروا ونفروا من غير أن يكلفوا أنفسهم اكتناه مقاصد الأديان وذلك من غير أن يتعرفوا على أن الإسلام هو الدين الذي جاء بمنتهى الوضوح، وأنه الموافق لفطرة الإنسانية، بتأييده لحرية الفكر واستقلاله في المناقشة والجدل، لكنه بسبب مآدس عليه من البدع المختلفة للأغراض المقصودة ممن لاخلق لهم، وحتى يصبح لهم شأن باسم الدين، عملوا على ترويجها وإحلالها محل الدين الحنيف، وللأسف فقد عرفنا التاريخ أن البدعة إذا استقرت في النفس صعب إقتلاعها وربما تعذر، ولاسيما إذا أصبحت محاطة برعاية الحاكم المغرض المفتري لقصد كذلك، ومؤيدة بما له من وسائل الدعاية والإعلام للترغيب من جانب، وعدم الرغبة من الحاكم في يقظة الناس وتطورهم، ولذلك يضع الترهيب في طريق الإصلاح من جانب آخر، وبذلك تتمكن البدعة وتستقر فتصبح حقيقة وواقعا لايجدي في إقتلاعها علم ولا تهذيب، ما لم يصلح الحاكم ومن حوله، لأن القرب منه وما يحقق ذلك القرب هو الذي يمكن للبدعة والضلال، مادامت هي قوام مذهبه وسبيل إعتقاده، بما فيها من فرقة وطوائف يسهل عليه استغلالها وحرمانها حتى مما قيل عنه ديمقراطية.

عرف المغرب منذ ما قبل القرن العاشر، الكثير من الطقوس التي دست في العبادات، والتي جرت إلى الشرك المقنع، والكفر المقنع كذلك، ولعل ما عرف المغرب من

تلك الطقوس قبل أن يطورها بما يتفق والمناخ، جُلها جاعته من المشرق وفي الغالب وردت عليه من العراق عبر الأندلس أو مصر فالعراق هو الذي استمد من مانوية الفرس، وزاد شتيهم، ومزديكيتهم ، وأحيانا من العراق إلى مصر ومنها إلى المغرب حيث رحلت البدع عن طريق الحجيج والتجار، وما كان بينهم من البسطاء الذين تأثروا بما رأوا من طقوس الشيعة وعبدة الشيطان، وطوائف المشرق أشباه المتصوفة كما سنرى.

لقد جاعتنا مصيبة إدعاء الولاية بين أشباه المتصوفة مما عرف للصابئة في العراق أيضا، أولئك الذين من إعتقادهم أن الله واحد لكنه وضع سره في 360 من المخلوقات أتوا من الأسرار والكرامات شيئا كثيرا « راجع الطائفة في دائرة المعارف الإسلامية ج 14-89-91 ولعل من خلال دراستنا للصابئة ورجالاتها الذي دخلوا في الإسلام كرها واختيارا، مثل ثابت بن قررة، ذلكم العالم الجليل المهندس، والفلكي الأصيل بل المترجم، والفيلسوف، والذي هاجر من حران إلى بغداد بعدما تشاجر مع أهل ملته عام 259هـ 872 وفي بغداد أسس ثابت فرعا للصابئة ومنهم كان كثير من العلماء الذين أثروا في أفكار القوم وعقائدهم مثل سنان بن ثابت الذي أجبره الملك القاهر العباسي على الإسلام وأبو إسحاق بن هلال الصابئي الذي أصبح وزيرا للمطيع والطائع، وهو الذي استصدر مرسوما يقضي بمعاملة أهل ملته في حران والرقعة، وديار بكر، معاملة سمحة، ومن علمائهم المشهورين التبانى الفلكي، وأبو جعفر الخازن، وابن الوحشية، وجابر بن حيان، وغير هؤلاء من الذين كان لهم الأثر الكبير في عقول القوم وإفساد عقائدهم، وذلك جانب. وأما الآخر الذي يتمثل في وثنية القبور المستجدة، والتي بدأت في عهد العباسيين. فمن قصة بناء النجف(135) وما حصل لهارون الرشيد 149 - 193هـ / 766 - 809م في رحلة صيده من مطاردة الغزالة التي قيل بواسطتها أكتشف قبر علي بن أبي طالب عليه السلام الذي إتخذة الرشيد وسيلة سياسية في الوقت الذي كان يقتل أحفاده ، ونفاقا نال القبر من

(135) راجع عقيدة الشيعة تأليف دوايت م. رونلدس تعريب ع.م ط مصر 1933 خصوصا ص 266 وما بعدها، وجملة في ربوع المشرق الأدنى لمحمد ثابت 104 ط 2 مصر 1936م ثم الفن الإسلامي لارنست كوتك ط 1966.

عنايته ما نال، فجاءت بذلك إلى عالم المسلمين بدعة بناء القباب والأضرحة التي تفنن فيها السلاجقة باهتمام كل فريق بالقبور الذي يجسم انتماءه، وعن السلاجقة اقتبس الفاطميون، ثم بعدهم الماليك في مصر، ومنها للمغرب، والذي فرق وعمق الفرقة أكثرهم الأتراك من آل عثمان الذين اتخذوا من قبور الصحابة معابد شرك، وهم الذين اعتنقوا ضلال المجلسي قبل أن يوجد بمات السنين، راجع الإعلام ز 273/6، فالمبتدعة من الفرس الذين اختلفوا المراكز للمذاهب الفقهية والمواسم الخرافية، كمظاهر العناية بالدين والتحزب بين الشيعة والسنة وتنمية الصراع بينهم كوسيلة من وسائل الفرقة التي يرتضيها الحاكم المستبد، فكان من سكان النجف كما يطلق عليهم الأتراك « حزب السجور » وهم الفقراء، وحزب « السمورث » وهم الأغنياء (136) بل من النجف شاع وذاع ما عرف للأضرحة من زخرف، وكنف: فقد قيل أنه لما زار نصر الدين شاه مدينة النجف ثم غادرها وفتح الصندوق الذي كان يجمع فيه إحسان الزائرين، وبلاشك كان عبارة عن بيت له طاق، وجد ما فيه من الذهب والفضة زنة سبعة أطنان، أضف إلى هذا مصباح نحت في زمردة واحدة، وشمعدان للشمع من ذهب مرصع باليواقيت، وبساط تزينه اللالي، كما أمر أيضا أن تكسى القباب والمآذن من ظاهرها بالذهب الخالص (137) وعلى هذا المنوال، بل من النجف شاع وذاع ما عرف للأضرحة التي لم تنتشر بكثرة في المغرب إلا بعد القرن العاشر - من زخرف وتزيق حتى إن كثيرا من مظاهر الضلال أنتسخت من هناك، وطبقت في المغرب حذوك النعل بالنعل، وإذا لم يكن الزخرف بصفائح الذهب فقد كان بالذهب المذاب الذي تزخرف به أخشاب الأسقف من الداخل، والأبواب، والأضرحة، والتوابيت، والمقصورات التي تحيط بالقبور، وتطريز أغطية القبور إلى غير ذلك، أما الزرابي وما يصرف على ترخيم البلاطات، والقاشاني، والفسيفساء، مما تزخرف به جدران وبلاطات الأضرحة، فحدث ولا حرج، هذا في الوقت الذي نجد أبا بكر رضي الله عنه وهو يحتضر يؤكد على عائشة وهي تراوده حتى يكفن في ثوب جديد - ألا تكفنه في غير مرقعته، أما الثوب الجديد فأولى به الحي أماما كان من الميت الذي خلق جسمه من تراب فسيعود أيضا إلى التراب.

(136) المصدر السابق 106.

(137) المصدر السابق.

ومن النجف حيث رأى بعضهم السلسلة التي وضعت عند المدخل إلى فسحة ما قبل الضريح، وضع في المغرب وعلى باب الأزقة الموصلة إلى روضتي المولى إدريس الأول والثاني خشبة (138) للدلالة على بداية الحرم، وأن من اجتازها حتى ولو كان قاتلا فهو آمن، إلى أن يخرج أوعفى عنه، ولم يقتصر الأمر على ضريحي إدريس الأول والثاني، بل عممت في جهات مختلفة من مدن المغرب، خصوصا بعدما عرفت الأضرحة ما عرفته من عناية السلطان محمد بن عبد الله الذي شيد القباب وزخرفها بشكل جد مثير كما عرفنا قبل، ومع ذلك ورد الزعم في الفتوحات أنه حنبلي، ونحن نستنتج أن ذلك منه كان بتأثره بالترك وقد عرفنا التاريخ أنه قبل الترك كانت ضلالات الفرس باسم التشيع، فقد عملت عقلية الفرس القديمة، وما عرفت به من خرافة منذ عهد العباسيين وما بعدهم، وما استطاعت وما أمكنها عمله للهدم المقصود أحيانا والفضوي من السدج أخرى، وهي لا تخلو من حقد دفين لم تستطع الخلاص منه، والذي نراه يتحول بين السدج والأغبياء إلى خرافة وشعوذة، وإلا كيف يعقل أن يرمج الزاني حتى القتل ثم يحرق جثمانه، وبعدها يبني عليه ضريح ثم يزخرف ويزار مع قداسة، وذلك ما فعلوه بمن أسموه محمد المحروق والذي قيل أن محمدا هذا نزل ضيفا على أحد سراة القرية، ولما أن خيم الليل اعتدى على بنت مضييفه فأحرقه الناس في مكانه الذي دفن فيه الخ وأن التقديس كان له لأنه من سلالة الحسين حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسموه محمد هذا المحروق الذي مدفنه مجاور لمدفن عمر الخيام العالم المعروف المتوفى عام 515هـ 1123م جاءه هذا التقديس من الأولين الذين أججو نيران الشيعة ولم يكن لهم من قصد غير هدم دولة بني العباس أولا، من الموتورين منها سياسيا من الذين هم على مذهب أبي مسلم الخراساني المغدور المتظلم ثم هدموا للإسلام من الذين بقوا على ولائهم للمزديكية، والزرادشتية، ولهم اعتزاز بماضي الفرس ووثنياتهم، وإلا كيف يصح لفريق من الشيعة أن

(138) أطلقوا عليها «المعراض» أي من اعتراض الشيء : صار عارضا كما تكون الخشبة في النهر أو الطريق « المعجم الوسيط 600/2 وتلاحظ هنا أيضا أن هذه البدع بدع زيارة القبور تعدت إلى قبور الصحابة، بحيث أن المجلسي محمد ابن باقرتب لزيارتهم ترتيبا، ثم نكر منهم الذين انتصروا لعلي، وهم أبو ذر، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وعدي بن حاتم ، وجابر بن عبد الله، وحذيفة بن اليمان ، وحجر بن عدي وقنبر خادم على راجع تحفة الزائر.

يقول إن الصحابة كلهم كفروا بعد موت رسول الله حين جحدوا إمامة علي، بل إن عليا نفسه كفر لتنازله لأبي بكر، لكنه عاد إليه إيمانه لما تولى الإمامة، وتلك هي فرقة «الإمامية»، ومن الشيعة قسم أوجب النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لعلي، حيث قالوا إن الشبه بين محمد صلى الله عليه وسلم وعلي كان قريبا لدرجة أن جبريل «أخطأ» وتلك هي فرقة «الغالية» الخ ومن الشيعة الإنثى عشرية الذين يقدسون الأئمة الإثني عشر الذين هم : علي فالحسن والحسين فابنه زين العابدين فابنه محمد الباقر، فابنه جعفر الصادق، فابنه موسى الكاظم، فابنه علي الرضي ، فابنه أبو جعفر محمد ، فابنه علي، فابنه محمد الحسن العسكري، فابنه محمد المهدي، وهو الذي قيل عنه أنه اختفى في مغارة سامرا ويخرج آخر الزمان، ليهدي الناس ويظهر العالم من الرجس والجور(19) ومن الشيعة أيضا الإسماعيلية الذين كانت منهم جماعة الحسن بن الصباح، والباطنية، ثم القرامطة الذين تقووا في الخليج، وعرفوا بالإباحة في النساء وهم الذين أحلوا أنفسهم من كل عبادة، واستحلوا النهب والرزائل وتركوا الصلاة والصوم وكانوا ممن يعملون على هدم الإسلام، وفي عهد الفاطميين قام الحاكم بأمر الله(139) بعد المعز، بنشر المذهب الشيعي الذي لم يجد له مجال في المغرب كما سبق أن وضحنا ذلك بتفصيل، وقد كان من دراسات «دار الحكمة» بمصر أن الشرائع خاضعة للعقل والعلم، وأن الأنبياء هم رجال عاديون وغاية ما في الأمر أنهم فلاسفة، وقد أله الدورز الحاكم بأمر الله ورغم قتله بأمر من أخته ست الملك، قالوا إنه رفع إلى السماء وسيعود، ومن فرقهم التي نشرت ذلك كرد فعل ضد أهل السنة الذين ناصبوه العداء، فرقة الدورز وجماعة حمزة من الدورز لقد جرت زيارة القبور الى الشرك الصراح أيضا بما أصبح الناس عليه من عمل هو ما كان الوثنيون يقومون به أيام عبادتهم للأصنام، وذلك هو تقديم النذر الذي أصبح

(139) هو أبو علي المنصور بن نزار الملك الثالث من ملوك الفاطميين في مصر، ولد بالقاهرة 375هـ 985م من أم مسيحية، ثم تولى بعد أبيه ولم يتجاوز الحادية عشر 386هـ 996م وتوفي 411هـ = 1021م راجع الزركلي 8/246 ط 1956 وكان الذي قتله إلى جانب أخته ست الملك هو القائد البربري حسن بن دواس الكتامي، والذي لقي بدوره نفس المصير، وفي نفس السنة بتدبير من ست الملك، على أن رواية أخرى تقول إن الحاكم قتل بيد جماعة من أهل الصعيد الذين ثاروا عليه.

مألوفاً تقديمه للقبور، وسكان القبور، وسواء قدم القبور الأنبياء أو الصالحين، فهو نذر حرام لافرق بينه وبين النذر للأوثان، وسواء كان النذر مالا أو شموعا أو ستائر أو ذبائح، لقد أوردنا حديثاً رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لعن الله فيه اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، والذي رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة وقد روى أيضاً أبو داود والترمذي والحاكم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج» وقال «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك» وقد إتفق علماء الإسلام على وجوب هدم كل مسجد يبني على قبر كائن من كان الميت، فإن ذلك من أكبر أسباب عبادة الأوثان كما قال تعالى في الآية 23 سورة نوح "وقالوا لا تدرن ألهمكم ولا تدرن ودا ولا سواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا، وقد اضلوا كثيرا" وقيل إن هذه أسماء قوم صالحين اتخذ القوم قبورهم للعبادة والنذر، فكانت نذرهم معصية وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه» وعليه كفارة يمين، ومن يعتقد أنه بواسطة النذر تقضى حاجاته ويكشف غمه، ويبعد همه ويبرأ سقمه، ويجلب رزقه، ويحفظ في نفسه، وولده، وماله، أو أنها باب لذلك، فهو كافر مشرك، أجاز الدين قتله بل نبه لذلك الكفر الصراح بقوله تعالى في سورة سبأ الآية 22 «قل أدعوا الذي زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ومالهم فيهما من شرك، وما له منهم من ظهير، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له» وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين، إنما هو إله واحد فإياي فارهبون".

وهكذا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه إذا مازاروا القبور أن يقولوا «السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم» وبالتالي فالقصد من زيارة القبور وحسب هديه صلى الله عليه وسلم، الدعاء للميت والسلام عليه، وأخذ العبرة من زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم لغير أمه حيث قال : استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت»، وفي رواية «إنها عبرة، فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة».

وبالتالي فمن حول الأضرحة المزخرفة، والتي يقصدها الزائرون باسم الدين المفترى عليه، يوجد المشعوذون، والدجالون، والسحرة، بل كل الذين ضلوا وضلوا بدأوا تجربتهم إما داخل ضريح أو بجانبه، أو ربما باسم المشيد عليه، وكان ميدان تجارب السحرة، والمشعوذين، هو المرأة كما سنرى، والتي أقبلت بشكل فيه حدة على الشعوذة والسحر، إقبالا هي المرأة العراقية، ومنها انتقل إلى المغرب الإسلامي كما سنرى أيضا. لأن رابطة المغرب بالعراق كانت قوية زمنا غير قصير.

وهكذا فبالسُم الأضرحة تكونت الطوائف، وانتشرت من العراق الى غيرها شرقا وغربا، والطريق الموصل إلينا طبعاً كان هو الشام ومصر التي عرفت من الطوائف ومن بهتان الطوائف ما كان لها صور طبق الأصل في المغرب الذي تفنن الضالون والمضللون في بدعتها. فمن طوائف «المتصوفة» الضالة الرفاعية نسبة إلى أحمد بن علي الرفاعي العراقي مولدا وقبرا عام 512 - 578 - 1118 - 1182م وربما هو أحد المغرورين الثمانية من المتصوفة الذين ذكرهم أبو حامد الغزالي كما سبق، فالرفاعي عرف بخدمة العميان والمجدومين، والرفق بالحيوان، والرفاعية ارتبط اسمهم بالحيوانات المفترسة، وعن طريقها عرفت العيساوية في المغرب ما عرفت من افتراس وحشي للحيوان، وشيخ الرفاعية في مصر هو الذي يركب حصانا ويمشي به على أجسام المعتقدين فيه القدرة على الإشفاء، وهذا لون من ألوان الشرك، وشيخ العيساوية تقليدا له كان يركب فرسا ويسير في موكب المتظاهرين وقد أرخى شعر ناظرية في شكل مخالف للعادة.

وتلي الرفاعية في مصر القادرية، نسبة إلى العالم الجليل الذي هو مما ينسب له براء، وهو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي بن دوست الحسناني (140) دفين

(140) ينسب الجيلاني لأرض الجبل على الأصوب، يقول كاتب المادة في دائرة المعارف الإسلامي ج 7/222 ثم راجع الأعلام للزركلي 4/171، وما فيه من مصادر النجوم الزاهرة 5/371 وطبقات الشعرائي 1/108 - 114، وقوات الوفيات 272، ونور الأيصار 224 وشذرات الذهب 4/198 وهو فيه « عبد القادر بن عبد الله .. والكامل لابن الأثير 11/121 وهو فيه الشيخ عبد القادر بن أبي صالح أبو محمد الجيلي، كان من الصلاح على حال، وهو حنبلي المذهب » وفي معجم الشيوخ 1/52 « جنكي دست أي العظيم القدر» ؟ ؟ ؟ ولقد عرفت أسرة القادرين بالمغرب بالعمل في نطاق الكتاب والسنة إلى إن ظهر عبد السلام بن الطبيب المتوفى 1110هـ 1698م الذي اندفع للتأليف حول الأشخاص والأسر بطريقة بعيدة عن الشرع وأحيانا تدخل في نطاق الزندقة والزيف بل الكفر والضلال، وربما هو بعد=

العراق والمولود عام 471 والمتوفي 561هـ = 1078 - 1166م وسلالته في المغرب لم تكن تعرف قط ما ينسب له من زعم كالذي سمعناه من النظم الذي استشهد به ابن كيران المشار إليه قبل، بل عرف منهم العلماء والمؤرخون الذي لم يخرجوا قط في سلوكهم عما عرف لجدهم في الغنية والفتح الرباني، وفتوح الغيب، والفيوضات الربانية إلى أن ظهر كتاب عبد السلام بن الطيب القادري المتوفى 1110هـ المسمى «المقصد الأحمد» وهو الذي نسج على منواله على حرازم بن العربي برادة أو احمد التجاني الكتاب المسمى «جواهر المعاني» والذي كله زندقة وكفر وشرك وضلال كما سنرى ومع ذلك فلمعرفة القادريين وما كان لهم قبل في المغرب من مكانة قيل كان يزكيها عبد الله بن علي بن طاهر الحسني دفين مدغرة بتافيلات. يراجع السر الظاهر لسليمان الحوات، ونشر المثاني 1-2 لمحمد بن الطيب القادري وكتابنا التاريخ المفترى عليه في المغرب.

وبالتالي فالقادريون في المغرب كانوا براء من كل ما يعرف به المشعوذون باسم الطائفة القادرية التي لاتخلو مدينة من مدن المغرب من زواياهم والقبور المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الذي بلغ هيام الجزائريين به إلى حد أن بعض دهاقنة الاستعماريين من ضباط الجيش الفرنسي الذي انتهت به الحروب إلى مدينة ميدلت عام 1917

= آل الفاسي أصحاب التحفة الصديقية والأقنوم والمرآة يعتبر أكثر دفعا للذين جاؤا بعده إلى الافتراء على الدين ونشر الزيف والبهتان والضلال فقد بلغت مؤلفاته في الانساب والأسر أكثر من الستة، وفي المناقب والسير الذاتية لبعضهم وهو المسؤول عن كل ماورد فيها من بهتان أكثر من الثمانية منها

- (1) معتمد الراوي في مناقب أحمد الشاوي
وعلى نفس النهج وضع حفيده محمد
 - (2) الكوكب الضاوي في مناقب الشيخ أحمد الشاوي
 - (3) المقصد الأحمد في التعريف بسيدي ابي عبد الله أحمد، وهو «معن» ط حجر 1352هـ 1937.
 - (4) نزعة الفكر في مناقب الشيخين ... محمد والده أبي بكر الدلائيين وقد كانت لهم معهم مصاهرة
 - (5) الإشراف، على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف. ط حجر 1309هـ 1891م
- عبد القادر الجبلاني
عبد السلام بن مشيش
على الشاذلي
محمد بن سليمان الجزولي
- (6) الزهر الباسم أو العرف. الناسم في مناقب الشيخ قاسم الخ
 - (7) مصابيح الاقتباس في مدائح أبي العباس «أحمد معن الأندلسي الخ الخ.

وكان يرأس كتيبة من الجزائريين مات له كلب فأمر بعض الجنود التابعين له بدفنه في ربة عالية ثم شيد عليه قبة أطلق عليها اسم م عبد القادر الجيلاني، وبه تعرف حتى اليوم، حيث لازالت قائمة والقصة من أحد المشاركين فيها وهو حي يرزق ويعرفها جل المواطنين، كما يعرفون قصة اليهودي يعيش دفين «أبو الذراع» بايت عياش الذي كان يزار وتقام حوله المواسم كما أرادها العملاء المخلفون إلى أن كشفنا لهم قصته وتاريخه، وبذلك انتهت بدعة الموسم الذي كان يقام له.

وفي مصر أيضا طائفة الأحمدية نسبة إلى أحمد البدوي المولود بفاس 516 والمتوفي 675هـ = 1199 - 1276م ولعل ما أنتهت إليه الخرافات من ضلال هو ما عرف لأتباع هذه الطائفة التي تعد الأكثر عددا من غيرها في مصر حتى أنها تفرعت إلى طوائف متعددة منها البيومية التي أسسها علي البيومي، والشعرانية التي أسسها الشيخ الشعراني، والشناوية التي أسسها علي الشناوي، وللأحمدية عادة من أسوأ ما يتصور المرء لأحط ألوان الشعوذة، وهي تلك التي تتصل بالحمار الذي كان عندما يقام موسم البدوي يؤتى به فيترك على سجيته ليدخل المسجد من تلقاء نفسه، فإذا دنى من الضريح حيث تحشد الجماهير نتف كل من استطاع بعضا من شعره كتعويذة، حتى يصبح الحمار عاريا كراحة اليد(141).

وهذه الشعوذة الضالة، انتقلت إلى المغرب حيث كيفها المغاربة بما يتفق ومزاج المستوردين، ذلك أنهم استبدلوا الحمار بالناقة، وقد أصبحت تلك عادة الطائفة التباعية والتي تعرف بأصحاب الناقة، وهي الناقة التي تضرب كل سنة على أصحاب الحرف بمدينة مراكش، وهم الدباغة والدلالة، والخرافة، فإذا جاء أوانها وهو العشرة الأولى من ربيع الأول النبوي دفعوها للطائفة المعروفة بالغزوانية، ويعرفون ب «العلامة» بتشديد اللام الثانية لكون كل واحد منهم بيده علم، ثم إن هؤلاء يزينون الناقة بأحسن زينة، ويدورون حولها والنساء يطلقن أصواتهن بالزغاريد ولا تسأل عن الإزدحام الذي يقع في هذا الموقف الهائل، والناس يقصدونها من كل جهة، وكذا النساء والصبيان، ثم يخرجون بهذه الناقة على هذه الحال المذكورة، صباح الخامس عشر من ربيع الأول، ويستمررون في

(141) راجع المصريون المحدثون مصدر سابق ص 171 - 173 تأليف إدوار وايم لين ط الرسالة مصر 1950.

المشي نحو اليوم أو اليومين لا يعرفون فرضاً ولا سنة، على ذلك الإختلاط الكثيف من الرجال والنساء إلى أن يصلوا لأعلى الجبل الذي به الشيخ إبراهيم بن أحمد أمغار، فهناك تذبج، ولا تسأل عما يحل بالناقة في نفسها من العذاب، قبل الذبح وذلك بنتف وبراها من أول خروجها إلى أن تصل للجبل، وهي تقطر دماً بسبب ما حل بها من التنف، ولو رأيت النساء في تفاخرهن حالة الظفر بشيء من وبراها، لرأيت حمقا فادحا، وخرقا واضحا، وكل هذه الأضاليل غاية إبليس اللعين(142) ومن الطوائف في مصر أيضا طائفة البراهمة أو «البرهامية» نسبة إلى إبراهيم الدسوقي حفيد جعفر الصادق(143) المولود 633 والمتوفي676هـ = 1235-1277م والذي كان داعية إسلاميا غايته الإصلاح بواسطة التربية الإسلامية، لكن أتباع الطائفة حوروها كغيرها إذ نسبوا إليه كرامات وخوارق مصدرها الشعراني، واعتبروه من الأقطاب الذين عدوهم أربعة، وهم الذين يتزعمهم الجيلاني، والرفاعي، والبديوي، والدسوقي، ولأصحابه عمامة خضراء، وربما منهم اقتبسها محمد العربي الدرقاوي ساكن مدغرة بالمغرب وشيخ المجاهدين المتحدث عنه قبل بتفصيل عندما أخبره بها بعض الحجاج من أتباعه، إلا أنه صير للعمامة الخضراء مهمة سياسية بين القبائل بحكم شبه السببية التي كانت منتشرة في عهده بمنطقة الأطلس المتوسط.

وهناك طوائف أخرى ينتمي بعضها إلى الطوائف السابقة ومن أشهرها الحفناوية، والعفيفية، والدمرداشية، والنقشبندية، والبكرية(144) والليثية، ويقول صاحب كتاب المصريون المحدثون « إن الإلمام بكل عقائد الدراويش وقوانينهم وشعائهم مستحيل، إذ أكثرها مثل عقائد الماسونية(145) لاتذاع على غير المطلعين على أسرارها.

(142) راجع الرحلة المراكشية لابن الموقت ج 1 / 140 ط مصر 1351هـ.

(143) راجع القاموس الإسلامي لأحمد عطية الله 371/2 ط 1966 والدسوقي نسبة إلى بلدة على الضفة

الشرقية لفرع رشيد من دلتا النيل بمصر.

(144) راجع القاموس الإسلامي ج 344/1 ط 1966.

(145) راجع ملخص محاضر جلسات المحفل الأكبر وتقرير اللجنة الدائمة عن سنة 1929 - 1930 حول

الشخصيات التي كانت ضمن جماعة الماسونية بمصر وفي مقدمتها أحمد فؤاد ملك مصر وعلي باشا ومحمد = رفعت وحسن نشأت باشا ومحمد حداية باشا وغير هؤلاء من الأوربيين والأمريكيين ولكل رتبة ما لها من

اصلاح راجع كتاب المصريون المحدثون للانجليزي اوارد وايم لين ط 1950 ثم راجع ملخص محاضر جلسات المحفل الأكبر وتقرير اللجنة الدائمة للبنائين الأحرار المقبولين بمصر عن سنة 1929-1930.

ومن الدراويش في مصر أي أصحاب الذكر في حلقات دائرية أو مستطيلة شبه المولوية أهل قونية التي سنتعرف عليها بعد، غير أن هؤلاء يصحبهم فقط عازف على الناي أو على الأرغون وآخرون ينشدون القصائد الدينية وطبلا صغيرا يسمى «بازا» أو دفا ويقوم بعضهم برقص على أشكال مختلفة، نذكر منها طقوس الخلوتية التي أسسها كريم الخلوتي، محمد بن أحمد المتوفى عام 986هـ = 1578 و عن هذه الطائفة ألف أيوب بن أحمد الخلوتي الدمشقي المتوفى 1071هـ - 1661م رسالة في الطريقة الخلوتية والشاذلية نسبة إلى الشاذلي المشار إليه قبل، ولكل منهما طقوسها في الذكر، وإذا نحن طبقنا عليهما ما سبق مما أوردناه لأبي حامد الغزالي حول غرور المتصوفة، لوجدناهما كذلك بعيدين عن السنة، وقد تأثر بهما في المغرب طائفة درقاوة في عمارتها، ثم الطائفة الوزانية، ولقد عرفت تلك الطوائف الضالة في مصر والمغرب مقاومين مصلحين من الذين كانوا نتيجة ما قام به كل من جمال الدين الأفغالي، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا أمثال المجاهد المناضل صديقنا على الغاياتي(146) المتوفى عام 1956م ولئن كان من علماء الأزهر وبينهم بدأ حياته العلمية والسياسية فإن جمودهم وبعدهما أبعيته المحاولات حتى ينهضوا ويتخلوا عن الخرافات، ثار عليهم ثم قال مهاجما علماء الأزهر في ذلك الحين الذي عمل الاحتلال والملكية على عزله عن سير الحياة، وعن أداء رسالة الدين الإسلامي الصحيحة، فقد قال في موضع من قصيدة له:

ياويل من عبدوا القبور وأشركوا	بالله بين توسل وتضرع
ورأوا من العلماء تأييدا لهم	فمضوا وما فطنوا لغي مبدع
يا قوم إن أولئك العلماء	قد جعلوا الشريعة سلما للمطمع

(146) لقد ساهم في العمل من أجل تحرير عالم المسلمين والعرب ومنه المغرب العربي، وذلك بواسطة جريدته «منبر الشرق» التي أصدرها في أخريات حياته والتي كانت منبراً للمسلمين المتظلمين أني وجدوا وحيثما كانوا، راجع عصر ورجال لفتحي رضوان ص 297 - 328 ط القاهرة 1967 وأذكر له بالمناسبة أنه بذل كل ما في وسعه رحمه الله دفاعا عن المغرب وملكه الراحل محمد الخامس أيام محنته عام 1953م حيث أنه كان ينشر ما نعليه عليه من أخبار بواسطة الهاتف وبلا تردد أو تحفظ، وإذا كان مكتب الجريدة بعمارة القاضي الفاضل ميدان التحرير فإن تردنا عليه كان سهلا حيث كان مكتب المغرب العربي أولا برقم 10 شارع ضريح سعد وثانيا 32 شارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة.

فإذا أرادوا فالحلال ممنوع. أما المحرم فهو غير ممنوع
 فهل ننبذ رأيهم وترى لنا رأيا تنزهه عن فساد المنزع
 ونش غارتنا عليهم كلما شنوا علينا غارة المتجشع
 حتى نردهم إلى الإسلام أو نذر العمائم بالمقام الاشنع
 وهنا يصبح دين أحمد خالصا لله لا للأولياء الأربيع

ويقصد بالأولياء الأربيع السادة الجيلاني، والرفاعي، والبدوي، والدسوقي، رحمهم الله وهم «الاقطاب الأربعة» في رأي المتصوفة المعاصرين، بل والذين «يتصرفون في الكون... الخ وصدق الله العظيم إذ يقول تعالى «ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله بقل أنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل، قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء، ولكن متعتهم وأبأهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا» الآية 17-18 من سورة الفرقان.

وبالتالي فإن المغرب بالإضافة إلى ما ذكر من الطوائف التي إنجر أتباعها إلى الشرك المقتنع والمكشوف، والتي ذكرنا منها القادرية، والتباعية، نسبة إلى عبد العزيز التباع دفين مراكش المتوفى 914هـ 1508م والغزوانية نسبة إلى عبد الله بن أحمد الغزواني التوفى 935هـ/1528م والرحالية نسبة للشيخ رحال الكوش المتوفى 950هـ 1543م واليساوية المنسوبة للشيخ محمد بن عيسى الفهدي المولود عام 872هـ 1543م والمتوفى بكناس (147) 933هـ 1526م والشرقاوية نسبة للشيخ محمد الشرقاوي العمري المتوفى أوائل محرم عام 1010هـ 1601م والإبراهيمية التي أسسها إبراهيم بن أحمد بن حسان التوفى عام 1042هـ 1632م والصادقية نسبة إلى أحمد عبد الصادق السلجماسي

(147) الذي بني قبته والضريح بالشكل الذي هو عليه وكذا ضريح عبد الله بن أحمد شمال باب البردعيين بكناس هو السلطان محمد بن عبد الله ثم راجع حول ترجمة بنعيسى نوحه الناشر ص 75 ط الرباط 1977 والاتحاد لابن زيدان 11/4-21 ط 1350هـ 1932م. وقد أعيد بناؤه في الثمانينات من طرف وزارة الثقافة أيام انحطاطها بما قيل عنه أكثر من مليار سنتيم في الوقت الذي يعيش مما حوله من الأحياء وسكانها في حرمان من ضروريات الحياة، الأمر الذي يستدل منه أن تفكير المندسين في غياب الديمقراطية لا يختلف عن تفكير السابقين الذين كانوا يعملون على هدم الدين والإفتراء على الشعب الذي مزقته المناورات وأهواء الاستبداد.

المتوفى 1065هـ 1654م والناصرية السنية المفترى عليها وهي نسبة إلى الشيخ محمد بن ناصر الدرعي المتوفى 1085هـ = 1674م والحمدوشية نسبة إلى الشيخ المجنوب على بن حمدوش المتوفى 1140هـ 1727م والقاسمية نسبة للشيخ على بن أبي القاسم المعروف بأبي سجة المتوفى 945هـ 1538م والغازية نسبة للشيخ الغازي بن العربي السجلماسي المتوفى 1240هـ = 1824م والطالبية، نسبة للشيخ أحمد بن الطالب السجلماسي المتوفى 1235هـ 1819م والوزانية نسبة إلى محمد بن عبد الله بن ابراهيم الحسني الإدريسي المتوفى 1089هـ = 1679م والتهامية نسبة للشيخ التهامي الوزاني المتوفى 1127هـ = 1715م والمختارية نسبة للشيخ المختار الكنتي المتوفى عام 1250هـ = 1834م والدرقاوية نسبة للشيخ العربي بن أحمد الدرقاوي الحسني المتوفى 1239هـ = وقد استوفيناها تفصيلا في الجانب السياسي سواء في تاريخ الجزائر أو حول ترجمة محمد العربي الهاشمي العلوي الدرقاوي الكاوي دفين مدغرة، والعدو الأول للإستعمار الفرنسي، ثم الطائفة المهديية نسبة إلى المهدي بن محمد من آل هاشم بن الشريف صنو السلطان المولى إسماعيل وتعرف بـ « هداوة » وقد توفي المسمى « سيدي هدي عام 1308هـ 1890م ثم الطائفة العمرية نسبة لعمر بن البخاري المتوفى 1270هـ 1853م والهوارية الفركية نسبة للشيخ محمد بن علي الدرعي الفركلي المتوفى عام 1236 والطائفة السوسية الدرقاوية نسبة للحاج اعلي بن أحمد المتوفى 1328هـ 1910م ثم الطائفة الفتحية نسبة للشيخ فتح الله البناني الرياطي المتوفى 1354هـ والطائفة لگناوية وهي عبارة عن تجمع لبعض الأفارقة يزعمون الإتصال بالجن ميمون وميرة وشمهروش الخ ثم الطائفة الدغوغية والطائفة الصقلية التي أسسها أحمد بن محمد بن أحمد الصقلي الكاظمي، المتوفى بفاس والمدفون في زاويته بدرج سبع لويات والذي كان حيا عام 1229 هـ/1813م(148).

(148) راجع الرحلة المراكشية مصدر سابق ، وعند كويولاني عن الزوايا، ومختصر التاريخ الديني للمغرب

لجوردك، وغيرها من الطوائف.

الفصل السابع والخمسون بحث المائتين التجاني والتجانية

كل هذه الطوائف التي لا أساس لما ادعته من بدعة في الإسلام، لو أن أتباعها دبوا من يدلهم على الطريق الصحيح لما ضلوا كثيرا ولما استمر ضلالهم ذلك الزمن الطويل، لكن طلائع الاستعمار وأهدافه التي وجدت لها عملاء في القرن التاسع عشر الميلادي، الثالث عشر الهجري، وبداية القرن العشرين الرابع عشر الهجري، زادت في عمق الضلال ومكنت لحيله إلى أن ظهر الشيخ الإمام محمد بن العربي العلوي الذي عرف بكيف يهدم صروح المشعوذين ويدفع بهم إلى النهاية التي عرفوها ضمن قافلة الاستعمار ذلك لأن الشيخ وبحكمة جد بالغة، عرف كيف يربط مقاومته للاستعمار بتلك الطوائف، حين نسب إليها مشاركة المستعمر في أهدافه الرامية إلى هدم الإسلام وتأخر المسلمين، وقد نجح بشكل جد مهم ومشجع كما سنرى، لكن الذي ساعد أكثر على طول زمن تلك القادمة من الطرق وضلالها المكشوف، هو ارتقاء بعض المتزعمين لبعض الطوائف الكتانية بنوع خاص، ولئن كنا تناولنا الكتانية بتفصيل قبل حين كلامنا على مقدمات الاستعمار الفرنسي وفرض حمايته على المغرب، وما عرفه المغاربة من مناورات (149) زمن الثورات التي قام بها أبو حمارة ومن على شاكلته وتتناول فيما يلي عن الطائفة التجانية (150) وهذه الطائفة التيجانية نسبة إلى أحمد بن سالم التجيني، المولود بعين ماضي عام 1150هـ 1737م والذي دخل مدينة فاس عام 1213هـ 1795م وبها توفي

(149) راجع الموضوع أعلى كما سنعود إلى ما لم نتعرض له في ترجمة الكتاني حين تناولنا لطريقته وضلال

مذاهبه ونذوقته.

(150) لقد كتب حول التصوف في المغرب و الطرق الصوفية كثير من الأوروبيين فرنسيين وغيرهم من الذين

كانوا يهدون للاستعمار، أمثال ميشوبيلير، وأوبان ، وهاريس، وبيارثي، وهيربير، وباريكارد، وج سبيلمان، وديبون، وكولاني، ولوطونرو بعد الاستعمار، في كتابه حول مدينة فاس، ثم راجع خ. ع قسم 3 من رقم 3518 إلى 3721،

بأخبرهم ماسينيون بأسلوب ملفوف.

يوم 17 شوال عام 1230هـ - 1814م (151).

هو مؤسس هذه الطائفة في المغرب والتي أحدثت في «الإسلام من البدع ما الدين براء منه، بل إن مؤسسها زعم مزاعم لا يرضى عنها الله ورسوله ولا يقبلها العقل السليم خصوصا الافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراءات تعتبر طعنا في رسالته ودفعا لخصوم الإسلام إلى التناول عليه من جهة وعلى كلام الله من جهة أخرى كما سنرى، ذلك أن أحمد التجاني زعم في وقاحة أنه رأى الرسول معاينة في القرن الثاني عشر الهجري، وأنه قال له ما قال مما اعتبر تكميلا للرسالة في الوقت الذي لم ينتقل إلى رحمة الله صلى الله عليه وسلم إلا بعدما بلغ رسالة ربه، ثم أشهد من جوله في خطبة الوداع وبعدهما نزل قول الله تعالي في الآية الخامسة من ال عمران «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا» بعد كل هذا يأتى التجاني وينسب لكلام الله ما ليس منه، ثم يدعى أنه سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهة (152) الخ.

لكن قبل التفصيل في ذلك وجب أن نبين ومن خلال التاريخ من هو التجاني، وما هي الظروف التي دفعت به من عين ماضي إلى المغرب، وكذا الظروف والعوامل التي أدت إلى اختلاقه ما اختلقه وادعاه في مدينة فاس بالذات، ثم لماذا في فاس وليس في غيرها مع أنه استقر زمنا في تلمسان وفي أحد قصور فجيح المعروف بقصر لمعين.

لست هنا بصدد كتابة تاريخ الرجل حتى أحقق في أصله ونسبه وما قيل في هذا الموضوع مما فصل فيه صاحبنا: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر بغير علم، والبغية للعربي بن السايح، بل لست أيضا في مجال الكشف والبيان حول من ينسبون إليه، وهل هم من

(151) راجع دائرة المعارف الإسلامية 4/593 - 96.

(152) راجع جواهر المعاني والتي أكد التجاني أنه صاحبها ولولا اعترافه الذي تتوفر عليه بخط يده وشهادة القضاة والعدل على الخط بصحته ونسبته إليه، لقلنا إنه من الكتب التي نسبت له بعدما وضعت لهدم الإسلام، ثم راجع ما كتبه محمد بن عبد الواحد النظيفي مما سماه «الطيب الفائح في صلاة الفاتح» وما كتبه المسمى عبد الهادي سلامة «مما سماه النعمة الفضلية» وقد ورد فيها من البدع ما اعتبره شيخ الإسلام ابن تيمية قبل مدخلا للشرك والعياذ بالله، ثم راجع ما في الجواهر من شرك وكفر صراح ص 102 - 103 ط 1988 وما في البغية للعربي بن السايح كذلك ط 1973 .

نريته أو من ذرية ج علي بن عيسى مقدم الزاوية باتماسين الذي منه محمد العائد، ومن هذا أحمد والبشير الخ، فقد تكفل بهذا غيري، والذي يعينني سياسيا مادمت بصدد التاريخ السياسي داخل ترجمة الشيخ الإمام محمد العربي العلوي الذي أريد أن أبين ما انتهى إليه المغرب، عقائديا ضمن مقدمات عصره وما عرفه المغرب من ضلال، اخترت لشخصه تناول الطائفتين التجانية والكتانية.

ومهما يكن فإن لأحمد التيجاني من التراجم وباللغتين العربية والفرنسية ما لم يعرف لغيره، وباختصار وكما أشرنا فهو أحمد بن محمد بن المختار برسالم التيجاني المولود بقرية عين ماضي عام 1150هـ 1737م وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية وكتب المادة مطلع جدا، أنه من أولاد سيدي الشيخ محمد وقد مات أبواه بالطاعون عام 1166 = 1753م وأولاد سيدي الشيخ بكريون كما هو معروف وأن دراسته الأولية كانت بمسقط رأسه، ومنه انتقل إلى الأبيض حيث أقام خمس سنوات وفي عام 1181هـ 1768م رحل إلى نلسان ثم أرض الحجاز، ووقتها كان قد بلغ من السن ستا وثلاثين سنة، ومن الحجاز عاد إلى القاهرة التي طال بها مقامه، وفيها تقلب بين طوائف المتصوفة ما بين قادية وطيبية قبل أن يجد ضالته في الخلوتية التي عرفنا التاريخ على بعض رجالها الأفاضل نبل انحطاطها ومنهم ذوي الكفاءات العلمية أمثال جمال الدين إسماعيل بن عبد الله صاحب التأليف والتفسير للقرآن العظيم، والمتوفى عام 899هـ 1494م ثم كريم الدين الخلوتي محمد بن أحمد شيخ الطريقة المتوفى عام 986هـ 1578م ثم أيوب بن أحمد الخلوتي المتصوف الدمشقي صاحب المصنفات التي منها: رسالة في الطريقة الخلوتية والمتوفى عام 1071هـ 1661م ثم الخلوتي محمد بن أحمد البهوتي المتوفى 1088هـ 1678م.

ولقد كان من أتباع هذه الطائفة شخص اسمه محمود الكردي وهو الذي قيل أنه لئن أحمد التيجاني ما دفع به إلى تكوين فكرة عن تأسيس الطائفة التي ستعرف مستقبلا باسم "الطائفة التجانية"، ولربما بدأ عمله في التأسيس عندما عاد من القاهرة إلى نلسان، ومنها إلى مدينة فاس التي تعرف فيها على علي أحرارم بن العربي برادة، وذلك عام 1196هـ 1782م وقيل هو الذي استدعاه للعودة إلى المغرب، كما قيل أنه الذي ألف كتاب

«جواهر المعاني» (153) الذي يعتبر نسخة من كتاب «المقصد الأحمد» لعبد السلام بن الطيب القادري المتوفى عام 1110هـ 1698م والمطبوع ط حجرية 1352هـ 1938م وفيه عرف القادري بشيخه أحمد بن عبد الله «معن» ومهما يكن فإن التجاني لما حل بفاس زمن المولى سليمان الذي عرف بخلقه الانساني، وربما قدم له التجاني من بعض أهل فاس من غير أن يراه وعلى أساس أنه رجل علم مضطهد سياسيا من طرف داي وهران ونائبه أبي محمد بن عثمان، داي تلمسان (154) ولربما لذلك أعطاه الحوش المعروف بعد «دار المريا» بزقاق «الرواح» شمال سويقت بن صافي من مدينة فاس، مما يدل على أن الذي كان يناصر التجاني في مدينة فاس، طبقة خاصة من البلديين مسلمة اليهود وأعلاج النصارى استهواها الضلال، وما كانت تعيشه من صراع انفجر يوم حصل للمولى سليمان مع أهل فاس ما تعرضنا له بتفصيل في كتابنا «التاريخ المفترى عليه في المغرب» (155) وذلك حين انكسر في حربه مع آيت أمالو، ثم بايع مسلمة اليهود وأعلاج النصارى ابن أخيه إبراهيم بن اليزيد عام 1236 هـ 1803م وكان الذي كتب البيعة هو عبد الملك المرى الذي نعته الزياتي بالمأبون (156) وماكاد إبراهيم ينصب حتى صادر الدار ومافيهما ثم أخرج جميع آل التجاني وولاده منها طردا وكانوا في كفالة محمود بن أحمد التونسي، ثم خلفه في الوصية عليهم الحاج علي بن عيسى مقدم الزاوية التجانية بتماسين لكن ولد منثنى الطريقة المسمى محمد الكبير قتل 1242هـ 1867م ثم توفي بعده علي بن عيسى (157) 1260هـ = 1844م كما توفي الولد الثاني للتجاني 1270 هـ 1853 فتولى

(153) وبعضهم يقول بخطه طبع 1310هـ 1892م وعلي أحرزم هذا توفي 1218هـ 1803م.

(154) لقد ترجم الزياتي المتوفى 1249هـ في الترجمانة الكبرى ص 460 إلى 475 ط 1967 ترجمة جد غير مشرفة عبر فيها بصدق وأمانة سيلتقى معه فيها العالم السلفي محمد رشيد رضا في مجلة المنار الصادرة بتاريخ 29 شعبان 1344هـ = 1926/3/14م « تحت عنوان» باب في البدع والخرافات « الطريقة التجانية تعليقا على ما كتبه حولها محمود محمود المصري.

(155) ص 69 ط 1969.

(156) راجع تحفة النبهاء في التفريق بين الفقهاء والسفهاء لأبي القاسم الزياتي (خ.ع 241 ج) والمؤلف

التاريخ المفترى عليه في المغرب ، المذكور قبل.

(157) راجع مواقف هؤلاء ضد الشعب الجزائري وانحيازهم للفرنسيين ضد الأمير عبد القادر في كل

المراجع، ومنها ما سبق في هذا الكتاب أعلاه، وكذا كويولاني ص 417 ودائرة المعارف الإسلامية 594/4.

شؤون الطائفة المسمى محمد العائد حفيد علي بن عيسى، ومحمد العائد هذا هو الذي خلف ولدين هما أحمد والبشير الخ أما نسل أحمد التجاني فقد انقرض (158) ولم يعد له وجود.

(158) كتب شخص اسمه مصطفى بن محمد بن عبد الله « لعلوي » نسبة إلى قبيلة إذا وعلى بشنقيط ما أساءه « إفادة التجاني » بما ليس في كتاب جواهر المعاني، من عقيدة وأقوال الشيخ أحمد التجاني « وقد قال عنه أنه اختصار لكتاب " الجامع لمحمد المشري " والمشرى هذا يقول إنه عاصر التجاني وأخذ عنه. وكتاب الإفادة هذا طبع ببطبة الأمنية بالرباط ووزعته وزارة الأوقاف المغربية بلا خجل ولا وجل وبأوامر عليها مساهمة منها في هدم العقيد و نشر الزينغ والضلال إتماما لرسالة خصوم الإسلام الذين كانوا ولا يزالون وراء هذه الفئة الضالة وزعته وزارة الأوقاف فمن ما وزعت من سيل المطبوعات الضارة بعقيدة المسلم مجانا. فمن المنشورات التي وزعت في الندوة التي أقامتها للطائفة التجانية في العالم واستدعت لها رجالا من الصين، والهند، ومختلف بلاد المشرق العربي، وإفريقيا، وقد دامت بفاس من يوم 10 إلى يوم 16 ربيع الثاني عام 1406هـ = 23-29/12/1985 ومما أورده أحدهم واسمه مصطفى بن محمد « لعلوي » قال العلامة « بن المشري وهو يعني الأغواطي المعروف ب « السانحي والمتوفى بعين ماضي 1274هـ 1857 والمترجم عند الحفناوي محمد بن أبي القاسم في كتابه « تعريف الخلف برجال السلف 544/2، وهو صاحب كتب « الجامع ، ومواهب المنان، ونصرة الشرفاء، وعنه روى لعلوي الشنكيطي فيما سماه بإفادة التجاني ص 7 ط الأمنية بالرباط، بعد البسملة» فصل في التعريف بنسب سيدنا وشيخنا رضي الله عنه ووسيلتنا قطب الأقطاب؟ ربح الشريعة؟ والحقيقة؟ مولانا أبي العباس أحمد ثم عدد أباه كما يلي مع حذف في للتولية التي أضفاها على كل منهم « بن محمد بن المختار، بن أحمد، بن سالم، من أبي العبد، بن سالم بن أحمد، بن علي بن عبد الله، بن العباس، بن عبد الجبار؟ بن إدريس بن إدريس بن زين العابدين ؟ بن أحمد ؟ بن محمد ؟ بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي « فمن أحمد التجاني الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري إلى علي بن أبي طالب بلغ العدد رغم الخلط الفظيخ 21 في حين أن القاعدة المتفق عليها منذ عهد صاحبها ابن خلدون أن لكل قرن ثلاثة أجيال فيجب أن يكون 36. وغير هذا فقد نسب أحمد التجاني إلى عبد الجبار بن إدريس بن إدريس وما عرفنا لإدريس بن إدريس ولدا اسمه عبد الجبار، ونسب إدريس بن عبد الله الكامل إلى زين العابدين، وزين العابدين إلى أحمد بن محمد وهذا خلط قبيح في حق آل البيت فزين العابدين هو علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ومن خلفه محمد الباقر الذي خلف جعفر الصادق، وزيد الذي خلف يحيى، وعيسى، ومن جعفر الصادق تفرع الحسينيون جميعا الخ. راجع من هذا الكتاب ج اشجرة إلتقاء الأنساب أعلى ومختلف كتب التاريخ التي تفضح المشري هذا شر فضيحة هي الخزي والتسفيه، وبالتالي ما عرفنا في عمود الحسينيين والحسينيين زين العابدين ابن أحمد ومهما يكن فإن المشري الذي أفضى إلى ما تم من عمل يسأل عنه وسيدفع الحساب يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وسواء أقتري هو أو اقتري عليه شيخه فيما كتب من نسب، كقوله أيضا في نفس الصفحة 7 أن الشيخ قال له : سبقت الطلبة في مختصر الشيخ خليل من باب القضاء إلى آخر المختصر من غير أن أسمعه من أحد؟ ولم أقرأ علم الكلام على أحد ؟ ثم زاد المشري موضعا قوله بل بهتانه « وهو من الفحول فيه، ولم يطق أحد من أهل العصر الذين رأيناهم أن يتكلم معه في هذا الفن الخ ونسي هذا الرجل الذي لم يحسب حسابا لترهات ما قال وكتب، وأنه حتى الرسل والأنبياء كانوا في حاجة إلى من يلقنهم الرسالة، فشيوخه الذي تعلم بلا معلم، سئرى ماذا سيزعم أكثر من هذا، بل يفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وللأسف فإن الذين نشروا هذا الضلال من أجل الاسترزاق وليس عن عقيدة دينية بين أهل الصحراء، وفي السودان ، والسينغال، هم جماعة من المرتزقة الذين ألفوا العيش عالة على الآخرين، وجلبهم إما من مسلمة =

لقد عمل الاستعمار الفرنسي ما أمكنه لاستغلال الطائفة التجانية والتمكين لها بشتى الوسائل، وذلك منذ وطئت أقدام المستعمرين الأوائل أرض الجزائر، حيث وجدوا في المقدم الحقير علي بنعيسى أول عميل هو وقومه وقفوا إلى جانب الفرنسيين ضد الأمير عبد القادر بن محيي الدين بن المصطفى المختاري الإدريسي، ومن معه من المجاهدين ، بل إن أحمد التجيني حفيد علي بنعيسى ولد محمد العائد سارع إلى المصاهرة مع الفرنسيين بزواجه من السيدة « أوريلي بيكار » تلك الفرنسية التي جرت كثيرا من القصص حتى إن بعضهم جهلا نسب الزواج منها إلى أحمد التجاني مؤسس الطريقة اعتباطا، من غير أن يستعمل البحث والاستقصاء، ذلك لأن أوريلي بيكار بقيت على قيد الحياة إلى ما بعد الحرب العالمية 1914 - 18 والشيخ أحمد التجاني توفي 1814م 1230هـ وهي اليوم مقبورة بعين ماضي ويزار قبرها من المشركين المضللين.

يقول الرحالة الإنجليزي اسكوت أكنور في رحلته التي ترجمها الأستاذ عبد المجيد بن جلون تحت عنوان «جولات في مغرب أمس ج 4/29 ط الرباط وذلك بعدما وصل بنا إلى زاوية أحمد التجاني بمدينة سلا، ثم يحدثنا عن الرجل وعن طريقته وزاويته ويقول :

«مما يهمننا عن موقف الزاوية بعد إحتلال فرنسا للجزائر حينما طلب الجزائريون رأي شيخهم الكبير في الإحتلال فأجابهم: إن الله الذي أنعم على فرنسا باحتلال الجزائر وهو الذي يطبع ظله على نفوذها، وإذا كان الفرنسيون من غير المومنين فإنهم يسيرون في طريق العدالة التي ينبثق منها الخير العميم، إن الخير يسير في أثر الحق، وإذا ما

= اليهود وأعلاج النصارى، نوى المركب في مدينة فاس، ومن الدجالين المعروفين أو من قبيلة إدا وعلى المعرفة بشنقيط والتي أصبح بعض أفرادها في المغرب يطلقون على أنفسهم العلوي تدينسا للنسب إذ مثل صاحب الإفادة المذكورة أعلاه أخر اسمه محمد فال « إياه» بن عبد الله بن محمد فال « لعليون» صاحب ما أسماه « رشق السهام» طبع أيضا في مطبعة الأمنية بالرباط 1974، ولعل من اطلع على هذين الكتابين مضافا إليهما بغية السائح ط دار الفكر 1973 ولم يكن له معرفة بحقيقة الإسلام ومصدره الكتاب والسنة سرعان ما يضل، ويقول بما قال به ماركس ولينين وغيرهما من المفلسين الذي عملوا لهدم الإسلام ففُضحتهم الأيام وهدم الله ماشيدوه معتمدين على البغي والعتو، والضلال، ومهما يكن فإن مسؤولية موظفي وزارة الأوقاف بالمغرب أفضح وأفظع. وسوف يحاسبها التاريخ ويحاسب المسؤولين الذين بدافع الطغيان والاستبداد أقدموا على ما أقدموا عليه من أعمال ضارة بالشعب المغربي ماديا ومعنويا زيادة على إفساد العقيدة ونشر الضلال وانذرهم وأنا واثق أنهم سيلقون الجزاء في هذه الحياة لا محالة ولعذاب الآخرة أشد راجع تعليق 88 بعد.

ساد الحق أصبح كل ما يتعلق بالله موضوع إحترام» ثم يستمر الكاتب قائلاً ، وشيخ الطريقة التجانية - وهو بلا شك يقصد ممثلها أما الشيخ وقتها كان قد توفي بأكثر من نصف قرن والذي يوافق وجوده هذا التاريخ هو أحمد، ولد محمد العايد ابن علي بن عيسى الذي مكناه الفرنسيون من الإشراف على الزاوية، ثم أخوه البشير بعد قتل ولد الشيخ الكبير ، كما أشرنا 1827 وألحق به الثاني الذي هو الصغير عام 1853م، فانتقلت المشيخة إلى مقدم زاوية تماسين الذي هو علي بن عيسى الذي جاء بعده محمد العايد الذي خلف أحمد وصنوه البشير، وعن أحمد هذا الذي تزوج من السيدة « أوريلي بيكار » يقول الرحالة الأنجليزي « وشيخ الطريقة كان فتى جميل المحيا في سن الثامنة عشر أيام زار مدينة بوردو واستقبله أسقف المدينة وقائدها بينما مدافع بروسيا تدق بوابات باريز عام 1870، وقد تعرفت إليه فتاة فرنسية جميلة هي ابنة أحد رجال الدرك، وسيطرت على مجامع قلبه فتزوجها، وعندما عاد إلى مسقط رأسه طلق جميع زوجاته»؟؟؟

وإذا كان الرحالة الأنجليزي لم يتابع ما حصل لأحمد ولد العايد التجاني بعد مع الفتاة الفرنسية الجميلة ، والتي ربما سلطت عليه كعادة الفرنسيين وغيرهم من الأوربيين حين كانوا يقصدون الإحتلال الأبدي بصناعة أجيال مدجنين أدركوا أنها ستحقق لهم ما لم تحققه جيوش الإحتلال وقد حصل، فإن التاريخ لم يهمل تلك القصة وإن كان الخيال عند بعضهم قد شطح بها شطحات غير مقبولة في الظلام(159) فمجمال القصة هي أن أحمد التجاني الذي عاشر السيدة أوريلي بيكار في الحرام مدة في بوردو، وفرض ؟ عليه الزواج بها، وبشرط أمام كاتدرائية الفرنسيين بالجزائر، وفعلا ختمت المعاشرة التي أدت إلى التفاهم وقبول الشروط بالمثل أمام الكاردينال «دي لافيجري» حيث أقسم أحمد التجاني أمام الهيكل المسيحي على أن يحتفظ بزوجته مدى الحياة وأن لا يتخذ لنفسه امرأة سواها وأقسمت أوريلي بيكار أن تكون لزوجها طائعة، وفعلا برُكل منهما بقسمه، وبقيت أوريلي بيكار مع أحمد إلى أن مات ثم تزوجها صنوه ولم تعد إلى مسقط رأسها بمقاطعة اللورين إلا عندما اشتعلت الحرب 1914 لكنها أمرت بالعودة إلى الجزائر وهذه

(159) من الذين كتبوا قصة المرأة، الصحفي المصري المعروف بنضاله في سبيل قضايا المغرب العربي مديقتنا المرحوم حبيب جاماتي في كتابه « تاريخ ما أهمله التاريخ » تحت سماء المغرب ص 65 - 73 ط 196.

المرّة ليس إلى العاصمة التي قضت فيها كل حياتها، بل إلى ناحية لغواط، خصوصا وقد مات الزوج الثاني، وحتى تكون بالقرب من حقها في «الزاوية» كميراث رغم عدم إسلامها، وحتى تضمن السياسة الاستعمارية تحقيق الأهداف أقبرت المرأة عندما توفيت عام 1918 بالمقبرة الخاصة بالتجانيين» حيث دفنت ثم وضع على رأسها الصليب داخل القبة التي أصبحت مزارا يتبرك بها القوم إذ هي وحسب بغية العربي بن السايح ستدخل الجنة وتدخل معها من تريد؟؟ واسلاماه.

وربما هذا مادفع بالمستشرق الفرنسي «دينيه» (160) عندما توفي في باريس عام 1929م، نقل إليه فعلا، وربما هو الآخر مع الذي أسلم عام 1927 والذي شيد لنفسه ضريحا في مدينة بوسعادة بالجزائر أوصى أن يدفن فيه، وقد حصل التقادم سيصبح مزارا يطلب منه قضاء الحاجات، ومن يدريك فقد تحول قبر بهلول مضحك هارون الرشيد وسميره الذي شيدت عليه قبة إلى مزار يقصده النساء العراقيات من أجل الخلف، وفي يوم معلوم هو يوم الأربعاء، ومثله قبة زبيدة وقباب الظالمين المستبدين من ملوك العباسيين الطغاة بل في مدينة، مكناس فبر السلطان إسماعيل وفي مدينة مراكش قبور السعديين وعشرات القبور، ولولا همة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، وعزيمة محمد الخامس التي هدمت ما شيده الفرنسيون بمدينة يفرن عنوة ويقصد على قبور بعض الذين قاتلوا معهم في الحرب العالمية الثانية من رجال القوات المساعدة «الكوم» سابقا، كما شيّدوا على قبر ليوطي قبة استحرم بها عبد القادر السودي والمعروف بالبساطي (161)

(160) راجع القاموس الإسلامي ج 2/426 وفيه ذكر مؤلفاته: الشرق كما يراه الغرب واشعة خاصة بنور الاسلام والسراب، وبيع القلوب، ورسالة الحج إلى بيت الله الحرام، والسيرة النبوية الخ.
(161) راجع كتابنا التاريخ المقتري عليه 17 - 113 ط 1969. وفي عام 1942 شيد حاكم ناحية ايفران قبة على قبر جندي ثم سماه « سيدي بودقيق» وقد كان الدقيق وقتها يوزع بالبطاقة نظرا لظروف الحرب، ويرى لنا محمد الغزاوي الذي كان رفقة محمد الخامس في مصطاف ايفران أن محمد الخامس رحمه الله ما سمع بما تم حتى أمر بإحضار المسؤول المغربي في المنطقة وكان هو القائد المحلي ... ثم أمره بإحضار أعيان القبائل المجاورة ثم هدم القبة التي شيدت على الجندي الذي أطلق عليه «سيدي بودقيق» كما أطلق آخر مثله قبل بل على القبة التي شيدها على كلب بربرة ميدلت «سوق الجمعة سماه مولاي عبد القادر الجيلاني وقد كان فيما فعل العاهل العظيم أبلغ درس لسكان تلك المناطق، وفي عهد الاستقلال وبعد موت محمد الخامس عادت سلطة المندسين إلى احياء تلك البدع، وقد تزعم ذلك السفه محمد ولد الشريكة المعروف ب « أحمد العلوي» ثم تبعته وزارة الثقافة كما أشرنا قبل حول قبر بنعيسى الفهدي دفن مكناس الذي صرف عليه مات الملايين.

المنحرف، وذلك عندما فعل فعلته المنكرة في طفله من الفرنسيين كما سجلت ذلك جريدة السعادة في حينه وبهذه الزيارات التي يرفضها الشرع ولا يرضاها، نكون قد أعطينا صورة واضحة على أن زيارة القبور التي مكنت لها الطوائف الضالة لا تزرى بالمزار ولا تنقص من قدره مادام قد عرف بالخير والصلاح وإنما تحط من قدر المشيد المضلل العامة، وبالزائر الذي لا يقصد من الزيارة التذكار والموعظة، وإنما يقصد التبرك والعطاء، بل العكوف عليها واتخاذها أوثاناً، معتقداً أن التقرب منها كتقرب الخادم من مخدمه يؤمل نفعه ويرجو عطاءه، أو إذا لم يفعل يتوسط له، الخ ولكي نتحقق مما كان عليه المغرب وقت قيام شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي بالدعوة إلى الإصلاح وما جرت به الطوائف على عقائد الناس قبل الحماية وبعدها، وخصوصاً التجانية والكتانية، وكيف كان لرسائله أثرها الفعال في تحرير الفكر المغربي، مما علق به من الخرافات والضلال والبدع والشرك، الأمر الذي أدى إلى إجماع علماء السلفية المعاصرين على أن الضلال الذي كان وراء الاستعمار الفرنسي ضد الإسلام، مصدره التجانية في المغرب العربي الكبير، وبشهادة الفرنسيين أنفسهم تليها الكتانية.



أحمد التجاني شيخ الطريقة التجانية نشرت
بمجلة الاتحاد التي كانت تصدر بتطوان عدد
28 صفر سنة 1348 / يولييه 1929 .
والصورة توجد بمتحف اللوفر بفرنسا

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
 قال الشيخ الفقيه المصنف له هذا في حق من تصدق بالمال في
 جميع ما يشره من هذه التهام من شيخنا الشيخ في حق من تصدق بالمال في
 في أوقافنا وكرهنا الصفة في وبنامه واه وانشتمل عليه كتابنا
 جواهر المعاني وبلوغ الامانة في حق وعملنا بما فيه من كل سنة
 وانما له بما فيه من الجواهر الاسرار انما كانت وما في كتابنا
 اجازة تامة مطلقه عامة خالدة لا يذلة في الابد في سنة اذنته
 فيصان ان يغير من ثناء وكيف شاء على قواعد الالاف والاحاديث
 المعروفة عند اهلها وكتبه اخبر من التجاني في عمله لله يظن
 بحمد الله العبد ناظم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي جعل في قلبه نوراً وفضل في علمه قايماً فانه اجمع على
 في كل ما يشره من هذه التهام من شيخنا الشيخ في حق من تصدق بالمال في
 في أوقافنا وكرهنا الصفة في وبنامه واه وانشتمل عليه كتابنا
 جواهر المعاني وبلوغ الامانة في حق وعملنا بما فيه من كل سنة
 وانما له بما فيه من الجواهر الاسرار انما كانت وما في كتابنا
 اجازة تامة مطلقه عامة خالدة لا يذلة في الابد في سنة اذنته
 فيصان ان يغير من ثناء وكيف شاء على قواعد الالاف والاحاديث
 المعروفة عند اهلها وكتبه اخبر من التجاني في عمله لله يظن
 بحمد الله العبد ناظم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
11	12	13	14	15	16	17	18	19	20
21	22	23	24	25	26	27	28	29	30
31	32	33	34	35	36	37	38	39	40
41	42	43	44	45	46	47	48	49	50

حزب الله عند الامارة التجاني
 1947
 دار الفکر (التي كانت تصدر)
 عن مجلس ادارة دار الفکر (لجنة 3) بتاريخ يونيو 1929

هذه صورة خط الشيخ أحمد التجاني وفيها دلالة على مستواه

et bienveillante, nous n'aurons plus à craindre de voir miner par d'habiles et intriguants politiques étrangers, l'œuvre entreprise et couronnée par les efforts communs des Affaires Étrangères, du Gouvernement général et de la Légation de France à Tanger.

Et le moment venu, nous pourrons, en toute confiance, demander aux Taïbia et aux Cheikhia la clef des oasis depuis longtemps préparées pour recevoir notre domination.

Les Tidjanïa. — Il est un troisième ordre religieux qui, dans l'Est de notre hinterland, nous a permis, avec un succès égal à ceux obtenus dans l'Ouest, de préparer notre expansion future dans le Sahara.

À l'instar des Taïbia, les Tidjanïa nous ont toujours considérés comme occupant par la volonté de Dieu la terre algérienne.

En parlant de Si Mohammed-Tidjani, Léon Roches (1) s'exprime ainsi :

« Parmi les marabouts maîtres des kçours, il en est un qui jouit d'une grande influence et qui compte des moqaddim dans toutes les tribus et villes d'Algérie. C'est par lui qu'Abdelkader pourrait établir d'une façon solide et permanente son autorité dans le désert central. Ce marabout est Sidi-Mohammed-Tedjini, dont un des ancêtres fut canonisé au commencement du huitième siècle de l'ère chrétienne. »

Léon Roches nous représente, à l'époque dont il parle (1838), les marabouts de l'Est et de l'Ouest jaloux de l'influence tidjanienne, demandant à Abdelkader de réduire Mohammed-Tidjani, en attaquant l'oasis d'Aïn-Madhi, ville fortifiée, où résidait ce personnage religieux.

Le même auteur nous a dit les péripéties mouvementées du siège d'Aïn-Madhi, qui dura plus de deux mois et se termina par une capitulation plus glorieuse pour les assiégés que pour les assiégeants (2)....

Depuis 1844, les Tidjanïa, sauf de rares défaillances, nous sont demeurés fidèles et nous ont donné des preuves de leur attachement en confiant à nos voyageurs dans le Sahara des lettres destinées à favoriser leur mission.

C'est grâce aux Tidjanïa que les Touareg Azdgers ont toléré la présence, dans leur pays, de M. Duveyrier.

Depuis la signature du traité de Ghadamès (26 novembre 1862) (3),

(1) Trente-deux ans à travers l'Islam, p. 289.

(2) Le siège d'Aïn-Madhi fut levé le 2 décembre 1838.

(3) Convention destinée à ouvrir des relations commerciales entre l'Algérie et le Soudan, passée avec le commandant Mircher et le capitaine de Polignac et dont la confirmation fut obtenue par M. d'Attanoux, il y a deux ans.

كوبولاني هذا قاد الجند لاحتلال المنطقة المغربية شنقيط «موريتانيا» اليوم 1903 واستطاع أن يحتلها في نفس السنة ثم 1904 وفي 1905 وهاجم تاكنيت والادرار لكن قتل في زحفه على الادرار فقررت الحكومة الفرنسية وقف التوغل بعد راجع هذه مراكش ص 169 ط القاهرة 1948.

dù, en partie, aux démarches du marabout Cheikh-Otsman, de la tribu touareg des Kel-es-Souk (1), la politique de la France dans l'Extrême-Sud, contrariée par les événements de 1870, nous avait détournés de la marche en avant, vers le Sahara, que les maréchaux Randon et Pélissier avaient inaugurée.

Plus tard, en 1881, le massacre de la mission Flatters vint dresser entre nous et les populations touareg, une barrière que rien ne paraît plus devoir nous laisser franchir.

Enhardis par notre silence, en 1887, des Touareg de l'Ouest, des Taïtoq et des Kel-Ahnel, confédération à cette époque inconnue de nous, pénétraient sur notre territoire et y opéraient une ghazzia qui ne faisait qu'aggraver le régime d'aleries constantes sous lequel vivaient depuis longtemps déjà nos sujets de l'Extrême-Sud.

Dans ces régions soumises à notre domination effective, habitent, en outre, entre Metlili, Ouargla et Hassi-Infel, les Chaa'mba (2), depuis des siècles en état d'hostilité avec les Touareg et qui, grâce à leur position excentrique, entrent facilement en dissidence et sont fort malaisés à surveiller.

Il s'agissait, dans ces dernières années, de mettre nos Chaa'mba à la raison et de reconquérir, pied à pied, le terrain perdu du côté des Touareg Azdgers ; c'est à un marabout tidjanien, guidé et encouragé par la Division de Constantine, que nous devons, en grande partie, d'avoir pu reprendre nos relations avec ces mêmes Touareg.

Se souvenant que son ordre religieux avait été le principal adversaire d'A'bdelkader, le marabout dont nous parlons, Si El-A'roussi ben Si Mohammed-Sghir, chef de la zaouïa de Guemar, fidèle aux traditions

(1) Si Otsman est venu à Alger, pour la première fois, en 1856 ; il était accompagné de Si A'bdelhakem ben T-hikat, Si Tinidi ben Amar et Si Mohammed ben A'bdallah.

En rentrant dans leur pays, ces Touareg adressèrent au gouverneur général, le maréchal Randon, la lettre que nous croyons intéressante de reproduire ci-après, parce qu'elle renferme une peinture saisissante des mœurs touareg qui n'ont pas varié depuis :

« Si Otsman nous charge de vous dire qu'il traite avec les Azdgers et les Hoggars ; que partout il fait votre éloge et emploie, pour les persuader, les paroles les plus conciliantes ; son but est de les engager à se rendre chez vous en *miad* (députation). Quelques-uns goûtent ces idées, d'autres y sont opposés. Ces peuples ignorent l'arabe et n'ont aucune idée d'un gouvernement régulier ; ils sont grossiers et leur esprit est inculte ».

Voici, d'autre part, comment Si Otsman était apprécié à cette époque par le gouvernement général :

« Si Otsman est pour le pays des Touareg Azdgers, le moqaddem de l'ordre des Tidjanis et nous continuons à n'avoir qu'à nous louer de l'esprit de tolérance éclairée de cet ordre. Si Otsman exerce une grande action sur Ikhenoukhen, chef de la plus importante tribu des Azdgers ».

Si Otsman se rendit à Paris en 1862, en compagnie de Si Mohammed ben Moussa et de Si Mohammed ben Ahmed, des Kel-es-Souk.

(2) Les Chaa'mba se subdivisent en Chaa'mba-Berazga (Metlili), Chaa'mba-Bourouba (Ouargla) et Chaa'mba-Monadhi (El-Golés).

de ses ancêtres; chercha à renouer des intelligences avec les Azdjer et les Hoggar.

Très politique, Si El-A'roussi n'avait pas manqué de s'apercevoir que le prestige de sa confrérie avait été atteint par le désastre de la mission Flatters, laquelle comptait parmi ses membres Si A'bdekgader ben Hamida, moquaddim des Tidjanis, donné comme sauvegarde au colonel et qui, comme nos malheureux compatriotes, avait été mis à mort.

Le temps ayant fait son œuvre d'apaisement, Si El-A'roussi dépêcha aux Hoggar un de ses meilleurs serviteurs, Si Ahmed ben Mohammed ben Belkacem, avec mission de démontrer aux Touareg qu'en prévision de notre expansion dans le Sud, le seul parti qu'ils eussent à prendre était de venir à nous, non plus en ennemis, mais en futurs alliés.

Après de longues hésitations, les djemâas des Azdjer et des Hoggar se réunirent près d'Idelès, dans l'Atakar, chez Ahitaghel, chef de la confédération des Hoggar.

Étaient présents à cette réunion : les héritiers d'Ikhenoukhen, qui signa au nom des Azdjer le traité de 1862; Mouley ben Kheddach, son successeur direct, qui commanda les tribus qui entouront Ghadamès et Mohemmed-Anaklouf, neveu de Mouley ben Khedach, qui est à la tête de celles qui campent aux environs de Ghat.

Quelque temps après, sanctionnant la décision qui avait été prise, une délégation composée de quatre Ifogha (1), trois Issakamaran et deux nègres affranchis, se rendait au Souf, puis à Alger où elle arrivait le 16 novembre 1862.

Parmi ces Touareg se trouvaient le petit-fils du fameux Cheikh-Otaman, A'bdeI-Nabi, Ifogha, chef principal de la mission, et Tiniri, Issakamaran, conseil et confident d'Ahitaghel lui-même (chef des Touareg Tafoq).

Au cours des conversations qui furent engagées avec ces envoyés, en la présence de Si El-A'roussi, ils se montrèrent fort diplomates. Tout ce que nous pouvons dire à cet égard, c'est qu'ils se plaignirent longuement de leurs traditionnels ennemis, les Chaa'mba.

Ces derniers, en effet, n'ont aucun intérêt à nous voir arriver chez les Touareg. Ils sentent fort bien que le jour où nous dominerons dans ces régions, nous aurons porté un coup considérable aux profits qu'ils tirent, à l'instar des Touareg, des caravanes qu'ils convoient en les exploitant. Ils voudraient garder leur emploi d'intermédiaires obligés entre nous et le désert et craignent de voir passer aux mains turques les revenus qu'ils perçoivent.

C'est évidemment ce sentiment qui les guide en toute circonstance.

Les Chaa'mba voient d'un mauvais oeil nos progrès dans le Sahara; ils ont été les agents les plus actifs du massacre de la mission Flatters, et ils ne trompent personne malgré leurs protestations de dévouement et le concours intéressé qu'ils semblent prêter à nos explorateurs auxquels ils présentent la clef du Sahara, sauf à leur dresser mille embûches, et, au besoin, à les conduire dans des embuscades, lorsque le succès est sur le point de couronner l'œuvre entreprise.

C'est, d'ailleurs, ce même sentiment qui anime les Touareg, lesquels, à l'instar des Chaa'mba, tiennent, par dessus tout, à leur indépendance séculaire et à la liberté des routes commerciales à la libre circulation desquelles ils s'imaginent que nous apporterions des entraves.

En attendant, quelle que soit la sincérité des déclarations qu'ils ont faites, après les avoir mûrement pesées, le point essentiel à en retenir est, nous le répétons, l'hostilité qu'ils ont manifestée à l'endroit des Chaa'mba.

Ce point, dit-il, nécessitera à établir pour montrer dans quel sens doit évoluer et évoluer notre politique saharienne dans l'Est de notre zone d'influence où la encore, ainsi qu'on vient de le voir, le facteur principal est l'élément maraboutique.

Les premiers résultats de cette politique ne se sont, d'ailleurs, pas fait attendre.

Le 15 novembre 1862, un nouveau mind comprenant des Ifogha, des Azdjer et des Hoggar arrivait à la zaoua de Guemar par y faire une sorte de retraite et demandait au général De La Roque en personne, de faire appel à la France pour les venger des griefs qu'ils ont contre les Tripolitains (ils avaient, quelque temps auparavant, été victimes d'un ghazou fozzani) et obtenir du Sultan les compensations qu'ils estimaient leur être dues.

Ainsi nos Touareg, se plaçaient franchement sous notre protectorat, tout en confirmant nos droits sur leurs territoires.

L'année suivante, Kounali ben Mousse, des Azdjer, tentait une démarche analogue, mais visant, cette fois, la restitution de chameaux enlevés à ces mêmes Azdjer, il y a plusieurs années, par nos Chaa'mba.

Enfin, plusieurs tentes touareg, actuellement installées dans le territoire d'El-Oued, confirment les résultats dont nous parlons, résultats qui sont, pour la plus grande partie, dus à l'intervention de Si El-A'roussi et à celle de ses serviteurs religieux.

Les Qadrfa. — Dans le sud, les Qadrfa comptent, également, de nombreux adeptes. Leurs moquaddim font preuve de la plus grande déférence vis-à-vis de l'autorité française et les zaouas de Rouissat (Ouzgla) et d'El-Hamich (El-Oued) ont à leur tête deux hommes

الفصل الثامن والخمسون بحث المائتين الشرك والكفر والضلال في طريقة التجاني من خلال البغية وجواهر المعاني

لقد ورث التجاني من بدع الشرك والضلال ماورثه للذين جاؤا بعده من الذين أفسدوا على المغاربة وغير المغاربة عقيدتهم، إن كل عمل في ظل الإسلام أساسه العقيدة، وإذا هي فسدت فسد كل شيء، وإذا هي صلحت صلح كل شيء في هذه الحياة، عندما قدم أحمد التجاني إلى المغرب عام 1213هـ 1798م كان قد مضى من عمره ثلاثاً وستين سنة إذ هو من مواليد 1150هـ كما سبق ، وسواء صح ما قال عنه الزياتي، أو لم يصح من تعاطيه أو استعماله علوم الكيمياء والسمياء، فإن الرجل لم يقصد فاساً إلا بعدما جرب حظه في جهات مختلفة، بدأ من عين ماضي إلى أرض الحجاز ثم العودة إلى مصر التي طال مقامه فيها، وربما فيها تعرف على ما كان هو ناموس العصر لتحقيق العيش الهنيء في أرض الممالك التي كانت تغلي بالفتن، وقد ظهر فيها القولي ابن باع التتباك محمد علي(162) كما ظهر في أرض الحرمين وبلاد نجد المصلح المجدد الإسلامي محمد بن عبد الوهاب، بأفكاره السلفية التي انتصر لها محمد ابن سعود كما سبق والتي لاشك أن الرجل علم بها، ثم حاول أولاً استعمالها كناموس وليس كعقيدة، كما سنعرف ذلك من الرحالة الدرعي الذي سيدخل معه في نقاش حول وجوب نشر العلم فيتعلل التجاني لعدم الوجوب بما أصبح القوم عليه من جهل كما سنرى بعد حين يلتقيان بفجيج.

كان عهد التجاني قد سبق بعهود متفاوتة في الضلال، برع فيها الكثيرون ممن

(162) راجع في هذا الكتاب ما قام به من إجرام في حق مغربنا العربي باقتراحه على نابليون احتلال الجزائر... الخ، واستعماله وولده إبراهيم للفرنسيين في الجيش وغيره ثم هجوم إبراهيم على الدرعية ومحاربة محمد بن عبد الوهاب أو المنتصر ابن سعود.

أخذوا التصوف وسيلة، إما لغاية سياسية مادية، أو لغاية سياسية صرفة، أو لغاية ساقطة تتمثل في العيش عالة على الآخرين، أو تحقيقا لنفع مقصود، والذين ضربوا الرقم القياسي في ذلك بالمغرب هم آل الفاسي بدءا من يوسف المتوفى 1013 - 1604م ثم العربي بن يوسف المتوفى 1052-1642م ثم عبد الرحمن القصري المولود 972 والمتوفى عام 1036هـ، 1626م ثم عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي المتوفى يوم 19 ج 2 عام 1178هـ ولعل الأول أكثر ائذين انتحلوا التصوف ضلالا وافتراء على الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهو صاحب الأنوار اللامعات في الكلام على دليل الخيرات خ.ع 1981 ثم شرح أبو الحسن الشاذلي خ.ع. 1190 - 1250 ثم المهدي بن أحمد المولود عام 1033 والمتوفى 1109هـ وهو صاحب مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات، وتحفة أهل الصديقية، ورغم ما عرفته مرحلة إضمحلال الأندلس من أولئك الذين إلتجأوا إلى المغرب 1019هـ 1610م سواء من مسلمة اليهود وأعلاج النصارى، أو غيرهم، من افتراءات على الدين باسم التصوف، فإن الذي بزهم جميعا وبه اقتدى من جاؤا بعده، هو عبد الرحمن القصري الفاسي صاحب ابتهاجات القلوب التي منها ما هو «بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب» وإذا كنا قد تعرفنا بما فيه الكفاية على الكتاب في كتابنا « التاريخ المفترى عليه في المغرب، خصوصا فصل الإسلام ومعتقد ال الفاسي فإن كتابا آخر يتصل بموضوع الكفر والشرك الذي ورد في جواهر المعاني، والذي ربما اقتدي به هو كتاب « أزهار البستان في مناقب الشيخ أبي محمد عبد الرحمن » والذي أورد فيه هو الآخر ما الدين براء منه، إذ يقول في ص 1 مخطوط خاص ، « وكان الشيخ أبو محمد - يقصد «معن» وهو محمد فتحا بن عبد الله الأندلسي المترجم في السلوة 1/202 والمتوفى عام 1062هـ 1651م، وفيه يقول « كان الشيخ رضي الله عنه يقول إني لأرى النبي ص في النوم واليقظة وقد حكى في المدخل عن بعض الأولياء، أنه حضر مجلس فقيه فروى حديثا فقال له الحديث باطل، فقال الفقيه ومن أين لك هذا؟ فقال هذا النبي صلى الله عليه وسلم واقف على رأسك ليقول إني لم أقل هذا الحديث، وكشف للقيه فرأه، ومن هذا المعنى أن الشيخ سيدي عبد الله بن ساسي كان اتخذ سيدي علي بن إبراهيم شيخا له ثم انتقل في حياته لسيدي عبد الله الغزواني الخ» ويزيد فيفتري أنه لما حصل خلف بين الاثنين لمن

ابن ساسي حضر النبي شخصيا وفصل بينهما... الخ وعلى هذا نسج التجاني كما نرى، مما يستدل به على أثر الشرك والكفر والضلال إلى درجة التنقيص من مقام النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنه أصبح موضع افتراء وتدجيل من طرف الفاسي الذي اقتدى به التجاني والكتاني...

أشرنا إلى أنه اتفق الكل على أن أحمد التيجاني موطننا ومولدا يرجع إلى عين ماضي، وموقع عين ماضي في الجنوب الغربي للجزائر، والذي يحدثنا عنها رجل معاصر للتجاني هو رجل السنة الناصري محمد بن عبد السلام صاحب الرحلة الحجازية، والمتوفى ليلة السبت 12 صفر عام 1239هـ = 1823م (163) وابن عبد السلام هذا تقول المصادر أنه ما عرف آل الناصري بعد محمد وولده أحمد وهما من هما في عالم المعرفة، من هو أقرب إليهما من ابن عبد السلام الذي كان موضع ثقة من سلطان عصره المولى سليمان الذي يقول صاحب الاعلام أنه كان يحمله أثناء رحلاته الحجازية «أموالا جزية بقصد تفريقها على علماء مصر والحرمين الشريفين وأشرفهما» (164) ولم يكن يستحق هذا ومن المولى سليمان بالذات، إلا لأنه كان على جانب كبير من العلم والدين فقد قرأ بفاس على جسوس والتاودي وبناني وإدريس بن محمد العراقي الحسيني، وكلهم أجازوه بالإضافة إلى إجازة محمد بن أبي القاسم السجلماسي، ومن خلال كتابه «الزايما فيما حدث من البدع في أم الزوايا»، يدرك المرء سلفيته وما كان عليه من سلامة اعتقاد، وهو النهج الذي عرفت به هذه السلالة منذ عهد محمد بن ناصر وولده أحمد إلى صاحب المزايما هذا، ثم بعدهم صاحب «صنع القفا لمن لم يتبع سنة المصطفى» وأحمد بن خالد صاحب الاستقصا ومؤلف كتاب «تعظيم المنة بنصرة السنة» وسنتعرف بعد

(163) الإعلام للعباس بن إبراهيم 163/5 ط 1988 وما يثير الدهشة هو أن الناصري لم يتوفي إلا سنة 1239 والتجاني دخل المغرب ثم عاش بمدينة فاس سبعة عشر عاما، كان له فيها ما كان بعد ما عرفه على الشكل الذي عرفه عليه، ومع ذلك لم يتطرق للحديث عنه ولو كمبتدع حين كلامه على البدع في كتابه المزايما مخطوط خاص وهو فيما حدث من البدع في أم الزوايا أو الذي عد فيه ماطراً على الزاوية الناصرية من البدع وعددها 60 ويفهم منه أنه يردّها إلى إشراف ابن عمه علي بن يوسف بمحمد الكبير المتوفى 1235هـ 1819م كانت الرحلة قاصرة على ما اعترضه أثناءها، فإن له فيها استطرادات.

على صاحب كتاب « إظهار الحقيقة أو ضرب نطاق الحصار على نهاية أهل الانكسار وصنوه الذين كانوا ضمن الرعيل الأول من الوطنيين الذين قاوموا البدع والضلال الوثني بالجهاد السلفي وهما المكي الناصري، وصنوه محمد بن اليميني الناصري رحمة الله عليه، وتلكم هي سلالة وأسرة بن عبد السلام الناصري الذي عرفنا على التجاني قبل أن يدعي، وتلكم هي الأسرة التي حافظت بصدق وأمانة على الكتاب والسنة التي عمل الفاسي على هدمها بنشر الزندقة والكفر والضلال.

ورغم أن ابن عبد السلام لم يتوسع كثيرا في الكلام عن أحمد التجاني الذي التقى به في فجيح وان لم يحدد المكان فهو بالذات وكما تعرفنا على ذلك بواسطة الدراسة الميدانية التي ساقنا إليها ابن عبد السلام بذكره لمكان اللقاء فجيح فتعرفنا على المكان بواسطة أهل فجيح الذين يحتفظون بتلك الذكرى وأن نزول التجاني بينهم كان في دار أولاد حسون بقصر لمعيز حيث لا يزال المكان معروفا حتى اليوم، وهكذا وكما عرفناه بالبحث. أثناء رحلة الناصري الحجازية، والتي كان إنطلاقها من الزاوية الناصرية يوم الخميس 3 ج 2 عام 1196هـ حيث مر بسجلماسة التي ذكر لنا كبار علمائها المعاصرين، ثم غادرها يوم السبت 26 ج 2 إلى القنادسة التي دخلها يوم فاتح رجب، وفيها ال الشيخ بن أبي زيان المراكشي الإدريسي، ومنها إلى فجيح حيث آل عبد الجبار المعضادي البرزوزي وأثاره ثم آثار أولاده الثلاثة المعروفين ولكل منهم ما يشرف من الانتاج في مجال المعرفة بخزانتنا مخطوط خاص، وإبراهيم منظومة الصيد وغيرها، ولحمد نظم مختصر خليل الذي سماه « نظم اللثالي الحسان» (165) وفي فجيح تعرف ابن عبد السلام على أحمد التجاني حيث قال في سياق كلامه عنم إلتقى بهم في فجيح، حيث كان نزوله بدار أولاد حسون بقصر لمعيز يقول الناصري.

«ورد علينا هنا رجل ينتمي للعلم والصلاح من شرفاء عين ماضي، اسمه سيدي أحمد التجاني رفض سكنى بلده بعد تطبيق زوجه وانقطاعه للجولان شرقا وغربا وقدمه

الآن، كان من تلمسان مزعجا من بعض أمراء الترك بها (166) زعم أنه أخذ عن الشيخ السمان (167) المدني وأجازه، وأخذ العهد علي الشيخ محمود الكردي المصري، وتذاكرنا معه في مسائل حتى إنجر الكلام لعدم تحسين الظن بمرتبطة الزمان فأنشد لغيره:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركبا فما يسع الانسان إلا ركوبها

ولعل الناصري كان يقصد ما يقصد حين أورد كلمة «زعم» ثم البيت بعدها، وهو يدل من قائله على أنه ركب الذي لم يجد بدا من ركوبه، ولا ضرورة تدفع غير ما يفهم من وضع الرجل المطارد على أن الزياتي في الترجمان ذكر لنا أسبابه، ثم يستمر الناصري حتى يعرفنا بالرجل، عمله وبيئته، فيقول وقد حصل بين الرجلين حوار - فيما يلي:

«ومن تشديده لما حضرته صلاة العصر فرام أتباعه من أهل البلد الصلاة خلفه منهم معتلا بأنه لم ينو إقامة تقطع حكم السفر، معتمدا على كراهة اقتداء المقيم بالمسافر، فقلت . - أي الناصري - فضل الجماعة يجبرها، وهو أولى بالمراعاة كما قالوا، وانجر الكلام للتأسف على قلة تعاطي العلم وتدريسه وذهاب أهله، فقال: يحرم التدريس في هذا الزمان لفقد شرطه من الامتثال، وتطهير الباطن كالظاهر، وتحسين النية - فقلت لا والله لا يحرم بل هو في هذا الزمان الذي عمت فيه سحائب الجهل أو جب، ثم ذكر أن هذه المسألة في أول ذخيرة الإمام القرافي - ولو اعتبرنا هذا لانحسنت مادة التعليم والإقراء فينقطع الشرع ويفسد النظام (168) الخ ونؤكد أن الاتصال كان في نجيج إذ يقول الناصري مستمرا «وهذه البلدة عامرة بأهلها وغالبهم شرفاء من أهل

(166) وهنا يتفق الناصري مع الزياتي الذي في ترجمته لأحمد التجاني بالترجمة قال إنه فر من مطاردة بابل تلسان.. الخ راجع الترجمة الكبرى مصدر سابق. ص 460 ط 1967 وفيه نسب إليه تزوير العملة.

(167) عرف بهذا الاسم عدد منهم: أزهري بن سعد المتوفى 203هـ وإسماعيل بن علي المتوفى 447هـ وعبد الباقى بن أحمد ت 1085 وسعيد بن محمد المتوفى 1172هـ ولفظة «زعم» من الناصري تحمل معنى مقصودا، فالسمان إن كان آخرهم وهو سعيد بن محمد المتوفى بدمشق في التاريخ المذكور كان التجاني بعد لم يغادر حتى تلسان إلى الحجاز إلا عام 1181هـ أي بعد موته بتسع سنوات، وإن كان غيره فهو غير معلوم؟ أما الكردي الذي كان معاصرا للمرحلة التي اغترب فيها التجاني، ما بين مصر والحجاز التي توجه إليها عام 1181هـ فهو محمد بن سليمان الكردي للمولود 1127 والمتوفى 1194هـ وهو فقيه الشافعية في الديار الحجازية في عصره، والذي ولد بدمشق ونشأ في المدينة وتولى افتاء الشافعية فيها، إلى أن توفي، راجع الأعلام للزركلي ج 7/22 ط 2 وعلى هذا فهو دمشقي مديني وليس مصري.

(168) نفس المصدر.

البيت ومن قبيلة بالظهور تعرف بالتيجانية يحفظون القرآن وتقدم في أسلافهم العلم وأما اليوم فالعلم قد ذهب أهله (169).

بل إن عين ماضي التي غادرها التجاني أغدقت عليها الطبيعة بما حباها الله به من نعيم سببه العين الجارية التي زينتها بالحدائق الكثيرة التفاح، انتهى أهلها إلى حالة غير مرضية من الجهل، حتى إن نساءهم لا يعرفن النظافة بل ولا الطهارة بدعوى غير مقبولة هي التضمر من ماء العين الباردة، تلك العين الخارجة من سفح جبل بقربهم عذبة باردة يزعمون أنه - أي ماؤها - يورث الشقوق في الأيدي والأرجل في زمن الشتاء... ونساء عين ماضي لا يغتسلن من جنابة ولا من حيض أو نفاس، يزعمن أن الاغتسال بمائها يعقمن فتركن ذلك لذلك، فقلت لمن حدثني بذلك - يقول الناصري - ما هي إلا عقوبة من الله على ترك الواجبات، وأما الحجاب فما رأينا؟ في هذه البلاد مثلها في تركه، ترى الرجل وزوجته وابنته يسوقون الركب باديات مزينات مع ما وسمن به من الحسن البديع، ولا يتولى البيع والشراء غالبا لديهم إلا النساء فلا حول ولا قوة إلا بالله، وأعظم من ذلك اعتيادهم للطهارة الترابية من غير عذر، حتى من وسم بالفقه منهم، تراه يضرب الأرض عند كل صلاة اتكلوا في ذلك على زعمهم أن ماءهم يضر بالبصر ولقد والله توضينا منه مرارا وما رأينا منه من ضرر، فإن كان ذلك يحدث بكثرة الاستعمال أو في فصل دون آخر وتحقق الضرر وتعذر الوضوء بغيره من مياه الآبار، فلاشك أن ذلك يبيح الانتقال للتيمم (170) ثم انتقل إلى قرى الزاب (171) وقد دخل بسكرة في متم رجب الخ (172).

أشرنا قبل إلى أن التجاني دخل المغرب وسكن مدينة فاس، وفيها ظهر منه ما ظهر من بدع دفعت السلفيين من كبار علماء المغرب إلى الهجوم على طريقته و التشهير بما فيها من الخرافات والضلال، وكان في مقدمتهم أبو القاسم الزياني الذي مع بعض

(169) المصدر السابق.

(170) نفس المصدر 199.

(171) دائرة المعارف الإسلامية 319/10 - 20.

(172) راجع دائرة المعارف الإسلامية 636/3.

التحفظ وليس كل التحفظ يحسب سلفياً لولا تحيزه ضد أفكار محمد بن عبد الوهاب مجارات للأتراك الذين كانت للزياني بهم صلة، ومعهم مودة منذ سفارته إلى عبد الحميد الأول زمن المولى محمد بن عبد الله.

وبالتالي فقد أشرنا قبل مع قليل من التفصيل إلى أنه ربما يكون الزياني قد اندفع بحكم علاقته مع الدولة التركية التي كانت وقتها قد عرفت من ابن عبد الوهاب ومن أنصاره يتقدمهم محمد بن سعود، ما عرفت مما أدى إلى ارسال إبراهيم باشا لمحاربتهم على رأس قوات كبيرة، وبالتالي إلى قطع رأس ابن سعود ظلماً من آل عثمان الذين سجلوا غدرهم بذلك الرجل العظيم عندما استدعوه ثم توجه إليهم بأمان ، وأما الثاني الذي هاجم الطائفة التجانية هجوما عنيفا قوامه الكتاب والسنة هو أحمد البناني عبد السلام المشار إليه قبل، وهو صاحب «الفيوضات الوهبية في الرد على الطائفة الوهابية» مخطوط خاص بخزانتنا والذي كان فيه مدفوعا بتأثير ما ظهر من التجانية التي حسب الوهابية مثلها، ولذلك نجده يركز على ما قيل افتراء حول زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ما نلاحظه أكثر في المخطوطة الوحيدة التي بين أيدينا.

أما كتابه عن التيجانية فهو «المعيار المعرب عن فضيحة الطائفة التجانية التي ظهرت في المغرب» والبناني هذا توفي في عام 1234هـ 1818م وكتاباتة رغم ما يبدو على العنوان الخاص بالوهبية، فهو في الواقع من حيث المضمون يعتبر من أنصار السلفية بشكل فيه حماس لا يقل عن حماس ابن كيران محمد الطيب، صاحب الدراسة المفصلة «مخنا» حول رسالة ابن سعود وهي الدراسة التي قام بها نزولا عند رغبة المولى سليمان، ثم الرسالة التي كتبها حمدون بن الحاج السلمي الخ، وزيادة على ما سبقت الإشارة إليه من رسالة للمولى سليمان الموجهة إلى الشعب، وهي ضد البدع والطوائف والواسم « الترجمانة » 466 لكن هؤلاء جميعا ومن جاؤا بعدهم لم يكفروا صاحب « جواهر المعاني » التي ورد فيها من الكفر الصراح ما يعني أحمد التجاني الذي اعترف أن كتاب جواهر المعاني هو الذي وضعه، وذلك باعترافه بخط يمينه الموثق بعدلين والذي تتوفر عليه وفي رواية لهم أيضا أن الذي وضع الكتاب هو النبي صلى الله عليه وسلم. ولم يصفوه ببعض ما وصفه به المعاصرون من المشاركة خصوصا العالم الجليل المصلح

الأصيل محمد رشيد بن علي رضا (173) الحسيني النسب، صاحب مجلة «المنار» والوارث لسر الشيخ الإمام محمد عبده، ومثله محمد الخضر بن مايابي الجكني الشنقيطي صديق المولى عبد الحفيظ، ومفتي المالكية بالمدينة المنورة، وهو الرجل الذي كرمه المولى عبد الحفيظ (174) كل التكريم، وهو صاحب كتاب «مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني» تطرق فيه إلى حوالي 240 موضوعا في 395 ص ط في مصر عام 1346هـ 1927م وهو الذي صرح بكفر التجاني وضلاله، ونحن نؤكد ذلك حكما على ما صدر من الرجل في حق كتاب الله والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والواقع أن الذين كانوا وبراء على الدين باسم الطائفة التجانية هم أولئك الذين اتخذوها وسيلة الإبتزاز والاسترزاق، فهم الذين اتخذوا مما سمي بجواهر المعاني، وهو الكتاب الذي نسب إلى الشيخ التجاني أو بالأحرى الذي اختلف في نسبه إلى التجاني

(173) راجع ترجمته عند الزركلي في الإعلام 361/6 ومحمد رضا ولد عام 1282 وتوفي 1354هـ = 1865 -

1935م.

(174) راجع ترجمته في المصدر السابق ص 347 ست مؤلفات ذكرها في ص 404 من كتابه مشتهى الخارف الجاني، المطبوع بمصر بتاريخ شهر رجب 1346هـ أما الفراغ منه فقد كان بتاريخ محرم 1344 بالقدس، وينص المؤلف في آخره على أنه المؤلف الذي شاعت إرادة الله أن يؤلف بعضه في القدس وبعضه في المدينة وقليل منه في مكة المكرمة، حيث جمع الله له بين الحرم الثلاثة الطاهرة المقدسة، ومعنى هذا أنه خالص لله، ودفاعا عن دينه المقتدى عليه، ولقد رد عليه الشيخ محمد بن عبد الله انياس الكولخي بما سماه «الجوش الطلع بالمرهقات القطع»، كما كتب آخرون من الذين كشف الدهر أنهم عملاء لهدم الدين بعمولة جد بخسة أمثال أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، صاحب النياشين الفرنسية منذ 1916 الذي كتب ما سماه بكشف الحجاب فيمن تلاقى مع التجاني والأصحاب، وأحمد بابا الشنقيطي، ومحمد بن عبد الواحد الشنقيطي، ومحمد الحافظ المصري، ويدر عبد الهادي سلامة صاحب البيضاوي النضيقي، صاحب كتاب «الطيب الفائح في صلاة الفاتح» وليدر عبد الهادي سلامة كتاب سماه «النفحة الفضلية» وكلا الرجلين تناولا معلولين ثم أخذوا يهدمان صرح الإسلام الذي لم يتأثر بمن سبقوهما منذ عهد ما بعد الفتنة الكبرى، لكن كل الذين سلكوا نهج الضلال من هؤلاء المرتزقة وغيرهم دمرهم الله في المغرب، بفضل دعوة الرائد المجدد شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، الذي ربط وجوب زوالهم بزوال الاستعمار، خصوصا بعدما كشفهم الله حين كان ابن عمرو التجاني يتجول مع عبد الحي الكتاني والجلابي بين قبائل المغرب ومدنه ضد محمد الخامس وانتصارا لابن عرفة مما فضع خزيمهم وعجل بنهايتهم جميعا، ثم خلد في حقهم أوسخ الصفات وأشد اللعنات فانتهوا إلى عدم. لكن جاء في عهد الاستقلال مندس اختلس السلطة من وراء الديمقراطية «ثم عمل باسم السياحة على أحياء كل الطوائف الضالة التي كان العاهل الراحل محمد الخامس قد أصدر في حقها تشريعا بالمنع ثم جاء رجل اندس في النسب العلوي هو محمد ولد احمد بن عبد القادر لغريسي المسمى أحمد العلوي. والذي لاشك سيدمره الله بقدر ما ادخل من الفساد علي دين هذا الشعب واخلاقه.

نارة وإلى صاحبه علي بن العربي برادة احرازم المتوفى 1218هـ أخرى لكن أحد المتأثرين من الخرافيين المسمى «محمد التهامي بن المكي بن رحمون» الشريف الحسني» حسم النزاع وجاعنا بما يعتبر فاصلا في الموضوع، حيث احتفظ لنا بنسخة الإجازة التي أمده بها شيخه أحمد التجاني نفسه والمؤرخة حسب تصديق نائب قاضي الجماعة بالسماط، وقاضي الجماعة بفاس العليا، وعدولهما في أوائل ذي القعدة عام 1247هـ = 1831م أي بعد موت التجاني بسبعة عشر عاما، والإسم الكامل لهذا الكتاب الذي يعتبر ما فيه من خرافات، وضلال هو الشرك والكفر الصراح وقد سماه «جواهر المعاني وبلوغ الأمانى في فيض الشيخ التجاني» علي أن كلمة «في فيض الشيخ التجاني توحى أن الكاتب غير الشيخ التجاني، لكن الإجازة المشهود أنها بخط أحمد التجاني والموثقة بما ذكر، تأبى إلا أن تؤكد بإصرار أن الكتاب للتجاني، وباعترافه من خلال الإجازة المشار إليها، وما ورد فيها من تصريح لأحمد التجاني نفسه يقول فيه «بعد بالبسملة والتصلية علي النبي صلى الله عليه وسلم» قال العبد الفقير المضطر لرحمة ربه أحمد بن محمد التجاني قد أجزت حبيبا محمد التهامي بن سيدي المكي بن رحمون الشريف الحسني، في أورادنا وطريقتنا الحمديّة، وبما حواه واشتمل عليه كتابنا جواهر المعاني ، وبلوغ الأمانى رواية عني وعملا بما فيه من الخواص والأسرار، أيا كانت ومن أي فن كانت إجازة تامة مطلقة عامة خالدة أبدية تالدة سرمديّة أذنته فيها أن يجيز من شاء وكيف شاء على قاعدة الإذن والإجازة المعروفة عند أهلها، وكتب أحمد بن محمد التجاني عامله الله بفضلته بجاه النبي العدناني، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم(175)؟؟؟

وهكذا فمن خلال الوثيقة والتي هي بخط صاحبها لامحالة، يدرك أن الكتاب اسمه «جواهر المعاني» فقط وأنه لأحمد التجاني باعترافه «كتابنا» وفي جهات أخرى وما أكثرها ومنها دليل مؤرخ المغرب للعميل الاستعماري عبد السلام السوداني(176)

(175) راجع صورة الإجازة في هذا الكتاب والتي ربما لطنع أو لخوف الطعن على صاحبها الذي لاشك أنه في حياته اتخذها كوسيلة للابتزاز كما ترى من بعضهم حتى اليوم، من الذين يبيحون لانفسهم توزيع «ورد» الطريقة على الآخرين، ولذلك وثق محمد التهامي إجازته بواسطة قاضي الجماعة الذي هو بلاشك قاضي السماط بفاس المدينة ثم أسفل الإجازة أيضا شهادة قاضي الجماعة بفاس العليا الخ.

(176) حول خيانة عبد السلام وبيعته لابن عرفة راجع جريدة السعادة التي كانت تصدرها إدارة الشؤون السياسية الفرنسية بالمغرب ص4 عمود2 عدد 8843 السنة 50 بتاريخ 13 حجة 1372 الموافق 24 غشت 1953م. ولقد فصلنا بعد سواء في كفر هذا الزنديق اعتمادا على الحكم الشرعي الصريح أو على غيره من أمثاله كما سنرى.

ابن البوحاطي عبد القادر المعروف بالسؤدي، ورد في الجزء الأول من الدليل المذكور ص: 203 ط 2 عام 1960 رقم 792 مايلى « جواهر المعاني وبلوغ الأمانى، في فيض أبي العباس أحمد التجاني » لأبي الحسن علي بن العربي برادة المتوفي في حدود سنة 1218هـ موافق سنة 1803م بالمدينة المنورة في حياة شيخه المذكور، فرغ منه سنة 1214 أربعة عشر ومائتين وألف، موافق 1799م عرف فيه بالشيخ أحمد التجاني المتقدم أطال في ذلك ويبلغ فيه، طبع على الحروف بمصر مرتين، الأولى بالمطبعة البهية سنة 1310 موافق سنة 1892 والثانية سنة 1901 ومن قابل بينه وبين المقصد الأحمد للشيخ عبد السلام القادري الآتي بعد، يرى أن بعضه منقول منه باللفظ والأمر لله» انتهى منه بلفظه كما يقولون.

وبالإضافة إلى هذا راجع أيضا سلوة الأنفاس 1/180 وكذلك بروفانصال في «مؤرخو الشرفاء 196 ط الرباط 1977، ومعجم المطبوعات العربية ص 1361 ط 1928 فقد ورد فيه هو الآخر كتاب «جواهر المعاني» منسوباً إلى علي حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي، وبعد هذا يأتي المسمى «الحاج الأحسن بن محمد، بن أبي جماعة البعقلي السوسي» الذي يكتب كتاباً مطولاً في جزأين سماه «الشرب الصافي، من الكرم الكافي، على جواهر المعاني» طبعه عام 1353هـ بالبيضاء وفيه يقول ج 2/190 - 192 فلما من الله على الشيخ رضي الله عنه بصدور الإذن من النبي صلى الله عليه وسلم بالأمر بجمعه جواهر المعاني حمد الله وأثنى عليه، وفرح وعلم أنه لا يترتب عليه إلا الخير لهذه الأمر، وهو دليل جيمع الأولياء يخلصهم من طلب الكشوفات والمراتب وشفوف الرتبة على الأمة بالتصريف؟ ثم يقول حول الكتاب المذكور وأن الذي ألفه هو أحمد التجاني بإذن شفوي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي أجمع كل أتباعه والذين كتبوا عنه أنه قال إن النبي ص كان يحضر عنده فيجلس إليه ويخاطبه، وزاد وزادوا معه يقظة لا مناماً، ولذلك قال البعقلي نقلاً عن صاحب البغية الذي هو العربي بن السايح (177) «فكفاه صدور الإذن من المصطفى صلى الله عليه وسلم فمن نظر فيه بعين الإنصاف علم يقينا ما فاق به سيدنا رضي الله عنه غيره، ولا يتطرق إلى هذا الرجم بالعيب إلا لمن أحرم

(177) كلاهما بلا شك سيلحقان بأحمد التجاني الذي سيقضي فيه بالقول الصريح لرسول الله صلى الله

عليه وسلم « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده في النار».

بركته، وغيره من أهل الغفلة والتهيه في مهامه التردد والريب، كفاك أن قال فيه صلى الله عليه وسلم، « كتابي هذا وأنا ألفتة» فله عليه القبول التام في كل البلاد ، فصاحبه من معجزاته صلى الله عليه وسلم، فإنه لأبد له في العلوم الرسمية، ومعه فما ألف منه في الإسلام، فلا يقدر أكابر العلماء على فهم ما فيه، وعلى ترتيب مبانيه، فإنه معجزة نبوية، وكرامة تيجانية وفي نفس الصفحة 192 « فذكر مؤلفه رضي الله عنه «؟» أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أوصى سيدنا رضي الله عنه بعدما أمده بجمعه قال له تحفظ عليه لينتفع به من بعدك من الأولياء» (178).

وهذا الذي أوردناه نثرا قاله نظما صاحب المنية الذي يوم الوقوف بين يدي الله بحاسب عليه كذلك، كما سيحاسب بلاشك أول من ضل وأضل مفتريا على الله ورسوله، ورحم الله صاحب « مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني» الشيخ محمد الخضر ابن مايايبي، حيث قال في كتابه المذكور ص 182 ط 1346هـ. «وحقيقة هذا الرجل - يعني التجاني - أنه سمع ما أعطاه الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المزايا الجمّة التي خصه بها هو وأصحابه رضوان الله عليهم، فصار ينسب لنفسه كل مزية ثبتت للنبي عليه الصلاة والسلام، بل ربما نسب لنفسه من الخصائص ما لم يثبت للنبي صلى الله عليه وسلم، وينسب لأتباعه كل ما ثبت لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الفضائل، وكثيرا ما ينسب لأتباعه مزايا لم تثبت لأحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الخ.

لقد عرف الإسلام والمسلمون في بلاد كثيرة تهجمات من بعض رجال السياسة و«الإيديولوجيين» و«المبشرين في الغرب» (179) وكثير من المسلمين وخصوصا في المغرب

(178) وبالتالي فكتاب « جواهر المعاني - الذي يعتبر من أحسن ما ينسب لمسلم بل ولغير المسلم، والذي بحق يجب أن ينسب لخصوم الإسلام لأن ما ورد فيه يعتبر هداما للإسلام، ويكفي فقط وصفه بذلك أنه قيل في حقه أنه من تأليف الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن ما ورد فيه لا يقبله عقل سليم، راجعه ثم راجع ما نتج عنه من كتب الجيش الكفيل للشنقيطي والبعثية للعربي بن السايح والطيب الفائح للنضيفي، والفصلة لبدر سلامة، ثم الشرب الصافي للبعثي وغيرهم الخ.

(179) راجع كتاب ادلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره تأليف عبد الرحمن الجزيري ط 1

العربي الكبير لم يدركوا السبب وأنه بلاشك هو إطلاع أولئك السياسيين الأوروبيين من المفكرين والمبشرين على ما ترجم لهم من طريقة التجاني التي ساعدوا على انتشارها والتمكين لها عملا بوصية نابليون للمبشرين الكاثوليك ورجال الاكليروس، خصوصا وأن علي بن عيسى التجيني وخلفه الذين قاوموا المرحوم المجاهد الأمير عبد القادر حتى إن بعضهم قال أثناء الغزو الاستعماري إن فتح زاوية تجانية أو طيبيية وزانية، في جهة ما خير من فرقة عسكرية، بل إن بعضهم زين له خياله أن يعتبر الإسلام العدو الذي يجب أن يقاوم وإذا لم يكن بالقوة والقهر فبرعاية ما ظهر باسمه من خرافات وافتراءات، وفي مراجعتنا لما كتبه هانوتو وزير خارجية فرنسا 1900 ما يكفي للدلالة على أن الاستعمار أخيرا ومن خلال اتصاله بالتجانين، اهتدى إلى أن فتوحاته وتمكنه سيتم بواسطة « الإسلام »، والنسمع إليه إذ يقول في محاضرتة عن الإسلام التي رد عليها الشيخ محمد عبده(180) ومحمد فريد وجدي رحمهما الله، يقول هانوتو بعدما تعرض للذين يقاومون الاستعمار وينشرون الحقد ضده، ويعني بهم الطائفة الدرقاوية، أما غيرها وفي الغالب التجانية كما يؤكد كوبولاني فهي التي يقول فيها هانوتو المصدر المذكور ص 11 «ومن بين تلك الطرائق والطوائف ما يخلد أعضاؤه إلى السكوت، وربما كانت علاقتهم مع رجال حكومتنا في الجزائر وتونس على أحسن ما يرام، وما ذلك إلا لأن الرابطة التي تربطهم ببعضهم اعترها الوهن، ولأن الفوضى التي أصابت الإسلام الإفريقي قد أخذت نصيبها منهم » وبعد هذا عرض بالسنوسية وشيخها الوقور محمد بن علي رحمه الله، والذي وصفه كعدو حاقد على الاستعمار ويقول لويس ران في كتابه عن «المرابطين والإخوان المؤلف عام 1884م والذي أمدنا فيه بإحصاء ما كانت عليه أعداد رجال الطرق بالجزائر

(180) راجع كتاب الإسلام والرد على منتقديه للشيخ الإمام محمد عبده ط 1928.

ثم راجع كتاب: الزوايا الدينية الإسلامية، تأليف اكتاف دويو كرافيني كوبولاني، الاستعماري القتل في شنقيط، وهو باشراف جول كانبون الحاكم العام للجزائر 1897م ص 271 - 274، وكوبلاني هذا هو الذي قاد جيوش الاستعمار لإحتلال المنطقة المغربية شنقيط « موريتانيا اليوم» وذلك عام 1903، واستطاع أن يحتل الترابزة في نفس السنة، ثم البراكنة 1904 وفي عام 1905 هاجم منطقة تاكنيت والأدرار، لكنه قتل في زحفه على أدرار يوم 12 مايو 1905، وقتها أوقفت الحكومة التوغل، راجع هذه مراكش للمرحوم عبد المجيد بن جلون ص 169 ط 1949م ثم راجع في دائرة المعاوف الإسلامية مادة تيجانية مرجع سابق.

وقتها، وان عدد أتباعها بلغ (168874) وان الذين ظهرت خياناتهم منهم كثيرون في طليعتهم التجانيون بزعامة ال عيسى المذكور بكل ألوان التعظيم في بغية العربي بن السايح والوزانيون بزعامة عبد السلام بن العربي وولده اللذين تحدثنا عنهما « وإذا كان دهاقنة الاستعمار ومفكروهم والمبشرون منهم كلهم ينتمون إلى الديانة المسيحية التي ركزت على الوسيطة أو الوسائط بين البشر والخالق، فإن ما ظهر من بدع المسلمين وانتشر، ثم ترجم وعرفه المسيحيون لهو أخط ما يتصوره المرء المتعلق بدين مصدره السماء، ويؤمن بوجود إله خالق مدبر لاشريك له، وأنه إذا كان للطوپمة التي ليس لأصحابها رسالة، ولاعلموا بالرسول، فإن الإسلام الحق الذي تمكن في أقطار المغرب العربي الكبير لايسمح لأحد أن يعتقد في بشر قدرته على غفران الذنب، وإدخال غيره إلى الجنة، وإذا كان الإسلام يرفض بل يمج فكرة التثليث عند المسيحيين، والتي هي عندهم أن الإله الأب أوجد الإبن واتصل الاثنان بصلة هي روح القدس الخ، فكيف يسمح لمن يزعم أنه مسلم ويزعم أنه معتقد بوحدانية الله القادر على الدفع والعطاء والمغفرة والمواخظة، أن يشرك معه شخصا لايقدر على شيء، ولاحتى على دفع الضرر عن نفسه، وإنما هو يأكل وينام ويروث إن هو وجد ما يأكل حتى يروث، والذي ينشر بين الناس ما يجعلهم يعتقدون أنه قادر على ما اختص الله به وحده. بل وينسبون تلك القدرة أو حتى ما خص الله به الرسل والأنبياء إلى أنفسهم أو إلى غيرهم ، إنما يدفعون الناس إلى الشرك والضلال، وهذا ما هو واضح جلي في ما يسمى «بجواهر المعاني» وفيما قام به الذين شرحوا جواهر المعاني، أو نهجوا نهج جواهر المعاني، والثاني يتمثل في كتب التلخيص، ومحمد الحافظ المصري. وبدر عبد الهادي سلامة، والبعقلي، ومحمد بن المشري، والدرجة الغبية الساقطة يمثلها العربي بن السايح، صاحب «بغية المستفيد»، وإذا كانت الدراسات تناولت جل الكتب المشار إليها قبل، ثم حكمت على أصحابها بالشرك والكفر والضلال، كما صدر ذلك من العالم السلفي المصلح الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله(181) فإنني اخترت أن أستدل على صحة ذلك الحكم أيضا من خلال انتاج

(181) راجع مجلة المنار الصادرة بتاريخ 29 شعبان 1344هـ = 1926/3/14 وفي مجلة الشهاب عدد 77

صاحب «بغية المستفيد» الذي هو العربي بن محمد بن السايح، الشرقاوي الكناسي العمرى المتوفى عام 1309هـ والتي أعيد طبعها بالمكتبة الشعبية ببيروت عام 1973م فقد جاء في الطبعة الأولى عام 1304 الصادر في حياة المؤلف ص 35 مايلي:

من أخذ الورد التجاني ثم تركه كلياً، أو متهاوناً به حلت به العقوبة ويأتيه الهلاك في الدنيا والآخرة؟؟؟

وجاء في ص 102 « ما أنجبت حرة مثل أحمد التجاني جمالا امرة من بنات أمنا حواء، وأبينا ادم عليه السلام فخر يساوي فخرها لولادتها له، غير النساء اللواتي أتين بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكذا اللواتي أتين بالصحاب الكرام». راجع صورة التجاني في هذا الفصل من الكتاب والتي هي موجودة في متحف اللوفر بفرنسا.

وجاء في ص 128 « أمر النبي صلى الله عليه وسلم أحمد التجاني أن لا يصلى خلف أحد ماعدا الجمعة، وجاء في ص 138: «قال صلى الله عليه وسلم في حق جواهر المعاني كتابي هذا وأنا الفته»(182) بالله هل بعد هذا من زندقة وكفر وضلال.

وجاء في ص 151: «من أدرك الاحتلام من ذرية أحمد التجاني يمنح من الله أسمي مرتبة وأسمى مقام، ويشفع في ألف من عصاة المؤمنين ممن وجبت عليه النار، وسواء في هذه الذكور من ذريته أو الإناث». (183) ولقد عرفنا وسوف نعرف موبقات الـ التجاني قبح الله سعيهم.

وجاء في ص: 152 « من مزايا وفضائل ذرية أحمد التجاني أن من كان في خدمتهم يكتب له ثواب تسبيح البحار وما فيها من الحيتان والدواب، وكذا تسبيح الأشجار، ويوم القيامة يدخل الجنة من أي باب شاء؟؟؟!

وجاء في ص169: «قال أحمد التجاني، قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى،

(182) قال صلى الله عليه وسلم "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده في النار" الحديث.
 (183) ولتدرك مصيبة هذا الإثم المفترى على دين الإسلام راجع كل التفاسير في موضوع الشفاعة، وقد
 ذكر له قبل حول موضوعي الشفاعة والوسيلة، ثم راجع حتى عقيدة الشيعة فهي براء من مثل هذا الضلال، لدوايت
 ن ص 333-343 ط 1946 وهو كتاب تاريخ الإسلام في إيران والعراق يقول صاحبه ولا ننسى أن نشير إلى
 ربي بن السايح اتخذ إلى جانب جواهر المعاني منظومة ابن باب « العليوي» نسبة إلى قبيلة إذا وعلى بشنقيط
 البغية ص 98 ط بيروت 1973.

من لدن آدم إلى النفخ في الصور؟؟ وجاء في ص 170: « قال أحمد التجاني إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، تتلقاها نوات الأنبياء وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاها ذاتي، ومنها يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور.

وجاء في ص 173: (184) «قال أحمد التجاني إذا جمع الله خلقه في موقف القيامة، وضع لي منبر «من نور فأرقاه بحمد الله تعالى رقي المبرة والكرامة، ثم ينادي مناد يسمعه كل من حضر: هذا إمامكم الذي كان منه مددكم فيما مضى لكم من أيام دنياكم رغبر» بربك أي زندقة بعد هذه ، هذا في الوقت الذي يقول الله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم «قل لا أملك لنفسي نفعا ولاضرا إلا ما شاء الله، الآية 188 من سورة الأعراف

وقوله تعالى « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك» الآية 50 من سورة الأنعام.

بل ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يقول لفاطمة ابنته «لا أغني عنك من الله شيئا».

وجاء في الصفحة نفسها 173 طائفة من أصحاب أحمد التجاني تزيد على الستمائة لاجتمع أقطاب أمة النبي صلى الله عليه وسلم، ماوزنوا شعرة مما اختص به الواحد منهم، من المقامات الرفيعة، والأحوال السامية، المنيفة»

وكل ما جاء به صاحب البغية مصدره نظم ساقه ضال أثيم من المفلسين قبحه الله ذكر في نظمه الذي افتتحه بقوله قال ابن بابا لعلوي نسبة (185) المغربي المالكي مذهبه وقد عرف به العربي بن السايح شارح المنظومة في بغيته ص 98 ط 1973 وأن علويته نسبة إلى إداوعللي قبيلة من قبائل شنقيط، وقيل زورا وبهتاناً أنه منتسب إلى محمد بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقيل على آخر الخ ماقاله هذا ما سمعه العربي بن السائح من

(184) نفس القول عند الضال بدر عبد الهادي سلامة في كتابه النفحة الفضلية. ص 21.

(185) نسبة إلى قبيلة إداوعللي بشنقيط وعلى هذا الذي كان يعلم الصبيان لاجابة لنا بترجمة قومه بالتفصيل

والتي ترجع إلى أصل بربر صنهاجة وقد أصبح قومه في المغرب يعرفون "بالعلوي" تدنيسا للنسب.

الناظم نفسه يقول في بغيته ص 98 ط 1973 والمنظومة تشتمل على 392 بيت شرحها ابن السايح فيما سماه البغية وعدد صفحاتها 395 صفحة عدا الفهرس، وهي تشتمل على الكفر الصراح، ولا أحد أخذته الغيرة على الإسلام ثم دعى لاحتراقها واعدامها. بل ظهر من خصوم الإسلام الحق، من أعاد طبعها في بيروت بطريقة فيها دس على السلفية بحيث وضع على الغلاف «المكتبة الشعبية» وعلى الصفحة الأولى المكتبة السلفية تشويها وإليك بعض ماورد فيها على سبيل المثال لا الحصر، يقول الناظم وزاده بهارات الشارح.

ممد كل عارف صمدانني
كمثله من الوري في ذا الزمن (ص266)
عن الرسول المصطفى خير الأنام؟؟
من المائر فعنه ينشره؟؟
إمام الأرسنال والأنبياء
قطب الزمان أحمد نجل سالم (ص377)
يلقن الأنام ورده الحسن (ص175)
تلميذه الرضى علي الأبر
عن إذن سيد بني عدنان
خليفة عن المهيمن المجيد (ص184)
يعطى مقاما ساميا كبغيته
له وما فيها كذا الأشجار
لأجل خدمة بني ذا المنتقى (ص201)
في كل من قد كان في العصر معه
لشيخنا مصححا يقينا (ص219 الخ)

لاشك أن شيخنا التجاني
يعطي ويمنع ويسلب فمن
أخذ هذا الورد شيخنا الإمام
يقظة وكل ما سيذكره
جوهرة الكمال من إملاء
على حبيبه الولي العالم
وأذن النبي للشيخ بأن
ويعد ذا بنحو شهرين أمر
بجمعه جواهر المعانني
وفي الحرم غدا غوثا رشيد
وكل من أدرك من ذريته
خادمهم تسبح البحار
ويدخل الجنة من حيث انتقى
ومنه أن ربه قد شفعه
وزيد عشرون من السنين

وبالتالي فالآبيات 392 كلها كفر وشرك وضلال والعياذ بالله، يشاركه وزرها العربي بن السايح، ومع ذلك يطلب صاحب البغية أن يجعله الله من هذه الطائفة، فياويل صاحب البغية وياويله يوم العرض، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

ذلك بعض ما جاء في البغية من ضلال وبتناول كذلك بعض ما جاء في «النفحة الفضلية» لبدر عبد الهادي سلامة تحت عنوان «تكفير الصلاة الفاتئة» ما نصه: في كتاب «الجامع» من صلى أربع ركعات قبل الغصر يوم الجمعة، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة: وآية الكرسي مرة وسورة الكوثر خمس عشرة مرة، فإذا سلم استغفر الله عشرا، وصلى على النبي بصلاة الفاتح خمس عشرة مرة، كانت كفارة للصلاة الفاتئة.

وعن علي رضي الله عنه ولو خمسمائة سنة، ومن صلى بها ولا قضاء عليه إن كان في صلاة أبيه وأمه، كانت كفارة لهما. أي ضلال وأي تضليل بعد هذا الافتراء الذي هو الافتراء في الدين، وهدم وتشويه عقيدة المسلمين. ورحم الله القائل:

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب إسلام وإيمان

ركيعات مبتدعات، تكفر ما على الانسان من الصلوات المكتوبات؟ أليس هذا هدماً للركن الذي لم يبق سواه، وليت شعري لماذا يجهد المصلي نفسه بأداء الصلوات الخمس في الحضر والسفر، والبرد والحر، وعنده مثل هذه «الفائدة المنكرة والبدعة المحرمة والضلالة المحررة، وإن هذا المقر على هذه الفائدة والحاكي لها والمعتمد لها يريد أن يقول: دعوا الصلاة واهجروها ولا تقربوها فهذه الفائدة فيها الكفاية، أليست هذه غواية؟ وفي الضلال نهاية، حيث يسند هذا المفتري على الله والناس فريته إلى علي رضي الله عنه بدون سند، إن أدنى طالب للعلم يجزم بأنها لا تصدر عن مسلم فضلاً عن صاحبها، فضلاً عن أمير المؤمنين وأقضى المسلمين وربيب نعمة الرسول « وصهره وابن عمه ولقد كان يرى الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة (رض) يحافظون علي الصلاة حتى عند اشتداد الملحمة، وفي وقت الحرب الضروس، فحسف بدر عبد الهادي سلامة بكذباته... ثم لم يكتف بجعله هذه الركيعات المحدثات مكفرة لما على الشخص من الفوائت، بل قال: إن لم يكن عليه فوائت كانت كفارة لوالديه، كأنها فوق الحج الذي ليس له هذه القوة، وفوق سائر العبادات التي ليس لها هذه المزية، فسبحانك اللهم إن هذا إلا إفك افتراه وأغانه عليه قوم آخرون، فقد جاعوا ظلماً وزوراً «مع العلم أن الصلاة التي نكرها لم ترد عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يقل بها أحد من رجال المذاهب المعتبرة، فهي على ذلك بدعة منكرة وفرية مزورة، وقد قرر فقهاء الحنفية والشافعية ورجال الشريعة

الإسلامية أن تكرير سورة واحدة في ركعة مكروه وخلاف السنة ، فكيف يدعى هؤلاء الضالون أن لها هذه المزية مع أنها بدعة دينية.

ومهما يكن فإن ماورد في كتاباتهم من خزي وضلال أرادوا انتشاره في المشرق، كان كأنه تنمة لما عرف من خزي وضلال أراد العربي بن السايح بعد ابتهاجات ومفتريات ال الفاسي نشره في المغرب، وإذا لم يجد له ماكان لترويج هذا الكفر والضلال هنا وهناك لا في المشرق ولا في المغرب، فإنه وجد له مجالا واسعا في القارة السمراء التي وقعت تحت وطأة الاستعمار الفرنسي الانجليزي الذي فسح المجال لكل أنواع الشرك والكفر والضلال، محاربة منه ومن دهاقنته للإسلام الحق الذي حارب الوثنية والشرك والضلال والطوطمية في كل مكان، ولنسمع أيضا إلى نور عبد الهادي سلامة المصري في «نفته الفضلية» وما فيها من فضائح يقول في ص 3 مانصه: عدم زيارة الأولياء الأحياء والأموات: قال شيخنا هذا شرط عندنا، فمن أخذ وردنا لايزور أحدا من الأولياء الأحياء ولا الأموات أصلا، وقال أيضا : قال لي سيد الوجود «ص» (ونسي قوله تعالى ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) لم يقف الأمر عند تضليل المسلمين ودفع الجاهلين منهم إلى الشرك، بل زاد بالكذب والافتراء على رسول الله، والرجل في القرن 13هـ، وهو مامضى من الزمن على انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رحمة الله، ومع ذلك قال له، ماذا قال له سيد الوجود صلى الله عليه وسلم؟ «مسألة أغفلها الشيوخ، وهي أن كل من أخذ عن شيخ وزار غيره لاينتفع به ولاذلك الغير أصلا » فالرجل بقوله هذا يريد الزيادة في الاستغلال بل احتكار الذين ينساقون وراء ما يزعم من ضلال وبهتان أو كما قال الاستاذ محمود محمود المصري الذي تتبع هذه الموبقات « يريد الرجل أن يجعل من عاهده سلعة يتجربها ويتحكم في رقاب من اتبعه بإثارة هذه الفتنة المخالفة للسنة، فقطيعة الأولياء عنده أمر مقرر وواجب محرر، حتى لقد قال في ص120 "إياك أن تنظر إلى ما في جواهر المعاني أن المرید له أن يزور الأولياء الأموات فإن الشيخ قد رجع عن ذلك، قال شيخنا: كل من أخذ وردنا فلا يحل له أن يزور ولها لاهيا ولا ميتا»(186) وفي

(186) راجع ما سبق عن النظيفي، والبعقلي، وابن السايح، وغيرهم من الذين سيحاسبون بين يدي الله على تضليل الناس والافتراء على الدين ورسوله الكريم، ثم تحريف رسالته من أجل الابتزاز والاستغلال، إن جميع العلماء =

مره من زار وليا وقصد تبركا أو مددا دنيويا ، فليس من أهل هذه الطريقة لقول النبي شبخنا، «إذا مر أحسابك بأصحابي فليزورهم فقط» وهذا القول مخالف لآيات القرآن والسنة المتبعة في ولاية المؤمنين ولأحاديث الزيارة المشهورة، لكنه وقتها كان يتفق والنصرية بل القطيعة التي كان يعاني منها مسلمة اليهود وأعلاج النصارى في مجتمع ناس. وهو ما فصلناه في كتابنا التاريخ المفترى عليه في المغرب.

بربك أيها المسلم أي طعن بعد هذا في رسالة رسول الله وأمانته، والأمر الإلهي له بالتبليغ، وأنه لم يغادر هذه الدنيا إلا بعد ما بلغ كل ما أمر بتبليغه، وبعد اثني عشر قرنا اختير التجاني ليقول له الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقله لأحد قبله، بل ولاحتى لأصحابه وصدق الله العظيم « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون» الآية 97 من سورة البقرة.

إن من أراد أن يتابع ماورد في كتب القوم من إفاك وضلال، يحتاج إلى وقت طويل،

= اتفقوا على أن كل من حكى عن الرسول (ص) شيئا يخالف ما روى عنه فهو ضال وفي كفره خلاف إن نعد الكذب، وما أكثر كذبهم جميعا علي الله ورسوله، راجع ما ذكر من كتبهم. ومن تدبر ضلال السابقين وأخص بالذكر منهم عبد الرحمن القصري المعروف بالفاسي عند بعضهم، وبـ «العارف» عند آخرين بيد أنه التالف عند أهل السنة، والذي قال في أزهار البستان السابق ذكره، وذلك حول موضوع تبعية عبد الله بن ساسي، فقد جاء في أزهار البستان ص 1/مخطوط خاص ومن هذا المعني « ان الشيخ سيدي عبد الله بن ساسي كان قد اتخذ «سيدي» علي بن إبراهيم شيخا ثم انتقل في حياته «لسيدي» عبد الله الغزواني فقدم «سيدي» علي مرة إلى سيدي «الغزواني» فوجده فقال يا بن ساسي ألسنت لي؟ فقال الغزواني بل هولي؟ فقال « سيدي» علي قد طبعته وهو في بطن أمه، فقال سيدي «الغزواني» قد طبعته وهو في صلب أبيه، ثم قال سيدي الغزواني هذه دعوي مني ومنك، ثم أشار بيده نحو النبي صلى الله عليه وسلم، فرقع الحجاب بينه وبين من حضر، حتى عاينوه كلهم صلى الله عليه وسلم، فقال سيدي الغزواني يارسول الله لمن هو، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك، بل زاد أكثر من هذا الضلال فذكر أن السويطي اجتمع بالنبي (ص) نيفا وسبعين مرة، وأن الشعواني ذكر أن إبراهيم المتولي لا يحص اجتمعا به، وأنه كان يقول ليس لي شيخ إلا رسول الله ص وأن علي المرصفي قال بين العبد وبين هذا المقام مائة ألف مقام، وسبعة وأربعون ألف مقام، الخ مثل هذا نجده في فهرست أحمد بن محمد بن عجيبة المولود عام 161هـ والمتوفى 218هـ مما يفهم منه أن عهد المولاي إسماعيل ومابعده من فتن وحروب الوراثة تولد عنهما من الزيف والبهتان ما اندفع حوله كل الذين عرفوا كيف ينتحلون لأنفسهم من الناموس مامكنهم من العيش عالة على الآخرين، وبالتالي فقد كان مصدر هذا الضلال في المغرب هم آل الفاسي الذين اقتدى بهم التجاني وابن السايح وغيرهما من الذين اتخذوا الكفر والضلال بضاعة استنزاف وتكسب وارتزاق قبحهم الله وقبح سعيهم لأنهم أشد على هذا الدين من الصليبية والصهيونية والنبريعة والماسونية إذ الهدم من الداخل ليس كالهدم من بعيد.

وعمل كثير، حتى يكشف عن ترهاتهم ويرد عليهم بما يفضح بهتانهم الذي زينه الشيطان لهم، لكن مع ذلك أجدني مدفوعا وحتى يتعرف الناس خطورة ما قام به القوم في مجال هدم الدين والتغريب بجهلة المسلمين الذين ضللوهم باسم الدين المفترى عليه من جانب، ومن جانب آخر على ما قام به الشيخ الإمام شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، وما بذله من جهد طيلة حياته رضوان الله عليه حتى يقضي على ذلك الضلال والبهتان وقد حصل، ولم ينزغ الشيطان نفوس القوم ويجمعهم ثانية وغيرهم حول الإلحاد والشرك والكفر والضلال إلا بعد ما تحرك عملاء الاستعمار في عهد الاستقلال أولئك الذين بدأوا عملهم بتحريك الطوائف الضالة تحت ستار الفلكلور، وما هم إلا أبناء المواخير وعملاء خصوم الإسلام الذين عز عليهم أن يروا الإسلام الذي حرر بسلامته عقيدته شعوب المغرب العربي الكبير، يعود إلى قوته التي حركت المجاهدين من رجاله منذ وطئت أقدام المستعمرين أرض الجزائر، بل وقبلها منذ محاولات البرتغاليين والاسبانيين في القرون الخوالي، فهو الذي سوف يدفع لتحقيق الحق والعدل والخير والحب والجمال بين المغاربة الذين دفعوا الكثير من أجل "الديمقراطية"، ومن أجل أن يتمكن الإسلام الحق في هذا الوطن وبين أهله. وبلا كبير تفصيل لما يفعله المرجفون اليوم وما يقومون به من بغي. أقول لهم وفي مقدمتهم الشيطان الأعور الذي ما ترك وسيلة من وسائل هدم الدين إلا استعملها بلا خجل ولاوجل. أقول له ولن خلفه انتظروا فوالله لن تخرجوا من هذه الدنيا حتى تدفعوا ثمن افترائكم على الله والناس وإذلالكم لهذا الشعب الذي هو من عيال الله و«من أذى لله عياله آذاه الله»، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأي أذى أكثر من إفساد العقيدة، والدليل والبرهان على حتمية جزائكم في هذه الحياة كعبرة هو ما سبق لغيركم يتقدمهم عبد الحي الكايتاني وغيره أمثال ابن عليوة وبن تكوك والحملوي والتبريزي بن عزوز في كل من المغرب والجزائر وتونس أين هؤلاء جميعا وأين آثار ضلالهم وصدق الله العظيم «فأما الزيد فيذهب جفاء، وأماما ينفع الناس فيمكث في الأرض».

لقد اتفق كل الذين عملوا على نشر الضلال باسم الطريقة التجانية على أن يستمدوا ضلالهم من كتاب «جواهر المعاني» سواء الذين تصدروا لذلك بالمغرب أو غيرهم

من المرتفعة بالمشرق، والذين نخص بالذكر منهم بدر عبد الهادي سلامة صاحب ما سماه «النفحة الفضلية» فقد ورد فيه من الأفكار والبهتان والافتراء على الله ورسوله، ما سيكون حسابه عليه أمام الله والتاريخ عسير، ولماذا فعل ما فعل في بلد كان ولا يزال وفي مختلف العصور والمواقف شعبه هو السباق إلى المكرمات لأنه وبلاشك كان من تخطيط المستعمر الذي أدرك أن المقاومة للخرافات والضلال بدأت منهجيا ومنذ ظهرت فكرة محمد بن عبد الوهاب في مصر، وفعلا ففي عهد صاحب المنار الذي رفع الراية ضد البدع والخرافات اشتدت المقاومة وأخذ الناس يتعرفون على ما كان قوم الضلال يعملون على نشره وإصاقه بالاسلام باسم الطرق الضالة التي تعرفنا عليها قبل، لكن التي عملت نبل في ركاب الاستعمار هي التجانية كما يؤكد لنا ذلك كوبولاني في كتابه عن الزاوية الدينية الإسلامية ص 271 ط 1897 وجورج أدان الذي هو في الحقيقة سليمان الذي أصبح بد جزالا، وذلك في كتابه تاريخ المغرب الديني».

أورد بدر سلامة في كتابه الكثير من المنكرات التي ليست من الدين في شيء، كما في صفحات 20-21-23-26 وغيرها زيادة علي ما قدمنا فمثلا في ص 26 جاء فيها «أن من رأى شخصا من أتباع التجاني يوم الاثنين أو يوم الجمعة «دخل الجنة بلا حساب ولاعقاب، وأن الشيخ يدخل أصحابه الجنة بلا حساب، وفي ص 27 منه ما هو أدهى وأمر « يقول التجاني، صاحبي لا تأكله النار ولو قتل سبعين روحا، إذا تاب بعدها » وفي ص 29 كل من عمل عملا لله يعطي الله الواحد. من هذه الطريقة أكثر من مائة ألف ضعف مما يبطل صاحب ذلك العمل «بل وإليك تطاول الرجل حتى على كلام الله عز وجل في ص 32 قال شيخهم « ان الصلاة الفاتح يجب اعتقاد أنها من كلام الله «؟» ثم سرد خرافات وضلالات أتبعها بأرقام حسابية يعجز عنها «الحاسوب» المستجد اليوم؟ ثم قال زاعما إنها تمثل ثواب قارئها وليس هذا فحسب، بل زاد في ص 25 من كتاب النفحة الفضلية حيث تعرض للإذكار اللازمة للطريقة، وأن لها صيغة من صيغ الإسم الأعظم، ومن أخذ الصيغة بسند متصل كان له نصف الثواب الكبير الذي هو خاص به صلى الله عليه وسلم .

وحول هذه الخرافات يقول محمود محمود المصري، وكان قد تناولها أيضا بالنقد

في مجلة المنار، ومن مخازيهم أن نفث الشيطان في قلب شيخهم فاشترط علي أتباعه « أن من شرائط صيغة الفاتح أن يعتقد القارئ أنها من كلام الله، وأن النبي عين ذات الله » وقد سئل شيخهم عن معنى ذلك فقال في ص 33 من النفحة « إن النبي كالمرأة تتراعى فيها الذات، وهذا تأويل باطل لا يؤيد باطل(187).

أما في كتاب الورد الفائح ص 24 فهي أن الصلاة الفاتح « ليست من تأليف مخلوق، وفي جواهر المعاني أن ثوابها أكثر من ستة آلاف ختمة من القرآن العظيم؛ وذلك ما أخبر به الرسول «ص» الشيخ يقظة» وفي كتال النفحة الفضلية ص 30 قال «لو عاش العارف ألف سنة كان ذاكها عشر مرات أكثر منه ثوابا، وإذا صدر من العبد ما يحبط العمل فهي لا تحبط، ومن قرأها مرة غفرت له كل ذنوبه ، لأنها لا تترك من الذنوب شاذة ولافاذة، وهي تعدل كل تسبيح وقع في الكون، وكل ذكر من القرآن ستة آلاف مرة وسائر الكتب الإلهية» إن ترديد هذا الفخش والكفر والشرك والضلال مرعب ولو على سبيل النقد والهدم.

وفي ص 25 من الطيب الفائح أيضا أن الله صلى علي النبي بصيغة صلاة الفاتح، كما أشرنا وفي نفس الكتاب ص 451 أن شيخهم بلغ غاية نهاية الأولياء من نشأة العالم إلى النفخ في الصور، سواء أولياء الأمة الحمديّة أو غيرها «وهذا بصيغة لا تختلف عن الصيغة التي أوردها العربي بن السايح إلا من حيث الشكل، وفي هذا السياق اتخذوا صيغة أخرى يتعبدون بها وسموها جوهرة الكمال منها «اللهم صل على صراطك التام الاسقم» وهي الأخرى يقولون أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر شيخهم بأن يصلي عليه بها وقد تكلمت(188) معهم كثيرا ان هذا كذب من الشيخ بين، لأن النبي (ص) عربي وما

(187) راجع مجلة المنار مصدر سابق بتاريخ 29 شعبان 1344هـ = 1926/3/14 ثم راجع إفادة التجاني

بما ليس في كتاب جواهر المعاني الخ ط الأمنية بدون تاريخ وقد افتتحة بنسب شيخهم المشوه التسلسل.

(188) يقول محمود محمود المصري مصدر سابق ثم راجع رحلة ابن الموقت ج 1/ 152 - 56 وكتاب المولى

عبد الحفيظ كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع، ولعله من الواجب علينا ونحن نؤرخ سياسيا للمغرب العربي الكبير أن ندون أن وزير الأوقاف المغربي سلم مليارا من السنتيمات إلى ممثل الطريقة التجانية بالسنيغال المسمى عبد العزيز سي وذلك بتاريخ يوم 1985/4/28م المصدر إذاعة المغرب في نفس التاريخ، وبصوت الوزير عبد الكبير العلوي، «لمدغري» والتاريخ يسجل أنه بعد الحكومة هو لا يتحمل وزر المؤتمر الذي نظم لأتباع الطريقة ثم دعى له قوم =

بصاغ من فعل ثلاثي، فلا يصاغ من رباعي إلا أفعل، فقليل يجوز مطلقا، وقيل يمنع مطلقا، وقيل يجوز إن كانت الهمزة لغير النقل حتى قال الموضح «وشد على كل قول ما أشقاه وما أملاه» إلخ وأما السداسي فلا يصاغ منه أفعل «كأسقم من استقام» باتفاق شيوخهم لجهله باللغة نسب إلى النبي ما بلغكم كعادته في أمور الدين ، فبهت القوم وانصرفوا على ذلك».

ولهم في ص 91 من الجزء الأول من كتاب جواهر المعاني أن النبي ص قال لشيخهم « كل من أطعمك أو أحسن إليك دخل الجنة بلا حساب ولا عقاب» ؟ بريك هل رأيت قط مستهترا برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أكثر من هذا الذي زاد في نفس الصفحة وعلى نفس النهج حتى انتهى إلى القول أن « من قرأ صلاة الفاتح كان له ثواب سبعين نبيا كلهم حمل السلاح وجاهد » الخ.

لقد طلب منتقد التجانية في عدد مجلة المنار المشار اليه من صاحبها المصلح الأمين محمد رشيد رضا، العمل على هدم ما جناه الضلال حين قال :

إلى سيدي صاحب المنار، بما عرفنا فيكم من الاخلاق المحمدية والهمة الهاشمية نرجو العمل على إطفاء شعلة هذه الضلالة» فرد على طلبه بقوله مما يعتبر بحق، وخصوصا من رجل مثل محمد رشيد رضا حكما صريحا في حق التجاني والتجانية.

إن شعلة هذه الضلال لا تطفأ برسالة تنشر في المنار ولا بمجرد بيان ما فيها من الكذب على الله ، ومن شرع لم يأذن به الله، وهو إشراك بالربوبية، وتكميل نقص يدعى للملة الحنفية، وما هي شعلة بل شعبة من شعب نار جهنم، يأوي إليها عشاق الخرافات،

= من الصين ومختلف بلاد العالم بتاريخ 1985/12/20م وذلك بواسطة البعثات التي أرسلت إلى أقطار السمور وهذا ما حصل قط حتى في أشد العهود ضللا، بل لو فقط راجع القوم رسالة محمد الخامس طيب الله ثراه إلى رئيس جمهورية فرنسا ينكر فيها على تنشيط الإقامة العامة بالمغرب لضلال عبد الحي الكايتاني وجولاته ضد أهداف العاهل وعمله من أجل تحرير شعبه وإصلاح عقيدته، لو راجع القوم فقط الرسالة في ص 79 - 80 من كتاب التحديط الملكية 1983 لما أقدموا على الجمع الذي نظم للتجانين ما بين 10 - 16 ربيع 2 عام 1406 هـ = 13 - 29 / 12 / 1985 حيث كان الشعار « ندوة الطرق الصوفية » دورة الطريقة التجانية « وقد شارك فيها أشباه العلماء من المناربة المنافقين الذين كانوا بالأمس القريب يقاومون وفي حياة شيخ الإسلام ضلال تلك الطريقة مما يستدل به على أنهم إنما فعلوا مسaire للسلفية التي كان العاهل العظيم محمد الخامس من أنصارها وكان شيخ الإسلام محمد بن العربي رائدها لكن صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل».

ومتبعوا الشبهات، وعبيد الشهوات يحسبونها ظلا ظليلا، وأن لهم فيها مقيلا إلى أن يأخذهم الله أخذا ويبيلا» يوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، ياويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاغني، وكان الشيطان للإنسان خذولا» هنالك يكونون ممن قال الله فيهم « ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون » لعصيانهم قوله « إتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء، قليلا ما تذكرون».

إن هؤلاء الضالين لم يضلهم أشياخهم كالتجاني الدجال ومؤلفي ما ذكر من الكتب لترويح بدعته، ونسخ شريعة الله الحق بشرعته، ما أضلهم هؤلاء وحدهم، إنما اشترك الجمهور الأكثر من أدياء العلم الشرعي عامة، وأصحاب المناصب الرسمية خاصة الذين هجروا القرآن وأعرضوا عن هدي السنة وتركوا سيرة السلف الصالح، وأقروا كل من تنحل طريقة من طرائق التصوف، على ما يضع من عبادة ويدعي من كرامة، حتى دعوى رؤية الرسول صلوات الله وسلامه عليه في اليقظة أو المنام، وتلقى الأذكار والأوراد والبشارات عنه، وكذا العقائد والأحكام، وإن كانت مخالفة لما جاء به من كتاب الله المتواترة، وماصح من سنته بالأسانيد الصحيحة وما أجمعت عليه الأمة في الصدر الأول. وليس الدجال التجاني أول من كذب على الرسول وراجت أكاذيبه(189) بشبهة ثبوت الكرامة لصالحي الملة بل سبقه الى ذلك آخرون من مبتدعة التصوف، كانوا أوسع منه علما، وأفصح لسانا وقلما، وقد رد عليهم من هم أعلم منهم بكتاب الله وسنة رسوله، وأعبد لله تعالى وأنفع للناس، ولكنهم لم يدعوا لأنفسهم تلك الدعاوي العريضة ومع ذلك طعن المتأخرون في دينهم وتجنبوا كتبهم، كما كان شأن أكثر حملة العمائم في مصر وغيرها في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية المصلح الكبير، وقد كان هذا الإفتتان بالدجل والخرافات وإشراك شيوخ العلم في الموالد المشهورة على ما فيها من الفواحش

(189) راجع أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث لمحمد أبورية ط3دار المعارف بمصر 1957م تقديم د طه حسين رحمه الله. ولقد كان لنا كتاب الدين المفتري عليه في المغرب وهو من الكتب التي صودرت من خزانتنا بواسطة الشرطة وبأمر جائر خارج عن القانون يوم 1968/6/14 وقد أوردنا فيه شيء مما أورده المؤلف قبل أن نطلع عليه راجع وثائق عبد الكريم الفيلاي ومؤلفاته المصادرة في الخزانة الملكية، ومديرية الوثائق الملكية.

والمنكرات، والبدع، والضلال، سببا لفسو الكفر والإلحاد في نابتة المدارس العصرية،
 وطالما جاهد المنار الدجل والدجالين، ورد عليهم بالحجج والبراهين يهدم ما بنوا من
 قواعد وأساطير

ثم زاد: «إن الدجال التجاني بل الجاني على الإسلام والمسلمين وأمثاله من المتصوفة
 الخرافيين، قد رأوا دعوى الكرامات أنجح الوسائل لتأسيس المجد الدنيوي، أي الجاه
 الذي هو ملك القلوب والمال، الذي هو ملك الأعيان فتوسلوا بها فوصلوا إلى ما وصلوا
 إليه من إتخاذهم الهة يعبدون، وأريابا يشرعون فيتبعون، فلو لم يسكت لهم علماء
 الشريعة على منكراتهم لما وصلوا في إفسادهم إلى هذا الحد، حد طبع الكتب المفسدة
 للقائد ونشرها بين المسلمين، وعدها من كتب الدين الخ(190).

لم نعد في حاجة إلى الزيادة أكثر مما أوردناه للدلالة على أن الطريقة التجانية
 أسدت على الذين اتبعوها عقيدة التوحيد، ودفعت بهم إلى الشرك والكفر والضلال،
 وبثها الطريقة الكتانية، التي يجب أن نتعرف على ما أحدثته من بدع فاسدة في الدين،
 وما ادعاه متزعمها المنحرف من بهتان وما انجرف فيه من زندقة ونصب وضلال باسم
 الدين وإن كنا قبل قد تعرفنا على بعض الجانب السياسي المكشوف في حياة صاحبها
 محمد بن عبد الكبير ونريد من المعاصرين دراسة أحوال خلفه ليتعرفوا كيف اتخذ القوم
 الدين ناموسا للعيش عالية السذج والبسطاء.

من مذكراتي عن شيخ الإسلام محمد بن العربي رحمه الله ما كتبتة من إملائه «في
 طبقات ابن السبكي ما نصه: قال الربيع سبمعت الشافعي يقول من استغضب فلم يغضب
 فهو حمار ومن استرضى فلم يرضى فهو لئيم، وفي لفظ شيطان، ومن ذكر فلم ينزجر
 فهو محروم. هـ

(190) مجلة المنار مصدر سابق: يقول الفيلسوف الألماني كانت إن أهم أقانيم الفلسفة ثلاث وهي (1) ما الذي
 نستطيع معرفته (2) ما الذي يجب أن نعمله (3) ما الذي نرتجيه ونعلق آمالنا عليه، لكن كل هذه الأقانيم أجملها قول
 الله تعالى في عبارة مختصرة «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» الآية 56 سورة الذاريات والعبادة إذا هي تعرضت
 للشك باعتقاد أن للمخلوق قدرة على النفع والضرر في الآخرة بعد الدنيا فسدت، وإذا هي فسدت ضاع كل شيء، وهذا
 ما يجلبه الاعتقاد الفاسد الذي يعمل القوم على نشره بين طبقات الشعب الجاهل غير الواعي أولئك الذين ينشرون
 الضلال وهم يعلمون. وسوف يرون حكمة الله وعدله في جزائهم في الدنيا عاجلا ولعذاب الآخرة أشد.

ومنها أيضا أي الطبقات والقول لصاحب المذكرات عن جعفر بن أحمد بن سنان قال سمعت أبي يقول، ليس في الدنيا مبتدع إلا يبغض أصحاب الحديث وإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه هـ واحمد بن سنان هو تلميذ الإمام الشافعي، وشيخ الإمامين البخاري ومسلم، وأبي داوود، والنسائي، وابن ماجه.

وإذا كانت الشعوب والأمم لاترقى وتتقدم وتمكن للحضارة التي تسعى إليها في الأرض إلا بصلاح العقيدة كما سنرى، فإن ذلك هو ما رأينا كبار المصلحين يسعون لتحقيقه بين شعوبهم، والشعوب الإسلامية لاتعرف طريقها نحو العزة والكرامة إلا بما عرفها به السلف الصالح، والمغرب الذي انحدر نحو الضلال بظلم حكامه المتسلطين ويسبب ما جلبته عليه الطوائف الضالة من فساد العقيدة، لم يعرف قط من تجرد لاصلاحه وتحرير فكره والبعد به عن الشعوذة والدجل والضلال أكثر من شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي رحمه الله ورضي عنه بقدر ما قدم لهذه الأمة وما عمله من جهد في سبيل إصلاح دينها ودنياها.

إن ما عرفه المغرب من شعوذة ضالة وكما أوضحنا قدم من المشرق أي من العراق الذي انتقلت إليه الضلالات من فارس وغيرها من البلاد القريبة والبعيدة، تلك التي عاشت قبل على الوثنية والشرك وما عرفت به ديانتها قديما من طقوس عادت إليها ملفوفة وبشكل مغاير، في الوقت الذي لم يعد فيه الرجل العادي بقادر على إستيعاب ما عرف وقتها من ضروب السحر وأنواع العبادات التي اتخذت لها القبور والأضرحة كوسيلة من أهم الوسائل التي اندست فيها طائفة خاصة أنفقت كل ما تميزت به من نباهه فوق الآخرين، في ضروب السحر ومعرفة طرق الاستيلاء على عقول الآخرين باسم الكهنوت، كما كان القداما حول الالهة التي كانت تزعم أنها قربتها واختارتها على الآخرين لتكون الواسطة بينهم وبين القوى الخارقة التي لها أثر على الإنسان وفي حياته، وبذلك أصبحت قوة هولاء الكهان تقف إلى جانب قوة الدولة كسلطة قادرة على التوجيه والتسيير، ولها من المكانة والنفوذ ما جعلها في كثير من الظروف تصبح خطرا على الدولة والرعية معا، ولو أننا أردنا ضرب الأمثلة علي ذلك لوجدناها منذ كانت الدولة شرقا وغربا سواء في عهود دول المشرق أو المغرب، منذ عهد الفرس والفراعنة والكلدان والرومان، إلى عهود دول الإسلام ثم عهود الاستعمار، ثم العهد الذي نحياه والدجالين المشعوذين ينتحلون من

النواميس ما يميزهم ويحقق لهم ما يطمحون إليه ماديا ومعنويا، كلما تعفن المجتمع وضعفت نية العقيدة أو اختلت، على أن أخلاق هؤلاء المشعوذين والدجالين لا تختلف في داخلها عن أخلاق الفساق والمفسدين ومن لاخلاق لهم من المجرمين المحترفين، وكيف وهم يتجراؤن على أقدس المقدسات في حياة الإنسان، وهو الدين الذي هو وسيلة الربط بين المخلوق وخالقه، وإذا كنا قد تعرفنا على ذلك بتفصيل حول الطريقة التجانية فإن مثله سنتعرف عليه في الطريقة الكتانية الضالة في الفصل التالي وذلك حتى نرى مفعول جهاد شيخ الإسلام .

كشوف الباطن في رذائل القوي

(المنشورة على مجلة التقوى)

من الجرائد التي تصدر في القطر المصري

تأليف

ناصر الطريقة التجانية وناسر اعلامها

بين الاعلام ذوى المراتب العرفانية

الشيخ أحمد بن الحاج العياشي سكيرج الانصاري

قاضي مذبنة سطات ونواحيها

بالايات المنيرة

شكر الله سبحانه

وسدد رأيه

آمين

طبع على نفقة

حسين احمد الشيخ

صندوق بوسنة رقم ٣١ مصر

الطبعة الأولى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م

(مطبعة الصدق الخيرية) هـ

لصاحبها الشيخ اسناغيل عبد الله المغربي الحسني الضاوي الكتبي بمصر

حوادث المعجاني

زياروا الأمان في فيض سيدي أبي التباس التجاني رضي الله عنه

للعالم السلامة العترة

الذمامة سيدي علي حرازم ابن العربي بكراده

المعربي العباسي رحمه الله

ويجعل الجنة مأواه

آمين

زياروا كتاب رماح جزين الرحيم على نعو جزين الرحيم
سيدي عمر بن سعيد الغوي الطوري الكدوي رحمه الله

الجزء الأول

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

دار الجيل
بيروت - لبنان

يا ليتجاني صفت الله بناه راحة اعلم
 والشيخ امواج احمد شرف
 حيث فاض الله اذ لك يا المكتوم
 لا تخلين طالمسجود في احب
 كل من زارني فاحملني ليزن لي
 يكمل فهد بينا ما الله
 به مشرك في كل افكار اعين
 مرجع اسفلك اجمع كل
 يلم اسفلك المصطفى
 بالخالصك عند الله فكون
 تخشنا يا شتم اهل الله
 حانت نبيها والحق تغض
 لا شرف ينفعنا اولنا
 انيخيت عطفه بها
 اخيلك بلا صاحب
 اخيلك بلا صاحب

اقرا في الاشارة للذي بعد اميد
 اقرا في الاشارة للذي بعد اميد
 اقرا في الاشارة للذي بعد اميد
 كلك تعرف يا مني اغيب انك
 غلظه اذ جردت يا مني
 مني مع المردودك
 كما لو عقلت ربيع الفدر والند
 رنما على العبدية
 كيف تخشنا وانا شيخ
 من استمر به اغيثر ابل
 حله العيرض كلفنا
 اقدامه على ريبك
 مرحت التجاني واحبا
 من اعظمه يا ريبك

يا شيخ الصالح بح خنتك
 انا والله ما لي ما لي
 انت كثر وانت اغيثر
 حاش انيخيت وانا امر
 نعمتكم في حالكم
 غلظه يا ليتجاني
 اقرا في الاشارة للذي بعد اميد
 اقرا في الاشارة للذي بعد اميد
 اقرا في الاشارة للذي بعد اميد
 اقرا في الاشارة للذي بعد اميد
 اقرا في الاشارة للذي بعد اميد
 اقرا في الاشارة للذي بعد اميد
 اقرا في الاشارة للذي بعد اميد
 اقرا في الاشارة للذي بعد اميد
 اقرا في الاشارة للذي بعد اميد
 اقرا في الاشارة للذي بعد اميد

يا فديم الا حساه
 يا المولى بليغ قصد انت
 بقدرت الجليله ما اخفاك
 اعظم فيني واسمعي عجب
 الا شافني يا معك
 يا الخليل بعد الخفا
 يا من ارخمت العصابة
 اصلا ربنا والسلاح
 منه البعض حلاله
 والاولي العباد بالبر
 ما واغظي والمسك
 ولا ملع التجاني
 ولا حناء الكحل انتم

الفصل التاسع والخمسون بعد المائتين من شرك التجاني الى كفر وضلال الكتاني (191)

قيل أن الطريقة الكتانية أسسها جد عبد الكبير، وهو محمد بن عبد الواحد، بطورها ولده محمد بن عبد الكبير المولود 1290هـ 1873م والمقتول شرعا بجريسته عام 1327هـ كما سبق وهو الذي أدخل عليها من الخرفات والضلالات ما افتراه على الله برسوله، مما أدى إلى تعزيره وإعلان توبته كما سبق، إذ صار على نفس النهج، وربما كان النبع الذي استقى منه التجاني شرب منه دجال آخر تعرفنا عليه قبل وهو محمد بن عبد الكبير الكتاني، الذي عرفت به الطريقة الكتانية، والذي تعرفنا قبل على ما قام به من مناورات خدمة للاستعمار الفرنسي بطريقة جد مفضوحة، ونقتصر هنا على جانب البدع والضلال الذي إتخذه بمكر وخداع وسيلة لتحقيق أغراض مادية أدت به الى الموت والهلاك وسوء المنقلب يوم تبيض وجهه وتسود وجهه، ولئن كنت قبل قد كشفت عن الجانب السياسي الذي خاضه الرجل من خلال الوثائق المعاصرة، والتي منها ما هو بخط يده، أو يد من كان معه، وفي الموضوع الخاص بالجانب الديني والعقائدي هنا وما كان له فيهما من جولات مكشوفة المقاصد، وما افتراه على الله والناس، اخترت استعمال مادونه في حق المصلح السلفي المرحوم محمد بن محمد بن عبد الله الموقت المراكشي في "الرحلة المراكشية"، أو مرآة المساوي الوقتية، أو السيف المسلول على المعرض عن سنة الرسول

(191) تعرضت ترجمة ملك من أعظم ملوك المغرب وطنية وعلما الى الدس من كلاب المزابل وذلك لأن المثل الساثر يقول «كلب حي أقوى من أسد ميت» وهو ما رأينا بعض الكايتانيين المنحرفين بل المشهورين بانحرافهم بظالون على المولى عبد الحفيظ. اخترت غيرة على الحق والعدل والخير والصدق أن اتناول الطريقة الكايتانية وقد سبق سياسيا ان تعرفنا على الرجل في فتنة ابي حمارة وغزو الفرنسيين وعمل محمد بن عبد الكبير في ركابهم بشرف هنا على الطريقة الكتانية عقيدة حتى يعرف الناس ماقدمته لهذا الشعب وما قام به متزعمها من خزي وضلال باحلفه شيخ الاسلام في مجال الإصلاح الذي كان الوسيلة لمحاربة الاستعمار وتحقيق الاستقلال.

صلى الله عليه وسلم (192) والتي جاء فيها حول الرجل ما يلي:

وهذا الشيخ له دعوة عريضة في مقام الولاية، منها أنه ختم الأولياء، وأنه قطب الأقطاب وغيوث الأغواث، وأنه أخذ مشافهة من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير واسطة، وأنه يجتمع به صلى الله عليه وسلم يقظة، ويتلقى منه مباشرة، وأن أصحابه هم المراد بالحديث "طوبى للغرباء من أمتي" وأن صلاته الأنموذجية تعدل دلائل الخيرات للإمام الجزولي (193) بثمانين ألف مرة، هذا مع ما في دلائل الخيرات من الصيغ المروية عنه صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة والتابعين وتابع التابعين، ولو لم تكن فيه إلا الصلاة الإبراهيمية لكفاه بذلك شرفا، وكيف يتصور العقل أن تكون صلاة ملفقة من ألفاظ يقتضي ظاهرها الحلول والاتحاد والتجسيم، أن تكون أعظم من أربعمئة صلاة وست وعشرين صلاة المحتوى عليها مؤلف الجزولي وفيها من الصيغ الجامعة ما لا يخفى على من له مسكة من العقل والعلم، ومن أعظمها الإبراهيمية على اختلاف رواتها، وكيف يقدر مؤمن متصف بالحياء يحب الله ورسوله، ويعظمه، فضلا عن صالح فضلا عن عارف تصدر منه صلاة مثلا على أي وجه كان صدرها، أن يجترئ فيقول صلاتي هذه، تعدل ثمانين ألف صلاة من الصلاة الواردة عنه صلى الله عليه وسلم، ولو مرة واحدة، وكيف يمكن أن تكون أرجح منها وأكثر ثوابا وفضلا، وهي خرجت من بين شفتي سيد المرسلين أنصح الناصحين الذي لم يأل جهدا في نصيحة أمتة صلى الله عليه وسلم، ولم يدع طريقا للرشد والفلاح إلا بلغها وبينها لهم، إذ لا أعز عنده من نجاتهم وفلاحهم من أن الله تعالى أخبر بكمال الدين وإتمام النعمة وحصول رضاه بالإسلام دينا في حياته صلى الله

(192) راجع الطبعة المصرية لعام 1351هـ 1932م.

(193) هو محمد بن سليمان بن أبي بكر المتوفى 870هـ والمشار إليه قبل، ثم راجع ما سبق حول الكتاني قبل حين الكلام على الفن في عهد المولى عبد العزيز، وكذا فصل "فرنسا أمام نهاية أبي حمارة وبداية متاعب عبد الحفيظ" ويجب أن ننبه إلى أن المولى عبد الحفيظ تعرض للتزوير عليه وأنه كتب ما سموه ب"الجامعة العرفانية حول الطريقة التجانية طبعت بمطبعة النهضة نهج باب سعدون بتاريخ المحرم 1349هـ جوان 1930م، وفي الغالب هو من افتراءات عملاء الاستعمار الفرنسي أمثال الرياحي وسكيرج والقول الفصل في ذلك ما نشره صاحب الرحلة المراكشية ثم القصيدة التي سنختم بها الكلام حول شرك التجاني وضلال الكتاني وهي من نظم المولى عبد الحفيظ، وفيها أوضع دلالة على نفسه الذي عرفت به منظوماته المتعددة في مختلف الفنون والعلوم كما سبق بل وحتى في هجو فرنسا الداعرة.

عليه وسلم، وفي المعيار عن ابن الماجشون أنه سمع مالكا يقول "من أحدث في هذه الأمة شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الأمانة" لأن الله تعالى يقول "اليوم أكملت لكم دينكم" فما لم يكن يومئذ دينا، فلا يكون اليوم دينا. وبسبب هذه الدعوى إلتجأ إليه الناس وفقراء الطوائف، وفرعوا إليه من كل جانب وكان بهذه الاقطار المغربية، بل حتى المشرقية يستمطرون رحمته ويرجون نعمته.

وهذا هو السبب الأعظم في إمتحانه أيام السلطان المولى عبد العزيز، وكان ذلك سنة أربع عشرة وثلاثمائة والـ الف " 1314 هـ 1860 م" (194) وذلك أن السلطان مولاي عبد العزيز (195) يقول إبن الموقت والواقع أن أحمد بن موسى هو الذي أمر بتوجيهه لمراكش لأجل امتحانه لما ادعى ما ادعى، حيث امتحنه بعض علماء مراكش الذين ألقوا عليه أسئلة عجز عن الجواب عنها ولم ينفعه إن ذاك إلا التبرؤ من دعوة المشيخة، وجميع ما كان عليه، وشهدوا عليه بذلك، وأما قصة كشفه وإعلان فضيحته وافتراءاته فقد أوردها إبن الموقت من خلال رسالة قيل أجيب بها والده عبد الكبير (196) على طلبه الرفق بولده الدعي، والتي أجابه بها أحمد بن موسى رحمه الله، وهو ما توضحه كذلك وثيقة الإشهاد على الرجل بتوبته، مما يدل على أن الرجل إنما كان نصابا حتى يحقق لنفسه من الرفاهية على حساب الجهال ما عجز عن تحقيقه قومه الذين عرفوا بالخمول مذ كانوا كما يقول القادري فيما رواه عنه المراكشي في أعلامه، ويقول إبن الموقت بعد الديباجة الحمد لله بعد أن حضر الشريف (197) سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي لدى

(194) وبناء على تاريخ ميلاده كما أورده ابن جمة في الاعلام لابن العباس التعارفي ج 7 / 160 ط الرباط 1977 يكون حين ادعى لم يتجاوز سنه أربعة وعشرون، ولعل في الترجمة التي أوردها له الفاسي في هذا الكتاب ما يكفي للدلالة على زندقته وفساد عقيدته بل وكفره

(195) لأن مولاي عبد العزيز لم يكن وقتها قد بلغ سن الخامسة عشر، بل القصة بوثائقها ورأى أحمد بن موسى فيها توجد ضمن وثائق خزانه عبد الكريم الفيلاي بالخزانة الملكية
(196) راجع الرحلة المراكشية ج 1 / 167-69 ثم راجع وثائق خزانه عبد الكريم الفيلاي خ م ملف المولى عبد الحفيظ.

(197) لأقول بشرف القوم لأن فرقه متعددة والذين انتسبوا منهم قيل أنهم أبناء محمد بن ادريس وأنهم ندموا من الجزائر، وهو قول ابن الحاج في كتابه "الاشراف" مخطوط ص 38-39 وهم أخواله في حين أن علماء الاساب ورجال التاريخ وثقوا وتثبتوا فيما يتعلق بأبناء محمد بن ادريس الذين منهم وفي المقدمة الوادغيريين أهل نجيج وقد تنقلوا شرقا وغربا من أرض الريف الى سوس نون ان يدخلهم دخيل أو يندس بينهم مدسوس =

حضرة سيدنا " الفقيه الأعظم " الوزير الأفخم سيدي أحمد بن الوزير سيدي موسى بن أحمد عن الامر الشريف أسماه الله، وحضر معه جلة العلماء المعينين للحضور لأجل إختباره ، فيما كان يبلغ عنه من إدعاء ما ينافي الشرع والعقيدة : كقوله في أمور أنه وقع له فيها الإذن بالإلقاء من الحق سبحانه، وكقوله في ورقات جمعها ، أن الله لا يخلق الباطل ولا يريد الظلم، كما قاله المعتزلة، تعالى الله أن يكون في ملكه ما لا يريد، وكقوله في قصائد ما يشعر بإنتهاك حرمة الربوبية والنبوة.

ووقعت المناظرة بينهم وبين المدعي المذكور إختبارا له وتحذيرا من ابقائه على زلته مما صرح به أئمة السنة بتكفير قائله، وتكررت المناظرة بينهم وبينه حتى تبين الحق وانجلي، واعترف "الشريف" أن تصريحه بذلك محنة وبلاء، حين تبين له أنه يباين العقائد السننية المحررة ، ويحرف الضوابط الشرعية المقررة واعتبر واعتذر عن إقدامه على ذلك ،

= أو يتجاهلهم مؤرخو ما كتبه ابن الحاج المتوفى 1274هـ - 1857م في كتابه الاشراف على بعض من بفاس من مشاهير الاشراف مما اعتمد فيه على المقري الجذ المزعوم والمطعون فيما نسب إليه غير موثق ناهيك وأن له مصاهرة مع احدهم ومما أورد في ص 38-39 أن أول من سكن منهم فاسا هو محمد بن أبي القاسم بن عبد الواحد وأنه نزل عقبة بن صوال وبها صاروا يعرفون وأنهم وردوا عليها أواسط المائة العاشرة ومحمد نزيل فاس خلف ولدين: علي وهو أول من ذكر في رسمهم الذي عملوه ببينة احد شهودهم فيها كما يقول ابن الحاج ص 39 محمد خروف التونسي شيخ القصار ولم يستمر له عقب كما لم يستمر للفرع الذي كان قد بقي بمكناسة المذكور في الدر السني . وعن ابن الحاج ايضا . ثانيهما عبد العزيز ... ومن أغرب ما يذكر عنه أنه كان يدخل بيت قران زقاق البغل وقت اشتعال النار فيه ولا تؤثر فيه ؟ وخلف عبد العزيز ولده القاسم ومنه تشعبت فروعهم وكان له ولدان إثنان محمد فتحا وأحمد خلف كل منهما أربعة أولاد كما في الدر السني يقول ابن الحاج إلا أن العقب لم يستمر إلا لإبنين منهما علي والعربي من ابنيه محمد فتحا بن زين العابدين بن محمد بن العربي بن بوطالب بن عبد الله بن بوطالب وإدريس وعبد العزيز من ابنة احمد ولذا صاروا أربعة فروع عرفوا بأماكن سكناتهم عقبة بن صوان ، ودرج سيدي حكيم بالعيون وراس الجنان الخ ويقال لبعضهم الذين يربون التميز عن الاخرين أولاد الحلبي نسبة الى أحمد بن عبد الحي الحلبي المتوفى 1120هـ وقد ترجم له في الأنيس المطرب يقول ابن الحاج ، ولهذا الحلبي الضال كتاب سماه "كشف اللثام عن عرائس نعم الله ونعم رسوله عليه السلام" ولعل كشف اللثام هذا هو الذي سيكشف لنا حقيقة بدعة وضلال هذه الفئة الضالة يقول ابن الحاج ص 40 م.خ قال الشيخ الحلبي في كتابه كشف اللثام ... إنه رأى الحق يوما وهو يخاطبه بمعنى لا يقدر على كيفيته ومن جملة ما خاطبه به ، وعزتي وجلالي لأجعلن من ذريتك الشرفاء وقد اعطاه الله ما وعده به في جعل ذريته شرفاء وهم أهل هذا الفرع؟ الخ واستمر ابن الحاج غير متورع في الافتراء على ابن شقرون عبد القادر المتوفى 1219 هـ ثم على ابيه حمدون وكل ذلك من أجل أن يخلص الى مدح زوج شقيقته عائشة عبد العزيز بن احمد بن علي الخ وهكذا فإن الكايتاني متاصل في الضلال والافتراء على الدين ولذا لاغرابة . . . وبالتالي قال أنهم وردوا على المغرب أواسط المائة العاشرة ومن أين من شرق الجزائر يقول الباقر أيضا واسلاماه كم في خبايا هذا الشعب المفترى عليه من فضائح وفظائع.

إنما إتبع فيه أناسا من الصوفية في ألفاظهم الإيهامية المصطلح عليها بينهم، كابن عربي(198) والحلاج، وأنه لم يقصد مداولتها الحقيقية وإنما عبر عن الحق بالإلهام، وأن عبارته في القوائد المصراحة بالإبهامات والتشريك، في الخصائص النبوية، إنما نطق بها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم، متبرئا من نسبة مدلولاتها لنفسه، وردة العلماء عن ذلك بأدلة الكلام التفصيلية .

وإن الشرع المطهر لم يقبل العذر في ذلك إلا بالتوبة منه بعد أن بينوا له ما ينبني عليه من الفتنة والاضلال، وإغراء العوام والجهال، وأن التفويض فيما يثبته ذلك ، إنما يكن فيمن صدرت منه كلمات حال الغيبة بعد بلوغه مقامها، وتخلقه بحصول ثمراتها، ومع ذلك ينكرها قائلها حال صحوه، وأما تكلف استعمالها، في التعبير بطريق الاصطلاح، وإنما هو إضلال وتلبيس واغترار من وساوس إبليس، حتى ظهر له الحق وعاد على نفسه بالعتاب ، ورجع الى الله بالمثاب ، بعد أن ألقى عليه مسائل من أصول الدين ومن التفسير، فلم يجب عنها، وكان مأل الحضور إلى أن أشهد على نفسه أنه برئ من كل ما ينافي الشرع وأنه تاب إلى الله من الإقدام على الألفاظ الإيهامية، وادعاء ما ينافي الاحكام الشرعية، والعقائد السنية، وأن ما صدر عنه من ذلك لم يقصده، وتاب منه ورجع عنه، والتزم إحضار ما جمعه من التقايد ودفعه لحضرة سيدنا "؟" الفقيه أبقاه الله ليظهر به العلم الشريف، ويرى فيها رأيه إسهادا تاما عارفا قدره شهد به عليه شهوده الموضوعة أسماؤهم عقب تاريخه وهو بأتمه، وعرفوه أتم معرفة، في خامس شهر ربيع الثاني عام أربع عشرة وثلاثمائة وألف «. 5 ربيع 2 عام 1314.

عبد الواحد بن المواز ، أحمد بن المواز، العربي بن داود محمد بن محمد الحسن بن الطوي، العربي بن المقدم الأمنيعي محمد بن العربي الدرعي، إبراهيم بن محمد الضرير، عبد الكريم بن سليمان، الهاشمي بن المزوار الكناسي(199).

(198) راجع فصوص الحكم وهي على 27 فصا ألفه بدمشق سنة 627 هـ و1229م والدافع رؤيا رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم. وله شروح لبالى زاد ه بالاستانة عام 1252هـ ولعبد الغني التابلسي ولولانا ملاجمي الخ راجع سركس 179هـ 1928.

(199) الرحلة مصدر سابق 1 / 169-171 ط القاهرة 1351 هـ.

ويخبرنا ابن الموقت أن مثل هذا جاء به المؤرخ الحجوي (200) في خاتمة كتابه " الحق المبين " وزاد بعض زيادات على هذا ونصه : ونقلت عنه مقالات منافية لأصول الدين ، واستعمل تصلية ورد أصحابه إلى الآن يقتضي ظاهرها الطول والاتحاد والتجسيم ، وأنكر عليه علماء الوقت إذ ذاك كخاله جعفر، وابنه محمد بن جعفر الكتاني وغيرهما، كل ذلك بما يطول جلبه وألفوا في الرد عليه، وهاهو عبد الحي الآن يضلله وينكر عليه مقالات عظيمة بوتلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا غرض لي في خوضها .. الخ)) ويقول ابن الموقت رواية عن الحجوي أنه " بقي بمراكش مدة إلى أن تشفع فيه الشيخ ماء العينين الشنقيطي(202) فعفى عنه السلطان وردده لفاس وبيان هذا مسطر في كتاب وزيرى الى خليفة فاس مولاي عرفة رحمه الله، وآخر إلى والد المذكور مؤرخ في شهر ربيع الثاني عام 1314 بمأضء الصدر أحمد بن موسى رحمه الله ومن إنشاء صاحب حجة المنذرين تحت أيدي الناس ببيان أصول من هذا منقول في كتاب الصورة الجمالية في تاريخ إفريقية الشمالية بلفظه فلذلك يظن الناس أن هذا سبب تدخله في الثورة الحفيظية ضد المولى عبد العزيز، والله أعلم بما تخفي الصدور لكن بعدما تم خلع المذكور وتولية أخيه مولاي عبد الحفيظ وجهت إلى " الشريف " الكتاني تهمة أنه يريد الملك لنفسه، وهذا عنده

(200) هو محمد بن الحسن الحجوي الوزير ، صاحب الفكر السامي ولد عام 1292هـ 1875م وتوفي 1376هـ 1956م وذلك بعد خلل عقلي أصيب به في آخر عمره بسبب الصدمة العنيفة التي لم يقو على مواجهتها إثر إعلان عودة محمد الخامس من منفاه ، واستقلال المغرب ذلك انه لاسامحه الله كان من الضالين المغالين جدا في التعلق بالاستعمار الفرنسي بدعوى تخلف المغاربة وعدم نضجهم ، هذا مع غزارة علم وهو صاحب كتاب "انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره م.خ.ع 123ح ولقد عاقبه الله على ما قدم من عمل ضد الدين والوطن وخدمة للاستعمار بما ابتلاه به من فقد للعقل حتى كان يخرج إلى الشارع حافي القدم تائها في الطرقات وفي حالة هي أشد العقاب من الله.

(201) من الحيل التي استعملها الكتاني وقد أشار عليه بها بعضهم بمراكش هو الكتابة إلى ماء العينين يستغيث به ، وماء العينين الذي كان وقتها عام 1314 في زيارة لمدينة مراكش بدعوة وكما علمنا من احمد بن موسى كان له سلطان رويحي على الوزير الصدر أحمد بن موسى بن احمد صاحب الامر والنهي وقتها لانه هو الذي ساعده نفسانيا على الامل في الانتصار على أولاد الجامعي حين كتب اليه أحماد يستغيث بدعائه كما سبق ، ولو لا تدخل ماء العينين لكان الحكم غير ما حصل تعزيرا وعلان الكتاني التوبة بل لربما كان القتل الذي قال به بعض العلماء ، ومنهم ابو شعيب الدكالي بعد وهو ما نفذه بعد المولى عبد الحفيظ الذي تأكد من خيانة الرجل وتأمره على المسلمين مع الفرنسيين وأبي حمارة ، كما سبق لنا أيضا ، وأكده علال الفاسي في الحركات الاستقلالية ص 153 ط 1948 زيادة على انحرافه الذي كشفه أحد الخدم المسمى قنور وأكده شهود الإثبات وهو ما بقي مستمر بالوراثة كما يعلم القوم عن "امسيكة".

يقول الحجوي هذيان من القول ولم يكن المذكور إلى هذه الدرجة من الإنحطاط حتى يفكر فيما هو محال عادة، إن لم نقل عقلا، ولما شاع عنه ذلك لأسباب أوغرت صدر مولاي عبد الحفيظ، وكثرت الوشاية به كاشتراطه في عقد البيعة إلغاء عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء الشهير في تاريخ المغرب «وقد كانت فرنسا تريد ذلك لأنه تم بتدخل العدو التقليدي للفرنسيين الذين هم الالمان» من أنه بإتفاق دول أوروبا وتلك رغبة كانت تتطلع إليها فرنسا بتلief حتى تنفرد بالمغرب - ولم ينتبه ابن الموقت إلى أن الكتاني وقتها أصدر نشرة من أربع صفحات مطبوعة على الحجر أو بالأحرى على نفس المطبعة التي أنشأتها فرنسا من وراء ستار، والتي أنشئت بإسم الدويب وهو عبد السلام بن عبد النبي الفاسي عام 1320هـ 1902م وبعد مضي سنة على تجربة الكتاني من طرف الفرنسيين أخذوه إلى مرسيلة التي توجه إليها بإسم الحج، وقد كتب محمد العربي الطريسي إلى المخزن ما بلغه من معلومات في الموضوع لكنها أخفيت على المولى عبد العزيز، ثم كانت مجال مساومة من حاشية السلطان مع الفرنسيين، خصوصا عبد الكريم بن سليمان ومحمد كاباص "الجباص" (202).

لقد حاولت بعض الجهات الفرنسية كشف مساعدة الكتاني جهارا في صحافتها مثل ما نقلته مجلة العالم الاسلامي الفرنسي في عدد 3 من السنة 2 لعام 1908م ووقتها أدرك المولى عبد الحفيظ أن مطبعة الدويب وما يصدر عنها من نشر، وكانت تهاجم أخاه عبد العزيز وتنتصر له، وأنها بمثابة السم في الدسم ولذلك إختار تأميمها وإخفاءها من الوجود، خصوصا لما بدأت تحرف شؤون الدين وتنشر الخرافات والدجل، ومثل هذا حصل بإسم سنان القلم التي أصدرها عام 1325هـ 1905م تاجر يعرف بإسم محمد العابد بن سودة، ثم نشرت بإسم المفاكهة 1326هـ 1906م أصدرها الخائن الحقيير الذي ما عرف تاريخ ما قبل الحماية خسّ رجل أساء إلى الإسلام والمسلمين إلى جانب الاستعماريين الفرنسيين، وهو عبد الحي الكيتاني شقيق محمد المذكور، والذي كتب في أخيه كتابا كفره فيه سماه "أداء الفرض" وهو ما ورد في مذكرات عبد الحفيظ الفاسي مخطوطة خاصة بخزانة المؤلف ثم نشرة رابعة بإسم "تنبيه المستبد" ومجموع هذه

(202) راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلاي بالخزانة الملكية ملف السلطان عبد الحفيظ.

النشرات التي قيل عنها ما أراده تجار أهل فاس ، من مسلمة اليهود وأعلاج النصارى ذوي الحمايات وأبنائهم، وكما تؤكد ذلك تقارير محمد العربي الطريس رئيس دار النيابة وقتها بطنجة، أن الذي كان يحرك تلك النشرات إنما هي القنصلية الفرنسية ، واشتد تنافس أصحاب النشرات من أجل جلب إنتباه واهتمام السفارة الفرنسية عندها (استغنت عن العميل الجزائري إدريس الجيجلي بيد أنها جلبت أخس منه وأحقر، وهو اللبناني المسيحي وديع كرم، ذلك أن السفارة قبل إستعملت أصحاب النشرات حتى لا تكتشف ألمانيا نشاطها، لكنه لما انكشف وتم الاتفاق الألماني الفرنسي لم يعد ثم ما يدعو الى السرية، فظهر ما كان خفيا، ومنه عمل الكتاني محمد بن عبد الكبير بإسم التصوف، وإذا كان تنظيم المولى عبد الحفيظ الوطني أقوى ، فإنه سرعان ما افتضح القوم وأكثرهم تهورا محمد بن عبد الكبير الكتاني فبعد حلوله بفاس - أي المولى عبد الحفيظ- أهمله ولم يجن الكتاني خيرا من أعماله، ولا حصل على شئ من أماله، ولما أظلم الجو بينه وبين السلطان وجه عياله وأهله وأصحابه خفية إلى أتباعه من برابرة بني مطير(203) قرب مكناس، وخرج فارا بنفسه، فوجه السلطان في طلبه، و لم يبذل كثير عناء في تحصيله، بل كان أيسر من تحصيل عصفور ... وأتى بهم مصفدين ودخلوا فاسا كذلك في شر حالة يتفطر لها قلب الجماد -يقول عبد الحي في مذكراته -خ.ع3061ك - واشتد غضب السلطان ويطشه به وبوالده وأخيه عبد الحي ومن معهم ثم بعد شفاعات عفا عن الكل ما عدا محمد الكتاني فإنه قتله صبورا وقيل مرض فمات الخ وكان من الذين افتوا بقتل الزنديق لكفره حسب قوله الشيخ أبو شعيب الدكالي وغيره ولقد سجل لنا عبد الحي أنهم خرجوا من فاس يوم 24 صفر 1327 واعدوا بعد أربعة أيام وكان الجلد يوم 17 ربيع الاول ومات يوم 13 ربيع الثاني كما سجل ذلك عبد الحي نفسه راجع مذكراته في الخزانة العامة رقم 3061ك وعبد الحي هذا هو الذي كتب في حق أخيه محمد كتابا سماه "أداء

(203) اشرنا قبل الى أن قبيلة بني مطير عربية وأنها ليست بالبربرية الاصل ، بل تبريرت لهجة وبعضها يوجد بالكويت وبمصر تقيم في مناطق أسيوط الشرقية والفيوم ، راجع تاريخ الفيوم للنابلسي ص 14 وتاريخ سينا، لنعوم شقير 724-725 ومعجم قبائل العرب لعمر كحالة 3 / 1112 ط دمشق 1949م. ومطير كذلك توجد بمنطقة الكويت جنوب ارض العراق ولما ذا إختار بني مطير راجع ايضا كتاب الاشراف لابن الحاج فقيه قصة الحاج المطيري مع أحد الكتانيين الخ.

الفرض كفر به اخاه ، وقد ذكره كاتب الترجمة في أعلام التعارفي وهو عبد الحفيظ الفاسي عميل إدارة الحماية ومؤرخ ابن عرفة.

وأما حال هذه الطائفة الضالة في العمارة فقد تعرضنا له حين كلامنا في فصل سابق حول الدين المفترى عليه، وكيف يذكرون الله بطريقة هي البدعة والضلال حين يقفون في جماعات ثم «ترتفع اقدامهم عن الارض نحو الذراع، ولا تسمع منهم الا لفظ - أح أأح أح أح أأح، او لفظ كخ كخ كخ. . . فانظر لهذه الأسرار التي أدخرت لهذا المتصوفة من أهل القرن الرابع عشر حتى ظنوا أن الاشتغال بهذه العمارة من أعظم القربات التي توصلهم لحضرة الحق» ثم يقول ابن الموقت " نعم وصلوا بها لجحيم الانقطاع وهاوية الانفصال وسعير الحرمان ونار البعد " فإنها لا تعمى الابصار ولكن نمى القلوب التي في الصدور(204).

ومن خلال ما كتب عنه ولده الباقر يدرك القارئ ما للقوم من وراثة في الدجل(205) لله من خلال ما مضى من كشف لأحوال المغرب وما تعرض له من زندقة وكفر وشرك بضلال كلها متمثلة في أشباه المتصوفة من المرتزقة الذين إتخذوا الدين وسيلة لتحقيق أغراض ساقطة والارتواء عن شهوات مادية حيوانية أكون قد أعطيت القارئ المسلم سريرة واضحة عن المغرب وكيف وجده دعاة السلفية الذين حاولوا صادقين أن يغيروا أحواله ويدفعوا به نحو الطريق الأمثل الذي به إنتصر وحافظ على دينه ومقوماته.

(204) الرحلة 1 / 173.

(205) كتب ما أطلق عليه الشيخ محمد الكتاني الشهيد " ط الفجر 1962 بمقدمة نسبت للمجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي رحمه الله وكلها تحامل على السلطان عبد الحفيظ من صنع الكتانيين في الوقت الذي كان الخطابي يشيد بعبد الحفيظ وينسب إليه الكثير من المكارم وكيف وقد عرفنا انه الذي موله ودفع به للمقاومة راجع ما سبق ثم راجع ما كتبه الكتانيون بتمعن تدرك أهدافهم المكشوفة هذا مع العلم أن البطل الريفي كان على علم بإجرام المسمى ناصر الكتاني الذي ألقى عليه القبض بالقاهرة يوم 24 / 8 / 1956 بتهمة التجسس لفائدة الاستعمار ثم حكم عليه بالمؤبد بل الاعدام الى أن اطلق السادات سراحه مع عبد الله الغماري الذي كان محكوما عليه بالاعدام سرحا بتدخل مغربي واخيرا مات ناصر الكتاني بالمغرب في حادثة سير الخ ويلا خجل ولا وجل أورد له عبد الهادي بوطالب فيما كتب عن ذكرياته وشهادته ووجوهه المزفتة ج 2 ص 604 صور مع البطل الريفي كتب تحتها " بريس مع . . . مذكورة حزب الشوري 1947 م واية مذكورة وقتها يابوطالب هل تلك التي قدمت الى جوان حول الدستور ثم كتب حولها محمود شاكر تلك الصفحات التي وجهها محمد العربي العلمي عار واي عار مسخ التاريخ لقد كان من حق بوطالب ان يكتب لنا حول ما قاله للبطل الريفي هو ورفيقه في الصنعة احمد بن سودة عام 1952-1954. من حيث حول... لا أندس به صفحات هذا الكتاب الذي لامجال فيه لذكر كلاب المزابل الذين لهم في مذكرات الوطنية والخلق أسوأ الذكر.

الفصل الستون بعد المائتين المغاربة والتهيه في مجال العقيدة والضلال

لقد جاء الإسلام بأعظم رسالة للبشرية هي رسالة التوحيد تلك الرسالة التي تميز بها الإسلام والتي عبر عنها رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله "لا إله إلا الله" والتي عرفت الكثير من الشروح بأسلوب جد جميل ومقنع من كثير من علماء المغرب، وكلهم يقصدون من الشرح البعد بالمغاربة عن الخرافات وما تجره من ضلال، وكثير منهم كتب كذلك حول أسماء الله الحسنى؛ وحول رسالة التوحيد والغاية التمكين لفكرة التوحيد بعيدا عن الخرافات وما تجره من ضلال فقد ثبت أن من سنة الله في خلقه أن يكون للعقيدة سلطان على الاعمال البدنية، فما يكون في الاعمال من صلاح أو فساد فإنما مرجعه فساد العقيدة وصلاحتها، فالتوحيد الخالص من الشوائب الصادر من القلب تتبعه حتما جميع الفضائل المتعارف عليها ، فكلمة التوحيد ترسخ في قلب قائلها بأن لا معبود ولا محيي ولا مميت ولا رازق ولا نافع إلا الله الواحد القهار كما ان عقيدة التوحيد الصادق تفيد معتقدها أكبر فائدة في حياته فهي تنمي فيه عاطفة الاستقلال والحرية، بحيث يؤمن أنه لا سلطان لأحد عليه، وأن ما يسعى له رجال الدين الذين يتخذونه وسيلة لتحقيق أغراضهم لا يجدون ذلك إلا في المجتمع الذي فسدت عقيدة أهله، أما السليم الذي تتمكن فيه عقيدة التوحيد والتربية الإسلامية الصادقة ، فإن الدجل والخرافات وما يسلكه أشباه المتصوفة بإسم الدين لامجال فيه لذلك، وإنما المجال فيه لكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: في سورة آل عمران الآيتين 18-20 «شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب، فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن إتبعن، وقل للذين أوتوا الكتاب والإميين أسلمتم، فإن أسلموا فقد

اهتدوا، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ، والله بصير بالعباد» فالقرآن هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو دستور الاسلام الأعلى والوحيد، وهو كتاب مبادئ وأصول لاشرائح وتفصيل والاحاديث النبوية الصحيحة لا يمكن أن تخرج عن كونها شرحاً للقرآن، فما ند منها عن ذلك لا يمكن قبوله ويتحتم علينا أن نعتبره منتحلاً، ومثله ما يروى عن السيرة النبوية، ولاعجب في ذلك فإن بدء تدوين الحديث بعد محمد بن شهاب الزهري على يد عروة ابن الزبير، وكان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بأكثر من نصف قرن وقد تجردت تلك الأحاديث عن أي سند كما أن الاهتمام الجدي بالتدوين لم يقع إلا في القرن الثاني الهجري، وكثير من هذه الأحاديث مناف كل المناقاة لروح الاسلام التي قصدها وهدفها الصالح العام، وأول ما إهتم به هو إصلاح العقيدة ومن أدخل فيه مالم يأت به الله فقد ظلم نفسه وكفر بكتاب الله وكذب رسول الله ، وحتى الخلافات الدينية التي إستعرت نارها في القرنين الأول والثاني للهجرة بعد الفتنة الكبرى، وما تبع ذلك من صراع بين أهل السنة، والشيعية، والمعتزلة، وكذا السياسة والخلافات التي قامت بين بني أمية وبني هاشم، كل تلك الظروف وما عرفت من الانتحال الذي اندفع إليه المغرضون عن طريق غير شعوري كان مقصوداً إنتحاله لغايات ومآرب سياسية، وقد سبق أن بينا قبل كيف عمل الذين في أفواههم ماء بتدليسهم عشرات من ألوف الرويات الكاذبة ومآت آلاف الأحاديث المختلقة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان هذا الانتحال في الغالب من بعض الذين كانوا يريدون صحة وجهة نظرهم الدينية أو السياسية، لكن الذين تنبهوا لذلك من علماء الإسلام والأئمة الذين وضعوا علم مصطلح الحديث وهو علم يعرف به أحوال السند والمتن، وكيفية التحمل والأداء وصفات الرجال أي من عدالة وفسق (206) الخ وغير هذا فقد جاء بعض المعاصرين مدفوعين بالغيرة

(206) ينقسم الحديث والاسناد عند أكثر علماء هذا الفن إلى ثلاثة أقسام : صحيح، وحسن، وضعيف وتحت كل انواع بحسب مراتب القوة، ومراتب الضعف، فهناك الصحيح لذاته، والحسن لذاته، والصحيح لغيره ، والحسن لغيره والحديث الضعيف، والمتواتر، والمشهور، ثم الحديث العزيز والغريب والسند، والمرفوع والموقوف، والمقطوع، والمتصل ، والمعنعن والمؤنن " نحو إن فلان قال كذا " ثم الحديث العالي، والنازل، والمسلسل، والمديج ، وهناك رواية الاقران ، والأكابر ، عن الأصاغر ثم هناك المتفق والمفترق والمؤتلف، والمختلف، والحديث المتشابه، والمبهم ، والملق والمرسل، والمدلس ، ثم المنقطع، والمعضل، والمضطرب، والمعول والشاذ والمتكرر والمقلوب ، والحديث المدرج =

الإسلامية وقاموا بدراسات لها اعتبارها في مجال النقد والتصحيح دفاعا عن السنة المحمدية (207) لكن ماذا جرت إليه الطرق الضالة مما أفسد الدين والدنيا .
 هذه الطرق وتلك الطوائف هي التي أفسدت على المسلمين حياتهم وصيرتها جحيما وسعيرا يتلمس الضالون منهم النجاة فيها بواسطة دعاة الضلال من الذين زين لهم الزين والشيطان وأهواء النفس إستغلال ما حولهم من الجهال الذين لم يعرفوا حقيقة الدين الإسلامي حق المعرفة، ولقد كان حظ المغرب من هذا الضلال كبيرا في فترات مختلفة، وأكبر منه في نهاية القرن 19 وبداية العشرين، وهي المرحلة التي عرفت صراعا خاضه من أجل إصلاح العقيدة كثير من العلماء المشار إليهم قبل لكنهم جميعا إما إستسلموا أمام استبداد الحكم أو لم تطل حياة بعضهم، أو لم ينقطع الى العمل كلية من أجل الدعوة الى البحث والاصلاح والتجديد، كما حصل من شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي أوقف حياته من أجل خدمة الدين والدنيا في هذا البلد فقد قال رحمه الله: لقد وجد الدخلاء في الاسلام التربة صالحة لبذور الشعوذة والتحريف ، فوجهوا الامة للبناء على الاموات وأكثروا من الحض على زيارة القبور والإشادة بذكرها ، وأكثروا هم أنفسهم من الرحلة إليها، واختلاق الكرمات لها ، بل ولانفسهم حتى صرنا نغفل عن الحي الدائم ونستنصر الموتى ونستسقى لهم ونسميهم رجال البلد (208) ولعل مدينة مراكش وفي عهد محمد بن عبد الله ضربت الرقم القياسي في البناء علي القبور وتشبيد المزارات وتعددتها كما رأينا وسنرى.

لقد عرف المغرب من الخرافات والخرافيين والشعوذة والمشعوذين ما لم يعرفه قطر آخر من أقطار المغرب العربي الكبير، وكان مجال الخرافة والشعوذة الأضرحة والقباب

= والمتروك، والموضوع ، والمهل ، والمزيد في متصل الأسانيد والمصحف ، والمحرف ، والمعروف والمحفوظ ، والتابع والشاهد ، والاعتبار ، وأما طرق تحمل الحديث فعددها ثمانية ، وبها وما سبق يتكون علم مصطلح الحديث الذي ثمرته معرفة الحديث الصحيح من غير ، وعندما نضع مفترقات التجاني والكثاني وما ادعاه كل منهما أمام هذه الفاييس نخرج بشئ واحد وهو اللعنة الصريحة لمن يقترى متعمدا على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وبذلك قال من « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ... »

(207) راجع كتاب محمد أبو رية أضواء على السنة المحمدية ط 3 مصدر سابق .

(208) راجع جريدة العلم 9 / 9 / 1957، وكان هذا يوم تدشين بناء مسجد يفران بالاطلس المتوسط، ولولا نية محمد الخامس وإيمانه بواجب التمكين لرسالة الاسلام الحق لأصبح أهل مدينة يفران اليوم يتوفرون على ضريحه شيده الحاكم الفرنسي عام 1942 الخ اطلق عليه سيدي بودقيف راجع تعليق (73) قبل.

التي شيدت على بعض "الصالحين" والتي تكاثرت حتى شيدت في البادية علي الحمير، والبغال والكلاب ثم أصبحت هي الأخرى مزارات ونبداً بالحمارة التي شيّدوا عليها ضريحا أصبح مزارا في أرض دكالة، وذلك ما بين الجديدة وأزمور وهي معروفة على الطريق السيار ، وأختها في تاونات بين لحياينة وشراكة قريبة من م علي بن زهرا، في طريق بوشتي الخمار، ولكل منهما قصة، وفي أبو يعزى "مولاي بوعزة" يلنور بن ميمون المتوفى في أول شهر شوال عام 572هـ ودفن في جبل إيروجان ، وبالقرب من قبره دفنت بغلة نسبت إليها هي الأخرى الكرامات وكلما أقيم الموسم علي قبر أبي يعزى كانت البغلة موضوع زيارة ، من آلاف الزوار المدفوعين الى الشرك عن قصد وسابق إصرار من المسؤولين الذين حلوا محل القوم السابقين وفي الريف حيث قبة شعيب بن مفتاح بقبيلة تمسمان، وبالقرب منه بني علي كلبة قيل أن شعيبا هذا أوصى من يقصد زيارته عليه أولا أن يبدأ بزيارة الكلبة التي كانت حسب زعمهم تقوم له بمهمة الاتصال إلى درجة أنها كانت تقطع البحر محملة برسائله إلى أهل الأندلس، أما الكلب كما سبق أن أشرنا فقبته بأعلى ربوة حيث المقابر في مدينة ميدلت، بالأطلس المتوسط ، وكان الذي أمر بتشييدها هو أحد الفرنسيين الضباط عام 1917 وهي السنة التي احتلت فيها المدينة كما سبق ولما مات الكلب كان غالبا عند صاحبه أمر بأن يبنى عليه، ثم أطلق عليه إسم عبد القادر الجيلاني، وذلك استهتاراً من الفرنسي الخبيث يقول الجندي بوعرفة الذي حضر وساهم في البناء، وبذلك يعرف حتى اليوم وفي عهد الاستقلال ويل لمن حاول أن يعرف الناس على ذلك أو يدعو الى الاسلام الحق بإلقاء درس في مسجد أو محاضرة في ناد، فالشرطة بالوامر الصارمة له بالمرصاد، بل بسبب ذلك كم عرف المؤمنون الصادقون من أنواع الأذى. أمثال الأستاذ التهامي هرشة بميدلت وهو المسلم المؤمن الصادق لما تناول على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد السذج قصد تصحيح العقيدة خصوصا حين يحضر وليمة لأحدهم في مناسبة ما ومن أجل ذلك عرف الاعتداء والظلم والقهر والتهديد والوعيد كما نشرت الصحافة المعارضة وقتها وبالعكس عرف المفسدون المنحرفون في المنطقة انواع التكريم الى درجة أن محمد ولد احمد بن عبد القادر لغريسي المعروف ب "احمد العلوي" أرسل طائرة خاصة تحمل المنحرف محمد باعوت من قصر السوق إلى الرباط عام 1962م والعامل وقتها العربي الفحصي وهو حي يرزق هذا

في الوقت الذي كان أحد الأشراف طريح الفراش لا وسيلة له يتوجه به إلى المستشفى من الريصاني إلى قصر السوق 90 كلم إلخ.

وهذه الأضرحة التي إنتشرت هنا وهناك ، بحيث -لا يخلو منها مكان في المغرب ، لم يقتصر في الشرك بها على الزيارة والاستغاثة ، بل وعلى الذبائح كنذر، وهذه المصيبة التي يتنافس عليها أغبياء المغاربة ، والتي يقصد من ورائها أن يحقق لهم المذبح عليه وباسمه مطالبهم الدنيوية أصلها عادة يهودية ومثلها قراءة القرآن على الميت وقت موته ريفت الخروج به بحيث يردد اليهود وقتها قولهم «فيحيا أد ناي سيملخ» أي إن الله ملك الأرض ومن عليها "وعند اليهود كذلك وقت الاستعداد للدفن يمرر الولد البكر قطعة من الثوب على وجه أبيه ، ومن حوله يرددون بأصوات عالية " أنوخي إيريدي" ويقولون هو قول خاطب الله به يعقوب قبل دخوله مصر(209) أما الذبائح والنذر فأصلها كذلك عادة يهودية ومنهم أيضا إستمد السحرة ما أشاعوه بين جموع النساء حتى انتهى الامر الى ما أصبح مشاعا في المغرب مما يعتبر هدمًا للدين إذ في المغرب أكثر من غيره شاع وانتشر ما عرف لهاروت وماروت ، وإذا كان أكثره ورد على المغرب من العراق فإن العراق، عرفه من اليهود إذ فيه شاع وانتشر من العادات أغلب ما هو منتشر في المغرب ، وبعضه الآخر من مسلمة اليهود واعلاج النصارى الدين وردوا على المغرب من الاندلس .

فالحساد الضاريون بالعين علمو المرأة لطعنهم أن تستعمل "خمسة وخميسة" ومثلها اللون الأزرق الذي كان قليل من المغاربة من لا يستعمله لأنه يجلب الحظ وهذا هو السبب في استعمالهم لذلك اللون بكثرة في الصحون الفاسية وفي القشاني والفسيفساء التي تلبس بها الجدران وقديما في أرض الفرس اختص به الأكاسرة واستعمال الأحجية وترك الغدائر عند الأطفال، وثقب أذن الطفل الوحيد أو المدلل، ثم وضع حلقة فيها من ذهب أو فضة كلها وردت علينا من العراق حيث لا تزال تلك العادات حتى اليوم في بعض الجهات والمرأة العاقر تحبو تحت واقف سبع مرات، لينفك عقمها ، وردت علينا

(209) راجع العوائد العتيقة للإسرائيليين بالمغرب من المهد الى الحد لإليا مالك ص 78 ط الرباط 1962م
 وراجعت يدرك القارئ ما أدخل من عادات اليهود وطقوسهم في الاسلام بالمغرب ، وغيره من بلاد الاسلام بدءا من العراق هذا في الوقت الذي ثبت من خلال حياة الرسول ص أنه تخلى طيلة حياته عن تلاوة القرآن على الميت، ذلك أن القرآن العظيم خص الله به الاحياء ، وليس الاموات "إن هو إلا نكر وقرآن مبين لتنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين" الآية 7 من سورة يس.

من العراق ثم كيفة في فاس ومراكش بالذات حسب معطيات البيئة ، بيئة ضريحي علي بوغالب والمولى إدريس "باب الحفاة" وسبعة رجال(210) حيث تعقد الأقفال وتربط الخرق في الشبايبك وأبواب الأضرحة ، والأشجار المعتقد فيها ، والتي أصلها من عادة

(210) لقد عرفت مدينة مراكش ما لم تعرفه مدينة أخرى من كثرة الأضرحة والمزارات، وجلها من أجل التنافس على جلب الانتباه ووفرة الاحترام وإبعاد الظلم والاعتداء الذي اشتهر به حكام المغرب عبر التاريخ ، والذين هم كذلك كانوا يتراجعون كلما إنتهى المتظلم الى الاحتماء بضريح أوولى شهير، سواء كان من المتصوفة أهل الذكر أو اللامتية أهل الجذب ، ولعل ذلك هو الذي عدد المزارات بمدينة مراكش في نظرنا ، فكان منها مايلي حسب ما وجدته بوثيقة عبارة عن رسالة كتبها أحدهم لصاحبه من مراكش الى تافيلالت يخبره فيها أنه زارها بإسمه حيث التمس له من " بزكاتها " ما زعم وهي كما يلي:

باب اغمات : لاله اخويرة ولا له عيشة قنديشة؟

حومة سيدي يوسف بن علي ، سيدي بولبن، سيدي اعلي بناصر، سيدي سالم ، سيدي السفاج، سيدي احمد بن احمد ، للا ميمونة تاكنات ، العزبات المرفوعات ، سيدي يعقوب الدباغ، سيدي سوسان ، سيدي سالم بعرضة م الرشيد لالة نجم السكراتي ، سيدي محمد بن صالح، سيدي أيوب بن احسن .

باب الدباغ : سيدي محمد والحاج.

باب الخميس : سيدي جابر، سيدي البروشي ، سيدي ابو العباس الشاذلي ، سيدي احمد الزاوي سيع قبا ب سيدي ابو العباس السبتي ، سبعة رجال ، سيدي غانم للا عيشة احساين ، للا اعويشة المجنوية ، سيدي ويحان زوجها ، للا بنت العمري ، سيدي الطاهر؟ سيدي فرحان ، سيدي زيد ، السلطان لكل ب م يعقوب بن منصور ، سيدي محمد بن سليمان الجزولي ، سيدي احمد السوسي بن أدغوغ ، سيدي الغازي ، سيدي موسى الزحاف . باب دكالة : ارجال المرجة ، سيدي بو عمران سيدي بولباززل، سيدي مسعود ، سيدي بنور ، سيدي احسن واعلي ، سيدي عبد العزيز التباغ ، سيدي حمزة ابن علي ، سيدي سعيد أحنصال ، مولاي احمد بن الطالب ، للا بنت سيدي ، سيدي علي بن قاسم ، للا الكتيبة؟ ورجال الركني ، وملوك السعديين ؟ للاربيعة العدوية.

باب الرب : مولاي عبد الله بن أحمد الغزواني ، سيدي بوتاغيا سيدي موسى ، سيدي إلياس الرگراكي ، سيدي ميمون الصحراوي ، سيدي امبارك الدرار ، سيدي يوسف بن تاشفين مولاي اليزيد ؟؟؟ للا عودة سيدي منصور ، زاوية مولاي عبد القادر الجلاني الإمام السهلي ، مولاي عبد السلام بووشكة ، سيدي أحمد العمراني سيدي أعمارة، للا بنت لعروصي.

التوارك: سيدي احمد الكامل ، سيدي بولوقات ؟ سيدي بوافصيل للا لطف .

باب الرحبة : سيدي بوالرجال ، سيدي يسحاق ؟ رجال الرحبة، سيدي العربي ، سيدي أحمد بن علا، سيدي ج اليماني ، للا يمن بزید ، للايزا أحمد ، للا الكوش بالكتيبة، للاشاش بها ، سيدي محمد بن تعريف م عبد الله السعدي ، وبنته للا اهو؟ سيدي عبد الله وارزوق، وهو من رجال سبنة، سيدي منصور ، سيدي اسمر القنديل م علي الشريف للا محمل "؟القاضي عياض بباب إيلان، سيدي بونقيست بدوار اگراوة: سيدي بو الرشش بجنان بن شگرا، بن يحي القرطبي بباب الخميس : سيدي داود برياض الزيتون القديم سيدي بوزيد بباب احمر ، للا خضرا بتشبشبت للا تحضريت للا نجوم، سيدي بوناگا سيدي مسعود،

بباب الرخا سيدي: مبارك الرگراكي بسوق الغزل سيدي عرجان ، م أحمد البلغيثي ، للا رقية بنت لمر، سيدي داود باسول سيدي اعلي الطير ، سيدي اعلي بن يعقوب بكيليز ، رأس العين ، اسعيد الكوط الخ الخ ومثل هذا كان غالبا في جل مدن المغرب الشبيهة بمراكش وهي مدينة فاس التي زرکشت في داخلها وما حولها =

عقد المرأة العراقية وتعليقها حول المدفع القديم المسمى عند العراقيين أبا خزامة " الذي كان بالقلعة ، والذي كن نوات الطفل الوحيد يضعن رأسه في فوهته حتى يعيش طويلا والطفل والمرأة ، وحتى البقرة، والحصان، تعلق في أعناقها الأحجبة وكل ما يدفع عين الحسود كلها وردت علينا من العراق والفتاة في فاس حين طلب الزواج تضع سروالها يوم الجمعة بحوض باب الحفاة من الحرم الادريسي تدوسه اقدام المصلين الذين يغسل الحفاة منهم أقدامهم في حوض بالباب وقت دخولهم جامع الضريح، هي الأخرى عادة ردت عليهم من العراق حيث تحج طالبات الزواج إلى ضريح الكاظم أربعين يوما بحيث تخرج كل يوم مرة حافية القدمين عارية الرأس ولا تكلم أحدا، وفي جهات أخرى من العراق الأكل من حلوى الافراح وهذا ما إستمدته المرأة التطوانية الاندلسية والفاسية أكثر من غيرها . ومما يؤكد لنا ان هذه البدع التي كانت في بدايتها كنا موس أفسدت العقيدة وضللت عامة الناس حتى أن ظاهرة السحر والاعتماد على التائم والاحجبة والتعاويد التي بدأها بلا شك رواد الأضرحة، وأنها كانت من شبه المتصوفة، ومنهم انتقلت إلى حفاظ القرآن العظيم ومعلميه في الكتاتيب الذين يروقهم مدفوعين بالحاجة احيانا وبالشر والنهم أخرى أن يلجأ إليهم طالبوا الحاجات بواسطة الأحجبة التي تنوع القوم في صوغها من جداول تحيط بها آيات قرآنية وأسماء الله تعالى ثم أسماء الملائكة، والجن ، والرسل والاولياء ، المشهورين ، مخلوطة بتركيبات عديدة ، وأشكال هندسية، مما يدفع الطالبين إلى اعتقاد أن ذلك كله له خاصية خفية عظيمة وكان الذين نشروا ذلك

= بالاضرحة والمزارات ولعله بجولة عابرة في كتاب فاس لروجي لوطونو 837-867 ط دار الغرب الاسلامي ببيروت 1986 يكتشف المرء مدى ما تعرفه تلك المدينة من قبور وأضرحة كلها مزارات يتردد عليها النساء والرجال بطريقة هي الشرك الصراح بل هي الشرك والكفر والضلال ولقد عمل عهد الحماية والاستعمار على حمايتها باسم ف 3 من عقد الحماية بزعمهم راجع مختلف الدراسات التي قام بها بعض الاستعماريين .

ميشو بلير : دار وزان

ديوبون وكوبولاني

سليمان : طرق المغرب وزوايا

ج هيربير : حمادشة

برونال: عيساوة بالمغرب والدوغيون الخ إلخ وعلى نهجهم سار عملاؤهم في عهد الاستقلال كما يحفظ التاريخ بمذكرات الشعب المفتري عليه يتقدمهم محمد ولد احمد بن عبد القادر لغريسي "احمد العلوي" وهو شخص عديم القدرة على الكتابة سواء بالفرنسية أو العربية انما باستغلاله للنفوذ دمر كل شيء فباسم السياحة أصبحت مظاهر الدين عنده نوع من القولكود

بكثر في القرون الخوالي هـ الأتراك ، خصوصا منهم رجال الانكشارية وموظفي الدولة الذين كانوا يطلبون تحقيق أغراضهم ومقاصدهم بواسطة حمل تلك الأحجبة التي تحولت مع الزمن إلى حمل مصحف صغير ملفوف في غلاف من الجلد المزركش والمطلى بالذهب يعلقونه على الجانب الأيمن بخيط من الحرير يرفوق الكتف الأيسر، وفي المغرب وبالأخص مدينة مراكش التي عرفت فرقة من الجنود الأتراك في عهد السعديين فقد تحول المصحف الى دليل الخيرات للجزولي وحزب البحر لعبد السلام بن مشيش ثم حزب الشاذلي ، في مجموع كثيرا ما يكتب لذوى الجاه والثراء بطريقة جد جميلة، وكان المختصون في ذلك آل الفاسي بدءا من عبد القادر الذي كانت حرفته النسخ وكتابة الحصن الحصين" ولقد كان لصناعة الأحجبة والرقى ما عرفت به من خرافة ودجل وشعوذة مجال جد أوسع لم يقتصر على المرأة والطفل والبقرة والحصان بل إنتقلت إلى التأثير على الرجال حتى اصبحت الأحجبة مطلوبة كذلك لجلب الرزق والحب بين الرجل وزوجته وغيرها بل وللتدمير والحسد، حتى كانت الأحجبة من بخور، بالشب، والحرمل والكزبرة والملح، والميعة في أوقات معينة، بل وحتى لمرض العينين "الرمد" أيضا، ولقد كانت ولا زالت أيام عاشوراء بالمغرب ، وخصوصا اليوم العاشر من شهر المحرم، موعدا لتمكين لتلك الشعوذة في كل مدينة من المدن الكبرى حيث النساء يتخاطفن كل وما تقصد تحقيقه. من وراء ما يجمع من أعشاب للبيع في ذلك اليوم.

أما في البادية فالعطارون من لوازم مبيعاتهم بأسواقها خليط البخور الغير المعروف التركيب من كثرة محتوياته - لايزال من المعروضات التي لا يخلو منها سوق من الاسواق ، والذي لابد للعجائز في تسويقهن من شرائه لأنهن عادة اللآئي يعتنين كثيرا بالاولاد والأحفاد وجلب كل ما يبعد عنهم الحسد وهن اللآئي إستطعن إقتناع الاولاد والأحفاد بشرب ما يكتب في الاواني ويمحي بطريقة خاصة ، وذلك للشفاء من مرض أو لإبعاد جن، وأحيانا يخلط ما يكتب في الأوعية والأواني بخليط مركب من غير ما تصنع منه "الميعة" ويعبر عنه بالمسوس أو الفاسوخ، ولا يؤكل أو يشرب إلا بعد أن يفرز فيه سكين من حديد صلب يحمى على النار حتى الاحمرار الخ الخ ويكون هذا أقوى فعالية عند بعضهم وقت حفلات الزار كما يعبر الشرقيون عن الحضرة عند المغاربة. بقي ان أشير الى أنه بحق برع بعض المغاربة وكانوا كما دون التاريخ من كبار

العلماء في مجال السحر لأنهم قبل لم يستعملوه إلا في مسائل خاصة لاتتعلق بغير ردع الظالم أو العمل على هلاك مستبد ، ولهذا أمثلة خلفها لنا بعضهم مثل محمد بن سعيد المرغيني السوسي العالم الأديب والطبيب المعروف ، صاحب نظم المقنع والمعروف ببراعته في التوقيت ، وغيره ، والمولود عام 1007هـ 1598م والمتوفى 1089هـ 1678 وكذلك أبو القاسم الزياني(211) وهو أبو القاسم بن أحمد بن علي بن ابراهيم الوزير السفير المعروف في عهد الملكين محمد بن عبد الله وخلفه المولى سليمان ، والذي ولد عام 1147هـ 1734م وتوفي عام 1249هـ 1833م وقد عرف ان كلا من المرغيتي والزياني كان لهما جولات في سر المهنة، وفي السيميا والكيميا وقد خلف لنا كل منهما في مجالهما مايعتبر خطيرا في الميدان حتى انه قيل ان لاول من الاعمال في مجال ردع الظالم القوي الذي دفعه طغيانه وعدم قدرة الآخرين على رده الى القتل وبعملية بسيطة استطاع المرغيتي أن يلحقه بمن قتل وأن يدفن معه في ساعة واحدة(212) ولو أردت ان اضرب الامثال بما في ثنايا كتب القوم خصوصا المخطوطات المكتشفة والتي لم تكن معروفة قبل لذهل كل من يرى ويطلع على مدا ما حققته طائفة من بعض المغاربة الذين برعوا في هذا المجال الذي إندفعوا إليه بإسم التصوف والرياضة النفسية .

ومهما يكن فقد امكنا بما تطرقنا له سابقا أن نتعرف على واقع المغرب وما آلت إليه أوضاعه دينا ، واجتماعا وسياسة والتي بلغت نهاية التدهور في العصر الذي وجد فيه شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي ، والذي هو الآخر تعرض بدوره وطيلة شبابه إلى ماتعرض له مجتمعه من ضلال بسبب ما انتشر من دجل وخرافة وشعوذة إلى درجة أنه في شبابه إعتنق الطريقة التيجانية، كما اعتنق الشيخ محمد عبده الطريقة الأحمديّة ، لكن الذي جر محمد عبده الى الاحمدية هو أحد اخوال ابيه الشيخ درويش اما الذي جر شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي الى التيجانية فإنه لا يزال مجهولا لم أعرف عليه بعد ، لأنني وإن كنت قد احطت بكثير من جوانب حياة الشيخ، فإنه لم

(211) راجع الاعلام للزركلي ج 7 / 12 وفهرس الفهارس 7 / 326 ومثله أبو القاسم الزياني وهو الذي أثار في الترجمانة الكبرى - الى ان الرجل يكتب الرسالة من المغرب إلى المشرق ويتلقى الجواب في ادراج محدودة من الساعة وقد عرف نفسه بفعل ذلك كما كان له باع في علمي الكيميا والسيميا .

(212) مخطوط خاص .

يخطر لي أن أطرح عليه السؤال حول الموضوع ، ومع ذلك سنعرف كيف ان الشيخ الإسلام محمد بن العلوي رحمة الله عليه هو الذي حمل اللواء وحارب البدع ثم قضى على الشعوذة والدجل والخرافة بقضائه على الطوائف التي استصدر في حقها عام 1933 ظهيراً (213) بمنع كل المظاهرات التي كانت تسمى الى الاسلام باسم العيساوية والحمدوشية ، والمليانية والرحالية وغيرها ، وقبل أن يقوم شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي بهذا الدور الخطير الذي نتج عنه تحرير الفكر المغربي من الخرافة أولاً، ثم تجند الرعيل الذي كونه للعمل في ميدان سلامة العقيدة ثانية، والتحرر من ربقة الاستعمار ثالثاً، كيف أمكنه ذلك ومن الذي أخذ بيده ثم رفع له الستار وكشف له الحقيقة ، وبالتالي من هم الذين إلتفوا حوله وجاهدوا ثم ناضلوا بصدق وأمانة حتى النصر، ذلك ما سنتعرف عليه في الفصول التالية.

(213) راجع مدينة فاس للوتورنو 2/ 867- 868 ترجمة د. محمد حجي ود محمد الاخضر ط بيروت 1986. ونشير هنا الى ان فرنسا الحماية أول ما دشنت به تشريعها هو استصدار ظهير بتاريخ 19 شوال 1330 بفتح ما سمي بالزوايا الكتانية التي تحمس لها اليوطي ، ومحمد كاباص المعروف ب " الجباص" كما أرغم المولى يوسف ليفتح للكتاني عبد الحي قبة النصر من القصر الملكي بفاس والتي كان المولى عبد الحفيظ يتخذ منها مكانا مفضلا للاطلاع ، ومراجعة الكتب ، كما اتخذ منها شبه خزانة وحماية فرنسا وإشراف اليوطي دخلها عبد الحي وأخذ ما فيها من نفائس الكتب ومنها تكونت خزائنه ومن كتب مختلف الزوايا بالمغرب ومما سمعته من حكايات مربي عبد الدار مرجان الذي كان مسؤولا عن القصر الملكي بفاس ، والمتوفى بالحرم المكي عام 1956 حيث كان يحكي في سمر مع المعلم المرحوم الطيب العلوي أن عبد الحي بعدما ادعى زورا وبهتاناً ان السلطان المولى عبد الحفيظ صادر كتب اخيه واخذها استجاب له الفرنسيون وأكدوا على السلطان المولى يوسف أن يرد له ما زعم ان المولى عبد الحفيظ اخذه منهم وبذلك فتحوا له " قبة" النصر بفاس حيث كان يصعد فوق أكوام الكتب منتعلا حذاءه الذي كان يرفس به القرآن ، والحديث ، والفقه ، والتفسير ، بحثا عن نفائس المخطوطات التي لم يترك منها ولو واحد ، وما تبقى عنه تحول الى أضاير حملت إلي مسخن الحمام حتى لاتداس بالارجل واذكر ان أطنانا من ذلك ومن مختلف الخزائن التي كانت عامرة بصناديق الوثائق والمراسلات من عهد السعديين الى عهد العلويين جُلها حملت الى مزيلة دار للاأمنية وهي ابنة اجمد المنصور السعدي بالقصر الملكي بفاس حيث كانت المزيلة أمام مسخن الحمام وكان الجلاي "الفرناطشي " " اي المسخن " يحمى بها الحمام لمدة سنوات وخصوصا في فصل الشتاء حيث كان يعز الحطب والامحروقات سوى ما في الخزائن من مراسلات ودفاتر وما يتساقط من السقوف من أخشاب . ولقد حوت خزائني التي من تلك الوثائق أكثر من مائة ألف وثيقة وضعت لها فهرسا حسب المواضيع ثم طبعتها بطابع خزائني وهي اليوم بالخزانة الملكية. وقد كنت ألتقطها من بين المحروقات منذ عهد الطفولة الميكرة من غير أن أعرف عنها قليل ولاكثير، والسبب كلمة قالها عبد الرحمن بن زيدان لمعلمي الطيب بن أحمد العلوي الذي كان يحقق له بعض اجزاء الاتحاف الذي قال له أن جل ما ورد فيه من وثائق هي من مخازن القصر الملكي بمكناس والتي كانت تحرق بمسخن الحمام كذلك وما عدت اسمع كلمة ابن زيدان حتى شرعت في تطبيقها ولم أكن بعد مضي لي من العمر عشر سنوات فكانت تلك هي بداية الهواية.

الفصل الواحد والستون بحمد المائتين السلفية والإزجاه الجديد في عهد السلطان عبد الحفيظ(214)

تعرفنا قبل على أنه في عهد المولى عبد العزيز بدأت طلائع التفتح على آثار النهضة السلفية الوطنية السياسية التي ظهرت في المشرق العربي وذلك بواسطة الاحرار من رجالات حزب الترقى وجماعة الجامعة الإسلامية والجهاد الإسلامي، وقد تعرضنا لما حصل من تجاوب المغرب مع هذه الحركات منذ عهد المولى الحسن ثم في عهد خلفه عبد العزيز، وما أورده محمد رشيد رضا من رأي للشيخ الإمام محمد عبده نحو المغرب وسلطانه، وإذا كان التاريخ قد أثبت أن عبد الحفيظ كان من أقوى الملوك العلويين علما، بحيث يكفي أن يراجع المرء ما للرجل من كفاءات في مختلف مجالات الدراسات الإسلامية فقها وأصولا وبلاغة وأدبا نظما ونثرا ليحكم عليه أصدق الحكم، وأنه بعيد كلية عن خبث المدلسين والمنافقين والمغرضين المتملقين للمستعمرين الذين لم يخفوا حقدهم على هذا العالم وأنه العظيم الذي بحق يشرف المغرب والمغاربة(215) وهذا ما تقرره كل

(214) للسلطان المولى عبد الحفيظ في مجال العلم والمعارف ما لم يعرف لغيره من الملوك قديما وحديثا وقد سبق أن بينا بعض ذلك حين تاريخنا لفترة ما قبل الحماية وفرضها ، وكيف أصبح هذا السلطان العدو الأول للزنسين وعملائهم وأذنا بهم ثم بعدهم لرجال الطرق الضالة ، راجع رحلة إبن الموقت الذي سجل سلفية عبد الحفيظ في كتابه كشف القناع عن اعتقاد طوائف الإبتداع ص 156 ط مصر 1351 هـ .

(215) راجع مؤلفاته والكتب التي طبعت على نفقته في معجم المطبوعات لسركس ص 1271 ط 1928 ثم مطبوعات المطبعة الملكية بالرباط واشير هنا الى أن شكيب أرسلان أخطأ في حق المولى عبد الحفيظ في تعليقه على حاضر العالم الاسلامي وقد صرح انه علم من محمد الفاسي كيت وكيت، ومثله في رسالة قال عن اكرم وانظف رجل عرفه المغرب وهو محمد لمعمرى راجع ما كتبه الطيب بنونة وأطلق عليه نضالنا القومي ص 379 ط طنجة 1980 وإذا علنا ان امير اليبان المرحوم شكيب لم يعرف من المغاربة غير الذين كانوا في الشمال تطوان وجلهم كانوا قاصرين. على ما يقرب الى الاسبان ثم بعدها لما اصبح شكيب أرسلان يعمل بكل الوسائل على جلب رضى الالمان =

البحوث العلمية المعاصرة اليوم. والتي تعرف أصحابها على حقيقة المولى عبد الحفيظ الذي ما حقد الاستعمار الفرنسي بعد عقد الحماية على أحد أكثر منه سوى محمد الخامس رحمه الله في عهد هذا الملك وجد شيخ الاسلام الذي كان قد أشرف على نهاية العقد الثالث من عمره ، وكان بالفعل قد إنتهى الى مستوى من العلم يؤهله لان يكون من المرشحين للتعليم بجدارة كان المولى عبد الحفيظ متفتحا أجمل ما يكون التفتح، ولذلك وقبل الاخرين فضل ان يعلم ابناؤه لغة اجنبية الى جانب العربية، وبعد صراع وجدال استقر الرأي ان تكون الفرنسية وان كان بعض الاتراك حاول جاهدا ويشتى انواع المؤثرات أن تكون الالمانية، وبغناية واستقراء، اختير المعلم وكان هو الرجل الذي جمع الله فيه الكثير من المحاسن والمكارم علما وأدبا وخلقا ودينا، ذلكم هو الرجل النظيف محمد المعمري الزاوي المولود عام 1303هـ - 1885م بدشرة توريت ميمون بقبيلة بني ياني البطرونية في جبل جرجرة، من أرض زاوية الجبلية بالجزائر، والذي زمن الثورة الحفيطية كان قد حل بمدينة الرباط مهاجرا من الجزائر وبالتحديد. يقال دخلها يوم الجمعة 6 ربيع الثاني عام 1326هـ = 8 / 5 / 1908 حيث التحق كمعلم بالمدرسة الحرة لتعليم اللغتين العربية والفرنسية، ونعني بها المدرسة الحرة بالرباط التي أسسها المعطي بوهلال، والحاج الفاطمي بركاش، وأحمد الزبدي، بدرب والزهراء مكان الزاوية الحراقية، والتي هي في الاصل مدرسة لسكنى الطلبة كان قد بناها السلطان المولى إسماعيل، والتي تعتبر بحق اول مدرسة حرة أنشئت في المغرب، وفي هذه المدرسة كان المعلم الذي طلب للمحتسب الوطني الأمين عبد الخالق فرج لمحمد المعمري اختياره لم يكن غير عبد الله التركي الذي عرف بعد التقية بـ " العبد الاصدق " وبه كان يوقع ما يترجم الى السلطان من أبناء الصحافة الفرنسية(216) وإذا هو قدم به لفاس ليقدمه الى المسؤول وهو احمد لكريسي حتى يقدمه الى السلطان فإن هذا الاخير صدفة كان موجودا بمشور ابي لخصيصات

= قصدا ونكاية في الفرنسيين ووقتها وجد عملاء الاسبان فيه ضالتهم وكان يتقدم هذا الفريق الماسوني عبد السلام ابن لونا ولونا هذه يهودية خصوصا وهو التلمساني الذي ليست له جذور وعليه ان هو اراد ان يحقق مقاصده المادية ان يكون عند حسن ظن الاسبانيين وان يعادي الفرنسيين وبالفعل فإن معرفة امير البيان اختصرت له الطريق وسهلت عليه المهمة فكان منه ماكان مما لا يزال آثاره باقية في وزارة خارجية الاسبان.

(216) راجع الحركات الاستقلالية ص 153 ط 1348 وملف السلطان عبد الحفيظ ضمن وثائق خزانة عبد الكريم الفيلاي بالخزانة الملكية ، ثم راجع الديوان الشعري لمحمد معمري " حسن الوفاء . ط الرباط 1964 =

حين قدم له محمد لمعمري (217) وعبد الله التركي أحد الأحرار الفارين من ظلم عبد الحميد ربقته يقول لمعمري أن السلطان بعدما استقبله وعبد الله التركي أصدر أوامره إلى قاضي السماط ليعين معلما كفوا يعلم أبناءه اللغة والآداب إلى جانب التوحيد والفقہ، وكان القاضي هو عبد الرحمن بن القرشي (218) الإمامي الفيلاي الغرفي الذي حل مكان

= وكما سجل التاريخ فقد كان محمد لمعمري مثال الرجل النزيه الذي أكرمه الله بسلامة الخلق وحسن القصد، وكان أقرب الناس إلى نفسه من المغاربة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي ، والمعمري هو الذي عاش في أعلى مقام في الدولة مدة 50 سنة فلم يملك دارا ولا عقارا لا في المغرب ولا في وطنه ، ومع ذلك تعرض لعدم الوفاء في أخريات حياته . . . وامغرباه هذا في الوقت الذي نجد "التلمساني" الأصل أحمد أصمان صنيعة عبد الحفيظ بن الصبيب الذي جىء به من ملجأ خيربي وفي عهد الاستقلال أصبح له من الحرية والإمكانات ما لم يكن للذين حفظوا المغرب الاستقلال ولا 10% بل والذي ما حكم المغرب أربعة أيام حتى ملك مما خلفه المستعمرون الفرنسيون من وجدة إلى أكادير عقارات ومرارح، ثم من الرباط إلى كآب نيكرو، هذا في الوقت الذي كان أبوه المعروف محمد لعوج في مدينة وجدة يبيع شميعات جوار الجامع الأعظم وكان هو يقتل الجوع أحيانا عند البوسطجي الجزائري المتفرنس بعمود بتازة، وردا للدين مكن ولده محمد بوعمود حين أسند إليه منصب الوزير الأول جاء بالمحول عبد السلام زينند الذي أسند إليه إدارة الشؤون العامة والذي بواسطته تمكن وقتها المؤرخون من مصدر وتعرف الكبير والصغير على التحويل والتبديل والتحفيظ والذي تحولت أعماله إلى سمفونية كريتلية يعزفها الخضار حول الدخيل الذي أصبح أكبر مالك العقار في المغرب بل وأخوه وابن أخيه الوراثن للسلطة في مدينة وجدة التي عرف أهلها وما حولها شمالا وجنوبا تحولا خطيرا جدا وهي مدينة 16 غشت 1953 وامغرباه إلى أين المصير. والذي حقق له ولعبد الحفيظ تحايلا على القانون ومن وراء الحق والعدل والاخلاق والفضيلة ماديا ومن امتلاك مخلفات السابقين ما عجز غلاة السابقين عن تحقيق ولو 10% منه وبالتالي فإن الحكومة التي رأسها ابتداء من يوم 10 / 10 / 1977 وعدد افرادها 35 كلهم مرشحون للسؤال عاجلا أو آجلا من أين لك هذا.. باستثناء : عباس القيسي، محمد العربي الخطابي ، محمد بوستا حدو الشيكري، سعيد بن البشير، ادريس السلاوي، عبد الرحمان بادو محمد باحنيبي إن منهج وأسلوب التاريخ اليوم في عهده الانترنت لم يعد بعد يكتب كما يحسبه الغافلون حسب المواصفات بل من خلال الوثائق ولا حرج... ويعلم الله ما ستكتشفه الأجيال المقبلة من تلك الوثائق في عصر التكنولوجيا التي لم تتوفر لنا معرفتها .

(217) ولعل تاريخ المخزن الطويل لم يسجل النظافة حسا ومعنا في حق رجل جاء من بعيد كما سجلها في حق محمد لمعمري الذي تأثر كل التأثر بشيخ الإسلام وبقي على نظافته إلى أن لقي الله وكان ذلك رجاؤه فحقق الله له الرجاء ولتسمع إليه يقول ذلك شعرا وبه فتح ديوانه.

سعيت بكامل الإخلاص مني
لأني موثق أن إلتجائي
أحاول ما استطعت بلوغ إصلا
فلا أحد شكى مني إضطهادا
إلى ان يقول رحمه الله عليه

عسى أن يختم الله إجتهادي

(218) توفي رحمه الله عام 1358 هـ 1939م وقد ألف فيه ربييه العالم السلفي الجليل أحمد الشبيهي السنني كتابا سماه إرشاد الراغب المنشى إلى ترجمة أبي زيد بن القرشي، ذكره في مؤرخ المغرب الأقصى ج 1 / 179 ط 2 عام 1960م كما ترجم في رياض الجنة 72 ط فاس 1350 .

الشيخ الجليل محمد بن محمد العلوي المتوفى 1395 هـ 1207 وهو عم شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي كان هو الآخر على اتصال بابن القرشي أيام عدالة وقضاء الثاني بفاس والذي ما كاد يصله الأمر الملكي حتى بادر بتوجيه محمد بن العربي العلوي الذي أصبح من وقته يعلم أبناء المولى عبد الحفيظ ، خصوصا وقد اجمع كل الذين أستشيروا من العلماء بالموافقة يتقدمهم العالم الجليل احمد بن الجيلالي الأمغاري ت 1352 هـ 1934م، وإدريس بن عبد الهادي العلوي المتوفى بالحجاز 1331 هـ 1913م وحמיד بناني ومحمد بن الرشيد العراقي الخ كل هؤلاء اتفقوا على صلاحية محمد بن العربي العلوي لتلبية رغبة السلطان المولى عبد الحفيظ وتحقيق ما يرجوه لانجاله الامراء.

كان المولى عبد الحفيظ قد احرز السبق في كثير من العلوم الاسلامية كما أشرنا وما كاد يستقر له الوضع داخليا بعد القضاء على ابي حمارة وفتنته التي كانت قد أرهقت الدولة حتى أخذ يهتم بالجانب العلمي الذي كان له أقوى تأثير في حياته، وبذلك رثاه محمد لمعمري بقصيدة من ثمان وعشرين بيتا ألقاها يوم دفنه في فاتح محرم 1353هـ = إبريل 1934 والتي قال فيها(219).

ولقد سعى في هذه الدار التي	لم تصف من كدر على إنسان
جاري الزمان فلم يجده مسعفا	قاسي شدائد خيبة الحرمان
فمضى وتبكيه الكرامة والعلا	يبكيه علم قاده بعنان
خدم الحديث وطرقه بأصابة	والفقه والتفسير بالتبيان ... الخ

ومما تخلد في حق المولى عبد الحفيظ أنه كان يميل إلى العلماء، بل ويجلبهم ويستميلهم بشتى الوسائل، ومنها الإكرام الذي فاق فيه كل الذين سبقوه، وأعني به

(219) راجع ديوانه المشار إليه قبل ص 170-171 ولقد ورد فيه التاريخ 1355هـ وهو خطأ لان وفاة المولى عبد الحفيظ كانت يوم 4 أبريل في منغاه بفرنسا عام 1934 راجع لوليفترا. بسبون مصدر سابق ثم راجع الاعلام للزركلي 4 / 50-51 الدرر الفاخرة لابن زيدان وما فيها عن مآثر عبد الحفيظ ، ومن مؤلفات السلطان عبد الحفيظ (1) منظومة في علم الحديث مطبوع (2) الجواهر اللوامع مطبوع في الاصول (3) ياقوتة الحكام في مسائل القضاء والاحكام وكلها أرا جيز (4) والعذب السلسبيل في حل الفاظ خليل ط في فقه المالكية (5) كشف القناع عن اعتقاد طوائف الإبتداع ط في الرد على بعض المتصوفة (6) ونيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح ط وفي منغاه يقول الزركلي 4 / 51 شرع في تأليف كتاب عن الإسلام.

إكرام العلم والعلماء، بل سمعت ورويت أيام الطفولة ما كان السابقون من خدم القصر يتبادلونه من حديث فيما بينهم كانوا يشغلون به وقت فراغهم أيام كان خدم القصور يحيون حياة روحية، وتجمعهم في إنتظار صلاة العصر أو المغرب جماعة، ولكم التقط سمي من قصص وأخبار وأسرار لم يتوفر عليها غير أولئك الدين كانوا يحتفظون بها من رجال ونساء، منها ما يجب تدوينه للتاريخ لأنه من مقومات الحياة الكريمة التي كان القوم يحيونها والتي تمثل الوجه الحقيقي للوفاء والخلق الذي كان يتمسك به القوم، ومما يجب تدوينه وتخليده، ما يعتبر جديدا في الإحاطة بترجمة السلطان عبد الحفيظ وكيف استطاع أن يساهم في بعث الاسلام، وإصلاح العقيدة، والتمكين لروح السلفية، خصوصا عندما عمل على جلب الشيخ شعيب الدكالي إلى المغرب بعدما كان قد إستقر في الحجاز استقرارا يمنعه من التفكير في العودة الى المغرب، وإذا ما كنت قد حصلت على الجديد من ترجمة أبي شعيب التي بذلت فيها مجهودا يتعرف عليه القارئ فما ذلك الا تكريما للفكر السلفي والشيخ شعيب ربما في نظري لا يستحق كل التكريم ذلك أولا لأنه لم يكن سلفيا صادقا وثانيا كان الرجل انتهازيا ولنا على كل ذلك ادلة ووثائق ذكرنا بعضها في ترجمة القائد الناجم نقلا عن المرحوم المختار السوسي لكنني مع ذلك أخفف على الرجل تحقيق لرغبة كنت استشعرها من شيخ الاسلام الذي كان يذكره لعلمه بتقدير واحترام جد مكين ولئن كنت رفقا بالرجل قد التزمت بعدم تناول ترجمة الشيخ أبي شعيب الدكالي من الجانب السياسي والخلقي الذي هو فيهما ضعيف جدا (220) فمن هو أبو شعيب الدكالي العالم بصفة عامة؟ ما موطنه؟ وكيف نشأ وتكون؟ ومن الذي فسح له المجال ووجهه الى المشرق الذي ظهرت فيه مواهبه في الحفظ؟ وكيف عاد الى المغرب؟ وما هي الاسباب ومن الذي كرمه وكرم الافكار التي حملها معه من المشرق بإسم السلفية

(220) تعرفنا على بعض الجانب السياسي للشيخ شعيب بعد في ترجمة القائد الناجم الباعمراني برواية محمد المختار السوسي وقت غزو الفرنسيين لمدينة مراكش وكذا بعد عودة أقل من الف مغربي من المجندين الذين بلغ عددهم 150 000 أخذتهم فرنسا لحرب الالمان 1914 ولما عاد 950 منهم كان المستقبل لهم بالميناء في الدار البيضاء هو الشيخ شعيب الدكالي الذي إعتبر ما قاموا به جهادا ثم وجههم بقوله الى الجهاد في اخوانهم حيث كانت الحرب في منطقة تافلات 1918 كما سبق. ولأبي شعب ترجمة هي الوحيدة كتبها له أحد الأوفياء الكرام الاستاذ عبد الله الجرابي رحمه الله تحت عنوان المحدث الحافظ ط 1976.

وكيف انه لم يتمكن من نشرها كما حصل لسلفه؟ محمد بن المدني كنون الحسني المتوفى 1302م وعبد الله بن إدريس السنوسي المتوفى 1320 هـ 1902 م ر عبد الرحمن بن القرشي الإمامي الخ.

ومهما يكن فإن العالم " السلفي " الحافظ أبو شعيب الدكالي علم من أعلام عهد الحماية بالمغرب الأقصى حيث يعرف أكثر من الاجيال التي وجدت ما بين 1326-1357هـ 1908-1938م وما بعدها ، خصوصا بين طبقة المثقفين المهتمين بالجانب السلفي من الدراسات الاسلامية في المغرب الأقصى والمهتمين كذلك بتطور الفكر السياسي الوطني ، فأبو شعيب الدكالي ينسب إلى دكالة القبلية شبه البربرية الأصل المستعربة الحاضر، وقد أضيفت له هذه النسبة ولم يكن لها أصلا ولم تكن له، والتي غلبت حتى على الصديقي بالكاف المعطشة، وهي القرية المعروفة بـ -الصدقات بسكون الدال المهملة - المعروفة كموطن لقبيلة أولاد عمرو إحدى قبائل دكالة القريبة من مدينة الغربية ، وهي مشتراية قديما، والصدقات قيل إنها أخذت إسمها من إطلاق قام حوله جدل ، لم نقف بعد على ما يؤيد قول جانب ما حتى نفصل القول حول ما قالوا وردوا، لكنها مهما كانت فهي القرية التي يجب الاعتزاز بها ، وتستحق منه ان تذكر بالجميل في تاريخ عالم المغرب المعاصر لانها المكان الاول الذي مس ترابه جسم ابي شعيب الرجل الذي قيل حمل مؤقتا مشغل السلفية من المشرق الى المغرب من جديد وفي ظروف كان المغرب فيها قد خيم عليه ظلام الخرافة والشعوذة والضلال كما رأينا وعرفت العقيدة من مزاعم أشباه المتصوفة ما شوه منها المظهر والمخبر ، ولو لم يكن له من فضل سوى الحث على جلد الضال العميل محمد بن عبد الكبير الكتاني بشدة وعنف حتى جاف تحت السياط لكفى.

ولد أبو شعيب الدكالي بقرية الصدقات يوم 25 قعدة 1295 هـ = 1878/1/5م (221) وذلك في أسرة عرفت بالعلم والدين والأصالة وربما يكون قد سمي شعيبا تقريبا من أبيه لعمه الذي كان إسمه شعيبا أو تبركا بشعيب(222) بن حسين الانصاري المعروف بأبي

(221) راجع المجلة المغربية للقوانين مصدر سابق عدد 6-7 السنة 2 عام 1937 - 38 ب 6 ص 5.

(222) راجع التشوف الى رجال التصوف لابن الزيات نشر أدولف فور ص 316 ط الرباط 1958.

توفي عام 594هـ. واصله من حصن قطنيانة من عمل اشبيلية راجع التشوف .

مدین(223) دفين تلمسان وشيخ ابن مشيش ، وإن كانت أسرته كلها تنتمي إلى الطائفة الدرقاوية أتباع الشيخ محمد العربي الهاشمي " المدغري " أو ربما سمي شعيبا تيمنا

(223) كان أبو مدين الذي شب يتيما على جانب كبير من الصدق وسلامة القصد في تصوفه المتأدب ويظهر ذلك من خلال منظومته النادرة الخمسة الرائعة في الاستغفار والتي يقول فيها:

اللهم صل على محمد وعلى	عاله الفضلا وصحبه الكرم
أستغفر الله مبدئي ومختتم	أستغفر الله رب المشعر الحرم
أستغفر الله منشي الخلق من عدم	أستغفر الله مجرى الفلك في الظلم

على عباب من التيار ملتطم

أستغفر الله جل الله عن شبهه	أستغفر الله في نومي ومنتبه
أستغفر الله من ذنب أتيت به	أستغفر الله منجى الاستجير به

إذا ألم به ضر من الألم

أستغفر الله في سر وكل علن	أستغفر الله في دار بلت بالمحن
أستغفر الله حتى نندرج في الكفن	أستغفر الله غفار الذنوب لمن

بالإنكسار أتى والذل والندم

أستغفر الله من ليس له مثلا	أستغفر الله لا أبغى به بدلا
أستغفر الله ما سمك السماء علا	أستغفر الله ستار العيوب علا

أهل العيوب ومنجهم من النقم

أستغفر الله في لحظي وفي رمقي	أستغفر الله في صبحي وفي غسقي
أستغفر الله رب الناس والفلق	أستغفر الله من نطقي ومن خلقي

وشين شأني ومن شكلي ومن شيم

أستغفر الله طول الدهر والزمن	أستغفر الله في سيرتي وفي سكني
أستغفر الله عد الفضل والمنن	أستغفر الله من سر ومن علن

ومن تقلب قلبي وابتسام قم

أستغفر الله من صغري إلى كبري	أستغفر الله من مكري ومن ضرر
أستغفر الله من سخطي على قدر	أستغفر الله من سمعي ومن بصر

ومن ضميري ومن فكري ومن كلم

أستغفر الله من عجلي إلى أجل	أستغفر الله من قبح ومن خلل
أستغفر الله من حولي ومن حيل	أستغفر الله من ذنبي ومن زلل

ومن كباثر أثامي ومن لمم

بالاقرب المعروف ب " الرداد أو السارية ، ولقد أثبت التواتر والواقع أن قرية الصدقات كانت في عهد نشأة أبي شعيب تعج بحفظه القرآن العظيم ، والفقهاء والعلماء، وكانت

أستغفر الله ربي جل معتمدي أستغفر الله من قولي ومعتقدي
أستغفر الله من قربي ومبتعدي أستغفر الله مما قد جنته يدي
من الخطايا ومما قدّمت قدم

أستغفر الله من أوزارٍ قد كتبت أستغفر الله من دعوى لنا انتسبت
أستغفر الله من نفسي وما ارتكبت أستغفر الله مما لم تكن كسبت
كفى وما اكتسبت في مبلغ الحلم

أستغفر الله في الأصباح والفلس أستغفر الله في الغنا وفي الفلس
أستغفر الله في نطقي وفي خرس أستغفر الله من نفسي ومن نفس
وخاطري وخطور الوهم بالتهم

أستغفر الله من خوفاً ومن شجعي أستغفر الله من روعي ومن جزعي
أستغفر الله من جوعي ومن شبع أستغفر الله من طبعي ومن طمعي

ومن تحول حالي حالة السقم

أستغفر الله من لهوي ومن لمعي أستغفر الله من خوضي ومبتعدي
أستغفر الله في الاعياد والجمع أستغفر الله من قولي أنا ومعني
ولي وعندي ومن ظني ومن قسم

أستغفر الله من وصفي ومن صفتي أستغفر الله من رتبي ومرتبتي
أستغفر الله من حولي ومن قوتي أستغفر الله من نومي ومن سنتي

ويقتلني وبه ما عشت معتصمي

أستغفر الله من قلبي وغفلته أستغفر الله من عقلي وجهلته
أستغفر الله من جسمي وميلته أستغفر الله من يومي وليلته

وفي غد قبل أن يبدو من العدم

أستغفر الله من ظلم قد أظلمه أستغفر الله منه لست أسلمه
أستغفر الله مما كنت أنسيته أستغفر الله مما لست أعلمه

وما علمت وما حرّفتُ بالقلم

أستغفر الله في غيبي وفي حضري أستغفر الله في نذري في نذري
أستغفر الله من وصمي ومن كبر أستغفر الله مما كان في صغري

من الخلاق لعصر الشيب والهزم

تجاوب أصداء اهتمامات كل منهم مع ألوان المعرفة فيما حولها من المدن والقري والقبائل، مما أفاد منه أكثر أبناء المنطقة ومنهم أبو شعيب اليتيم الذي فقد أباه وهو بعد لم يبلغ الخامسة من العمر، ولقد عرف من علماء المنطقة وأفاضلها أحمد بن المعاشي، الذي كان من بين معلمي أبي شعيب في طفولته، عليه تعلم حفظ

أستغفر الله للإشراك ناهية

أستغفر الله للشيطان نافية

أستغفر الله للأورار ماحية

أستغفر الله ما هيت يمانية

وسحت الصحب في الساحة والأكم

أستغفر الله عاد الخُصم والخصم

أستغفر الله عاد العلم والعلمَا

أستغفر الله عاد الحكم والحكما

أستغفر الله ملاح الصُباح وما

تغنت الورق في الاغصان بالنغم

أستغفر الله ملء السهل والجبل

أستغفر الله ماسمك السماء علا

أستغفر الله موصولاً ومتصلاً

أستغفر الله ما صار الحجيج إلى

معالم سُرفت بالحل والحرم

أستغفر الله عاد حكم والحكما

أستغفر الله إذا انسجما كالطر إذ سجما

أستغفر الله كاللوج إذا التطم

أستغفر الله تعداد الحروف وما

في الذكر من أية تتلى ومن حكم

أستغفر الله من وفق ومختلف

أستغفر الله من قبح ملاصحف

أستغفر الله من جهل ومن سرف

أستغفر تعداد الكواكب في

داج الغياهب في الدور ومقتحم

أستغفر الله مادام السحار ضما

أستغفر الله ما دام الضلال عما

أستغفر الله ربا يرحم الرحما

أستغفر الله تعداد الرمال وما

ينهل في عالم الدنيا من اليم

أستغفر الله للغفران ملتزما

أستغفر الله للذنوب ينهزما

أستغفر الله عاد المشي والمقما

أستغفر الله تعداد الهوام وما

في الأفق من عالم والأرض من علم

أستغفر الله عاد الرمل حيث سما

أستغفر الله عاد الزهر ميتسما

أستغفر الله عاد النطق منتقما

أستغفر الله تعداد الرياح وما

تجري عليه من الأوقات والقسم

القرآن بالقراءات السبع، وكل ما يتعلق به من تجويد ورويات، وعن عمه محمد بن عبد العزيز، تلقى معارفه الفقهية بعدما تعلم المبادئ على يد إبنني عمه محمد بن عزوز، وعبد الرحمن بن عزوز ثم محمد الطاهر الذي تولى قضاء مدينة مراكش بعد، ولم يرحل أبو شعيب إلى مدينة فاس إلا عندما بلغ سن العشرين، وبعد مروره بمرحلة إمتحان في حفظ القرآن ورواياته، بحيث كانت الرحلة عام 1314 هـ 1896م أيام المولي عبد العزيز، وهو العهد الذي إشتدت فيه الفتن ثم أخذت مدينة العرفان تنحدر إلى السقوط بعد رد الفعل الذي تزعمه الدجالون والمشعوذون أشباه العلماء من الفاسيين ضد السوديين الذين كانوا مقيدين في زمرة العلماء، زمن المولي الحسن، والذين حاربوا السلفية في شخص عبد الله بن إدريس السنوسي، ففي عهد عبد العزيز الذي كانت السيطرة الجديدة فيه بيد أحمد بن موسى بن أحمد، والذي هو الآخر ورغم صرامته ودهائه السياسي مال بعد عياء وبدافع السياسة إلى جانب المهلهلين والمنافقين والمشعوذين الذي كانوا يستميلونه بواسطة ماء العينين(224) الذي تأثر به أحمد، بسبب ما بعث فيه من تفاؤل أيام صراعه مع آل الجامعي كما سبق.

ففي عهده عرفت فاس وعلى يد مجموعة من المشعوذين تسلط عليهم النفاق وأرعبتهم شعوذة الكتانيين والتجانين الذين كانوا يمهدون للاستعمار، وقتها أيضا ظهر في مدينة فاس جماعة الأحرار من الترك المشار إليهم قبل، والذين هم بلا شك تعرف على بعضهم أبو شعيب النابغة فأشاروا عليه بالهجرة إلى المشرق ويؤكد لنا ذلك الاتصال إتجاه أبي شعيب ناحية الريف أثناء محاولته الهجرة، حيث كانت جماعة الجامعة الإسلامية وجماعة الجهاد الإسلامي، ثم جماعة حزب الترقى، أخذت تتردد على المنطقة فرارا من ظلم عبد الحميد الثاني واضطهاده، ومنهم من إستطاع الوصول إلى السلطان عبد العزيز الذي توددوا له بواسطة ما كان لهم فيه من أمل وهو ابن الشركسية رقية التي عرفنا دورها قبل، ويوم توفي المولى الحسن فجأة في تنصيب ولدها عبد العزيز،

(224) لقد أخبرنا المرحوم محمد المختار السوسي كيف أن ماء العينين طلب من حيدة ولد اميس أن يكون بجانب ولده الهيبة إن هو تناول على الملك. وتعرفنا على الهيبة ووجه كعميل لللمان بلا عقل ولا ادراك، وانه لولا القائد الناجم لهلك وجميع من كان معه.

وإذا كانت هذه المرحلة غامضة من حياة أبي شعيب وكيف تمكن من الرحيل إلى مصر، فإنه توجه إليها وقد مضى على إحتلالها بإسم الحماية الأنجليزية مايزيد على خمسة بشرين عاما، وعلى تونس مثلها، والناس والعلماء كانوا قريبي عهد بحرية الدين، وقوة سلطانه، حتى على سلطان آل عثمان الذين كان المفتى عندهم بكلمة واحدة يجيب بها على استفهام ممثلي الشعب، هل يصلح السلطان الذي يتعاطى كذا وكذا من الموبقات أو يجب عزله، وإذا ما كان جواب المفتى "يجب" يعزل "الخليفة" ظل الله في الأرض" كما حصل لجماعة مدحت باشا والزعيم الشاعر نامق كمال مع السلطان عبد العزيز، والمفتى سن فهمي يوم 27 ماي 1876م.

كانت مصر وقتها قد عرفت قريبا حركة جمال الدين الافغاني وقضاء محمد عبده، بثورة عرابي، وتحركات الأحرار من العلماء الذين كان على خديوي مصر أن يتملقهم حتى لا تنضم قوتهم إلى المجتمع الذي أخذ يتحرك بطريقة لم يعدها خديوي مصر، كما أخذت أصداء قصائد البارودي محمود سامي 1839-1904 وقصائد الشاعر التركي العظيم نامق كمال، الذي حرك الشرق وهي التي كونت نيازي، وأنور، ومحمود شوكت، بطل الحرية وقائد جيش الفيدائيين الذين أزاحوا عبد الحميد مدحورا بعد خمسة عشر عاما على وصول أبي شعيب الدكالي أرض مصر ليتلقى فيها دروسه على فقيه المالكية الرفاعي أحمد بن محجوب الفيومي 1325هـ/1907 والبولاقي، ومحمد طيموم، وسليم البشري 1248 - 1335هـ/1867-1917م ومحمد بخيت المعيطي 1271-1354هـ/1854-1935 ومحمد محمود الشنقيطي المركزي المتوفى عام 1322هـ/1904م وغيرهم.

وفي هذا الوسط وقد عرفت مصر زمن هؤلاذ هزات وهزات ضد الأنجليز إغترف أبو شعيب أثناءها سياسته السلبية وثقافته العالية وتزود بما كان ينقصه من زاد ليرتقي القمة بلا كثير جهد ولا كبير عناء، وبحكم ما كان يتوفر عليه أبو شعيب من قوة حفظ مقلتها ومكنت لها البيئة وما شب عليه، تمكن من حفظ جل المتون التي أفاد منها كثيرا في إستمعال الشروح والأسانيد بطريقة هي التي إمتاز بها أبو شعيب، وبهر بها كل من نرف عليه، ولذلك ما كاد يتمكن ويعرف حتى رأى يدا غير بيضاء تلوح له ويناديه صاحبها الذي فضح التاريخ وشعر شوقي ظلمه واستبداده، إنه أمير مكة المكرمة السيد

عون الرفيق (225) 1256-1323هـ 1841-1905م الذي كان وحسب طبيعة الحاكم المستبد في كل زمان ومكان، يفضل الأعراب على أبناء الوطن حتى لا يحصون أنفاسه، وإذا كان الحجاز في عهده يحكم شرعا بواسطة المذاهب الأربعة، فإن المذهب المالكي بشدته وسلامته، وهو ما عرف به المغرب والمغاربة، كان قد تعطل من مفتيه بأرض الحجاز، وكان البلد الذي يطلب منه العلماء هو مصر وجامعها الأزهر، ذلك أن مصر رغم كل الظروف وما تعرفه في فترات مختلفة من الهزات السياسية يبقى جامعها الأزهر المنار المضيء، في مجال العلوم والمعارف، وأبو شعيب المغربي وقتها وبين رجالات الأزهر قد نال ما ناله من المكانة في فقه مالك كسلفه المغربي الشنقيطي، وهي مكانة ميزته ثم رشحته لتحقيق رغبة عون الرفيق، وطلبه الذي وجهه لمشيخة الأزهر التي لم تجد سياسياً أحسن من المغربي ابن الصدقات الذي أصبح معروفاً لديها بـ "الشيخ الدكالي" وذلك بعد إمتحان ساعده على الفوز فيه قبل كل إعتبار، ما كان بين المصريين أنفسهم من تنافس من جانب، ورغبة عون الرفيق لما عرضت عليه أسماء المرشحين من جانب آخر...

لم يكن أبو شعيب بعد قد تزوج حين حل بأرض الحجاز وفي رحاب الشريف عون الرفيق، وإذا ما وقع الاختيار على أبي شعيب ليكون إماماً في موطن أعظم إمام هو محمد صلى الله عليه وسلم، ومفتياً في أرض هي مصدر الإفتاء، فإنه لا بد له من الزواج حتى يكون في المستوى، وقد حصل حسب رغبة عون الرفيق "واختياره" كما قيل، ويشيع ولد المرأة الحريرية نفسها وهو عبد الرحمن (226) بن أبي شعيب.

(225) راجع الزركلي الاعلام ج 280/5 وفيها أشار إلي ما كتبه حوله صاحب مرآة الحرمين الذي قال : ليس أدل على فداحة ظلمه وتفاقم شره وتماديه في غيه من كلمات ثلاث :إحداها رسالة عنوانها "ضجيج الكون من فظائع عون" كتبها السيد محمد الباقر بن عبد الرحيم الطوسي سنة 1316هـ والثانية "خبيثة الكون فيما لحق بن مهني من هون" رسالة كتبها الشريف محمد بن مهني العبدلي، وكيل الإمارة بجدة، وأمير عربانها، والثالثة قصيدة لأحمد شوقي عام 1322هـ مطلعها :

ضج الحجاز وضج البيت والحرم واستصرخت ربهيا في مكة الأمم
ياويل كل ظالم من التاريخ، إذا المرء حي مادام يذكر، إن بالخير أو بالشر.

(226) عرف عبد الرحمن بن أبي شعيب بعماله لإدارة الحماية. وقد إندفع إلى ذلك بما كان عليه من خلق سيء وسلوك مشين، ولم يفادر هذه الحياة إلا بعد ما حقق أهدافه المادية أسوة بسلفه لكنه والعياذ بالله بنس ما خلف من ذكر أسوأ من السيئ تحفظه النخبة وتحفظه له جريدة السعادة الفرنسية أيام الحماية، ويتردد على السنة المغاربة.

عاش أبو شعيب في أرض الحجاز مقرباً من ملكها المستبد الذي إعتبره أكثر من الآخرين، لأنه أصلاً يرجع إلى موطن لا علاقة له بالأتراك حتى يعمل في ركابهم ويكون عينا عليه كما حصل من بعضهم ممن كان جزأهم النكال، بل وغير ذلك، فأبو شعيب من موطن تكن الأسرة الحاكمة فيه الحب الكبير لآل البيت الهاشمي الذين صاهرهم قبل محمد بن عبد الله بإبنته حبيبة التي زفت لسرور(227) بن مساعد بن سعيد بن زيد أمير مكة المتوفى 1202هـ/1788م، بل مما دفع عون الرفيق أن يقبل على أبي شعيب وغير أبي شعيب من الذين لم يكونوا من أبناء الحجاز، هو ما كان عليه من ظلم وطفغيان ذاق مرارتهما الحجازيون الذين كانوا يطمنون أية وسيلة تريحهم منه ومن ظلمه، وبالفعل كانت على الأبواب. وتلك هي حركة عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل ابن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، والذي كان قد استولى على الرياض وما حولها 1337هـ 1918م كما استولى قبل على بلاد القصيم 1324هـ 1906م وفي هذه المعارك كان قد انتصر على

(227) راجع الزباني في البستان الطريف م.خ والإعلام للزكي 128/3 ط2 وخلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام لشريف بن دحلان ص 207 -224 ط مكة 1311 بل إن الشريف عون الرفيق أقبل على أبي شعيب قيل لسبب آخر هو أنه كان يطمح إلى جمع المغاربة واتخاذهم حرساً خاصاً له بسبب أن حركة محمد بن عبد الوهاب رقتها كانت قد ألهمت الحجاز وأثارت حقد الأتراك وشوشت أفكار الإنتهازيين والناقمين على السوء ضد الحاكم السبدي ورغم أن الوهابية وقتها كانت بعيدة عن الحجاز، قوية في نجد وما حولها فإنها جاءت بفكرة التمسك بالكتاب والسنة، وأن مؤلفات محمد بن عبد الوهاب، أخذت لها دوراً سرياً خصوصاً الأصول الثلاثة، كشف الشبهات والتوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وأن الوهابية بحكم دعوتها إلى الكتاب والسنة تحارب الظلم والاستبداد وتدعو إلى العدل وأن موقف بعض أهل الحجاز أيام غزو محمد على وولده إبراهيم ودخول الفرنسي أشير باشا للدرعية عنوة، من السهل إثارة كل ذلك ضد حكام الحجاز، خصوصاً وأن آل سعود قد قاموا من جديد بزعامة عبد العزيز 1298.1373هـ 1880-1953م انطلاقاً من الكويت وبمساعدة الإنجليز لبيسط سلطانهم "راجع الزكي 142/4" وصقر الجزيرة 2/547 ط القاهرة 1364هـ لصديقنا أحمد عبد الغفور العطار وبعدما إستولى على نجد 1318هـ 1900 وذلك بالاعتماد على الإنجليز أولاً لكنهم تخلوا عنه عندما أدركوا أن للرجل هدفاً صادقاً هو خدمة الإسلام فتحولوا عنه في حين طويلاً يمتد بعد إلى عهد الشريف حسين الذي هو الآخر غرروا به ثم حطموه بدافع صادق عرويته وخالص وطنيته، ومع ذلك سيسئولى عبد العزيز على الجزيرة بأجمعها حيث إستمرت حروبه وفتوحاته من 1318 إلى 1351 هـ 1900 - 1932 مما دفع بالكالي إلى الهجرة والعودة إلى موطنه، وحتى يظهر بالجديد وقد وجد في السلطان عبد الفيط كل الاستعداد فكان عليه بعد ما خبر الجو ثم تمرس على اتخاذ الموقف المناسب حسب الظرف المناسب ان بتظاهر بفكرة محمد بن عبد الوهاب رغم أنه فيما يستقبل من حياته سوف لا يكون لها أثر في سلوكه الذاتي، بل كانت عنده وحتى يتمكن عند السلطان الذي كان قبل قد تعرف على الفكرة بواسطة جماعة الأتراك من جماعتي الجامعة الإسلامية والجهاد الإسلامي وهي الجماعة التي ناصبتها فرنسا العداة فكان من أوليات مطالبها إبعادهم كما سبق.

خصمه العنيد عبد العزيز بن متعب من آل رشيد، ثم تابع طرد عمال العثمانيين في تلك المناطق وغيرها.

وإذا ما كان صدى هذه الانتصارات يتردد في الحجاز، وكان المتذمرون من ظلم عون الرفيق، يروجون لها قصد الخلاص منه، الأمر الذي ضايقه وشدد عليه الخناق إلى درجة أنه أصبح يصاب بنوبات صرع عصبية خيف من استغلالها فاختر لإقامته منطقة الطائف، وبها توفي عام 1323هـ 1905م فعين مكانه ابن أخيه الحسين بن علي الذي كان طرده من الحجاز إلى الأستانة التي كان قد ولد بها أيام كان والده منفيًا بها، لكنه كان قد انتقل إلى مكة وسنه ثلاث سنوات حيث تأدب وتفقه ونظم الشعر الملحون "الحميني" ومارس ركوب الخيل وصيد الضواري وأحبه عمه الشريف عبد الله باشا أمير مكة قبل عون، وساعد عمه عبد الله في تمهيد كثير من المناطق إلى أن طرده عمه الثاني عون، ولما توفي هذا الأخير وحل مكانه حسين (228) نقم على جل من كان حول عمه عون، وبذلك رأى أبو شعيب الذي أهمل من طرف حسين بن علي ولم يبق له غير دار المغاربة يشرف عليها أن من الخير له أن يهاجر من أرض الحجاز ويعود إلى موطنه المغرب، وقبل أن يغادر أبو شعيب أرض الحجاز كانت طلائع إنتصارات آل سعود تحت لواء فكرة محمد بن عبد الوهاب قد أخذت تقوى وتتمكن، وكان أبو شعيب بلا شك يعرف أن ذلك سيحصل وأن حسين بن علي رغم علو همته وقوة عزمته وصادق عرويته، جاء متأخرا من جهة، ومن جهة أخرى ورث تركة ممزقة مشوهة بالحقد والكرهية التي أججها الرفيق عون، وإذا هو عرف أن النصر لا محالة سيكون للوهابيين أصحاب العقيدة، فإنه بمجرد ما غادر أرض الحجاز إختار مصلحيا أن يكون إلى جانب سلفية الوهابيين، وازداد إقباله حين علم بواسطة الحجاج المغاربة أن الذي جلس على العرش وهو المولي عبد الحفيظ بعد انقلاب أبيض يتمتع علميا بما لم يسبق لغيره من ملوك العلويين الا قليل منهم، فهو عالم متمكن من كل ألوان المعارف الإسلامية من فقه، وأصول، وأدب، وبلاغة، ومنطق بل له فيها جميعا منظومات وشروح، وكذلك وجده الشيخ أبو شعيب الدكالي حين قدم إلى المغرب وحيدا

(228) راجع ترجمته حسب ما في الأعلام للزركلي 73271/2 والقاموس الإسلامي 99/2. والثورة العربية

بن أهله حتى يستطلع إن كان سيجد له المكان اللائق أم لا، وفعلا توجه إلى مدينة فاس حيث كان السلطان قد حل بها فدخلها الشيخ كذلك في صفر عام 1326هـ مارس 1908م وبحكم ما كان قد عرف عن أبي شعيب وما سبق من ترجمته، لم يكن من الصعب أن يقدم إلى المولى عبد الحفيظ بمجرد وصوله وما كاد الرجلان العالمان يلتقيان ويجرى بينهما الحديث، وقد عرف الدكالي من طلاقة المشرق كيف يصوغ خطابه حتى أدرك كل منهما أن مخاطبه جدير بالتقدير والاكبار، وتحقق أبو شعيب كما تحقق عبد الحفيظ أن الأول إذا كان قد إستمد ما يتمتع به من قوة الحافظة، وكفاءة من سلامة الأساس الذي يرجع إلى تلك البدايات المشرفة في قرية الصدقات، فإن الثاني مثله كان قد اختار له والده المولى الحسن وهو طفل صغير قبيلة أحمر ليتلقى فيها معارفه ومختلف علومه، ومن صفاء وسلامة البادية ولبن أمه الشاوية وهي العالية بنت ابن الغازي العربية أمكن للسلطان عبد الحفيظ أن يتمكن مما عرف به من قوة الذاكرة وفيض الحافظة، بل تمكن أكثر بما عرف له في شبابه زمن الخلافة بمدينة مراكش حيث كانت حياته عبارة عن مجالس علمية وندوات أدبية مكنته من قلوب المراكشيين السليمة وطلبة بن يوسف الأوفياء.

حل أبو شعيب الدكالي بأرض المغرب وفي مدينة فاس ليجد نفسه في مجلس السلطان العلمي الذي كانت تلقى فيه الدروس دوريا أياما متعددة في الأسبوع، والتي كان يحضرها السلطان نفسه عن قصد حتى يعرف حقيقة ما إنتهى إليه المستوى بين علماء فاس من جهة، وحتى يعرفهم من هو من جهة ثانية، فكان حضور أبي شعيب فرصة ساقها القدر حتى يعرف القوم من هو عبد الحفيظ حين يجد له المناسبة أثناء درس من الدروس.

كان يحضر الدروس من العلماء أمثال حميد بناني قاضي مقصورة الرصيف المتوفى 1327هـ / 1909م، ومحمد بن الرشيد العراقي وادريس بن عبد الهادي العلوي المتوفى 1331هـ - 1913، وأحمد بن الخياط الزكاري المتوفى 1343 هـ / 1924م وعبد السلام بن محمد الهواري قاضي فاس المتوفى 1328هـ / 1910 والعباس بن أحمد التازي وشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي المتوفى 1964م والذي أصبح وقتها معلما لأولاد السلطان

وغيرهم من بعض الذين حصل شك للراوي في حضورهم(229) تلك الدروس التي كان السلطان نفسه هو الذي يختار من يلقيها، وكل من وقع عليه الاختيار كان يعطي من الوقت ما يكفي للاستعداد بالمصادر حتى يأتي بعباء أحسن، ناهيك وأنه يكون محل مناقشة مفتوحة للجميع، وكم كانت تلك المجالس وسيلة لظهور ما كان بين مختلف العائلات من حقد وكراهية كشفت للجميع للمولى عبد الحفيظ الذي بحق تحقق من صدق قول الشاعر.

مضى اللؤم في الدنيا طريدا مشردا يؤم بلاد الله شرقا ومغربا
فلما أتى فاسا تلقاه أهلها وقالوا له أهلاً وسهلاً ومرحباً

كان المولى عبد الحفيظ بلا شك في مقابله الأولى لأبي شعيب قد تعرف منه على أحوال الحجاز، خصوصا، والجزيرة عموما، وبلا شك تناول وإياه واقع الوهابيين ومبادئهم، والتي ما كان على أبي شعيب إلا أن يبسطها للسلطان، كما يعرفها هذا الأخير وقد عرفها المغاربة منذ عهد المولى سليمان والتي بلا شك وجدها السلطان وسيلة لردع أولئك الذين ضلوا وأضلوا من التجانيين والكتانيين الذين إنتقدهم وسفه دعاوهم السلطان نفسه شعرا، ومنهم محمد بن عبد الكبير الكتاني الذي تهور في إنتقاده للمولى عبد العزيز، وانتصاره بتملق للمولى عبد الحفيظ الذي ظن أنه سيقبل عليه، لكنه وبسبب ما إنتهى إليه الكتاني من خرافة وشرك وضلال وعمالة لفرنسا وما إدعاه غرورا من "إرهاصات النبوة" ورؤيته الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة إلى غير ذلك مما لم يخفف من إدعاءات رسخت في عقول خلفه الذين رغم فضائهم وما إشتهروا به من إنحراف جنسي في مدينة سلا، أدى إلى إغلاق الزاوية الطالبية، ورفع أصحابها دعوى أمام المحاكم بسبب دفن إبراهيم... ولد محمد بن عبد الكبير الكتاني فيها، والذي هو الآخر ورغم تلك الفضيحة قيل في حقه من أقوالهم وولاياتهم ما أصبح موضع سخرية وتندر من أهل سلا، وتلك المزاعم كانت هي حالهم كما عرفها المولى عبد الحفيظ الذي قال في حق

(229) أحمد بن الجلاي الأمغاري المتوفى 1352هـ 1934م ومحمد بن قاسم القادري المتوفى

أبعض هل فاس الذين تزاحموا على أبواب السفارات من أجل الحماية، أفرادا وجماعات، مما جر على البلاد أشد النكبات، ولما سئل عن حقيقتهم قال قولته المشهورة فيهم، والتي أكدها زميلهم المأبون روم لاندو وهي(230) "الفاسي شخص ذو مفعولية في صغره، وأبنة في كبره الخ.

كانت تلك الترهات لا تزال تتردد في الأوساط، وإذا ما سمعها أبو شعيب أو ربما أوحى إليه أن يتناول شبه المتصوفة بل الخرافيين بالنقد الذي كان قد وجهه لهم الشيخ الوقور عبد الله بن إدريس السنوسي قبل أكثر من ربع قرن، والذي لم يجد مساندة من الولي الحسن، فاختار الرحيل كما سبق، أما الدكالي فإنه قدم بما جد من أخبار إنتصار الفكرة في جزيرة العرب أولا، وفي عهد سلطان يختلف عن السلف، بل وجدها أبو شعيب فرصته ليظهر بالجديد أمام العلماء الذين كانوا ينعمون بإقبال السلطان عليهم، وفعلا كان بعضهم في المستوى، ولولا ذلك لما أقبل عليهم بعدما كانوا قد أفتوا بصحة بيعة عبد العزيز وضد القائم عليه الذي هو صنوه عبد الحفيظ، وعددهم 22 اثنان وعشرون، لكنهم لما إستوعبوا الأمر وتحققوا من المآل رجعوا إلى الاعتراف.

كان أبو شعيب وقد خبر الحياة وعلمته الغربة غير متسرع ولا مندفع للإستعلاء، بل بدأ علاقته بالآخرين كسامع ومتأمل في نفس الوقت، ومزت الأيام التي حضر فيها مجلس الدروس السلطانية حيث ظهرت كفاءة مناقشة عبد الرحمن بن القرشي الإمامي الفيلاي وغيره من المشار إليهم قبل، وأخيرا جاء دور أبي شعيب الدكالي الذي قيل أنه إختار بل ألح على أن يكون آخر من يتكلم، كان الدرس الذي سيلقيه أبو شعيب مجهولا

(230) راجع جورنال أوف موروكو ص 181 ط لندن 1952م ولعل ما وصف به هذا المريض المأبون أهل فاس من فحش لم يسبق إليه إلا من إبن الموقت في رحلته ج 118/2- 120 ط مصر من شرك وكفر وضلال حول ترجمة محمد الكتاني ط الرباط 1962، بل حول ما عرفته طبقة واسعة في مدينة فاس من انحراف راجع فواصل الجمان لتربط مصدر سابق، وكذا ما اثبناه في حق عبد القادر السوداني المعروف بـ "البحاطي" والذي بعد فعله الفاحشة في ظل فرنسي وهو المعروف بانحرافه استحرم بقبر البيوطي كما نشرت جريدة السعادة راجع التاريخ المفترى عليه في الغرب للمؤلف. ثم راجع فواصل الجمان ل محمد غريب ص 206-207 ط فاس 1347 فقد صور فيه جانبا من مجتمع فاس وانحرافهم جنسيا، بلا خجل ولا وجل حيث أورد في ترجمة ابن سلمان ما عبر به من قوله استنوق الحبل لمجتمع فاس في هذا الجانب هي منظومة القاضي ادريس بن علي المالكي البستاني التي سماها "نزهة النساء والرجال، في مجاورة اللواط والزلال" مخطوط خاص وهي من نوع الادب المكشوف جدا والذي كان له رواج في مدينة فاس إلى عهد قريب وادريس بن علي المالكي البستاني هذا كان قاضيا في مدينة أزموور وقد توفي عام 1319هـ 1901. ذكره صاحب الدليل ص 402 ولم يذكر له هذه المنظومة لأنها تعني أمثال عبد القادر السوداني البوحاطي والد صاحب الدليل.

موضوعه من الجميع، ماعدا السلطان عبد الحفيظ الذي قيل أنه في تلك العشية وقبل الإلقاء جره في محادثة طالت أمام ماكان يعرف بـ "القبة المعتمدية" داخل رياض قبة العبيد، وهي مشيدة في مكان عال يصعد إليه بثلاث درجات حيث لا تزال قائمة حتى اليوم بالقصر الملكي بفاس، وفيها وقعت معاهدة الحماية بعد 1912 كان الذي شيدها هو المولى عبد العزيز الذي زينها بنافورة من رخام أبيض شيدت عليها قبة من زجاج مزين بنقوش ملونة، وتحتها مضخة تدار بسواعد لا يرى أصحابها كلما حضر السلطان عبد العزيز إلى القبة المعتمدية مكان طعامه المفضلة، وأمامها - يقول الراوي محمد الشاوي - جلس السلطان عبد الحفيظ وبجانبه أبو شعيب في حديث منسجم كان موضوعه ما ادعاه محمد بن عبد الكبير الكتاني من زعم أنه إجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة، وكان قد سبق للسلطان أن ألقى عليه سؤالاً يوم جيء به مكبلاً بالأغلال بعد فراره وأسرته إلى قبيلة بني مطير كما سبق، فأجاب بأن الذي لقنه الطريقة مشافهة هو الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك أن الكتاني لم يكن يعرف المولى عبد الحفيظ العالم المتمكن وإنما فقط كان يعرفه الثائر الذي قام على أخيه عبد العزيز الذي سبق للكتاني أن عرف في عهده التعزير والنفي إلى مدينة مراكش 1314هـ 1896م ولذلك حق الانتقام منه بالدعاية المغرضة ثم الانتصار للثائر ضده والذي ظن أنه حين يزعم أمامه ما يزعم من الاجتماع بالرسول صلى الله عليه وسلم يقظة يصدق زعمه وضلاله ثم يبالغ في تكريمه. ورغم أن السلطان لم يستطع كبت نفسه من الضحك - يقول الراوي عن الحاجب أحمد لكيسي وقد حضر - كره عليه السؤال فكان نفس الجواب، مما دفع بالسلطان إلى أن يستفتى في حقه جمع من العلماء، وكانوا غير الذين عزوه ثم أعلن التوبة أمامهم بإشهاد في مدينة مراكش، بل من علماء فاس (231) ولذلك أمر بسجنه بعد الجلد ويومها مرأبو شعيب أمام حبسه وهو في طريقه إلى حيث السلطان أمام القبة المعتمدية، ويقول الراوي إن أبا شعيب وقتها قال أثناء كلام لم يستمع إلى كل ما راج منه "هذا زنديق مارق من الدين يقتل شرعا . وفي الوقت الذي كان السلطان والشيخ منسجمين في حديثهما كان الذين تعودوا حضور

(231) كانت الفتوى صريحة مما دفع بشقيقه الجاني عبد الحي الكيتاني إلى أن كتب في أخيه محمد كتابا في بيان كفره وزندقته وإلحاده، سماه "أداء الفرض" وسماه صاحب مؤرخ المغرب رقم 2003 ج 2 ص 430 ط 1960 "أداء الحق الفرض في الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض" ثم قال عنه "أكثر من ذكر مثالب شقيقه" ولعل الذي قرأه يتمعن هو عبد الحفيظ الفاسي ابن عمه الكتاني وهو الذي أخبرنا بما فيه من كفر وزندقة وإلحاد في مذكراته مخطوط خاص ص 163. وفي إعلام التعاريف 160/7 ط الرباط 1977م.

تلك الدروس من علماء ووزراء ومختلف رجالات البلاط يتواردون أفرادا وجماعات في تجاه جامع "بولخصيصات" وما كاد مؤذن العصر ينادي حتى وقف السلطان وضيئه، ثم توجه إلى الجامع الذي ما كاد السلطان يتخطى عتبة بابه حتى أقيمت الصلاة، وبإشارة خفيفة منه تقدم الشيخ أبو شعيب المرشح لا لقاء الدرس ليؤم بالحاضرين، ويعد أداء الصلاة، وحسب العادة، يرتقى الشيخ المنبر المعد لإلقاء الدرس أمام السلطان، والمرتفع فغده عن الأرض بثلاث درجات، وهو منبر أخضر بقي إلى عهد طفولتنا في الأربعينات.

وعلى غير العادة فقد إزدحم المسجد يومه إزدحاما كبيرا لم يعرف من قبل دخله إلى جانب العلماء، والوزراء، ورجالات البلاط، قواد الجيش، وقواد "لحناطي" من أنرايكية، وفراش، ووضوء، وامشاورية، وغيرهم، وإذا علمنا أن حاشية المخزن وأغلب رجالات الدولة كانوا من أتباع الطريقة التجانية وقتها، والتي نشط مبشروها حيث نشاط الفرنسيين الذين اشتد وقتها بعد اتفاقات فرنسا مع الدول المزمحة بريطانيا واسبانيا وإيطاليا واسبانيا وإيطاليا وألمانيا كان بإذن من السلطان الذي كان الإزدحام يهدف من وراء درس أبي شعيب إلى إصلاح عقيدة القوم الذين ضللوا ضلالا بعيداً.

كان أبو شعيب في صلاته وكما هي طريقة كل المشاركة قد ألف الصلاة بالقبض، وهو موضوع لا يزال حتى اليوم مثار نقاش وتنافر في كثير من الجهات بالمغرب الأقصى، حيث ألف الناس السدل الذي قالوا عنه زعما أنه كان عند مالك منكر في الفرض، ومقبول في النقل، وربما هذه أول مرة يقوم فيها إمام جماعة بالمغرب وفيها السلطان، ويقبض إذ لم يسبق أن عرف لأحدهم فعل ذلك ولا حصل نقاش حوله حتى زمن محمد بن عبد الله المالكي مذهباً "الحنبلي عقيدة" الأمر الذي حدا بالمصلين وربما جيبا بما فيهم بعض العلماء إلى الاستغراب مما أحدث وشوشة بعد السلام من الركعة الأخيرة، أدرك سببها بعضهم، فهمس في أذن أبي شعيب قبل إعتلائه المنبر الذي سيلقى عليه الدرس، بل إشتد الهمس والشوشة عندما رأى القوم شخصا عرف أكثر من غيره بالزُّم والخبث والحسد والكيدهم ذلكم هو عبد الله بن عبد السلام الفاسي (232) المتوفى

(232) بانكتر من ذلك عرف أولاده جميعا وأكثرهم ولده عبد السلام الذي سنتعرف على دوره الحقيق في بيعة محمد بن عرفة بعد في عام 1953، ويقول الراوي أن عبد الله لم يمته إلا بعدما رأى ألوانا من الخزي والعذاب حسا بسني، ولم تخرج روحه إلا بعدما إنتفخ لسانه ثم خرج وتدلّى بانكتر من شبر، ولما توفي عام 1348هـ-1929م بالرباط لن بالزاوية العيساوية ولم يدفن بفاس خوف أن يخرج من قبره ويحرق كما فعل بعبد الكريم بن اسليمان وحول هذا =

عام 1348هـ 1929م والذي قيل إن همساته الشيطانية التي أفاض بها على من حوله إستنكارا لسنة القبض، دفعت الكثيرين إلى وشوشة كانت السبب في إنزعاج سلطان الذي صوب نظراته الغاضبة نحو بعضهم، فعاد الصمت والهدوء إلى درجة أن كل واحد أصبح يسمع زفرات من حوله يقول من حضر (233).

لم يكن من الصدفة حين إفتتح أبو شعيب درسه بفاتحة الكتاب، ولم يكن أحد يظن أنها ستكون موضوع درسه، لكنه ما كاد يختتمها بقوله تعالى "غير المغضوب عليهم ولا الضالين" حتى عاد لتفسير معني الحمد الذي أخذ منه وقتا غير قصير كما قيل، ومن أول الكلام تبين أنه عرج على جل ما أورده المفسرون في كلمة الحمد، معتمدا في ذلك أكثر على ما ورد من صحيح الحديث الذي عرف الرجل ببراعته الكبيرة في حفظه والاسانيد الصحيحة المعتمدة فيه يقول الراوي، وعلى غير العادة أظهر السلطان عبد الحفيظ كبير الإعجاب بالرجل من خلال نظراته ثم هز رأسه وخفيف ابتسامته، خصوصا وأن الشيخ أبو شعيب سبق له أن تعرف على ما في جعبة كل الذين سبقوه لاعتلاء المنبر الذي يجلس عليه، وكلهم كانوا دون بعض ما ظهر من فضل الله عليه باستعراضه أقوال المفسرين وآراء الفقهاء مشاركة ومغاربة حول أية فكرة إعترضته كأنه الذي صاغها بعدما أحاط بكل جوانبها والتأويلات الخفية، مقصودة وغير مقصودة من أصحابها، الأمر الذي إستغرق منه كل الوقت حتى أذن المؤذن لصلاة المغرب، ومع ذلك لم يأذن السلطان بإقامة صلاتها إلا بعد وقت زائد، وبعد السلام مباشرة من الإمام المصلي بالقبض، أمره السلطان باستئناف درسه، ووقتها وربما أدرك الشيخ أن عليه أن يجمع القول حتى

= العميل الذي كشفه الألمان للمولى عبد الحفيظ راجع من هذا الكتاب ما سبق حول فرنسا أمام نهاية أبي حمارة ومتاعب عبد الحفيظ بل وكتابتنا التاريخ المفترى عليه في المغرب ط 1969 وما فيه من قصة كشف عمالة عبد الله الفاسي للفرنسيين عام 1909 حيث فضحه الألمان بواسطة الوثائق التي سلموها لمحمد بن عزيز الذي كان السلطان عبد الحفيظ قد أرسله في مهمة إلى الألمان ببرلين في الوقت الذي توجه فيه المقرئ ومعه ولده الطيب وبين عبد الله ثم بن غبريط وعبد الله الفاسي إلى فرنسا. كما سبق ثم راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلاي بالخرزانة الملكية ومديرية الوثائق الملكية. ملف السلطان عبد الحفيظ وكذا كتاب أعيان المغرب الأقصى مصدر سابق ص 761 ط باريس 1939.

(233) فرجى مولاي عمر في حديث مع والدي بالقصر الملكي بفاس شتاء عام 1940 ولقد كان فرجي هذا من خدم الأمير عمر بن السلطان المولى الحسن، وكان يتوفر على جانب مهم من المعرفة ومثله ولده عبد النبي ابن فرجي حي يرزق بالقصر الملكي بفاس.

يتناول القصد من قوله تعالى "إياك نعبد وإياك نستعين"، وفعلا ذلك ما حصل يقول الراوي، وحول هذه الآية وتفسيرها جاء بما لم يكن ينتظره القوم جميعا، علماء، وغير علماء من الحاضرين فقد مسك بخناق الدجالين والمشعوذين ثم تعرض لموضوع الساعة وما هو حديث الكبير والصغير حول خيانة ودجل وشعوذة الكتاني ومن على شاكلته، وادعاه رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة، والاجتماع معه والأخذ عنه مشافهة، مما إستوجب قبل تعزيره لامن العلماء بمراكش، وإعلان توبته بتوثيق وشهادة إثبات، كما سبق ولما مال حمل المولى عبد العزيز ثم آل إلى السقوط بسبب خيانة من حوله وأنقذ الموقف صنوه عبد الحفيظ عاد الكتاني بروح من الدجل وجرالغوغاء بعنفهم واندفاعهم إلى مناصرة الثائر المنقذ بحماس عنيف جلب له بعض المتحمسين ثم سلطهم بدعاية مفرضة على بعض العلماء بالحرم الإدريسي (234) ظنا منه أن ذلك سيمكنه من الحظوة عند المولى عبد الحفيظ، لكنه نسي أن علم الرجل وعقيدته لا يشتغل عنهما بدجل أو خرافة، وإذا هو عمل على تكبيره بالتوبة التي أعلنها الكتاني قبل في مراكش، فإن هذا الأخير وبطريقة بهلوانية أظهر تمسكه بدعواه، خصوصا وأنه كان قد استشعر الدعم الفرنسي الذي كان وراءه سانتولير كما أخبر بذلك قبل محمد العربي الطريس وهم ما حاول التستر عليه العميل كبابص «محمد الجباص» وهنا كان على السلطان عبد الحفيظ أن يستدعي له بعض العلماء الذين كانوا شهودا على الماضي ليقولوا رأيهم في الحاضر، فكان اتفاقهم على قتله، وقد كتبوا بذلك وثيقة من نسخ متعددة وزعت على جهات مختلفة ليعلم المواطنين وخصوصا الذين في قلوبهم زيغ من الذين يمسه نزع الشيطان من نبي حمايات المهنيين للفتن فيفترون ما يفترون ويدعون ما يدعون (235). كل ذلك كان أبو

(234) كان من بينهم القاضي ادريس بن عبد الهادي العلوي و21 معه انتصروا لعبد العزيز مما اضطره بعد هرواض رجل بفاس بالعمل الفلاحي إلى مغادرتها والتوجه إلى الحرمين، وفيها توفي عام 1331هـ 1913 بالمدينة المنورة ويقول ابن زيدان في الإتحاف 352/5 ط الرباط 1933 أنه توفي عام 1329هـ 1911 وهو خطأ، والواقع أن نفس ادريس بن عبد الهادي كان عزيزيا، ولما تمكن الحزب الحفيظي لم يقبله وعرف بعض المضايقات. ومن أجل ذلك توجه لاداء فريضة الحج وهو في حالة نفسية متأزمة حيث ساقه قدره.

(235) راجع قبل فرنسا أمام نهاية أبي حمارة، ومتاعب عبد الحفيظ، والأعلام للمراكشي عباس بن إبراهيم

مصدر سابق 160/7 ط 1977 و ت 144.

شعيب الدكالي قد أحيط به علما مدة وجوده بفاس(236) التي حل بها قبل سنة على فضيحة الكتاني مما جعله يعرف عن الكتاني الكثير والكثير جدا ليس عنه وعن ترهاته واتخاذة الدين ناموسا يبتز به المغفلين فيصبح ذا مال بعد إملاق، ومن مهارة أبي شعيب يقول الراوي أنه تناول الشعوذة والمشعوذين عبر التاريخ في ذلك المجال خصوصا منذ عهد العباسيين وما تلاهم من الفاطميين في المغرب والمشرق، وإذا هو وجد من السلطان إستعدادا لتقبل ما كان يردد من أفكار محمد بن عبد الوهاب، واعتمادها على مذهب أحمد بن حنبل ومن جاء بعد، كابن تيمية وابن القيم، وما عرف للمولى سليمان من موقف جميل زانه إنتصار فئة من كرام علماء المغرب يتقدمهم حمدون بن الحاج السلمي، فإن أبا شعيب ارضاء للسلطان وقد تعددت دروسه اياما وأسابيع وشهور توسع في الموضوع مع ذكر أسماء أنصار السنة من علماء المغرب السابقين أمثال محمد بن ناصر الجعفري الزينبي المعروف بجبل السنة والمتوفى 1098 هـ/1686م وأبو علي اليوسي، وعلى بن عبد الواحد ابن سراج السجلماسي الانصاري صاحب التفسير ومصطلح الحديث، ومحمد بن سليمان السوسي المتوفى 1094 هـ/1682م، بل إن عدد الذين سبقوا زمن محمد بن عبد الوهاب وكانوا على نهجه في المغرب وتعيهم ذاكرة أبي شعيب الدكالي كما تعيهم ذاكرة السلطان عبد الحفيظ وعبد الرحمن بن القرشي وغيرهم من بعض العلماء الحاضرين وقتها وعددهم كثير كلهم تعرض لأسمائهم المحاضر، مما جعل الحاضرين من أحفاد أولئك العلماء وأنصارهم يتجاوبون مع أبي شعيب، وبذلك وبطريقة لم يكن يقصدها أبو شعيب إستطاع أن يصنع من الحاضرين فريقين فريق إنتصر لرأيه وحسبه إمتدادا للسلف الصالح، وفريق أخذ وقتها ينتقده ويشنع عليه بإسم "الوهابي" وما يتبعها من "بدعة" الهدم للطرق والتحریم لزيارة القبور قصد الاستغاثة إلخ ولعل أبا شعيب كان قد

(236) كان أبو شعيب قد حل بها في شهر صفر عام 1326 هـ مارس 1909 والمصيبة حلت بالكتاني بعد سنة في آخر نفس الشهر من سنة 1327 هـ مما يستدل به على أن المدة التي قضاها الشيخ شعيب في مدينة فاس كانت كافية لمعرفة أحوال أهلها وما كان عليه القوم من ضلال يزينه أمثال الكتاني. ومن كانوا وراء الكتاني من جماعة السفار الفرنسية الذين سكنوا مدينة فاس وقتها والذين كان لهم تدخل مباشر في فضيحة الكتاني الذي كان قد مشى معهم خطوات بعد الرحلة التي نظموها له لفرنسا باسم الحج قبل ست سنوات، راجع ما كتبه ولده الباقي الذي قاده جهله إلى الفضيحة بما نشره 1962م.

عرفه المتجاوبون بشيء من ذلك في الكواليس قبل، لكنه لم يجهر بما يستوجب التحزب هذه إلا بعد ما بدأ السلطان يقربه ويظهر إكرامه من أجل ذلك.

في هذه المرحلة بدأ شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي التعرف على ما جاء به أبو شعيب من أفكار ابن تيمية وابن القيم، وكان سنة وقتها على أبواب الثلاثين ولشد ما كان إعجابه بالأفكار التي حملها أبو شعيب من المشرق، والتي كانت وقتها قد وجدت لها أنصاراً ومؤيدين في بلاد مختلفة من المشرق العربي، منهم من إتخذها وسيلة لمحاربة الشعوذة والضلال الذي إنتشر بواسطة الطرق إفتراء على الإسلام، ومنهم من إتخذها وسيلة لتوعية الجماهير والدفع بها لمقاومة الاستعمار وفي المغرب اتخذت السلفية وسيلة لنشر الوعي أولاً، ثم لبعث الروح الوطنية ثانية، ولكن على يد شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي وليس على يد أحد غيره كما سنرى. قبل أن يتزعم محمد ابن العربي العلوي الفكر المغربي، والدفع به في طريق الوعي والبعث والتجديد، لأنه لم يكن قط لأحد أن يتحمل ما تحمل، ولا أن يصبر صبره، بل ولا أن يتجرد مادياً تجرده كما سنرى من خلال تاريخ حياته، أولاً، وتاريخ التدرج في البعث والتكوين والمقاومة التي كان المخطط والوجه لها حساً ومعنى ثانية وكما سنرى بعد أن نودع أبا شعيب.

كان أبو شعيب الذكالي قبل عودته من أرض الحجاز إلي المغرب، لم يفكر في البقاء أكثر من مدة الإعداد لعودة أسرته التي إختار لإقامتها إحدى المدينتين مراكش أولاً، ومدينة فاس ثانية، لكنه وقد أصبح في ضيافة سلطان قدره وأكبر علمه، فما عليه إلا أن يضع نفسه رهن إشارته، وإذا كان عبد الحفيظ بإنقلابه قد حقق الهدف السياسي، فإنه قد إكتشف أن عمله ناقص إذا لم يركز بوعي صادق ويقظة وإدراك للمخطط ثم للعبة التي دخل فيها جماعة الطابور الخامس المكون من خليط المتأمرين من أصحاب الحمایات بفاس، والعملاء بإسم الدين مثل الكتانيين، والتجانيين، ومن على شاكلتهم من جهة، وحتى يتحقق للبلاد ما يريد لها من تقدم، يجب إصلاح عقائد الناس ثانية، وهذا ما أخذ يتمكن بظهور جماعة من الشباب الذين أخذوا يصارعون ضد الدجل والشعوذة والإفتراء على الدين، وإذا كان عبد الحفيظ بإكرامه وتقديره إستطاع أن يحول الشهرين أو الشهر

الثلاثة التي كان أبو شعيب قد خطط لقضائها في المغرب، إلى ثلاث سنوات، كان فيها عمل أبي شعيب وبحمية السلطان ورعايته بمثابة المصباح الذي بدد الظلام وأنار الطريق في الوقت المناسب، فإن عبد الحفيظ لم يدرك أن زيت المصباح قد ترك في الحجاز أو بلاشك أدرك وأراد أن يتمكن الجنود من فهم الطريق على ضوء المصباح قبل أن يتركه للآخرين.

كانت الثلاث سنوات التي قضها أبو شعيب في المغرب مما يجب أن يحسب لها حسابها في تاريخ المغرب السياسي المعاصر، إذ بها بحق وبرعاية عبد الحفيظ وعنايته، وكبير وطنيته وأريحية إكرامه، كانت كلها عمل مثمر، دروس وندوات أقيمت عليها فئة خاصة، وحتى هذه الفئة كان منها من أقبل مسابرة لرغبة السلطان، ومنها من أقبل حبا في الإستطلاع، ومنها من أقبل إدراكا لخطورة الرسالة وكبير فائدتها خدمة للدين والوطن، وكان ذلكم هو شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي بخالص نيته وصادق عزمه إختاره القدر لإتمام الرسالة التي لم يستطع حملها أبو شعيب زمنا أطول بل ولا أحد من الذين عاصروا أبا شعيب ولا من الذين جاؤا بعده، لأن أدعائها كان يحتاج إلى مجاهدة كبيرة وعزم أكبر، وقدرة على الصبر والتضحية والقناعة والتحمل والثبات، وكل تلك المزايا لا تتوفر إلا فيمن وطد العزم علي التحكم في شهوات نفسه، ولم يعرف التاريخ السياسي لتلك المرحلة من كان كذلك، واستمر إلى آخر نفس من حياته كما سنرى، مثل عبد الرحمن بن القرشي الامامي في جانب، وشيخ الإسلام بل محرر الفكر المغربي الذي قهر الإستعمار الفرنسي، وحطم أذنابه، محمد بن العربي العلوي والذي منذ أدرك الشباب الصاعد وقتها الحقيقة، وتمكن من معرفة الرسالة تجند بصدق وعزيمة لأدائها ففي تلك السنوات الثلاث، لم يترك وسيلة من الوسائل للدفاع عن أبي شعيب الذي أصبح مستهدفا للشر من جماعة خاصة، هي جماعة الطرف الضالة بل وحتى يشعر أبا شعيب أن زرعه أثمر وجهده لم يضع، وإذا كان محمد بن العربي علي إتصال دائم بالسلطان عبد الحفيظ وبحاشية المخزن بحكم مهمته كمعلم لأبناء السلطان، فإن ميدان تجاربه ضد الشعوذة والدجل وضلال الطوائف وبدعة التوسل بالقبور، كان هو حاشية المخزن، حيث

نكنت التجانية من البسطاء بشكل كبير ومركز، وكان هذا مما أو جدله جوا من الصراع النيف ليس بين الذين إستجابوا للفكر السفلي من المثقفين وأشباه المثقفين وهم قلة، بل من العامة كذلك، وكان الناشر والدافع والمنشط فوق العادة وبطريقة أثلجت صدر السلطان عبد الحفيظ ودفعت بأبي شعيب إلى الإقبال وعدم التراجع هو محمد بن العربي العلوي الذي كان يتوفر على أكثر من عامل من عوامل التشجيع والانتصار، فهو أولا الشاب الذي أصبح في نظر كبار العلماء محل تقدير واعتبار بما حقق من مستوى رفيع في مجال العلوم والمعارف، رشحه وبإجماع العلماء للقرب من السلطان العالم الذي اقتنع بكلمة لأولاده، ناهيك وأن عبد الحفيظ العالم عن جدارة، ما كان ليقبله ويقبل عليه لو لم يتحقق من علم الرجل وكفأته، ثانيا وحسب معطيات العصر وتقدير الناس وقتها فهو من أكرم آل البيت وأشرفهم، بما توفر عليه من دين وعلم وسلوك ونسب، وثالثا فهو ابن أخ القاضي الذي شرف هذا القضاء بمدينة فاس والمعروف باسم "سيدي بن محمد العلوي الحسني". المتوفى عام 1325هـ 1907م والذي عرف مجتمع فاس علمه وفضله بمكانته التي كان يكبرها أحمد بن موسى كل الاكبار، ويقدرها العلماء والأخيار.

تلك كانت بداية عمل شيخ الإسلام محمد العربي العلوي التي ظهرت في عهد السلطان عبد الحفيظ واشتدت ثمارها وأينعت في حياة أبي شعيب الدكالي الذي كان كرم عبد الحفيظ قد ضيعه ثم دفع به في متاهات حب المال والتعلق به، حتى أصبح شغله الشاغل وأمله في الحياة الإتجار بواسطة جماعة من أهل الرباط أحببت العلم وأخلصت إليه فتعامل معها بالقراض وأخيرا انجر إلى معاملة البنوك، وذلك ما سيصرح بالندم عليه في آخر حياته بل حب التملك إلى درجة أنه كان ضمن تركته حوالي ألف هكتار لا تزال آثارها خلفه في أرض مغشوش من أرض زعير قرب مدينة الرباط، بل إنتهى أبو شعب إلى تعلق كبير بإدارة الحماية بعد فرضها محافظة على المكانة المادية التي ما كان لها أن تستمر ويتمكن من غير أن يكون كذلك وقد رأينا موقفه وهو القاضي بمدينة مراكش من القائد الناجم بطل المجاهدين بها، بل وتوجيهه لتسع مائة وخمسين من الغاربة الذين بقوا من الحرب مع الألمان استقبلهم في مرسى الدار البيضاء بقوله 1912:

لقد عدتم من جهاد وستذهبون إلى جهاد حين وجهوا إلى تافيلالت التي كانت المقاومة فيها على أشدها، وقبل تلك المعارك سيقتل جدي للأب المدني بن كروم 13210هـ=1892 ويقتل بصره بقية حياته في معركة يناير 1351هـ=1932م إلى أن توفي رحمه الله بالقصر الملكي بفاس على الساعة 2 1/2 بعد الزوال من يوم السبت 14 شوال 1396هـ=1976/10/9 بعد ما مضى من عمره 96 سنة أو تزيد.

لقد انغمس الشيخ أبو شعيب في مرجة المادة وحب المتاع بشكل انتهى به إلى الفتنة التي فقد معها صوابه حين أقبلت عليه الدنيا التي جرها إليه أهل الرباط الذين عرف كيف يستثمر بهم المال الجديد ويأليته ما فعل لأن النهاية كانت أليمة والمدفن في مكان أثيم جامع يصلي فيه المسلمون ولقد كان السبب في كل ذلك وأكثر إلى درجة أن سلوكه تبدل وتغير هو كرم المولى عبد الحفيظ وإحسانه الذي بالغ فيه حين زوده بألف دينار ذهباً وما يتبعها من الصلة التي كانت توجه من الملوك العلويين إلى الحرمين وعلمائه، والطلبة المغاربة وغيرهم، وذلك حتى يعود بأهله إلى المغرب،

ويقول الراوي أن السلطان عبد الحفيظ عندما أراد أن يمكن أبا شعيب من مبلغ الألف دينار ذهباً، الخاصة به ومن أجل العودة بأهله إلى المغرب قال له وبلهجة كلها تواضع، وتنم عن همة عالية وخلق كريم "يا أبا شعيب تقبل هذه الهدية وهي بعض ما يجب علينا من أجل تكريم العلم، ونطلب من الله أن تعود بالسلامة" وفي تجاه الخروج نحو باب البوجات كان يقف الحاجب أحمد لكريسي المراكشي وبقية الخدم، وأمامه صندوق وقف بجانبه بعض الخدم المقربين "قدور والبشير ومحمد الشاوي" وقد أمر السلطان بحمله رفقة أبي شعيب إلى حيث يقيم وقد كان الصندوق يحتوي على ما يليق من الهدايا، وأفخر الثياب للشيخ وأهله ومعارفه.

كان ذلك في آخر شهر من عام 1328هـ/1910م حيث توجه أبو شعيب إلى مدينة طنجة، ومنها إلى الحجاز بحرا ثم عاد بأهله على عجل، وإذا كانت مدينة فاس قد بدأت تعرف نشاط محمد بن العربي العلوي وغيره من الذين إقتبسوا مما حمله أبو شعيب من أفكار السلفية، فإن على السلطان أن يوجه أبا شعيب إلى المدينة التي أحبها وأحب أهلها، إنها مدينة مراكش التي كانت أول من ناصره أهلها، وحتى يرتفع صوت أبي

شعب وتكون له المكانة التي تساعده على أداء الرسالة أسند إليه منصب القضاء فيها، ولم تنته سنة 1329هـ/1911 التي عين فيها، حتى كان أبو شعيب الدكالي - وبعد مغادرة السلطان عبد الحفيظ للمغرب وتمكن إدارة الحماية في المدن الكبيرة - قد تأقلم وتفتحت شهيته نحو المباحج وما توحى به الألف دينار ذهباً من الإغراءات التي كان يلوح بها العلماء الذين وكل إليهم الحد من نشاط الشيخ رغم أنه وبحكم الظروف وما مره من تجارب في مدينة فاس لم يتعرض للسياسة التي كان فيها جباناً كما سنرى وإنما إكتفى بالتوجيه والإرشاد "وإصلاح العقيدة بلا تحمس، وازداد إقتناعاً بوجوب التعامل ببضاعة مصر، وحتى يزداد إنشغالاً وقد تبدلت الأيام وأصبح الناس غير الناس، ثم هو أيضاً رشح من اليوطي لوزارة العدل في ظل الحماية، فإن عليه أن يتوجه إلى الرباط، وفيها أصبح الشيخ أبو شعيب العالم، المحاضر، المدرس، الوزير، الفلاح، المستثمر للأموال مع بض تجار الرباط والذي رغم إنشغاله بمآت الهكتارات في مغشوش من أرض ازعير واستثمار أمواله في التجارة بواسطة البنوك وآل بوهلال وغيرهم فإنه لم ينشغل عن الدرس الذي يمكن له اجتماعياً بين الناس ويحقق مقاصده الذاتية، ولم يكن في غير الحديث النبوي بلا سياسة بل كان يلقى دروساً دورية بالزاوية الناصرية في مدينة الرباط التي عرفت بعد نشاط جمهرة من خيرة علماء السلفية يتقدمهم العالم الجليل النظيف ناضي الجماعة بفاس سابقاً محمد بن عبد السلام السايح الرباطي المتوفى عام 1367هـ/1948م والمدني بن الحسيني وغيرهما رحم الله الجميع(137) وإذا كان

(237) سنتوسع بعد في هذا الموضوع، راجع ذكرى فتح البخاري من طرف أبي شعيب موضوع كتبه محمد بينار عام 1920 ثم ديوان محمد الجزولي رحمه الله ص 49.38 ط الرباط 1971 كما سنرى ان الجزولي الشاعر الوطني يعتبر أقوى معاصريه أدبياً وأوسعهم ثقافة، ويعتبر هو ومحمد بن اليمني الناصري من جيله، نتيجة نهضة علمية عرفتها مدينة الرباط أواخر القرن 19 كان قوامها العلماء التالية أسماؤهم والذين كانوا ينشرون العلم بواسطة ماكانوا يلقونه من دروس إحتفظت لنا بها مذكرات الفقيه المقرئ الفاضل السيد محمد بريش، خطيب جامع مولاي الكي بالرباط حيث تلقيت عنه الجدول التالي حول يوميات الدروس التي كانت تلقى بمختلف مساجد الرباط في حدود 1873هـ 1873هـ جاء فيه:

(1) المكي بن محمد البطاوري المتوفى 1354هـ 1936 والمعروف بشروحه وأدبياته، كان يلقى دروسه صباحاً بالجامع الأعظم قبالة جامع الجنائز (2) على دينية في الجانب الآخر (3) الهاشمي الزباني زوالا قبالة المنارة (4) عمر عاشر وسط النهار بجامع الزناكي بالكاف المعطشة (5) محمد لبربري زوالا بزواية حنصالة (6) محمد بن ابراهيم =

أبو شعيب قد بلغ ذروة المجد علما وجاها ومالا، فإنه استهدف أولا لحرب المشعوذين والخرافيين، وبحكم إنشغاله بوسائل الثراء حصل له ما يحصل لمن ينشغل بذلك، وقد عبر عن ذلك القائد الناجم الباعمراني الذي روى عنه العالم التقي، محمد المختار السوسي مذكراته في المعسول ج 20 وما قال له الشيخ أبو شعيب والفرنسيون بقيادة الجنرال "مانجان" على أبواب مدينة مراكش والشيخ قاضيا، وكذلك إستقباله للمجندين المغاربة بعد نهاية الحرب العالمية 1918م وتوجيههم "لتهدة" الحروب التي كانت مستعرة ضد للفرنسيين في تافيلالت كما أشرنا وأما ما استهدف له من الذين تقربوا إليه ثانية من الكيد والدس واللؤم فهو تملق الانتهازيين ومنهم بعض السوديين الذين صاهرهم بزواج ولده عبد الله من إبنة محمد بن عبد السلام بن سودة الذي جرت زوجته لمذهب أبيها المتجذر في الخيانة التي عرف بها بعض أفراد أسرة النحس الأسود عبد الواحد منذ عهد المولى محمد بن عبد الله وخلفه المولى سليمان كما سبق عند الزياتي حتى إن عبد الله بن الشيخ أبي شعيب الذي أصبح قاضيا في الدار البيضاء إنساق ضمن قافلة الخونة ضد محمد الخامس عام 1953 فتعرض لرصاص القداء الذي أخطأ أخاه عبد الرحمن ثم تركه ليصبح بعد الاستقلال من ضباط الجيش بل ومرشده العام، لكن التاريخ لا يقيم وزنا لذلك بل يقول للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت حتى يكون عبرة بين الناس.

ولعل الشيخ أبا شعيب رحمه الله أدرك شيئا مما سيجنيه من مصاهرة السوديين فقال وهو على فراش الموت لمعلم أبنائه ورفيقه الفقيه الوطني الغيور الحاج محمد الخنوبوي الحسني بتعريف أبي شعيب وعنه رويت ما قاله بحسرة وألم "ما ندمت على

= بالزاوية الناصرية (7 المكي بن عمر بين العشائين 8) التهامي بناني بالجامع الأعظم زوالا. 9) عبد الرحمن لبريس صباحا بمسجد القبة، وبعد الزوال (10) أحمد ملين في الساعة العاشرة صباحا بالجامع الأعظم (11) الجلابي بن إبراهيم به أيضا، وبفضل هؤلاء وما نشره من علوم ومعارف. بل وليس هؤلاء فحسب عرفت مدينة الرباط أمثال العالم الجليل الحيسوبي والمهندس المعروف المهدي بن عبد السلام متجنوس الأندلسي الرياطي المولود 1225هـ المتوفى يوم الأحد 4 ربيع الأول عام 1344 هـ. وقد عرف متجنوس بدرأيته في علوم القرآن تفسيراً وروايات، ومعرفة الأبعاد والتوقيت والفلك، وهو صاحب المنظومة ضد البدع المعروفة بـ "وقاية الإنسان مما يبدأ في الأزمان" الدليل ج 2\434 ط 2 عام 1965 بالبيضاء.

شيء في حياتي أكثر من ندمي على العودة للمغرب، ومصاهرتي للسوديين، وتعاملي مع البكّ ومع ذلك فرحم الله أبا شعيب وأسكنه فسيح جناته بفضل عفوه وجميل إحسانه، لأنه لولا ظهور أبي شعيب في الوقت المناسب، ولولا إقبال السلطان عبد الحفيظ عليه بتكريم ما جاء به من أفكار، لكان الطريق أطول ولحصل لأبي شعيب ما حصل لسلفه العظيم عبد الله بن إدريس السنوسي(238) المتقدم الذكر الذي هاجر فرارا من الخذلان الذي عرفه زمن المولى الحسن، فتوجه إلى جهات مختلفة من بلاد الشرق إلي أن حظ رحاله في أرض الحجاز زمنا ثم عاد إلى طنجة، وبها توفي رحمه الله عام 1328هـ/1910م. أما الشيخ أبو شعيب فإنه بعد عهد الحماية وتوليه منصب وزارة العدل إلى عام 1344هـ/1925م والتي غادرها بعد مرض ألم به وطال إلى عام 1356هـ/1937م حيث توفي، رحمه الله، فعاد به خلفه وهو ميت هامد إلى ما كان يحاربه حيث دفنوه جانب القبلة بضرير مولاي المكّي الوزاني بالرباط، وفي الجامع المعد للصلاة وإنا لله وإنا إليه راجعون، هذا في الوقت الذي يعلم القوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال "لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيداء، وصلوا عليّ فإن صلواتكم تبلغني حيث كنتم"(239) لدى علي بن الحسين رضي الله عنه ذلك أنه رأى رجلا يجيئ إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا تتخذوا قبري عيداء ولا بيوتكم قبورا، وصلوا علي، فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم" رواه في المختار، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والرواية لعمر رضي الله عنه "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله" أخرجاه، ولقد أكد لنا التاريخ أن من أسباب الكفر الغلو في وصف الصالحين ومجاورة الحد، وذلك بأن يجعل لهم من حقوق الله الخاصة به وهو الكمال نصيب، بل بعضهم يعطي لهم التصرف المطلق كما سبق من قول المستغيث بعبد القادر الكيلاني والمتكلم على لسانه وعلى لسان

(238) راجع معجم الشيخوخ ج 81/2.

(239) الرواية لأبي هريرة رضي الله عنه؟؟.

إدريس الثاني دفين فاس(240) إلخ ويكفي للدلالة على أن القوم بالغلوا في الضلال الذي عرفته مدينة فاس بما صنعه المفلسون بضريح المولى إدريس الذي تصلى فيه الأوقات الخمس والجمع مع العلم أن الرسول قد نهى عن ذلك، والنهي في الكتاب والسنة أمر حيث قال ص: "لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها" والحديث صحيح رواه البخاري ومسلم، وهكذا لا يصح الإيمان ويصدق إلا إذا كان صاحبه ممن قال فيهم كتاب الله تعالى: "إنما كان قول المومنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم الفائزون" الآية 52 سورة النور.

ومهما يكن فإن المرحوم محمد الجزولي أديب الرباط وشاعرها الذي لا يجارى بل شاعر المغرب الوطني الفذ في العقد الثاني من القرن العشرين، هو الذي عرف بالشيخ أبي شعيب وقتها أكثر من غيره حتى إن من أجمل ما في ديوانه "ذكريات من ربيع الحياة" هو ما يتعلق بالشيخ أبي شعيب "الصرخة التي أيقظت من في القبور" ص 27 ط 1971 "الرباط، وختمة شيخ الإسلام" 3631 وذكرى البخاري، ورحم الله أبا شعيب ويرحم الجزولي القائل في ختام القصيدة وقد بلغت أبياتها 164 من ص 38 إلي 47.

أبا شعيب وهل في الغرب من أحد	يجزى أياديك الحسنى ويرضيها
الله يجزيك عنها وهو مانحها	وليس يجزيك عنها غير مؤتيها
حسب الجزولي إذا منك القبول بها	عذراء تغضى حياء من محبيها
فأقبل بكف الرضى منه هديته	إن الهدايا على مقدار مهديها

لكن أبا شعيب توفي رحمه الله يوم 8 جمادى الأولى 1356هـ/1937م وذلك في أول سنه من العقد السابع إذ هو من مواليد 1295/1878م وقبل ختام هذا الفصل وجب أن نعرض على القصيدة المطولة للسلطان عبد الحفيظ، والتي صال فيها وجال ضد البدع، وهي بحق تصور لنا ما كان عليه واقع الضلال والافتراء على الدين وقتها، وهي فيما يلي مبتدئة بضلال التجاني، بل وتعطينا صورة كذلك على أن عبد الحفيظ ما فعل مع أبي شعيب من الإحسان ما فعل إلا من أجل أن يتخذ منه وسيلة للتعبير عن أفكاره التي

انت في حاجة إلى من يعبر عنها وينشرها قصد محاربة الزيف والبهتان والافتراء على
لين يقول السلطان عبد الحفيظ رحمه الله:

على فَقَدِ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ وَسُنَّةِ؟
وَيَلْبَسُ مِنْ سَوْدِ الثِّيَابِ لِبُرْدَةٍ
وَيَسْقِي ثَرَى الْأَحْزَانِ مِنْ فَيْضِ دَمْعَةٍ
جَوَانِبِهِ بِالْمَرْجَفَاتِ السَّخِيفَةِ
وَحِرْصاً عَلَى هَدْمِ الْحَصُونِ الْمَنِيَعَةِ
وَصَوْتَهُ مِنْ آلِ الْفِعَالِ الشَّيْعَةِ
يُحَلِّلُهُ الْمَوْلَى مُرَوِّطَ مَذَلَّةِ
فَبَاعُوا بِخَزْيٍ بَعْدَ بَعْدٍ وَلَعْنَةٍ
وَكَمْ لَهُمَا مِنْ قَائِلٍ يَنْبُوءَةٍ
وَمَا اسْتَهْوَى مِنْ أُوَيْاشٍ كُلِّ قَبِيلَةٍ؟
لَمَّا فَدَمَ الْبَاغِي بَدُونَ نَتِيجَةٍ
تَرْدَى بِهَا آلُ الْعُقُولِ السَّقِيمَةِ
وَأَفْضَلَ مَتَّبِعِ بَدْعِ، عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي؟
خَبِيرٍ بِمَا يُنْبِي بِهِ دُونَ مِرْيَةٍ
دَجَاجِيلٍ تَضْلِيلُ تَقْوَمُ بِحُجَّةِ
سِرَاةِ الْوَرَى آلِ النَّجَا، وَالنَّجَابَةِ
قَوِيمٍ، حَمَاهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ فَرِيَةٍ؟
غَيُورٍ، فَلَا يَرْضَى لَهَا بِمَهَانَةٍ
بِسُنَّةِ خَيْرِ الْخَلْفِ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ
وَكِرْسِيَّهِ الْأَسْمَى، كَذَاكَ بِحَضْرَةِ
مِنَ الْغَشِّ وَالتَّدْلِيسِ فِي خَيْرِ مَلَّةِ
عَيَاناً عَلَى الْأَشْهَادِ، مِنْ دُونَ حَشْمَةٍ
كَذَلِكَ فِي اللَّاهُوتِ قَوْلَةٌ رَدَّةٌ

أَلَا هَلْ بَكَى مَثَلِي كَثِيبٌ بِمُقَلَّةِ
لِهَذِهِ فَلْيَبْكُ الْكَثِيبُ تَوَجُّعاً
رَبِّهِمْ جُمَاناً مِنْ سَحَابِ أَعْيُنِ
بِرَبِّي جَنَابِ الدِّينِ حَيْثُ تَضَعُضَعْتُ
نَحَامِ حَمَاهِ الْمُبْطَلُونَ جَهَالَةً
رَبَّابِي إِلَهَ الْعَرْشِ إِلَّا ظَهْوَرَهُ
فَكَمْ سَامَهُ خُبٌّ بِسَوْءٍ وَبِاطِلِ
وَكَمْ رَامَهُ قَدَمًا دَجَاجِيلُ ضَلَّةِ
مُسْلِمَةً يَقْفُو طَلِيحَةَ نَهْجَةٍ
أَرَأَيْتَ إِلَى الْوَهْبِيِّ وَالْهَرِغِيِّ قَبْلَهُ
فَكَلَبَهُ الْعَيَانَ بَعْدَ مَصِيرِهِ
فَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا ضَلَالَةٌ
أَمَا قَالَ مُهْدِينَا مَقَالَةَ صَادِقِ
وَأَنْبِئْنَا إِذْ قَالَ قَوْلَةَ نَاصِحِ
لِبَيْنِ يَدَيِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَاللَّقَا
تُضَلُّلِ أَقْوَامًا، وَيَهْجِرُ نَحْوَهُمْ
أَمَا عَلِمُوا أَنَّ الشَّرِيعَةَ مِنْهَجُ
لِأَنْ مُرِيدَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ رَبَّنَا
فَوَاعَجَبًا مِنْ صَبِيَّةٍ قَدْ تَلَاعَبُوا
كَذَاكَ بِأَمْلاكِ الْإِلَهِ وَعَرْشِهِ
يَبْتُونُ فِي الْأَوْغَادِ مَا حَوَى صَدْرَهُمْ
فَطَرًّا بِتَلْوِيحِ، وَطَوْرًا صِرَاحَةً
بِقَوْلِهِمْ فِي النَّاسُوتِ قَوْلَةٌ كَاذِبِ

وفي الرَّفْرِفِ الأعلى يخوضون تارةً
 وءاونةً في الذَّاتِ، والوصف تارةً
 وبأحوالِ بآقوالِ تحدُّواُ بها كما
 أشاعوا مقالاتِ تعاظَمَ وقَعُها
 فَمَنْها لَقَدْ حَصَّ الإلهُ جَنابِنَا
 فَمِنْها وَإِذْ ما أَوْحَشَ اللهُ حَبِّه
 حَمَلنَاهُ فِي الإسراءِ عِنْدَ فِرَاقِه
 وَمِنْ أَشْنَعِ التَّضَلِيلِ بِالزُّورِ قَدْ أَتَى
 يَقولُ سَفَاها إِنها قَدْ تَساقَطتْ
 وَمِنْها صِلاةٌ عادِلتْ قولَ رَبِّنا
 وَمِنْ ذاكِ تَشْبِيهَ الرِّسولِ بِنَفْسِه
 وَتَشْبِيهَهُ أَعلامَ أُمَّةِ أَحْمَدِ
 بَعَمُرِو أَبِي جَهْلٍ وَكُلِّ مَعانِدِ
 فَبِالأسْوَءِ الأَعْمى كِذا بَابِنِ وائِلِ
 لِذا قَصَّ فِي المِعيارِ عَن كُلِّ مارِقِ
 لأَكْرَمِ أَعلامِ ذَوِي العِلْمِ والتَّقَى
 وَإِذْ ما رَوَى قولَ الرِّسولِ بِمَحْفَلِ
 وَمِنْ أَشْنَعِ التَّهْوِيلِ فِي الدِّينِ أَنَّهُ
 وَيَصْرِفُ أسبابَ النِّزولِ لِنَفْسِه
 وَمِنْها أَنَا مُهْدِي الأَنامِ بِمِغْرِبِ
 وَمَنْ حامِ حَوْلِي مَن تَلامِذةٌ فِلا
 وَمَنْ رَأى وَجْهِي، لا يَعْذَبُ دائِماً
 وَهذا ضلالٌ لا يَقولُه مَنْ غِذا
 وَقَدْ شاعَ عَن أوباشِ صَحْبِه أَنَّهُ
 وَأَنَّهُ مَأْمورٌ بِإِحْياءِ سَنَّةِ

وأونةً في التاج جهلاً وهمّة
 كما خاضوا جعلاً في عماء وحيرة
 أباحوا لأتباع الهوى كل رخصة
 فلوا صادفت شم الجبال لدكت
 بعلم شريف بون خير الخليفة
 محمداً المختار من خير أسرة
 لجبريل حقا، بعد بعد المسافة
 يطوف على الأعيان يوماً بشعرة
 من المنتقى إذ مس وأفر لحية
 مراراً، وذا في الدين أعظم تلمة
 وأصحابه بالصحب أفضل صفوة
 شمس الهدى أنوار كل طريقة
 عدو رسول الله، خير البرية
 وبابن أبي معيط وابن ربيعة
 يبغض أتباع الهوى والضلالة
 وأفضل خلق الله، خير عصابة
 تنظم في الرواة راكب بدعة
 مراد بقول الله في غير آية
 وأنه معنى فيهما دون مربة
 ومحيي رسوم الدين فيه بحجتي
 يعذب المولى إلى عد سبعة
 وصار سعيداً بعد طرد وشقوة
 يفوض أمراً غامضاً للمشيمة
 محمد الثاني، وحيد الطريقة
 لقد درست آثارها في البسيطة

وأحرى، وقد قوَّاه ضَعْفُ العقيدة
ومسبعة وحشًا ومرتع جنَّة؟
وقد أصبحوا هلكى ببيد وقفرة
وفاته ما يرجو، وباء بخيبة
شريدًا عن الدنيا، ومنها في نفرة
صفاء قلوب مع صفاء سريرة؟
وصدق وعزم واقتفاء الطريقة
وخوف وإخلاص وإلزام توبة
فجمعهما يدعو إلى كل ريبة
دنيًا فقيد اللب ساقط همة
تطهر من يدنوا إليها بسرعة؟
وأرضاهم راضٍ بأيسر بلغاة
ومن غيره هم في نفور ووحشة
على سره، فأحفظ عليك وصيتي
بسره أضحى خائناً للأمانة
فكلُّ خؤون موعِد بعقوبة
لكلِّ رزايا بالضلال تقوَّت؟
يقوم له قطعاً صريح الأدلة
وصاحبُه مُدلُّ بأوضح حجة
على سلمه، والحق أولى بنصرة
وسعفه للدنيا، بالطف حيلة
حداد، ويحدو الغير في كلِّ نعمة
ويزعم حلاً عند كلِّ لقيمه
كاكل خنزير، ومخض نجاسة؟
يفوه بصدق عند كلِّ مقالة

له العذر، والإملاق صار حليفه
ألم يعلموا أن الطريق بعيدة
فما رامها الأوغاد إلا تبدنوا
فكم صفقة خابت وخاب مُريدها
ليقف سبيل القوم من كان مثلهم
أما علموا أن التصوف كله
علاماته زهد قارين تورع
وحرص على الخيرات سرًا وجهرة
فمن يرد الدنيا يطلق أختها
ومن يقتن الياقوت مع خرف غدا
أما علموا أن المشايخ كعبة
وأصافهم يربو على العد حصرها
علاماتهم أنسُ بذكر حبيبهم
فهم أمناء الله بعد نبيئه
لقد كنتموا سر الحبيب ومن يفه
فلا تخن الأسرار، وأرع أمانة
أما علموا أن الظهور مطية
وصاحبُه مأسور شيطانه ولو
إن خمول العبد أشرف نعمة،
فإن جميع الناس طرًا تواطنوا
عجبت لمن يدعو إلى الله خلقه
والدُّار، والدينار يرنو بأعين
ربى ولم يربأ عن الربا ساعة
أليس يرى أن الحرام مُدنس
لأحسن ما يتلى عليهم لقول من

وَأَوْنَةٌ أَبَدُوا جَمِيلٌ بُنْيَانَةٌ
 وَثَوْبًا مِنَ الْأَخْلَاقِ سَتْرًا لِعَوْرَةٍ؟
 رَكُوبٌ لَخَيْلٍ وَالْخَلَائِقُ ضُفَّتْ
 وَنَوْمٌ عَلَى خَزَبٍ بِأَعْلَى أُسْرَةٍ
 وَرَقَصٌ وَتَصْفِيقٌ وَرَمِي حِجَارَةٌ
 فَسَلَّ عَنْهُ أَرْبَابُ النَّهْيِ وَالْحَقِيقَةِ
 وَأَصْحَابُهُ الْأَفْضَالُ خَيْرٌ عَشِيرَةٌ؟
 يَحَاكِي مَلُوكَ الْأَرْضِ فِي كُلِّ وَطْأَةٍ؟
 وَيَالصَّمْتِ وَالتَّذْكَارِ، وَالْعَيْنِ سَحَتْ
 وَيُرْوِي غَلِيلَ الصَّدْرِ فِي كُلِّ جُرْعَةٍ
 نَوَامِيسَ تَبْرَ أَوْ نَوَامِيسَ فِضَّةٍ
 هُوَ الْمَلْجَأُ الْأَعْلَى لَدَى كُلِّ صَدْمَةٍ
 صِيَانَةٌ هَذَا الدِّينِ مِنْ كُلِّ رَجْفَةٍ
 مُحَمَّدٌ الْهَادِي إِلَى خَيْرِ سُنَّةٍ
 رِقَابَ نَوِيِّ التَّضْلِيلِ فِي كُلِّ فِرْقَةٍ
 أَلَا هَلْ بَكَى مِثْلِي كَيْبٌ بِمَقْلِهِ؟

فَأَوْنَةٌ قَيْسًا وَأُخْرَى كَثِيرًا
 أَمَّا رِضَى الْأَقْوَامِ مِنْهَا بِيْلُغَةٌ
 فَحَاشَا وَكَلَا أَنْ يَكُونَ شِعَارَهُمْ
 وَلَبَسُ حَرِيرٍ يَسْتُرُ الْأَرْضَ بَعْضُهُ
 وَنَقْرُ الْمُثَانِي بِالْأَغَانِي مَنْوُطَةٌ
 فَذَا عَجَبٌ فِي الدِّينِ إِنْ كُنْتَ جَاهِلًا
 أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَفْعَلُ هَكَذَا
 وَهَلْ كَانَ هَادِي الْخَلْقِ لِلرُّشْدِ وَالْهُدَى
 فَمَجْلَسُهُ بِالْخَيْرِ حَفًّا جَنَابُهُ
 يَقُولُ وَجَمْعُ الصَّحْبِ يَجْتَنِي قَوْلُهُ
 فَمَا هَذِهِ إِلَّا نَوَامِيسَ تَبْتَغِي
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا أَلَاقِي مِنَ الْأَسَى
 وَنَسْأَلُهُ سَبْحَانَهُ، عَزَّ جَارُهُ
 بِجَاهِ مَلَاذِ الْخَلْقِ، خَيْرَةٌ خَلَقَهُ
 عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا قَدْ سَيَّفَهُ
 وَآلِهِ وَالْأَصْحَابَ مَا شَدَا مُنْشِدُ

لقد تعرض السلطان عبد الحفيظ لحرب ضروس قاسية سواء من الاستعمار الفرنسي أو من أرباب الطرق الضالة أو من المشعوذين والعملاء المتملقين الذين انساقوا لخدمة الفرنسيين في هذا البلد حتى إن بعضهم من الخونة المجرمين وكى يثير ضده أصحاب العقائد السليمة من المسلمين نشر مفتريا على المولى عبد الحفيظ ما سماه "الجامعة العرفانية الواقية بشروط وجل فضائل أهل الطريقة البتيجانية" وقد قال إنه فرغ من تأليفه في 16 ذي الحجة 1340، وطبع في شهر المحرم 1349هـ جوان 1930م بمطبعة النهضة نهج باب سعدون بتونس.

ومما يستدل به على المفتريات عليه ما نشر له من قصائد طبعت بالمطبعة العلمية

بالمدينة المنورة سنة 1331هـ وكلها تناقض ما ورد في جامعتهم، بل إن للمولى عبد الحفيظ كتاب ضد البدع، وما ورد عن التجاني سماه "كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع" ذكره صاحب الرحلة المراكشية العالم السلفي ابن الموقت ج 1/156 ط مصر 1351هـ 1932م.

بسم الله الرحمن الرحيم
 لا خير للمؤمنين وسبيلهم سبيلهم سليمان ملك العلماء وعالم الملوك
 ومضى امتياز عندهم بحسب السيرة ومعهم السلطان الاعظم
 سيرنا الحسن نصره الله من عبد الله بن ادريس السنوسي الحسني
 السلاج على علي مفاع سيرنا ورحمت الله تعالى وركانه امل يعرفه
 جلالة سيرنا ايد الله تعالى انتم بعرضنا كتب لسيرنا نصره الله
 واخبرته انني اعلم على السبيل الشاع بن وحيث الثانية ونسبني
 اخبره الله تعالى خريجت بنى بلما بتنا الليلة الاولى بالقطر
 حصل ان وحيث المذكورة ضعف واستعملت السير بعد مطبعت
 من الرجوع بمهنته على الله تعالى ورجعت باهله الى على و اراد الله
 تعالى غالبته والله يبعث لضعفكم نساله ان يتولانا ويتولى
 سيرنا في سائر الاحوال ويكون لنا في حالتي الافامة والارقال
 انه الا ربع المفضل واعلمت سيرنا نصره الله ليكون على بال
 والسلاج على على علي مفاع سيرنا ورحمت الله تعالى وركانه
 كتب في الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة تسع وثلاثمائة والاربع

محمد الكوردي
 الفخري
 1331

الرسالة بخط عبد الله السنوسي أول سلفي في عهد السلطان المولى الحسن

الشيخ الإمام عبد الرحمن بن القرشي الإمام الفيلاي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

اجمل الحجاب المسمى بـ

التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى

التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى

التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى

برنامج الصبيحي أحمد

اجمل الشاي المسمى بـ
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى
التي ان تسكونها او صلتها الى بسواعة اجمل الشاي والشرى

برنامج المصلح أحمد بن محمد الصبيحي أول مصلح نادي بالإصلاح والتجديد في العهد العزبي وهو لا علاقة له مع العيل محمد بن الطيب محافظ مدينة سلا ومبايع بن عرفة



ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكسار بقلم محمد بن اليماني الناصري



الشيخ عبد الرحمن بن القرشي في انتظار عودة محمد الخامس من الزيارة المبيّنة
لباريس عام 1930 حتى يوقع المقرري على الظهير البربري



ذكرى وفاة عبد الرحمن بن القرشي الامامي الفيلاي رحمة الله

الفصل الثاني والستون بحمد المائتين الصراع الذي مكن لجهاد شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي ودعوته السلفية

فرضت الحماية وإذا ما خرج المولى عبد الحفيظ من فاس وفي نيته الإقامة بطنجة فإن شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي حاول هو الآخر أن يغادر معه مدينة فاس ويهجر الأرض التي حكمتها فرنسا، والتي قال في حقها المولى عبد الحفيظ وفي قصيدة مطولة.

حكمت دولة الخلاعة فينا وهي في الدهر دولة شعراء(241)

لكن ظروف عبد الحفيظ وما لاقاه بعد تنازله من كيد، إلى أن إنتهى إلى غدر الفرنسيين واختطافه من أرض إسبانيا ثم نفيه لفرنسا "انجان لوبان" جعل شيخ الإسلام يعود مجبرا من طنجة 1912 ويبقى في المغرب، وإذا هو لم يجد بدا من قبول العمل في ظل الحماية، فإنه لم يكن أولا في مجال غير مجال العدالة ثم التعليم بثانوية المولى إدريس بفاس وهي المرحلة التي تفرغ فيها لدراسة غير كتب الغزالي المنفذ من الضلال والاقتصاد في الاعتقاد، بل كتب تقي الدين بن تيمية(242).

(241) الشعراء: الفروة الجلدة ذات الشعر.

(242) عرف باسم تيمية أربعة من كبار العلماء ينتمون إلى أسرة واحدة جدهم 1) الخضر بن علي، بن تيمية، وهو فخر الدين محمد، بن الخضر 622/542هـ/1148. كان شيخ حران في عصره وله مؤلفات في الفقه والروايع، منها تفسير كبير، وكتاب تلخيص المطلب، في تلخيص المذهب، وديوان الخطب الجمعية، توفي بمسقط رأسه 2) مجد الدين بن تيمية، عبد السلام بن عبد الله 652/590هـ/1193.1206م وهو ابن أخي فخر الدين، من كتبه تفسير القرآن العظيم أيضا والمنتقى في أحاديث الأحكام، والمحرر في الفقه 3) شهاب الدين بن تيمية وهو أبو أحمد عبد الحليم بن عبد السلام، السالفة ترجمته، وقد ولد بحران عام 627هـ/1229 برع في الفقه على المذهب الحنبلي، وجلس للتدريس والإفتاء بحران، وانتقل إلى دمشق، وكانت له مشيخة دار الحديث السكرية وكرسي بالجامع، يتكلم عليه أيام الجمعة وتوفي عام 681هـ/1282م 4) تقي الدين الإمام وشيخ الإسلام أحمد، بن عبد الحليم، بن عبد السلام، وهو ابن شهاب الدين ابن تيمية، وحفيد من سلفت ترجمتهم وأشهر من إشتهر من هذا البيت، ولد بحران عام 661هـ/1263 وفي عام 667 هـ غزا التتار بقيادة أباقا، بلاد الجزيرة، فانتقل شهاب الدين بن تيمية مع أبنائه الثلاثة إلى دمشق، =

الامام شيخ الإسلام والتي لم تكن متوفرة في المغرب، ورواية عنه رحمة الله عليه أن أول من عرفه على بعض تلك الكتب هو الشيخ أبو شعيب بعد ما تمكنت الصداقة بينهما، ووثق الشيخ، أبو شعيب أنه فعلا سيستفيد منها ما يتزود به كسلاح في حربه ضد الدجل وخرافة الطوائف الضالة والبدع، وكان من بين الكتب التي أهتم بها شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي ما يلي.

(1) منهاج السنة (2) والفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان (3) ورفع الملام عن الأئمة الاعلام (4) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ولقد عرفت إهتمامه رحمة الله عليه بهذه الكتب لأنها كانت من محتويات خزائنه إلى آخر حياته كما إهتم كذلك بكتب تلميذه شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، الحنبلي الذي أخذ عن ابن تيمية ولازمه وامتنح معه في عقيدته إمتحانا كبيرا وعسيرا، بحيث أؤذي مرات ومرات، وحبس مع شيخه الذي كان يحبه الحب الكبير حتى إنه كان لا يخرج عن شيء من أقواله، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه رحمهما الله بقدر ما قدما للإسلام والمسلمين من خدمات تذكرها الأجيال على مر الدهور والعصور، ولقد ولد ابن قيم الجوزية في دمشق عام 691 وبها توفي عام 751هـ. ولم يكن إهتمام شيخ الإسلام بما سبق من الكتب فقط، بل في مجال العقيدة كان يشير على من يريد إرشاده من الشباب بدراسة كتاب "رسالة التوحيد" للشيخ الإمام محمد عبده، وقد حصل لي هذا معه رحمه الله عام 1946 حيث زودني بنسخة لا زلت

= وفيها نشأ أحمد بن تيمية، وتعلم إلى أن أتقن من علوم الإسلام الخط والحساب وحفظ القرآن العظيم، ثم درس الفقه والعربية وبرع في النحو، كما أقبل على التفسير، وأحكم أصول الفقه وهو نون العشرين بل تفوق في هذه العلوم تقول مختلف المصادر، وتأهل للتدريس والفتوى في نحو العشرين من عمره قيل في وصفه "كان يستوعب السنن والآثار حفظا، إذا تكلم في التفسير فهو حامل رأيه، أو أفنى في الفقه فهو مدرك غايته أو ذاك بالحديث فهو صاحب عمله وروايته، أو حاضر بالنحل والملل لم تر أوسع من نحلته، وفي عام 691هـ/1292م حج إلى مكة وفي نحو عام 699هـ/1299م إرتحل إلى مصر في عهد الملك الناصر بن قلاوون، حيث جلس للتدريس والإفتاء واشترك في الجهاد ضد غزو التتار للشام، بقيادة غازان حفيد هولاكو.. وكان إجتهاده وحرية رأيه سببا في مناصبة فقهاء عصره له العداء، واستعداد السلطان عليه، مما انتهى به إلى الحبس في سجون القاهرة، والاسكندرية، ودمشق، وفي سجن هذه الأخيرة توفي رحمة الله عليه عام 728هـ 1328م قيل له من المؤلفات ما بلغ 300 مجلد راجع د الإسلامية 1/109 و115 ثم عن ابن قيم الجوزية 1/69.268.

لانتظ بها، حتى اليوم، وكان قد عمل على إدراجها في منهاج جامعة القرويين التي هو صاحب الفضل في إصلاح برامجها وتطوير الدراسة فيها.

ومهما يكن فإننا لم نتعرف على نوع الكتب التي تعرف عليها شيخ الإسلام في الرحلة الأولى من مراحل دعوته للإصلاح والذي نعرفه هو أنه كان يقرأ كثيرا وكثيرا جدا دأب على ذلك إلى آخر حياته بحيث كان يسأل يوما عما طبع جديدا من الكتب فكنت أطلبها له برغبة وحب كبير، وكم كان ينتشي عندما يجد أن روح الإسلام الحق وما يحمله من أفكار البعث والحب والسلام تنمو وتتمكن، وكان يفرح لأثر كتب مولانا محمد علي التي في طليعاتها كتاب الإسلام والنظام العالمي الجديد وبها تأثر سيد قطب الذي كان تأثره بسابق الذكر واضح وجلى وكذا كتب محمد الغزالي كما كانت خزائنه تحتوي على كل ما كان يصدر عن جمال ادين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا. وكثير من المجالات التي كان تصدر بالمشرق العربي، وفي الزمن الذي تفرغت فيه للاتصال بشيخ الإسلام عن قرب وترددت عليه كثيرا مدة ست سنوات قبل وفاته كان لا يسأل عن شيء وهو في العقد الثامن وبداية التاسع أكثر من الكتب التي كنت أقتني له كل ما يظهر منها ثم يهبها للآخرين بعد قراءتها خصوصا ذات الطابع الإسلامي، أو الصادر عن خصوم الإسلام كذلك، وأوردت هذا للدلالة على شغفه بالقراءة في زمن الشيخوخة، فكيف بذلك في عهد الشباب.

بدأ نشاط شيخ الإسلام العلمي واتصاله بالعمل من أجل التكوين ونشر الوعي الوطني وإصلاح العقيدة في وقت مبكر جدا، ذلك أنه وكما سبق لما حاول الالتحاق بالسلطان عبد الحفيظ الذي غادر معه مدينة فاس إلى مدينة طنجة بعد تنازله عن العرش فلم تسمح له الإدارة بذلك وعاد إلى مدينة فاس التي إتخذ من جامعة القرويين بها مركز الانطلاق، حيث أصبح يزاول العدالة بسنماط القرويين ويلقى دروسا خاصة لطلبتها والعامه معا، وذلك يومي الخميس والاثنين من كل سبوع ولم يدم على هذه الحال أكثر من سنة حتى التفتت إليه إدارة الحماية التي كانت قد تضايقت مسؤولها بفاس مما أصبح يعرف لدروس محمد بن العربي العلوي من إقبال يصاحبه الحقد والكراهية والنفور من الذين أقبلوا على الارتقاء في أحضان الفرنسيين وأولهم بعض الكتانين المتعاطفين،

والذين إستصدر الفرنسيون في حقهم أول ظهير بفتح زاويتهم بحيث صدر بتاريخ 19 شوال 1330هـ/1912م.

وإذا كانت الإثارة التي كانت تسببها دروس شيخ الإسلام ضد الدجل والشعوذة لا تخلو من إلفات النظر لما تقوم به طائفة العملاء، فإن الأضواء سلطت على محمد بن العربي العلوي الذي كان على إدارة المقيم العمل على إخماد الصوت المزعج بل الأصوات التي أخذت تتجمع وتتقارب لتؤلف قطعة منسجمة الألحان عنوانها السلفية ضد الطرقية، وكانت التجربة الأولى مع محمد بن العربي العلوي، والتي ساعد فيها الشيخ أبو شعيب الدكالي الذي أصبح وزيرا للعدل 1330هـ - 1912/1342-1923م فاقترحه للقضاء بفاس الجديد، خصوصا وأن عمه محمد بن محمد الحسني إلى الأمس القريب كان يشغل منصب قاضي فاس الرصيف، وفعلا إتحدت هنا رغبة الإقامة وبالإحاح من ميشو بلير مع رغبة أبي شعيب حسابا منهما أنه عندما يصبح قاضيا يشغل بمنصبه الجديد من جانب، وبما يوحي به المنصب من إقبال على جمع الثورة والتمتع بها من جانب آخر، وبرغبة الشيخ أبو شعيب الذي إقترحه وهو يحسب أن الدروس سوف لا تخرج عن إصلاح العقيدة بعيدا عن السياسة الوطنية التي هي في نظره لم يكن بعد قد حان زمانها، وفي عام 1915 وبالتحديد يوم 31 ماي الموافق 17 رجب 1333 تولى منصب القضاء(243) لكن كان عكس ما أملته إدارة الحماية، ذلك أن الشيخ محمد بن العربي العلوي عند من يعرفه من المعاصرين له أنه مذ كان لا يقدم على عمل إلا إذا هو عرف كل جوانبه سلبا وإيجابا، ويوم أقدم على ما أقدم عليه من نشر الأفكار سواء بواسطة دروسه الاختيارية تطوعا بالقرويين أو تلك التي كان يلقيها بثانوية مولاي إدريس بفاس لم يكن قط يقصد شخصا بعينه، ولم يكن قط ينتصر لزيد ولا عمرو وإنما الذي قر عنده وتعلق به، هو إصلاح العقيدة، ولطالما تردد على مجلس دروسه الجواسيس والمخبرون، ولطالما تردد على منزله أهم رجل إستعماري كان على جانب كبير من الدراية بالمغرب وأحوال قومه، ذلكم هو المستشرق الفرنسي المعروف "ميشوبيلير" الذي كان قد عرفه عليه محمد

(243) راجع المجلة المغربية للقوانين، والمذاهب، والأحكام عدد 1 السنة 1935 ص 7 مؤسسها بول زايس رئيس غرفة الاستئناف الفرنسية بالرباط، ومفتش المحاكم المغربية سابق.

لمعري الزواوي المشار إليه قبل، وكان ميشوبيلير، يقصد من زيارته لشيخ الإسلام التحقيق خفية في التقارير التي كانت ترفع إلى الإقامة العامة من كبير أبحار العائلة الفاسية عبد الله بن عبد السلام الفاسي والتي انتزعتها من بين ما كان سيحرف من وثائق نظف منها مكتب المفتش العام بوزارة الداخلية 1958 وهي قائمة الذات ضمن وثائق خزانة عبد الكريم الفيلاي بالخرانة الملكية بالرباط، ثم تقارير جماعة رجال الطوائف يقدمهم عبد الحي الكتاني الذي كتب في تقرير من تقاريره إلى الإقامة العامة ما أزعج إدارتها السياسية، في الوقت الذي كان شيخ الإسلام غير مبال ولا مهتم بما أشار إليه الكتاني في تقريره الذي توصل إليه أحد الفاسيين وهو عبد الله بن عبد السلام الذي طلب إليه كتابة تقرير في الموضوع، فاندفع إلى البحث عن السبب، ولما تعرف عليه أراد ومن باب المباهات والمفاخرة، أن يتبجح على أحد أبناء عمومته وهو عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسي(244) فعمل هذا علي مزاحمته وكان أقوى، مما جعله يحصل على التقرير بل التقارير، وبسبب ما كان بين الطائفتين من تنافس من أجل التقرب من إدارة الحماية وجلب إنتباه ورضى المسؤولين فيها، وإشاعة كل فريق بين القوم ما كان يحققه من مكاسب، كان إفشاء السر بها يجلب النقمة المتبادلة بين الفريقين، وإذا كان عبد الحفيظ يتوفر على مصاهرة مع الكتانيين ثم هو مزاحم لابن عمه عند رجال إدارة الحماية وهو عبد الله بن عبد السلام الفاسي، فإن عبد الحفيظ الفاسي إلى جانب ذلك كان يتوفر على ولد يصدق عليه قول الله تعالى "يخرج الحي من الميت - الآية 19 من سورة الروم، ذلكم هو عبد الكبير الذي كان من تلامذة شيخ الإسلام بثانوية مولاي إدريس بفاس، والذي بحق كان عمله في المجال الوطني يشرف لكنه لا يشفع لخيانة أبيه، وعن طريقه كان زميله محمد الزغاري يتوصل إلى ما كان يشتد من صراع بين الفريقين، وما كان يقوم به كل فريق ضد الآخر واستعانته عليه بواسطة رجال الإدارة من الفرنسيين من جانب، واتفاق كلا الفريقين على عداوة أفكار شيخ الإسلام التي أخذت تنتشر وتتمكن بفضل

(244) لكل منهما سوابق في مجال الخيانة أشرنا إلى بعضها قبل وسوف نتعرف على بعضها من بعد وعبد الحفيظ هو صاحب الإنكار على عبد الله جنون حسنيته في كتابه رياض الجنة 188/2 ثم عاد يتملق عندما تمكن كنون ليعترف بها فيما كتب بعنوان استنزال السكنية الرحمانية 1953 تطوان، وتلكم هي طبيعة آل الفاسي كانت من قديم مع كل من أظهره علمه ومكن له بين المغاربة ينقمون عليه ذلك ويعلنون الحرب ضده بلا سبب غير مرض النفس والصد.

روح الشباب الذي أقبل عليها، سواء من أبناء جامعة القرويين أو ثانوية مولاي إدريس، وإذا ما الشيخ عرف كيف يمكن لأفكاره بالتزامه فقد بالدعوة من أجل نبذ الشعوذة والضلال المتمثلين في أعمال الطوائف وما ينسب إلى الإسلام من بدع هو براء منها، فإن التقارير التي كانت ترفع إلى الإدارة التي كانت تكلف بعضهم حتى يحضر دروسه وينقل إليها حقيقة ما كان يروج بها، لم تخرج عن القول أنه يحارب البدع ويدعو إلى التمسك بالإسلام الحق والعودة إلى ما كان عليه السلف من المسلمين، وهو ما كانت تؤكد تقارير ميشو بلير الذي سنتعرف عليه أكثر بعد، بل وينص على احترامه البند 3 من عقد الحماية.

كان صدى تلك الدروس يتردد أيضا وبشدة وعنف بين طائفتين: طائفة الذين أدركوا أن الدين المفترى عليه تعرض لشعوذة ودجل أشباه المتصوفة، ويجب على الشباب أن يحاربوا فيهم الشعوذة والدجل. وطائفة تحكمت فيها العادة، وأصبحت أسيرة لجماعة المرتزقة من الذين إنتحلوا الطوائف كوسيلة لتحقيق أغراضهم بإسم الدين، وعرفت مدينة فاس ولسنوات تجاوزت السبع من 1915 إلى 1922 صراعا عنيفا إشتد بين الطائفتين، وأصبح يتزعم الطائفة الأولى شباب الثانوية الإدريسية بالدرجة الأولى، ثم شباب القرويين بالدرجة الثانية، وانتقل هذا الصراع بواسطة الطلبة الذين كانوا يترددون على مدينة فاس، فتردد صداه بين شباب سلا، والرباط بالدرجة الأولى؛ ثم مراکش بالدرجة الثانية، ثم مكناس وما حولها، وناحية الشمال بالدرجة الثالثة وإذا ما حصل إندفاع من بعض الشباب في بعض الجهات فإن الجهل الذي إشتدت وطأته رفع من حرارة تذمر أصحاب الطرق والطوائف الذين التجأوا في جهات مختلفة إلى الإستعانة ببعض الولاة الذين كانوا هم كذلك من أتباع طائفة من الطوائف، فكان كل ذلك وسيلة من وسائل إنتشار الفكر السلفي وبعدها الوعي السياسي من حيث لا يشعر القوم المرجفون، وازداد الشباب وآباء الشباب وأمهات الشباب الذين أقحموا في المعركة، ومن تعاطف معهم إقبالا على الفكرة ودفاعا عنها، حيث أصبح لها رواج جدل في المنتديات وبين مجالس العائلات. ولعل الذي يعطينا فكرة عن ذلك الصراع هو ما إحتفظت لنا به المذكرات (145) التي

(245) تتوفر على مذكرات عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسي الذي يقول ص د "إنه مولود أوائل المائة يعني 1300 والمتوفى بالرباط في الستينات وهذه المذكرات حررها صاحبها بخط يده في فاتح ذي القعدة الحرام عام 1340هـ = 1921م ثم ختمت بتوقيعه «عبد الحفيظ الفاسي إلخ وقد تملكها بالشراء».

لبنته، ومنها ما سجل حول موضوع عبد الحي الكيتاني وطلبة ثانوية مولاي ادريس أولا (246) وكتابات بعضهم ضد التجانية ثم نشره في جريدة الشهاب الجزائرية ثانية، فمن الأول ما يلي، وقد كتبه في فصول: الأول يقول فيه «لما توجهت إلى فاس آخر شعبان الفارط» يقصد عام 1340هـ/1921 ذكر لي السيد عبد الحي الكتاني (247)) أنه منذ مدة والمكاتب المملوءة بالسب والتهديد ترد عليه مع البوسطة من فاس وغيرها، وأنه يتهم بذلك الشبيبة العصرية، وقال إن أبناء المدارس لم يتعملوا في المدارس إلا الزندقة والإلحاد، لأنهم يتمذهبون بالمذهب الوهابي، ويسبون أرباب الطرق والزوايا، ويحتقرون العلماء، بحيث أن ما رمى به التلاميذ من هذه التهمة، هو مجرد قول بلا حجة ولا قرينة، لم أجابه على ما قال لي من لمزهم، وخرجت من عنده أستعيد بالله خوف أن يصيب ولدي بإذيته معهم"؟" وصرت أبحث عن الطرق التي أستعين بها على خروج ولدي من فاس، رتيم دروسه بغيرها بقيت أنتظر عطلة هذا الصيف لأنفذ هذه الفكرة، وبينما أنا على ذلك وردت علي الرسائل العديدة من فاس، منبئة بخبر السب الواقع بين السيد عبد الحي وبين ولدي عبد الكبير، وكانت تلك الرسائل الواردة على منقسمة إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول حكى الحقيقة على ما هي عليه، وهي أن السيد عبد الحي صار يقرر في دروسه (248) بالقرويين على رؤوس الملائ أن أبناء المدارس زنادقة لا دين لهم، لأنهم يحلقون

(247) ونفس الصراع أيضا كان مع طلبة القرويين لكنه أعنف، وقد سجله لنا طيب الذكر محمد المختار السوسي والذي سينتهي بإغلاق المدرسة الناصرية التي كانت نتيجة تخطيط وتوجيه شيخ الإسلام كما سنرى، راجع الإنفات 2/226 ط البيضاء 1963م.

(248) وعبد الحي الكيتاني هذا الذي ستتعرف بعد على كثير من مخازيه عاش منبوذاً من الشعب المغربي، رند طارده اللغة إلى أن مات طريدا برومة عام 1382هـ/1962م، وهو لو عاش طويلا لرجع إلى المغرب، ووجد التكرم نكايه في الذين حاربوا الاستعمار وأذنبه الذين منهم عبد الحي لأن الانقلاب الذي عرفه المغرب لم يكن قط منتظرا، فقد عاد القوم لإحياء طرق الضلال وتشجيعها، والذي يتزعم ذلك هو عميل قلم المخابرات الفرنسي محمد ولد أهد بن عبد القادر لغريسي ولد خناتة الشركية المعروف بـ "أحمد العلوي" كما أن وزارة الداخلية أحدثت قانونا يمنع أي أحد من القيام بمحاضرة توجيهية ما لم يكن له إذن مسبقا، ومن قام بذلك يحاكم بتهمة الإخلال بالأمن العام إلخ وانفرا، بل وإسلاماه بعد الجهاد الطويل من أجل اصلاح العقيدة عادت طوائف عيساوة، وحمادشة، ومليانة وغيرها باسم "الفلكور"؟؟ وتنشيط السياحة.

(249) كانت إدارة الحماية قد إنتهت إلى قناعة أن دروس شيخ الإسلام السلفية يجب أن تقاوم بدروس تدعو إلى الطرق والطوائف بإسم التصوف ولم تجد للقيام بذلك غير عبد الحي الكتاني الذي كان رد الفعل ضده يزيد من إنتشار الفكر السلفي وتأييده والتمكين له.

لحاهم ويتمذهبون بالمذهب الوهابي، ويسبون أرباب الطرق والزوايا، ويحتقرون العلماء، إلى أن يقول "ولهذا لما قدم السيد عبد الحي إلى دارنا في ثاني يوم العيد بقصد التعييد(249) حسب العادة، فأعاد ما كان يقرره في دروسه السابقة من لمز الشبيبة بالكفر والزندقة، وصار يعرض بولدي عبد الكبير بالخصوص، وأن الولد لما سمع ذلك لم يتمالك أن أجابه وبرأ أبناء المدارس مما لمزهم به، ولزه هو به،.

القسم الثاني من تلك المراسلات - يقول عبد الحفيظ - حمل حملة شعواء على ولدي، وأنه الظالم المتجاسر على الكتاني الذي لم يذكروا أنه صدر منه شيء ولا تسبب فيما شافهه به، وكل تلك المكاتب على نمط واحد تطلب الانتقام من ولدي، ولو بالقتل، كأنه قتل نفسا أو أشرك بالله، وكانت هذه المكاتب كلها بإيحاء وإيعاز من عبد الحي المذكور حسبما هو مصرح في واحد منها، وحسب ما يشهد بذلك أنها كانت عناوينها بقلم واحد، وألفاظ متفقة.

القسم الثالث يعرفني أن السيد عبد الحي قد جسم أمر هذه القضية وأنه قاعد قائم ليتوصل إلى ما يريد من الانتقام من تلك الشبيبة البريئة، وخصوصا من ولدي الذي يطلب إستنطاقه وطرده من المدرسة، ثم ورد على كتاب من السيد عبد الحي يشتكى فيه ويتظلم من ولدي ويكذب ما شاع عنه من طلب الانتقام منه، ويطلب مني أن أنتقم أنا منه غير معرج على كونه هو السبب في إثارة هذه الفتنة، ولا بأس بنقل بعض ما في كتابه - يقول صاحب المذكرات - "كما أوجب الكتب أيضا ما تحققت من انزعاجكم وظنكم في السوء وأني أقابل الولد بالمثل ، حاشا وكلا، فلتطمئنوا بالكم وأني لا أعتد في تربيته على غير صداقتهم وما توحى إليكم الغريزة فطب نفسا وامح خواطرك وظنونك السيئة، وبالله العظيم إنني لم أذكر قضيته لأحد من الولاة "يقصد الفرنسيين" إلا بعد مضي مدة حتى ابتدأوهم بها، فعجلت "كذا" أني لا أقابله ولم أقابله لعلاقات حبية عائلية، واتكالا على إقتصاص والده منه" انتهى - كلام عبد الحي - منه بلفظه يقول صاحب المذكرات الذي يستمر قائلا "ثم ورد السيد، عبد الحي إثر الكتاب واجتمعنا عند بعض الناس،

(249) كانت أم عبد الحفيظ بن الطاهر كيتانية الأمر الذي يؤكد أن الرجل ورث الضلالة وسوء المنقلب من الأب والأم والعياذ بالله والالما صار على ما كان عليه إلى آخر حياته كعميل للمستعمر بلاتحفظ.

وأبدي كل ما عنده، وسعى من سعى بيننا في إخماد الفتنة، فقلت عفا الله عما سلف ليلا نجعل للشيطان بيننا سبيلا، إلا أنه بعد سفره تبين أن ما كتب لي به من فاس، وما شافني به هنا، ليست له حقيقة، وإنما قصد به أن يثبط عزيمتي عن الدفاع عن ولدي حتى يتمكن من تنفيذ مقاصده، فقد تحقق عندي أنه كان قد إشتكى بولدي في فاس، وطلب الانتقام منه وطرده من المدرسة وأن مديرها المسيو "مرجون" أجابه بأن لا سبيل إلى تلبية طلبه، لأن المسألة هي شخصية لا مدرسية، فلما تحقق عندي ذلك بادرت بشرح هذه القضية والتعليق عليها في هذا التقرير(250) يقول صاحب المذكرات وقد وسمه بـ "الفصل الثاني" ص 161 مخطوط خاص. وفيه يقول أيضا:

"إن ما قام به المذكور في هذه القضية من تشعيبها ومجاهرتة بمطاردة الشبيبة العصرية، هو عقبة كؤود في طريق الإصلاح ونشر المعارف التي يسعى إليهما بكل ما في سعه جلالة السلطان وسعادة المرشال النيوطي المقيم العام، فكل ما سعي فيه منذ عشرة أعوام وأسساه قد هذه المذكور بقيامه هذا وحمله في دروسه على تلك الشبيبة المتتورة البرينة من الكفر، وذلك بسبب ما ينشأ عن كلامه من سقوط تلك الشبيبة من أعين الأمة واحتجاج المتعصبين الذين كانوا ينفرون الناس من الدخول في المدارس، وامتناع العامة من إدخال أبنائهم إلى المدارس خوفاً أن يلمزوا في المستقبل بما لمز به هؤلاء، مع أن برنامج التعليم للمدارس العصرية مؤسس على أس متين وهو إعتبار قراءة العقائد السنية، وقراءة الفقه، والأخلاق، والآداب الإسلامية، وما يتوصل به إلى معرفة القرآن من العلوم العربية، والتدريس في هذه العلوم على الصفة الرسمية، وعلى يد مدرسين منتخبين من العلماء المتخرجين من جامع القرويين، الذي هو أشهر معهد إسلامي بالمغرب، وكل ذلك بإشارة الجلالة الشريفة أسماها الله وعناية حكومة الحماية، ولعل المذكور لما رأى تحذير النبھاني وغيره ممن على شاكلته من تلقي العلوم في بعض المدارس الشامية، أراد أن يظهر بمظهره تضليلا للعوام.. إلى أن يقول:

على أنه لو كان له شعور لما قابل حكومة جلالة السلطان وحكومة الحماية بمثل

(250) ومن السياق يظهر أن التقرير كتبه للمسؤولين في إدارة الحماية. التي كان له بها أقوى إرتباط ومن سألها المحوظين دام كذلك إلى ان كشفه الله مع الجلوي زمن الفتنة الكبرى في المغرب عام 1953م.

هذا، ولسعى غاية جهده في إعانتها على نشر المعارف وتنوير الأفكار بإرشاد الناس إلى إدخال أبنائهم إلى المدارس، ولكن أبت نفسه أن لا تخرج من الدنيا حتى تسيء لمن أحسن إليها، فلولا وجود جلالة السلطان مولانا يوسف، وحكومة الحماية للذان فتحا الزاوية الكتانية ورأساه عليها وأطلقا له الحرية في النظر في أمورها، لكان اليوم صفر الكفين، ومن لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، قال تعالى "لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد".

وأما الفصل الثالث فقد تعرض فيه لما وصم به الكيتاني طلبة المدارس، وما وجه لهم من تهم إرتفعت إلى الكفر الذي بناه على حلقهم لحاهم وسبهم للأولياء، وإنكارهم على المتصوفة ورد عليه تهمة مما عرف عنه وما صدر منه مما يعتبر حجة دافعة، وهو الكتاب الذي كتبه في حق شقيقه محمد بن عبد الكبير الكتاني، والذي سماه "أداء الفرض" وقد أشرنا إليه قبل وفي ذلك يقول:

أليس هو الذي أُلّف في بيان كفر أخيه وزندقته وإلحاده تأليفه المسمى أداء الفرض؟ أليس هو الذي يحتقر العلماء ويسبهم؟ ألم يسب العلماء في كتاب له حين تألف المجلس العلمي بفاس ولم ينتخبه العلماء، بل ولا حتى عضوا في المجلس، وإنما خرج نائيا رغما عما كان يجهد هو وأصحابه في ذلك اليوم من الإغراء على التصويت له وربما ينكر هذا فلنأت بنص كتابه في هذه المسألة قال "والقول التالي للكتاني - يقول عبد الحفيظ الفاسي - والكتاب موجه إلى إدارة الحماية إلى عبد الحفيظ نفسه كما يظهر من السياق وفيه يقول "وأما فتنة الطلبة فقد تحققت الحكومة الفرنسية بطيشهم وحسدتهم وغلظهم، سوء مقاصدهم، وأنا في نفسي - يقول الكيتاني طبعا - مقدم الحومة أشرف من رئيس علماء فاس، لأن مقدم الحومة يجد من يطيع له، بخلاف علماء القرويين فكلمهم رؤوس كلهم أذئاب كلهم جلاميد بهائم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، كيف استخفوا بالعلم ومرتبته وصيروا أنفسهم ضحكة في العالم، وقد عوضني الله آلاف من المراتب خيرا مما حسدوني عليه، ولو يعلموا فضل الله علي لها موا على وجوههم، على أن الحكومة الفرنسية قد تحقق لها أن فقهاء فاس براء من ذلك الفعل السيء، وأن ذلك

شأن من القضاة وعبد الحق "؟" لا غير والقضاة (251) يرون أن القرويين إذا صلحت لم يبق محل لأخذهم الرشى على المراتب ولا يكون نصف علماء فاس من العراقيين (252) ربما زال القضاة أنفسهم من المراتب، فلماذا فعلوا ما فعلوا بما فضحهم بين العقلاء زادهم الله فضيحة" إنتهى منه بلفظه، يقول كاتب المذكرات "وتأمل كتابه بأنه لم يقتصر على سب العلماء واحتقارهم، بل زاد بالكذب على الحكومة الفرنسية في موضعين، ونسب للقضاة ما لم يتدخلوا فيه مع أنهم لم تكن لهم سلطة في ذلك اليوم، ولكن إذا لم يستحي المرء فليقل ما شاء، وعلى كل حال فإذا كان هو الذي ألف في تكفير أخيه واحتقار العلماء وسفهمهم حسبما في كتابه، فكيف ينتقد على أبناء المدارس إلخ.

أما الفصل الرابع فقد دافع فيه عن الوهابية مدعماً دفاعه بمواقف المولى سليمان والعلماء المعاصرين الذين رافقوا ولي عهده المولى إبراهيم عام 1226هـ كما بين في الفصول من 5 إلى 9 حقيقة التصوف الصالح وغيره، وأن أرباب الزوايا ليسوا على ما كان عليه الصوفية الصادقون في الصدور الأولى أمثال الجنيد، والقشيري، والجلاني، والشاذلي رضي الله عنهم، وفي الثامن والتاسع، حذر من انسياق الحكومة لمطالب أرباب الزوايا ضد الذين يقاومونهم والضغط عليهم، وأن ذلك ليس من مصلحة الحكومة في شيء أما أولاً فإن مبادئ الجمهورية الفرنسية الحرة، فإذا صارت تلزم الناس أن يعتقدوا شيئاً كان ذلك مخالفاً لمبادئها الشريفة "؟" ثانياً أن الحكومة الفرنسية الفخمة لما عقدت شروط الحماية مع الحكومة المغربية الشريفة، كان من جملة ما تعهدت به أن لا تتدخل في أمور الدين، ثالثاً أن العقلاء من الأمة يعتقدون أن أرباب هذه الطرق والزوايا الوجودية اليوم قد خالفوا ما كان عليه السلف الصالح، والصوفية الصادقون من إتباع

(251) كان القاضي بفاس الجديد والناحية وقتها هو شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي.

(252) يظهر من القول أن عطاء أسرة العراقيين بفاس علمياً كان كبيراً، وهذا ما جر عليهم كذلك حسد آل الفاسي الذي عبر عنه الأستاذ علال الفاسي في كتابه النقد الذاتي ص 154 ط القاهرة 1952 وما وصف به محمد بن الرشيد العراقي ظلماً وعدواناً راجع كتابنا التاريخ المفترى عليه في المغرب، في حين أن العلماء من العراقيين بفاس هم الذين لم يسجل التاريخ في حقهم ما عرف للفاسيين من ضلال في كل الاتجاهات، بل عرفوا بالإستقامة والخلق وصدق الرطنة في صمت وصفاء يجسمه سيبويه زمانه محمد بن عبد الرحمن العراقي الذي ذاق مرارة النفي، ومعه مولاي أحمد الشيبهني إلى الصحراء زمن تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال يناير 1944.

السنن ومعالم الدين وغيروا بالبدع ما كان عليه أولئك السادة وصيروا الزوايا شبكة لابتزاز أموال الناس، فإذا صارت الحكومة تعضد أرباب الزوايا مع حالتهم التي ذكرنا يوجه أولئك العقلاء التهمة إلى الحكومة بكونها إنما تعضدهم لإفساد الدين، وهذا لا نريد أن نعتقد في الحكومة ونحاشيها أن تفعله.

من خلال هذه المذكرات مذكرات رجل له خبرة في مجالات متعددة فقها وسيرا، وتاريخا، وقد كان على وفاق تام مع الاستعمار الفرنسي، ومن المقربين إلي رجاله مثل الكيتاني تماما، وقد دام على هذا إلى آخر حياته، ثم هو كذلك ابن عمه لعبد الحي الكيتاني الذي إتخذ الفرنسيون منه المتزعم لمحاربة كل فكرة للنهوض بالمغرب وتقدم المغاربة، بما في ذلك الدين الذي رأينا إستماتة الكيتاني في سبيل الإضرار بكل الشباب الذين آمنوا بفكرة السلفية، بل عبد الحي الكيتاني شمر الساعد لخدمة الاستعمار وهمم الدين بشتى الوسائل وكلها تجمل في كلمة واحدة أو كلمات هي الوصف الذي تميز به عبد الحي الكيتاني وجل قومه الخبث والنذالة والانحطاط الناتج عن مركب النقص الذي دفع الرجل ويدفع قومه إلى إدعاء كل الكمالات في الوقت الذي لا أحد يجهل أن الرجل كان منحرفا خلقيا وقد تعدت شهرته إلى بلاد مختلفة غير المغرب بل اشتهرت في جميع أقطار المغرب العربي، والمشرق العربي كذلك، حتى إن المرحوم الشيخ محمد البشير الابراهيمي رحمة الله عليه كتب في حقه مقالين نشرهما بجريدة البصائر (253) وله كذلك كتاب في إجرامه وما انتشر من أخلاقه التي كان مسرحها في الجزائر كما بلغ للشيخ البشير ما حصل للكيتاني مع زوجة ولده وفي دار العشعاشي بتلمسان، والحملاوي بقسطنطينة، وقد سماه "نفع الطي في أخبار عبد الحي" وقد عمل الشيخ البشير رحمه الله على فضح ادعاء الكيتاني تأليف كتاب التراتيب الإدارية الذي ما هو في الحقيقة إلا كتاب الدلالات السمعية في أصول الوظائف الشرعية، للخزاعي، يقول الشيخ البشير، وأن الكيتاني إختلس نسخة خطية منه من مكتبة عمومية بتونس، ولما ألحوا عليه في إرجاعها وهددوه بتدخل الحكومة سلخ الكتاب ونسخه في كتاب نسبه إلى نفسه وسماه "التراتب

(253) راجع عيون البصائر ص 427 أو جريدة البصائر العدد 31 عام 1948 والعيون أيضا ص 607 ونفس الجريدة عدد 33 عام 1948 وعيون البصائر ط دار المعارف ط 1963.

الإدارية" (254).

وبعد، ما الذي دفع عبد الحي وغير عبد الحي من الرجعيين والعملاء لمقاومة أفكار الشيخ بل ومحاربتها؟ وبمعنى آخر محاربتهم لمدرسة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، إنه الدجل والشعوذة والتكسب بإسم الدين الذي ساعد دهاقنة الاستعمار على دمه والافتراء عليه، بحيث كانت إدارة الحماية تعمل بمختلف الوسائل حتى يقبل الجهلة على الطريقة التي وجدت فيها وفي متزعميها أكبر عملاء وجواسيس للإقامة العامة في الحواضر والبادي، حتى إنها كانت ترسل كل من تعلق بها من ذوي المصالح كي يأتي بتوصية من عبد الحي، وكان المغرضون لا يحصلون عليها إلا بمقابل مادي ومعنوي الأمر الذي سهل له طريق الإبتزاز بإسم تلقيه لما سماه "ورد الطريقة الكتانية" وهذا مثال من نواته الذي لم يقف عند حد من البهتان والدجل (255) وقد كتبه بخط يمينه (256) كإذن لأدهم باتباع طريقته يقول فيه:

"اللهم أعني على ذكرك، ويرحم الله فلانا لو أدرك زماننا، وفي العزلة سلامة، والاتكاء، ومنازلة السبحة، وبعد الصلوات في اليد، ووضع اليد في الكتف؟" وبالقبض على اليد، وبعض السبابة وتمسح الأرض؟ وبوضع اليد على الرأس آخر سورة الحشر، وبالمصافحة بوضع السبابة على السبابة، وجعلها متصلة بأصل الأرنبة وبالمصافحة الكتانية والأنسية، والعلوية، والخضرية، والحبشية، والعمرية، والشمهروشية، والحاتمية، والسنوسية.

ثم نيلها بما يلي، وقد كتب عبد الحي بخطه مصدقا، ومعلقا على هذه "الإجازة" المكشوفة الشعوذة ما يلي "أقول وأنا الفقير إلى الله سبحانه أبو المجد محمد بن الشيخ عبد الكبير الكتاني، قد سمعت إسم الشخص الكتاني طريقة، وأجزته بما سمع بشرطه، ثم التوقيع، بعد عصر يوم السبت الثامن من محرم عام 1318 (257).

(254) نفس المصدر السابق ط 1.

(255) راجع ما سماه بمنح المنة المطبوع بمصر عام 1351 على نفقة ادريس واحمد ابني محمد بن جلون في اعد عشر صفحة، ويكفي من يطلع على ما فيه من سخافات كي يحكم على الرجل أنه مشعوذ دجال.

(256) راجع مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 3061 ك. على أن عبد الحي هذا في عهد أحمد بن موسى كان مكلفا بملف بقال وزارة الخارجية كما تشهد بذلك الوثائق راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلاي بالخزانة الملكية بلمبصر منه ما صدر إلا في عهد الحماية ويترجيه من دهاقنتها.

(257) راجع مخطوط خ ع 3061 ك.

ورحم الله الشيخ البشير الإبراهيمي الذي قال يصف عبد الحي الكتاني في مقال نشره بجريدة البصائر، ثم طبع في عيون البصائر كما أشرنا (258) يقول فيه "ما هو عبد الحي ومانياته؟" ثم يجيب عن السؤال "هو مكيدة مدبرة وفتنة محضرة، ولو قال قائل في وصفه: مشعوذ تخطر في حجلين، وفتنة تمشي على رجلين، إلى ان يقول "إذا أنصفنا الرجل قلنا: إنه مجموعة من العناصر، منها "العلم ومنها الظلم" ومنها الحق ومنها الباطل، وأكثرهم الشر والفساد في الأرض" ثم يقول وكلا المقالين حقائق على هذا السياق" كان بلاء الرجل محصورا في محيط، ومقصورا على قطر، وكان إخواننا في المغرب يعالجون منه الداء العضال، وكنا نعد أنفسنا آثمين في السكوت عنه، وفي القعود على نصرة إخواننا في دفع هذا البلاء الأزرق فلما تنبّهت عقولهم لكيدته، وتفتحت عيونهم لمكره، وتهاوت عليه كواكب الرجم من كل جانب، فبطل سحره وقصرت رقاها عن الاستئزال، وضل سعيه وقل رعيه، إنقلب إستعمارا محضا قائما بذاته، وهاج حقه على الأحرار والسلفيين فترصد أذاهم في الأنفس والأموال والمصالح، وأصبح كالعقرب لا تلدغ إلا من يتحرك(259).

وهكذا فإن الشعوذة والدجل متمثلين في الطرق الضالة، والطوائف التي شوّهت سمعة الإسلام فضحها الله ودمرتها دعوة الإصلاح السلفية التي تزعمها شيخ الإسلام الذي أصبح بعد يمثل الرئيس الشرفي لجمعية العلماء الجزائريين بالمغرب، مما دفع الشيخ البشير وقد علم ما علم من أمر عبد الحي في الجزائر، أن يكتب ما كتب منبها بذلك إدارة الاستعمار أن الشعب في المغرب العربي واحد ودينه واحد، وتلكم هي مبادئ المدرسة التي كان داعيتها القوى شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، رحمة الله عليه وجزاه الله بأحسن ما يجازي به مصلحا ملتزما قضى حياته على هذه الأرض ولاهم له إلا النفع العام، وأداء الرسالة التي رشحته الأقدار لأدائها فلم يكن له من هم غير التمكين للعقائد والخصال التي كانت ولا تزال وستبقى ما بقي الإنسان هي وسيلة أسمى

(258) ص 607.427 كما كتب حول الجلاوي تحت عنوان "إبليس يأمر بالمعروف 73.67.62.455 وإكراما

لمحمد الخامس رحمه الله ص 36.434 ثم راجع جريدة البصائر عدد 240 ص3.

(259) نفس المصدر السابق عيون البصائر 433.427.

الحضارات وأقوى أساس لأصح ببيان، تلكم هي عقائد التصديق، واليقين، والجزم، وكذا ما يتعقبا من خصال هي الحياء والأمانة والصدق وتلكم هي قواعد المدرسة التي وضع أساسها وشيدها ورعاها شيخ الإسلام بصدق وأمانة إلى أن لقي الله راضيا مطمئنا .

ولولا خوف الملل لاستعرضت ما جره الدجل والخرافة والافتراء على الدين بإسم الطرق الضالة والطوائف، والأضرحة، وما عرفته من مواسم أسهمت في نشر الفساد والانحلال الخلقي، إلى جانب ما يعرف فيها بسبب الاختلاط المريب، تحت ستار قداسة الحنفي به موسميا، حيث ينشط محترفو السحر، والتنجيم، والرقا، بل لو استعرضت بطريقة مفصوحة ما تعرفه تلك المواسم حول الأضرحة اليوم من إباحة ومجون، بل ونجور وخمور لرأي الناس من الخزي صورا لا يرضاها الكرام وإن كنا سنتعرف على بعض ذلك من خلال جهاد مدرسة شيخ الإسلام التي سنتنتج لنا من دعاة الإصلاح والسلفيين من يتزعمون مقاومة تلك الشرور ومحاربتها، ثم محاربة الاستعمار الذي تبناها باستعمال العملاء الأغبياء من أصحابها والقائمين عليها .

كانت مدرسة شيخ الإسلام التي قوامها همة عالية وقلب كبير مترفع عن كل المظاهر التي كان الناس يتهاكون عليها في الزمان الذي وجد فيه، بحيث شب وترعرع في وسط عائلي قوامه سلامة مذهب السلوك وأكرم مبادئ الخلق، وحين تمكن وتزود بالمعارف كما سبق، كان وكما يقول معاصروه يحب الحوار ويجر إليه كلما وافته الفرصة، ولكم كان الرجل يشعر أن عليه واجبا كلما ادرك أنه أفاد مخاطبه وحقق له ما يرجوه من المعرفة بواسطة الحوار، ولكم عرفت ساحة مدرسة الصفاريين والبيت رقم 15 منها الذي سكنه أيام الطلب في عهد السلطان عبد العزيز من الندوات ما زاد في ملكة الرجل ودفع به إلى اليقين أن الدراسات الإسلامية وعلوم الدين منها، في الطريق المعبدة أمامه، بل والتي تحقق له السيادة والسعادة، وإذا علمنا أنه في أوليات شبابه وبتوجيه من والده العربي وعمه القاضي محمد بن محمد إعمد طريقة الحفظ بعد القرآن الكريم فحفظ كتاب الكامل للمبرد (260) بعد حفظه لجل ديوان المتنبي، لكن توجيه عمه الذي كان

(260) كانت خزانة شيخ الإسلام تتوفر على نسخة بهامشها كتاب الفصول للجاحظ، وقد قسمه بعلامات تدل

على صدق ما قيل وأنه ربما كان يعلم المكان الذي ينتهي إليه بالحفظ.

قاضيا بفاس وقتها حول تركيزه إلى العناية بالعقائد، والفقه، والأصول، ولقد كان الشيخ منذ شبابه المبكر لا يميل إلى خليل كمتن، بل الشروح غير المركزة كان يمجها ومع ذلك عمل بقول القائل:

خذ بنصل السيف واترك غمده واعتبر فضل الفتى دون الحلل

وإذا كانت عناية الله أحق بالاعتقاد والحسبان قبل عناية المرء بنفسه، فإن الله ألهم شيخنا فتوجه للعناية بعلوم القرآن التي كانت من أهم إهتمامات العلماء الفيلايين الذين كان يمثلهم أكثر في هذا الجانب وقتها، الهاشمي الانصاري والقفه بالدرجة الأولى، ثم عبد الرحمن بن القرشي الإمامي، ومحمد بن محمد عم شيخ الإسلام بالدرجة الثانية، وكانت هذه العلوم تمكن صاحبها من معرفة كل ما حولها، وما هو ضروري منها، بدءا من العقيدة إلى الفقه، والأصول، والآداب وفنونه، وحتى يركز ويؤكد للعم قوة شخصيته، كان يختار لذلك الواردين الذين كان يتدارس معهم جل المواد التي كان يتلقاها، وكم كان في عروضه وتحليلاته أقرب إلى نفوس زملائه، وأحب إليهم، مما كان يزيده إيمانا بالذات، وتعريفا في الوسط، وذلك ما عرفه للقاضي عبد الرحمن بن القرشي الإمامي كما أشرنا، حين طلب المولى عبد الحفيظ من يعلم أبناء السلطان فكان محمد بن العربي المرشح بدون منافس كما سبق، وذلك أيضا ما رشحه للتعليم بالثانوية الإدريسية إلى جانب العدالة قبل القضاء، وهو العمل الذي استمر في أدائه حتى وهو قاضي، إذ بحكمة وتبصر إستطاع الرجل الجمع بين المهمتين بطريقة حبيته إلى الفريقين المتباينين، فريق الدراسة العصرية بالثانوية الإدريسية، وفريق الدراسات الإسلامية التقليدية بجامعة القرويين، ولعل في مذكرات (261) محمد الزغاري وغيره من أفراد جمعية قدماء الثانوية

(261) راجع مذكرات الشهيد محمد القرشي في كتاب الأدب المغربي للقباج ج 2/62 ط 1229 ومذكرات محمد المختار السوسي، نفس المصدر ص 46 وفي ديوان المرحوم علال الفاسي الذي نشره، الوطني الغيور عبد الرحمن بن العربي لحريشي بتاريخ 1983 ج1 ص50 فقد اخبرنا ان في مذكراته عن سنة 1927 أنه لما ذهب إلى الدراسة في نفس السنة عرفه والده الذي لم يذكر إسمه وهو العالم الفاضل المرحوم ج العربي لحريشي عضو المجلس العلمي بالقرويين، وأحد المصلحين، ولذلك عرفه في نفس السنة بالمرحوم علال الفاسي، وأوصاه بمرافقته ثم يقول فكنا معاندرس على الشيخ سيدي محمد بن العربي العلوي يقول عبد الرحمن لحريشي، أما في كتاب المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى فقد أطنب الأستاذ علال الفاسي في الكلام على شيخ الإسلام ص 134 و135 مما سنتعرض=

الإسلامية بفاس الكثير مما يتصل بنشاط الفريقين، كما سنرى بعد، أما مذكرات الأستاذ علال الفاسي حول الحركات الاستقلالية في المغرب، العربي فقد ورد فيها ما يلي عن الحركة السلفية إذ يقول "وكان لمولاي عبد الحفيظ فضل كبير في إظهار هذه المبادئ وتأييدها، خصوصا بعد أن أخذ بعض أديعاء المشيخة يمدون أيديهم للأجنبي وقد أصدر جلالة رسالة في الرد على التيجانيين، كما أمر باقفال زاوية الكتانيين، بعد أن إكتشف مؤامرة رئيسها على الدولة وعلى البلاد، غير أن هذا نفسه لم يكن إلا مقدمة أولى للحركة السلفية التي دعى إليها وبثها وخرج رجالها أستاذنا المصلح السيد محمد بن العربي العلوي حفظه الله، فقد كان لهذا الرجل من الجرأة والإقدام، والثبات، ما جعله يلاقي في يومه نجاحا كبيرا وإقبالا عظيما(262).

كان إلى جانب شيخ الإسلام من الذين ساعدوا على التمكين لأفكاره بين أغلب أبناء المدرسة كل من الأساتذة التالية أسماؤهم: عبد السلام السمرغيني، وأحمد الشيبهني السني ربيب عبد الرحمن بن القرشي ومحمد أقصبي، والحبيب المالكي الجزائري الأصل قتيل زوجته - وإلى جانب هؤلاء الأفاضل دست إدارة الحماية عبد الله بن عبد السلام الفاسي الذي كان قد حمل تقريرا عام 1914 إلى إدارة الإقامة العامة مكتوبا بالألوان تحدث فيه بتفصيل عن خصوم فرنسا وأعدائها كما ساهم يقول ناسخ التقرير القاضي السيد أبو بكر بناني الرباطي الذي كان يعمل كاتباً بإدارة متابعة الألمانين وقتها، والتي كان مقرها حيث توجد اليوم وزارة الشبيبة والرياضة جوار جامع السنة

= له بعد حين كلامنا عن الرعيل الأول من الوطنيين الذين كونهم شيخ الإسلام وستنترق لتلك الفقرات بعد، ثم نسمح ما ورد فيها، ولا نهمل ذكر مذكرات الأستاذ عبد الكريم غلاب التي أورد بعضها في جريدة العلم ص 8 بتاريخ

6 يوليوز 1988 وفي تأملاته المختزلة عن الحركة الوطنية جـ 1/63.61 ط 1976 وهي في ط 1988 ص 54؟؟ وفي مذكرات د. محمد عابد الجابري في دراساته العربية ط 1983 كما رأينا قبل وفي مذكرات عبد الرحيم بوعبيد في التجمع الذي حضره في مدينة فاس بتاريخ 1985/12/2 إلخ.

(262) راجع الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ص 54.153 ط 1948 ثم ص 486.306.178 وأقول للأستاذ الفاسي إنها نفس الصفات التي لازمت طفلة حياته والتي واجه بها الدستور غير المقبول منه، بل والذي عدل به، ولا تزال الضجة مستمرة من أجل تعديله والتي أصبحت طرفا فيها بعد المزمار والطبل والنفار الذي حملتموه، من أجله هاجمتم الشيخ الإمام كما هاجمه أوسخ خلق بين المغاربة المدعو أحمد رضا كوديرا المنعوت بين قومه أهل الرباط بأوسخ وأوسخ التبعوت.

ومع ذلك بقي عبد الله الفاسي مدة طويلة يتردد على الإدارة كمخبر إلى أن وظف بالمدرسة المذكورة إلى جانب وظيفة كاتب مع الخليفة السلطاني بفاس محمد المهدي شقيق المولى عبد العزيز، وبذلك عرفت المدرسة صراعا داخليا كانت النخبة الواعية من أبناء المغاربة تعيش في حيرة من أمرها بسبب ما ظهر في الميدان من دعوة إلى التجديد بواسطة الدين الذي لم تكن هناك من وسيلة غيره لمن أراد العمل سياسيا، ومن أجل بعث الوعي بين المواطنين شيئا وشبابا، ذلك أن الفصل الأول من معاهدة الحماية المفروضة على المغرب يتعهد "بالمحافظة على الوضعية الدينية وحرمة السلطان ومكانته المعتادة، وتطبيق الدين الإسلامي، ويصون المؤسسات الإسلامية" إلخ.

بحيث اعتبر شيخ الإسلام الدعوة إلى السلفية داخلة فيما يلتزم به هذا البند، وكان الرائد العظيم بما أوتي من الحكمة والتبصر ينير السبيل أمام أولئك الفتية من الشباب الذين إلتفوا حوله، لأنهم وجدوا فيه وبحق وصدق عزيمة، الأب الذي دلهم على طريق الخير والحب والجمال، وتحرير عقولهم من دجل وخرافات المعتقدات، وإذا هو لم يقتصر عليهم بل تعداهم إلى المجتمع المحيط الذي قوامه أبائهم الذين كانوا يحملون ما يجد من نقد ودعوة إلى التمسك بالدين السليم، فإن ذلك حول المجتمع بمختلف طبقاته بل وحتى نسائه إلى غليان، بحيث أصبح الناس يتكلمون وينوع من الصراحة غير المألوفة فيما لم يتعودوا الكلام عنه من المعتقدات وزيارة القبور، وبالتالي حول ما جد وظهر مع القادمين الجدد الذين هم الفرنسيون دعاة الدعارة من مظاهر الفسق والفجور العلني، مما يدفع إلى الدعوة والتعلق بمكارم الأخلاق التي هي رسالة الإسلام، ويقدر ما كان شيخ الإسلام يحقق من الانتصارات، بقدر ما كان دعاة الرجعية من العملاء يزدادون حنقا، وتديسا على إدارة الحماية التي أخذت تتحول من دور الإستشارة كما بدأت، إلى دور السيطرة عندما رأى دهاقتها أن العملاء دخلوا في صراع عنيف مع الشباب، والأفكار السلفية التي يتحمس لها الشباب، ثم أرادوا أن يكون أولئك الدهاقنة هم الحكم الفاصل بين الفريقين، وإذا كان ممن تزعموا هذا التضليل كما سبق عبد الحي الكيتاني فإنه سرعان ما وجد بجانبه منتصرين ومناصرين آخرين لا لدجله الديني، بل للجانب السياسي وهو التعلق الصادق بالفرنسيين، وكان هذا هو عبد الله بن عبد السلام الفاسي عميل

الفرنسيين، لعهد ما قبل الحماية، والذي إكتشفه المولى عبد الحفيظ حين أرسله ضمن سفارة محمد المقرري إلى فرنسا عام 1909م (263) وبين عزوز إلى المانيا، وفيها عرفه الألمان على الدور الذي أسند إلى عبد الله الفاسي مقابل ثمن بخس، ووعود إكتشفوا بد أنه غير أهل لها، ومن أجل ذلك طرده المولى عبد الحفيظ من العمل ككاتب في وزارة الخارجية، ثم عينه نائبا لمحمد بن رشيد العراقي الذي كان قاضيا بالرصيف، لكنه إكتشف أنه غير قادر ولا هو صالح، مما صيره عاطلا إلى أن أصبح كاتبا للخليفة السلطاني بفاس ثم معلما بالثانوية الادريسية بفاس التي يوجد بها شيخ الإسلام كما سبق، وسبحان الله إذا شاعت عنايته إظهار فكرة صالحة إندفع لمعاكستها غبي حسود، ولعل شيخ الإسلام وقد كان وقتها قد تم له الإطلاع على إنتاج الشيخ محمد عبده ورأيه القائل أن السياسة ما دخلت شيئا إلا أفسدته، فكانت السياسة بالنسبة لشيخ الإسلام في إصلاح العقيدة أما الرد على أفكاره ومقاومتها فهو الذي كان يدفع الآخرين إلى الغوص كلية في مجال السياسة حاولت قدر الإمكان الحصول على نماذج من تلك الدروس التي كان يلقيها شيخ الإسلام، سواء على طلبه الثانوية الإسلامية بفاس، أو على طلبة القرويين فلم أحصل على شيء من ذلك مكتوبا بل الكل من الطلبة وهم فئة كبيرة، نرفت على الكثيرين من هؤلاء وأولئك وجلهم يجيب عن السؤال المعلوم في مثل ما نحن بصدده، أنه أفاد من دروس شيخ الإسلام سلامة العقيدة وحسن السلوك، وعداوة الاستعمار، وأنه قط لم يوجه نحو الحقد والكراهية ضد شخص بعينه، ولا جنس بعينه، بل ولا حتى ضد الفرنسيين كفرنسيين، وإنما ضد كل من يعمل لاستعباد الشعوب راذلها من أي جنس كان ومن أية ملة كان كذلك، وبالتالي كان يقاوم في سبيل تحرير الإنسان، ومن هذا المفهوم أمكنني أن انطلق وأرجع إلى ما كان الشيخ يحث على قراءته من الكتب، ويدعو إلى التمسك بما فيها من عقائد، وحسبت نفسي من بين أولئك الذين إن لم يدرسوا عليه فقد أسعدني الحظ بالحصول على توجيهه وعنايته كما سنرى إذ

(263) راجع كتابنا التاريخ المفترى عليه في المغرب ص 80 ط 1969 ثم وثائق خزانة عبد الكريم الفيلاي بالزانة الملكية، وكتاب أعيان المغرب الأقصى 762 باريز 1939.
الغوص كلية في مجال السياسة.

لولاه لكنت ضمن قافلة الذين أستهدفوا للتضليل في وسط كان يسوده الضلال، فكان في استطاعة شيخ الإسلام أن ينير الطريق ويوجه نحو الخير الكثير أحيانا بكلمة واحدة يتلقاها المستعد الذي له من الاستعداد ما يدفع به نحو الخير والحب وسلامة القصد.

تعرفت عليه عام 1942 عندما تأسست أول مدرسة حرة بفاس، زمن الحرب العالمية، وهي المدرسة الحسنية بزقاق الحجر والتي أسندت إدارتها إلى المعلم الذي كان يعلمنا بالقصر الملكي بفاس، وهو الطيب ابن احمد العلوي رحمة الله عليه والذي رشحه لتلك المهمة عام 1938 هو شيخ الإسلام وإثر موت المولى علي الشريف والد الشاعر الكبير محمد بن علي الشريف شفاه الله، ووقتها أمر جلالة المغفور له محمد الخامس رحمه الله بتوجيهي لجامعة القرويين ثم كلف مديرها محمد الفاسي بشؤوني الدراسية، فوجهني بدوره إلى المعهد الإسلامي الذي أسسه محمد الرجراجي السبعي رحمه الله بزقاق البغل، لكن ما جد عنصريا من صراع ضد معلمي الأول لكونه أصبح المدير لأول مدرسة حرة شيدها محمد الخامس بفاس، جعلني أندفع إنتصارا لأستاذي الأول، وإذا كانت الفيالقية لا تعرف "المرونة السياسية" فإنني ذهبت في الانتصار إلى أبعد حد، الأمر الذي جعل صاحب الفضل والأمر محمد الخامس يأمر بعودتي إلى ما كنت عليه قبل، بحيث قطع حدى داخل القصر الملكي ولم يسمح لي بالخروج إلى أن تعلق المرابي مرجان بمحمد لمعمرى فكان لشفاعته أن تحققت رغبتى في الخروج لكن للعمل كمعلم بالمدرسة التي يديرها معلمي الأول، وكان في حاجة للمساعدة، وفي هذه الفترة حصلت حوادث تقديم عريضة الاستقلال فكنت من المتحمسين دون إدراك سليم لمعنى وحقيقة ما قمت به وبحماس ضمن قافلة المتظاهرين بل والخطباء المحمسين للزملاء، إلى درجة أنني كنت أتمنى أن أنتزع الكلام ممن هو أكبر مني عبد الرحمن ربيحة تحت الثريا وأمام محراب القرويين يوم الاثنين 29/1/1944 وكذا من عبد الوهاب الفاسي الازعر صاحب الخط المجوهر والناسخ لعريضة الاستقلال، بل قمت يوم الكارثة 29-1-1944 بجولة في فاس الجديد من أجل جمع أسماء وتوقيع المناصرين للعريضة (264) فتجمع لي منهم عدد كبير، ألقى علي القبض قبل أن أسلم القائمة للذي كان وقتها - يستقبل الجموع في المدرسة

(264) توجد لائحة بأسماء الموقعين الذين نتعرف على بعضهم بعد، والتي بقيت ضمن مذكراتي .

الحمدية بالصفارين، وهو محمد بن شقرون السطاتي الجبان والماسوف عليه بعد الاستقلال، وإذا ما أخذت إلى محكمة "الباشا حيث قدمت ليحكم علي العربي قصارة، فإن "كبير المخازنية" ابن عتروس أسرف في أذنيه وبجانبه العقيد سلني "أنني من دار المخزن أي القصر الملكي" مما دفع إلى سؤالي من العربي قصارة "مناين أنت - فأجبت وكما تلقيت من والدي الذي كان قد أمرني بذلك أنا من تافيلالت (265) فتوجه قصارة بنظرة إستفهام إلى القائد ابن عتروس الذي أكد قوله بنظرة جعلت قصارة يأمر بإنزالي البروم "لاكاف" حيث وجدت المرحومين سيبويه زمانه ابن عبد الرحمن العراقي الحسيني عضو المجلس العلمي بالقرويين، وأحمد الشبهي الحسني والحاج أحمد بن شقرون، عميد كلية الشريعة حالياً، وكان ذلك في انتظار الجواب على سؤال "من أنا والذي كان قد توجه به مكتوباً حارس من المحكمة إلى القصر الملكي، ولما عاد أحضرت ثانية أمام العقيد سلني والخليفة قصارة، فلما كرر علي السؤال أجبت بشدة أنا من تافيلالت ثم عينت المكان والأسرة لكن ذلك لم يجدي، وأخذت بواسطة مساعدين إلى حيث كانت السلطة تجمع الطلبة بقصبة الشراردة، وفي اليوم التالي نقلنا إلى مدينة صفرو في الطريق إلى لواتة، وفيها سمع الطلبة من شتائم امبارك البكاي ماتعيه ذاكرة أكثرهم، لكنني بعدما يزيد على شهر أعدت بواسطة حارسين إلى القصر الملكي بفاس بل إلى الضرب والزجر من عميل سابق يعادي الروح الوطنية كان على رأس حراس أبواب القصر هو القائد محمد بن ناصر الذي نال جزاءه السيء بعد الاستقلال، وإذا ما بقيت سنوعاً من الخروج من القصر أكثر من ستة أشهر فإنه لما قدم محمد الخامس رحمه الله وعلم بما كان، أمر بإطلاق سراحني فعدت إلى حيث كنت مع المعلم الأول بالمدرسة الحسنية، وكانت تلك بدايات لم أعرف فيها توجيهها سديداً من أحد إلى أن شيدت مدرسة النهضة بمدينة مكناس 1946 ثم جاء شيخ الإسلام لتدشينها وافتتاح الدراسة فيها، وليلته

(265) كان والدي رحمه الله حين رأني مندفعاً مع التيار قال لي إذا ما ألقى عليك القبض إياك أن تقول : أنا من القصر الملكي. بل من تافيلالت ومن القبيلة كذا والمكان كذا إلخ ثم زاد، ومن يدريك هل السلطان يقبل منك هذا الإقدام أم لا .

بمنزل العرائشي أقبل على شيخ الإسلام بحنو رحيم ثم أمرني بالقرب منه(266) وكان الحديث الذي لم ولن أنساه، فهو الذي غير مجرى حياتي ودفن بي تحديا لكل الظروف إلى المغامرة التي إنتهت بي إلى تونس حيث قضيت سنة ثم عدت حتى يتبدل غضب العاهل محمد الخامس على فراري إلى تقدير وموافقة بل وترحيب ومساعدة كبيرة خصوصا وقد وفقت للربط بينه وبين الشيخ البشير الإبراهيمي الذي حملني رسالة إلى العاهل العظيم الذي كان وقتها يخوض المعارك في مختلف الواجهات ضد الاستعمار وعميده المارشال جوان، ومع العملاء يتقدمهم العبد الأبق التهامي الجلاوي، والمنحرف عبد الحي الكيتاني وجماعتها.

كان حديث شيخ الإسلام لي وقد أقبل المعدون لمائدة العشاء كلمة واحدة هي " حتى اتملكو في العشاء عاد نتكلم معاك أنت.. عندي معاك كلام طويل.

وفعلا كان طويلا وطويلا جدا، أجمله في عبارات عنيفة، وقاسية، أذكرها وترن في أذني اليمنى كلما وقع بصري على صورته التي إقتنتيتها ولأول مرة عام 1944 بخميس فرنك حيث كانت من جملة تجارة حزب الاستقلال، وقد لازمتني في الحل والترحال وإلى اليوم كذكرى لعبارات لم يتكرم علي بها أحد، وحتى عندما رفعتها إلى والدي الذي ردها على مسامع عبد الدار المرابي وهو القائد مرجان الذي كا يترنم بأنشودة أن ما حصلته من حفظ للقرآن، والألفية والرسالة، والجرومية وابن بر في التجويد، وأنا بعد لم أتجاوز الخامسة عشرة، كان بفضل حراسته ورعايته، وأني إن طبقت ما ورد في عبارات

(266) كان السبب كلمة صدرت مني جوابا على قول أحدهم إن المدرسة ساهمت في تحقيقها امرأة موسى أطلق عليها "خيرابوجو" والمرأة أصلا من قبيلة بني سنوس غرب الجزائر قدمت كموس مع فرق جيش الاحتلال، وأخيرا احترفت البغاء الرسمي بالماخور الذي أعد لذلك والذي كان يعرف بـ"المرس" في مدينة مكناس وهي ربة نعمة أحمد الأسود الذي أطلقت عليه إسم قبيلتها فأصبح يعرف بـأحمد السنوسي، لأن أمه الهاشمية كانت طباحة عند خيرا بوجرالتي قيل أنها لما عجزت ولم يقبل عليها أحد تقاعدت ثم أصبحت تدير ماخورها من بعيد، وبمرورده كانت تعمل "المعروف"؟ ومن معروفها تربية البناني وأحمد السنوسي الذي أصبح وزيرا في عهد الاستقلال، ثم ممثلا للمغرب في الأمم المتحدة، وبحق كان أسوأ مثال للمغرب حين يتكلم في أي موضوع يتعلق بالسياسة حتى ليخيل لمن عرفه وكأنه لم يغادر حي سيدي عمر ولحصيني القريب من المرس بمدينة مكناس. لقد قيل يوم التدشين لمدرسة النهضة أن خيرابوجو هي صاحبة الدار ولما سالت من هي قيل كانت ربة ماخور تبرعت بالدار التي شيدت عليها مدرسة النهضة بعقبة علي منون الحسني. فكان جوابي على القول:ليتها لم ترن ولم تتصدق" فأشار على الشيخ رحمه الله تعال هنا حيث إنتقلت إلى جانبه وقد ابتسم لقولي ومعه أكثر من واحد مما أكد لي أنني على صواب.

شيخ الإسلام يكون مالى الضياع، واستطاع أن يقنع العاهل الكريم محمد الخامس بذلك
ولسوف تصدم رغبتى بعدم الرضى منه بسبب إقناع طيب الذكر القائد مرجان رحمة الله
عليه(267) الذي أقنعه أن والدي غير راض عن اغترابي.

أتدري ما هي العبارات التي فعلت كل ذلك؟ لما إنتهى من العشاء إقتربت منه وكلى
شوق إلى ما سأسمع، ولم يكن قط يدور بخلدني ما سمعت، بل تخيلت شيئاً آخر كان
الحديث قد راج حوله بين جماعة من الحاضرين يتعلق بالقرآن والتجويد، بيد أنه لم يكن
ذاك، وكانت العبارات التالية وبأسلوب عنيف كأنه من أب لولده: ما احشمتش.... أنت
أقريت بعد حتى تقري.. ابغيت حتى يفوتك الوقت أتندم. أرجع تقرا في القرويين.

فاجبته بقولي: أش نقرا في القرويين انضيع الوقت أنا بغيت نقرا في الشرق.

وما انتهت عبارتي حتى ضحك الذي سمع كلامي ولم يكن يقصد التثييط وإنما هو
الجبن لأن كل شيء كان سهل المنال إلا أن يطمح المغربي لمجرد الخروج من المغرب ما لم
يكن خروجه لخدمة المعامل ورأس المال في فرنسا، لكن شيخ الإسلام نظر إلى الضاحك
نظرة زاجرة، ثم قال : طريق الشرق أمامك غامر وتصل، وكان الشخص الذي إعتبر هذا
الرأي توجيهها خاطئاً وسيحاول إقناعي بخطئه بعد، هو الأستاذ الطيب العلوي الذي كنت
أعلم معه في المدرسة الحسنية وأنا دون العشرين بل سيذهب بعيدا فيدفع عبد الدار
مرجان عن طريق والدي لإقناعي بعدم الإقدام على المغامرة إلخ(268).

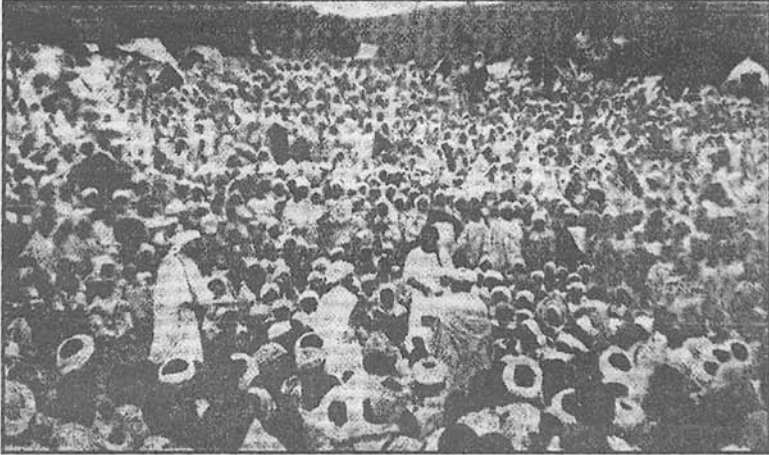
وإذا ما أدركت مضمون النصيحة فقد تحول حديث النفس والتأمل إلى نسيان كل
شيء، حتى ما كان حولي ممن كنت وإياه في حديث منسجم وهو عبد الكريم بناني
المكناسي الذي كان ولا يزال يتذكر تلك اللحظات التي قلبت كياني وبدلت حياتي، والتي
سوف أتطرق بعد إن شاء الله إلى نتائجه التي منها هذا الكتاب وغيره بعد نضال إمتد
من الشرق الأوسط إلى مختلف شعوب آسيا، دفاعاً عن قضية الوطن، وتشهيراً

(267) أشرت قبل إلى أنه توفي بالحرم المكي بعد الانتهاء من مناسك الحج عام 1956. ولسوف أترجم له بعد

حين الكلام على محمد الخامس في "ذاكرة طفل ومذكرات رجل".

(268) بل سوف يتحول رأيه إلى إعجاب يؤكد لي بالمراسلة وأنا في مصر بعد.

بالاستعمار الفرنسي. ذلك موقف من مواقف شيخ الإسلام مع شباب كاد يضل الطريق أو ضل حيث كان في الإمكان لولا الإفلاس وعدم العناية بالأمانة من الذي أوتمن عليها "محمد الفاسي"، فبالأحرى ما كان شيخ الإسلام يقوم به إزاء الذين إرتبط مصيرهم بتوجيهه وتكوينه ورعايته كأب موجه وأستاذ مباشر ومنقذ حكيم.



إنه الضلال الذي قامه شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي رحمه الله

الفصل الثالث والستون بعهد المائتين طلبة الرعييل الأول في تاريخ بعث الوجدان الوطني في المغرب العربي الكبير

في الوقت الذي بدأت تتسع فيه آفاق شيخ الإسلام كان صدى نهضة المشرق العربي التي تزعمها جمال الدين الأفغاني ونشطتها ثورة أحمد عرابي، وما جد بعد رفاعة الطهطاوي (269) والكواكبي والادريسي عبد الله النديم، وعلي الغياتي ثم محمد نريد (270) ومصطفى المراغي دينيا، ووقتها أيضا أخذت ثمار غراسه في النضج خصوصا أبناء المدرسة الثانوية بفاس، الذين كونوا لهم جمعية تعتبر بحق من طلائع الحركة الوطنية في عهد الحماية، وتلك هي أول جمعية ضمت مجموعة من الشباب الذين بدأوا السير في الطريق بإسم "جمعية قداماء الثانوية الإسلامية بفاس" وهم الذين مهدوا الطريق أمام كل ما ظهر بعد من تطلعات الشباب في العشرينات، والثلاثينات، بما في ذلك جمعية طلبة القرويين السياسية، أو الأدبية، كما عند محمد المختار السوسي.

لقد كان للنقد الذي وجهه محمد عبده إلى علماء المسلمين متهما إياهم بأنهم هم بدهم المسؤولون عما وصل إليه العالم الإسلامي من ضعف وركود، وهو النقد الذي وصل إلى المغرب، وكان أول من تمعنه وعمل على إشاعته في عموم المغرب العربي، الروح محمد الخضر حسين القفصي التونسي، ومحمد الطاهر بن عاشور (271) والشيخ

(269) راجع مناهج الألباب المصرية لرفاعة الطهطاوي ط 2 عام 1330 هـ 1912م.

(270) راجع بتحفظ عصر ورجال لفتحي رضوان ط مصر 1967 وسلافة النديم لعبد الله نديم الإدريسي

أملا: المصري موطنا ج 1 جمع شقيقه عبد الفتاح ط 2 عام 1332 هـ/1914م وأبو نظارة تأليف د. ابراهيم عبده ط 1953م وتاريخ الشيخ الإمام لمحمد رشيد رضا ج 872/1 ثم كتاب الدكتور عثمان أمين حول رائد الفكر المصري محمد عبده ص 224 ط مصر 1955 وكذا إنطباعات رحلة الأستاذ الإمام في أقطار شمال إفريقيا ل : بلنت مذكراتي ج 80.79/2 ومجلة مصر الدولية بالفرنسية ط القاهرة 1905 ص 193 "المنار" م 11 ص 741.

(271) راجع عيون البصائر 619 ط مصر 1963.

محمد الخوجة، وهو إلى جانب صاحب التقريظ المعروف لتفسير محمد عبده لسورة العصر، وابن الخوجة هذا هو صاحب القصيدة المطولة عن الشيخ محمد عبده، والتي نشرها صاحب المنار ج 6/18917 وقد كان من نتيجة نقد الشيخ محمد عبده يقول هنري لاوست فيما كتب حول "الخلافة في مذهب رشيد رضا" ط فرنسية بيروت 1938 ص 277 هامش رقم 26 أنه الذي أنتج ما عرف بعد، بجمعية العلماء المصلحين بالجزائر، وفي المغرب يقول ص 255 من الممكن أن ننسب إلى حركة محمد عبده التجديدية الفضل في المشروع الجديد للإصلاحات المغربية الذي نشر في ملحق مجلة "إفريقيا الفرنسية" عدد يناير 1938.

هذا في الوقت الذي لم يدرك الكاتب أن الشيخ الإمام محمد عبده قد عرفته النخبة في شمال إفريقيا منذ عودته من أوروبا في صيف 1903 حيث قام برحلة إلى الجزائر وتونس، وأنه وقتها حاول إستنهاض الهمم، وقد دفعه أحرار الأتراك إلى الكتابة للمولى عبد العزيز الذي حاول الإستجابة، لولا خيانة المجرمين من أشباه العلماء السابق ذكرهم، فكان المستجيب له والمجتاوب مع أحرار الترك هو المولى عبد الحفيظ الذي إقتبس من الدستور الذي تنكر له عبد الحميد الثاني العثماني بدافع مخاوفه المريضة، وأوهامه التي فضحتها قسوته ضد الأحرار الذين وجد بعضهم وقتها في المغرب زمن عبد العزيز ملجأ وملاذاً، ومن وقتها وأحرار المغرب يتطلعون نحو الإصلاح.

كان ربوع المغرب العربي قد بدأ يتحرك في أجوائه ببعض ما كان يحمله الواعون من الحجاج، ففي تونس ظهر ما ظهر مما أشرنا إليه، وفي الجزائر كان عبد الحميد بن باديس 1305هـ 1887م 1359-1940م وزميله الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ثم الطيب العقبي وغيرهم، قد بدأوا يتحركون أيضاً، وأخذ إشعاع ابن باديس (272) بعدما أتم دراسته

(272) لقد كان ابن باديس بحق أقوى ما عرفته الجزائر بين أقطار المغرب العربي، حيث قوي عزمه واشتد أثره بإخوة كرام بعدهم محمد البشير الإبراهيمي، الذي حمل الراية معه، وبعده العربي التبسي، ومحمد خير الدين، ومبارك الملي، وعلى أولخيار، وعبد القادر بن زيان، فرحات بن الدراجي، وأحمد معيزة، وسعيد صالح، ومحمد بن منصور، ومحمد الطاهر الجيجلي، وحمزة بوكوشة، ويلقاسم اللجاني، ومصطفى بن حلوش، هؤلاء المؤسسون أعضاء الجمعية التي عرفت في كل المدن الكبرى، رجالات حملوا راية الإصلاح، أمثال والد أخينا الشهيد قاسم زيدون وهو الطيب لهاجي الحسني مصلح وهران وسعيد الزموشي، أما القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين =

بجامع الزيتونة يمهّد للبعث الذي ستعرفه الجزائر، والذي سوف لا يخبو ولا يتوقف إلا بعد أن تتحرر الجزائر بفضل مقاومة شعبها لكنها ستتكنس بالشطط من بعض أبنائها

= الجزائريين الذي نشر وقت التأسيس بتاريخ ربيع الأول عام 1356 هـ/1937م، والذي هو من محفوظات خزانة منذ سبع وأربعين سنة، فهو كما يلي تليه أهداف الجمعية كما حررها الشيخ عبد الحميد نفسه رحمه الله عليه، أما ترجمة ابن باديس فتراجع في أعلام الزركلي ج 60/4 وما فيه من مصادر.

القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

القسم الأول: الجمعية

الفصل الأول:

تأسست في عاصمة الجزائر جمعية إرشادية تهذيبية تحت اسم «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» مركزها الاجتماعي بناي الترقى الكائن ببطحاء الحكوم عدد 9 بمدينة الجزائر.

الفصل الثاني: غاية الجمعية

الفصل الرابع

القص من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالت والجهل وكل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين الجاري بها العمل.

الفصل الخامس

تتدرج الجمعية للوصول إلى غايتها بكل ما تراه صالحا نافعا لها غير مخالف للقوانين المعمول بها ومنها أنها تقوم بجولات في القطر في الأوقات المناسبة.

الفصل السادس

للجمعية أن تؤسس شعبا في القطر وأن تفتح نوادي ومكاتب حرة للتعليم الابتدائي.

القسم الثالث: أعضاء الجمعية

الفصل السابع

أعضاء الجمعية على ثلاثة أقسام

مؤيدون وقيمة اشتراكهم عشرون فرنكا

عاملون وقيمة اشتراكهم عشرة فرنكات

مساعدون وقيمة اشتراكهم خمسة فرنكات

الفصل الثامن: يتألف المجلس الإداري من الأعضاء العاملين فقط.

الفصل التاسع

الأعضاء العاملين فقط هم الذين ينتخبون كل سنة أعضاء المجلس الإداري المتألف من رئيس ونائب له وكاتب

عام ونائب له وأمين مال ونائب له ومراقب وأحد عشر عضوا مستشارا.

الفصل العاشر

للجمعية أن تنشئ بمركزها بالجزائر مكتبا يكون على رأسه مدير مكلف بإدارة شؤونها ومصالحها.

الفصل الحادي عشر

والجمعية أيضا أن تحدث مكاتب عمالية في كل من العمالات الثلاث وعلى رأس كل مكتب منها كاتب مكلف

بإدارة شؤون الجمعية وهذه المكاتب كلها تكون مرتبطة أتم الارتباط بالمكتب المركزي. =

الذين سطى عليهم المندسون وهم "الاشتراكيون الجدد"، الذين حكموها بقوة الحديد والنار ومهما يكن فقد كانت النهضة التي تزعمها ابن باديس من بداياتها وتطلعاتها من خلال قانون جمعية العلماء المتمثل في 23 فصلا، وبرنامج دعوتها المتمثل في 20 بندا كما

= الفصل الثاني عشر

الاعضاء العاملون هم الذين يصح أن يطلق عليهم لقب عالم بالقطر الجزائري بدون تفريق بين الذين تعلموا ونالوا الاجازات بالمدارس الرسمية الجزائرية والذين تعلموا بالمعاهد العلمية الإسلامية الأخرى.

الفصل الثالث

عشر الأعضاء المؤيدين والاعضاء المساعدون يشملون كل من راق له مشروع الجمعية من غير الطبقة المبنية بالفصل المتقدم وأراد أن يساعدها بماله وأعماله على نشر دعوتها الاصلاحية.

الفصل الرابع

عشر مالية الجمعية تتألف من معلوم اشتراكات الاعضاء بكافة أنواعهم المبنية في الفصول المتقدمة.

الفصل الخامس عشر للجمعية أن تلتبس وتقبل من الحكام المحليين إعانات مالية.

الفصل السادس عشر

مبلغ الاشتراكات والاعانات يقبضه أمين المال ويسلم فيه وصلا.

الفصل السابع عشر

مال الجمعية يوضع باسمها في إحدى البنوك المحلية ولا يبقى أمين المال منه تحت يده أكثر من خمسمائة

فرنك.

الفصل الثامن عشر

لا يجوز إخراج شيء من المال بقصد صرفه إلا بأمر كتابي ممضي من الرئيس وال كاتب العام وأمين المال،

وذلك تنفيذا لما يقرره المجلس الإداري.

الفصل التاسع عشر

يصرف مال الجمعية فيما تقتضيه مصلحتها ويوجه الوصول إلى غايتها بالفصل الرابع من هذا

القانون الأساسي.

القسم الخامس: الاجتماعات الإدارية والعامه

الفصل العشرون

المجلس الإداري يجتمع في الأوقات التي يراها مناسبة ويحب أن تكون جلساته كلها مسجلة في دفتر محاضر

الجلسات وكل قرار يقرره المجلس ولا يكون مسجلا بالدفتر المعهنة لذلك يعتبر لغوا لا عمل عليه ويجب أن يمضي

المحضر رئيس الجلسة وكاتبها.

الفصل الحادي والعشرون

ينعقد الاجتماع العام لسائر الاعضاء مرة في السنة وينعقد هذا الاجتماع بمدينة الجزائر اثر استدعاء من

الرئيس وزيادة على هذا الاجتماع السنوي يجوز عقد اجتماع آخر في اثناء السنة في الزمان والمكان اللذين يعينهما

الرئيس ويعد أن يتفاوض أعضاء الجمعية في اثناء الاجتماع العمومي العادي في برنامج الجمعية وتعرض عليهم

أعمال الجمعية في السنة السابقة تنعقد جلسة ثانية يحضرها الاعضاء العاملون والمؤيدين والمساعدون ويعلمون =

سنرى، والتي كان تأسيس جمعيتها بتاريخ 4 ربيع الأول عام 1356هـ/1937م. كانت جمعية العلماء أقوى حركة عرفتها أقطار المغرب العربي الكبير وإن كانت حركة شيخ الإسلام متمثلة في "جمعية قدماء الثانوية الادريسية بفاس" قد سبقتها إلى الظهور بأكثر من سبعة عشر عاما 1920، ذلك أن الذين كانوا يستجيبون لدعوة جمعية العلماء من الجزائريين كانوا يلتزمون لتلك الدعوة ماديا وأديبا، بحيث كانت الجمعية تضع الفرس والشعب يرعى ويصون، حتى كان من الثمار ما عرفته الجزائر بداية من الشرق حيث الجامع الأخضر الذي أصبح بعد معهد ابن باديس بقسنطينة، إلى مدرسة دار الحديث بتلمسان، التي كانت من غرس خلفه محمد البشير الإبراهيمي، والتي استمد إسمها من دار الحديث الأشرفية في دمشق، (273) التي درس بها محمد البشير الإبراهيمي فترة من حياته الدراسية.

كان المغرب قد عرف محاولات في العشرينات ومطلع الثلاثينات، لكنها أجهضت، فقد عرف أمثال أحمد بن محمد الصبيحي السلاوي الذي يعتبر أول من نشر برنامجا للإصلاح يعتبر بمثابة مخطط شامل طبع على الحجر، ونشر بتاريخ 2 صفر عام 1336هـ/128-1917م وقد قرضها كل من الحاج الطيب عواد، وعبد الحفيظ الفاسي، وأحمد الصبيحي هذا المولود 1300هـ والمتوفى 1363هـ هو صاحب كتاب "باكورة الزبدة، في تاريخ أسفي وعدة" م.خ.ع بالرباط رقم 2133، ويعتبر بحق برنامج الصبيحي هذا أول من دعى للنهوض بالمغرب ثقافيا، واجتماعيا، واقتصاديا، بل وسياسيا، بواسطة النشر،

= بحالة الجمعية الأدبية والمالية ثم يباشر الاعضاء العاملون فقط انتخاب الهيئة الإدارية.

الفصل الثاني والعشرون إذا شجر خلاف بين عضوين أو أكثر من أعضاء الجمعية أو تغيرت سيرة أحد الاعضاء بما تراه الجمعية ماسا بحياتها فلمجلس الادارة أن يعين لجنة بحث وتحكيم تشمل خمسة من الاعضاء العاملين وخمسة من الاعضاء المؤيدين وهذه اللجنة تعرض نتيجة بحثها وما تراه في القضية على المجلس الاداري وبذا الاخير يطبق العقوبات والاحكام المنصوص عليهم في اللائحة الداخلية التي ستوضع للجمعية.

الفصل الثالث والعشرون

لا ينظر في طلب متعلق بحل الجمعية إلا إذا كان صادرا من ثلث الاعضاء على الأقل ولا يعمل به ولا ينفذ إلا إذا صادق عليه أربعة أخماس الاعضاء العاملين وإذا انحلت الجمعية -لا قدر الله- يسلم أثارها ومالها إلى جمعية خيرية إسلامية يعينها المجلس الإداري.

(273) ومن الذين أشرفوا على دار الحديث بدمشق قديما البرزلي البربري الذي ولد عام 665=1267 وتوفي

في 4 حجة عام 739هـ 1339م بحيث أشرف عليها ثم على الظاهرية عام 713هـ=1313م راجع د الإسلامية 3/533.

لكن دعوته ضاعت في غمرة الجهل والانفصالية التي كانت تعاني منها البلاد، بحيث لو إتصلت نهضة سلا طبقة عبد الله بن اسعيد بنهضة فاس والرباط، وتضافرت الجهود منذ ذلك العهد لكان من التقدم والتحرر ما لم تعرفه البلاد إلا متأخرا، وإن كانت بعد ستتكتل الجهود وتتوحد في ربوع المغرب العربي الكبير، وتلك لعمرى هي مآثر العظماء الكرام في الأقطار الأربعة من ليبيا شرقا إلى المغرب الأقصى غربا، ولعل ما قام به خلف الشيخ عبد الحميد بن باديس، وهم أعضاء جمعية العلماء يتقدمهم حامل لواء السلفية بروح أشعت على مغربنا الكبير، فكان عطاؤها الخير والحب والجمال، وتلكم هي روح الشيخ البشير الإبراهيمي الذي عرف بالجزائريين أكثر في العالمين الإسلامي والعربي، على حقيقة من هو عبد الحميد بن باديس، الرجل الذي مكن لعقائد التصديق واليقين والجزم، وخصال: الحياء، والأمانة، والصدق، في الجيل الذي حمل المشعل وأثار السبيل أمام شعب الجزائر المسلم العربي، بتواضع المسلم الملتزم الأمين.

كتب الشيخ البشير حول زميله الشيخ عبد الحميد بن باديس ما كتب، وقد نسب إليه كل شيء، مجردا نفسه من كل شيء، في حين أن التاريخ لم يهمل أي شيء، بل سجل كل شيء، وقد عرف الناس أن عظمة عبد الحميد بن باديس وما زينه الله به من جميل الخصال وقوى الإيمان إلى درجة أنه لم يخلط بين الواجب نحو أبوة الأب المعارض لنهجه وما كان يقوم به من عمل لصالح دينه وشعبه، رافضا كل ما يتعارض مع طموحات أمته وبلادها، حتى لو كانت المغريات التي بهرت كل ما حوله من الشخصيات، ومع ذلك ما كان للشيخ عبد الحميد أن يكون كما وصف الشيخ البشير وكتب، لولا تلك الفئة المسلمة الصادقة التي إلتفت حول عبد الحميد ثم خاضت معه المعارك، وفي المقدمة وحتى الشهادة فالشيخ الجليل محمد البشير الإبراهيمي هو الذي كتب يقول في الشيخ عبد الحميد بن باديس بعدما عرفنا على الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي أصلح مناهج التعليم بجامعة الزيتونة في تونس، فعبد الحميد رحمة الله عليه هو وصحبه كما يصفهم للتاريخ أصدق من كتب هو: "باني النهضة العلمية والفكرية بالجزائر، وواضع أسسها على صخرة الحق وقائد زحوفها المغيرة إلى الغايات العليا، وإمام الحركة السلفية، منشئ مجلة الشهاب، مرآة الإصلاح، وسيف المصلحين، ومربي جيلين كاملين على الهداية

القرآنية والهدى المحمدي، وعلى التفكير الصحيح، ومحبي دوارس العلم بدروسه الحية، ومفسر كلام الله على الطريقة السلفية في مجالس انتظمت ربع قرن، وغارس بذور الوطنية الصحيحة وملقن مبادئها علم البيان، وفارس المنابر، الأستاذ الرئيس الشيخ عبد الحميد بن باديس، أول رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأول مؤسس لنوادي العلم والأدب وجمعيات التربية والتعليم. رحمه الله ورضي عنه (274) وحسب ابن باديس من المجد التاريخي هذه الأعمال التي أجملناها في ترجمته، وإن كل واحد منها يعتبر لأصل لفروع وفصل من كتاب، وإذا كان الرجال أعمالا، فإن رجولة أخينا عبد الحميد تقوم بهذه الأعمال.

وحسبه من المجد التاريخي أنه أحيأ أمة تعاقبت عليها الأحداث والغير، ودينا لبيسته المحدثات والبدع، ولسانا أكلته الرطانة الأجنبية، وتاريخا غطى عليه النسيان، ومجدا أضاعه ورثة السوء، وفضائل قتلتها رذائل الغرب. (275)

وحسبه من المجد التاريخي أن تلامذته اليوم هم جنود النهضة العلمية، وهم أسنتها الخاطبة وأقلامها الكاتبة، وهم حاملوا ألويتها وأن آراءه في الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي هي الدستور القائم بين العلماء، والمفكرين، والسياسيين، وهي النارة التي يهتدي بها العاملون، وأن بناءه في الوطنية الإسلامية هو البناء الذي لا يتداعى ولا ينهار.

وحسبه من المجد التاريخي أن إخوانه الذين حملوا معه معظم الأمانة في حياته، اضطلعوا بحملها كاملة بعد وفاته، في أيام أشد تهجما من أيامه، وفي هزاهم ما كان

(274) عيون البصائر ط مصر 1963 وتلاحظ أن الشيخ البشير لم يذكر لسلفه ما أنشأ من الصحافة غير الشهاب، ولئن كان قد خصها بالذكر فإنها التي أتت أسمى رسالة للسلفية في المغرب العربي كما سنرى، مع أن هناك ما يستحق الذكر من الصحف مثل جريدة الفاروق، وجريدة المقتصد، صدر منها 18 عددا وجريدة السنة، والشريعة، والصراط، ورغم أنها كانت قد سبقت بصحف لأخرين مثل الجزائر التي أصدرها عمر راسم عام 1908 وكوكب إفريقيا لمحمود كحول، في نفس السنة، والإسلام لصادق دندن عام 1909 والفاروق لعمر بن قدور 1913، ثم البريد الجزائري لمحمد عز الدين القلال، وكذا صحف أبي اليقضان إلا أنها جميعا لم يكن لها ولا بعض ما كان لصحف ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين من أثر في تكوين الوعي وإجماع الرأي العام على إحياء مجد الإسلام في الجزائر رشعها المسلم العربي، بل وما عملت على نشره والتمكين له من الفكر السلفي.

(275) نفس المصدر عيون البصائر ط مصر 1963م.

يتخيلها حتى في أحلامه، فما وهنوا ولا هانوا ولا ضعفوا ولا استكانوا.

وأنهم استخلفوا على النهضة فكانوا نعم الخلف، تمموا وعمموا، وأجمعوا وصمموا، وأنهم وفوا له ميتا كما وفوا له حيا، واعتزوا بإسمه بعد مماته كما كان يعتز بهم في حياته، فقد كان رحمه الله على جرأته وبديهته وبيانه وشجاعته - ربما تدركه الفترة في الرأي، في المواقف الحرجة، فيلتفت فيرى إخوانه إلى جنبه فيندفع كأنما مسته كهرباء، وكأنه الآتي المنهمر فلا يبقى ولا يذر.

ومن غرائب هذه العصابة التي كان ابن باديس شارة شرفها وطغرى عزها، أن الشيطان لم يجد منفذا يدخل منه إلى أخوتهم فيفسدها أو إلى علائقهم فيفصمها، أو إلى محبتهم بعضهم لبعض، فينفث فيها الدخول، فعاشوا ما عاشوا متأخين كأمتن ما يكون التأخي، متحابين كأقوى ما تكون المحبة، ولقد كانوا مشتركين في أعمال عظيمة معرضين لعواقب وخيمة ومن شأن ما يكون كذلك أن تختلف فيه وجوه الرأي، وتتشعب مسالكه، فيكثر فيها اللجاج المفضي إلى الضغينة، والانتصار للرأي المفضي إلى الخلاف، خصوصا إذا اشتجرت الآراء في مزلقة الاستعمار التي يرصدها لنا، فوالذي روي بيده، ما كنا نجتمع في المواقف الخطيرة إلا كنفس واحدة وما كنا نفترق - وإن اختلف الرأي - إلا كنفس واحدة، وإني لا أجد لفظا يؤدي هذه الحالة فينا إلا لفظة إخوان الصفا، فلقد - والله - كنا إخوان الصفا، ومازلنا إخوان صفاء، وسنبقى إخوان صفاء، حتى نجتمع عند الله راضين إن شاء الله".

إن لهذه الحالة فينا علة وثمره، أما العلة فهي أن إجتماعنا كان لله، ولنصر دين الله، ولتأدية حق الله في عباده، دأبنا في ذلك التعاون على الخير، والاستباق إلى الخير فلا مجال للمنافسة وحظ النفس، وأما الثمرة فهي هذا النجاح الباهر الذي نلقاه في كل أعمالنا للأمة في تطهير العقول، وفي تصحيح العقائد، وفي إستجابة داعي القرآن، وفي تمكين سلطان السنة، وفي صدق التوجه إلى العلم، وفي تشييد المدارس، وفي كثرة الإقبال عليها والبذل لها، وفي كل معالجة بيننا وبين الأمة.

إن هذا من صنع الله لامما تصوغه الأهواء النفسية الخبيثة، وما جمعه يد الله لا تفرقه يد الشيطان" إلخ.

وإذا ما قيل إنه لا عز للمرء إلا ما كان للمرء بين أهله، والذي مصدره الحب الصادق النظيف، فإن ذلك هو ما تمتع به عبد الحميد بن باديس في المغرب العربي الكبير، وليس في الجزائر وحدها، وكفي أن نسوق إلى جانب شهادة القريب الذي هو في مقدمة الأهل، وهو محمد البشير الابراهيمي، شهادة الزعيم الوطني الغيور وهو الراحل علال الفاسي، وهو بلا شك ممن يعتبر رأسهم في هذا الميدان كمثل للمغرب الأقصى أصدق تمثيل، يقول بعدما تحدث عن ماضي الجزائر تحت وطأة الاستعمار وما كان من محاولات الفرنسيين لطمس معالم الذاتية الجزائرية والشعب المسلم الذي غدر به كثيرون، منهم بعض رجال التصوف مثل التجانية والوزانية وجماعة ابن عليوة وابن تكوك والحملوي وجماعة مازونة فكانت محاولة بعض ذوي الغيرة الوطنية بعث الوعي الوطني من عوامل تحطيم ضلالهم يقول الفاسي "ولكن هذا لم يحدث تغييرا في الاتجاه العام في الجزائر، حتى جعلت ثلثة من الشباب الذين درسوا في المشرق أو في تونس تحمل الدعوة الجديدة، وتعمل لها في حماس ونشاط، وكان في طليعة هذه الثلثة المؤمنة الشيخ عبد الحميد بن باديس المولود في قسطنطينة من الأسرة الباديسية، الصنهاجية، التي كان لها دور في إفريقيا في القرن العاشر، وقد أتم دروسه في الجامعة الزيتونية في تونس حيث أمكنه أن يتصل في غير أوقات الدراسة الرسمية بالدعوة السلفية عن طريق الكتب والمجلات المصرية، التي كانت تصل لتونس أكثر من غيرها، من بلاد الشمال الإفريقي، فقرر إعداد نفسه لنشر الفكرة والعمل على تجديد الإسلام خلقا، ودينا، في الوسط الجزائري، وما أن عاد للجزائر حتى بدأ يعمل لنشر دعوته، وأسس لها جريدة "الشهاب" التي كانت أول الأمر أسبوعية ثم أصبحت شهرية، فتجمعت من حوله نخبة من الكتاب والاعادة أمكن لابن باديس معهم أن يؤسس "جمعية العلماء المسلمين سنة 1928 يقول الفاسي" الخ (276).

لقد قدمت الجمعية للإسلام في الجزائر خدمات عظيمة لابما كانت تنتشر في الوسط الجزائري من نور وهداية فحسب، بل بما أخذت تفتحه من مدارس لتربية النشء

(276) والواقع هو أن الشيخ عبد الحميد أسسها بالجامع الأخضر بقسطنطينة بتاريخ 4 ربيع الأول 1356هـ / 1937م راجع المغرب العربي ص 106 وهامش (185) أعلاه والحركات الاستقلالية ص 16 لعل ط 1948.

الجزائري على تعاليم الإسلام، وثقافة العرب ولغتهم، فقد إستطاعت أن تؤسس في عشرة أعوام عشرات المدارس المنبئة في مختلف أنحاء القطر الشقيق، وأن تشجع على إرسال بعثات كبيرة لفاس، وتونس، ومصر، والشام، والعراق، وتتخلص تعاليم جمعية العلماء في هذين البيتين من القصيدة التي أصبحت شعار مدارس الجمعية والنشيد المفضل فيها، وهما.

شعب الجزائر مسلم.

وإلى العروبة ينتسب.

من قال حاد عن أصله.

أو قال مات فقد كذب.

وقد أعلن مؤتمرها التاسع عن مطالب الجمعية العامة وهي (1) الاعتراف باللغة العربية كلغة قومية (2) حرية الدين والعبادة، (3) رجوع الأوقاف والمنظمات الإسلامية ليد المسلمين.

(4) تنظيم المحاكم الشرعية وإعطاء الشعب الإسلامي حق إنتخاب قضاة ومفتيه بالوسائل التي يراها.

وقد شرحت جمعية العلماء هذه المطالب في رسالة عن ضرورة تكوين مجلس إسلامي يشرف على شؤون الدين، وتكون له السلطة التامة فيما يرجع لذلك، بحيث يعترف له أنه المهيمن على السلطة الدينية الإسلامية، وبذلك ينفصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية في الجزائر، أسوة ببقية الديانات الأجنبية هناك، ولم تصل الجمعية إلى هذه المرحلة من المطالب إلا بعد جهاد وصراع دام سنوات(277).

من خلال هذه الفقرات التي أجملت تاريخ حياة عبد الحميد بن باديس رحمة الله

(277) راجع مجلة المنار لرشيد رضا مصدر سابق، ومجلة العرب القدسية، بتاريخ 5 محرم 1352 ص 16 و26 محرم ص 9 و15 قعدة 1351 وفي عدد 33 بتاريخ 27 حجة 1351 ص 3 حيث الحديث مطولا عن نشر ومنع جمعية العلماء من التدريس في المساجد بإستثناء الذين تعينهم فرنسا من أعوانها، وفي نفس المجلة ص 4 بتاريخ 12 محرم 1352م وهو النظام الذي يعمل به المغرب اليوم وقد مضى على استقلاله 40 سنة بحيث لاحق لأي كان أن يلقي درسا في مسجد أو جامع حتى لو كان في العبادات ما لم يكن للإدارة علم بذلك، ومن فعل يتعرض للقصاص الشديد، والاضطهاد العنيف لكن الشيء الذي لم يستطعه القوم هو توقيف الزمان. الذي هو ليس في صالح المستبدين.

عليه، وجمعية العلماء والتي هي ممن حمل لواء الجهاد إلى جانبه ثم إستمر بعده بصدق وأمانة ووفاء نستطيع الربط بين الرجلين العظيمين شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي في المغرب، وعبد الحميد بن باديس في الجزائر، فكلاهما عرف ظروفًا غير مواتية، لكنه نحاها في الوقت الذي كان التحدي يكلف الكثير جدا من البذل والعطاء، صحيح أن شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي في المغرب كان له دولة وسلطان التزمت فرنسا صوريا باحترامهما، أما في الجزائر وهذا سر عظمة عبد الحميد ورفاقه الكرام فقد حاربت فرنسا في الجزائر كل مظهر كان للدولة وروحانية كانت في الجزائر، وللجزائريين، وإلى درجة أن نابليون الثالث بلا خجل ولا وجل قدم من وراء البحار إلى عاصمة الجزائر ليرفع الصليب فوق منار أكبر جامع في العاصمة هو جامع كيشاوة وجندت من البشريين والقساوسة والرهبان جيشا جرارا لمحاربة الإسلام وتنصير الناس بالقوة كما سنرى، وأصبح برنامج "دوفوكو" يطمح لا إلى إبتلاع الجزائر بل إلى تنصير كل شمال إفريقيا المفتوحة على أوروبا عموما وفرنسابالأخص، بحكم الموقع الجغرافي وقبله مخطط نابليون بونابارت، الذي حوله فشله وانهزامه في أبو قير بمصر إلى التسلط على الجزائر، وليس ذلك فحسب فلجزائر بربروس واخوته في تاريخ أوروبا ما لها من إعتبار، ولها ما لها من حساب يجب أن تصفيه فرنسا بدافع الحقد الدفين على أيام صولتها في الأبيض المتوسط، ولذلك كان برنامج إستعمارها ومن أول وهلة يختلف عما عرف للاستعمار منذ عهد الرومان ثم البرتغال، والاسبان، فكان الإدماج بالقوة وحد السيف، وبالتشريع الذي لاتراجع بعده، مما أعطى. لرسالة إبن باديس وصحبه ما لم يكن لغيرهم في شمال إفريقيا، بالإضافة إلى ما سبق، نوعيات السكان الجديد بالجزائر، وما عرفوا به من تباين في الطبائع أوجد الدافع للمستعمرين الذين إكتسحوا ثم إستولوا على كل شيء في البلاد، مما له إرتباط بالاقتصاد، من زراعة وتجارة ومواصلات، وإدارة، وأن من يريد الحياة من الجزائريين كان عليه أن يطلبها تحت لواء ذلك الخليط من الأوربيين الذين لا شيء يوحد بينهم إلا أنهم يتجنسون بالجنسية الفرنسية، أما في الأصل فمنهم الأكراس والورين والكورس، والاسبان، والطليان والأرمن واليهود، وإلى جانب هؤلاء وأولئك جزائريون لم يتحملوا ما تفرضه روح النضال في سبيل الدين والوطن، فما كان عليهم إلا

أن يقبلوا التجنس لتحقيق أغراضهم، ومصالحهم وإذا كان منهم من أقبل وهو راغب مطمئن، فمنهم من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، بل وإلى جانب هؤلاء وأولئك مجموعة كبيرة من المشعوذين والطرقيين الضالين الذين لم يتورعوا في الإقبال على المستعمر يطلبون حمايته لشعوذتهم وضلالهم، ضد سلفية عبد الحميد وصحبه، ودعوتهم الإصلاحية، وأكثر من هذا وذاك خلاصة أجيال ثلاث من الذين إرتفع نصابهم من الثقافة الفرنسية كما شاء وأراد لهم المستعمر، فأصبحوا وبعقيدة والتزام يصيحون معه أنه "لا وجود لشيء اسمه الجزائر كشعب ودولة في التاريخ، بل يكفيه ويشرفه أن يكون فرنسيا، لأنه ما ترك مكانا لم يبحث فيه عن الجزائر، وحتى في المقابر فلم يجدها إلخ، كان هذا رأي عباس فرحات في كتابه الشبيبة الجزائرية الذي صدر عام 1931 كما صدر له نفس الرأي في الرسالة التي أصدرها هو ومحدد عن النظام الاستعماري عن طريق الإلحاق "من المستعمرة إلى المقاطعة، وكان الإلحاق في نظر هؤلاء ليس هو عين الاستعمار، إن لم يكن أقبح يقول المرحوم علال الفاسي : المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى ص 107 وقد عارض هذه الأفكار الشيخ عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء المسلمين معارضة شديدة، وتمكنت هذه المعارضة بل تأيدت بعمل وجهود حزب الشعب الذي جاهر بالإستقلال كما سنرى بعد.

في هذا الخضم المتلاطم بدواماته وأمواجه الهوج، قاد الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس شراعه الذي كان يحمل المصباح الذي وضع في أعلى منار بالمغرب العربي الكبير فكان منه الشهاب الذي كان الملاذ، والمنشط، والهادي، الذي إستمد منه أبناء المغرب العون والسداد بعد حين تمكنت دعوة شيخ الإسلام ثم أصبح لها من الخصوم ودعاة الضلال من إعتدتهم إدارة الحماية كما سنرى بعد تعرفنا على قوافل الرعيل الأول.



الزعيم الاسلامي العظيم والعالم
التونسي الجليل الشيخ محمد
الخضر حسين



فضيلة الشيخ البشير
الابراهيمي رئيس جمعية
العلماء المسلمين الحالي
بالجزائر



السيد رشيد رضا الذي ألف
جمعية «الجامعة العربية»



الشيخ علي يوسف الذي نادى
بالوحدة في المؤيد



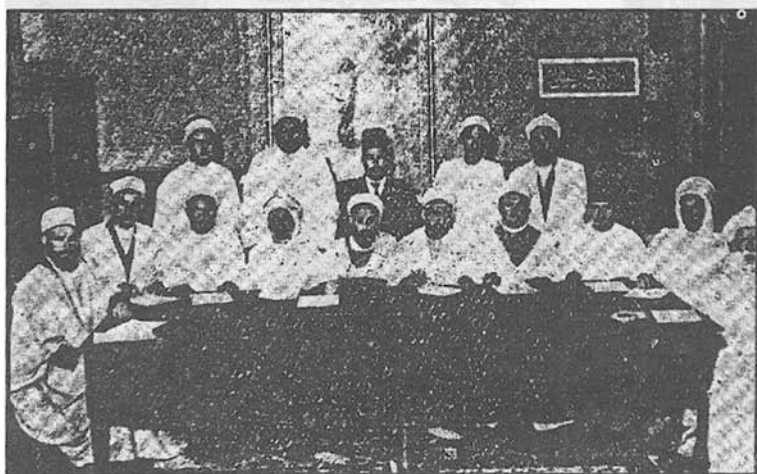
الشيخ محمد عبده أول من
نادى بالوحدة الاسلامية



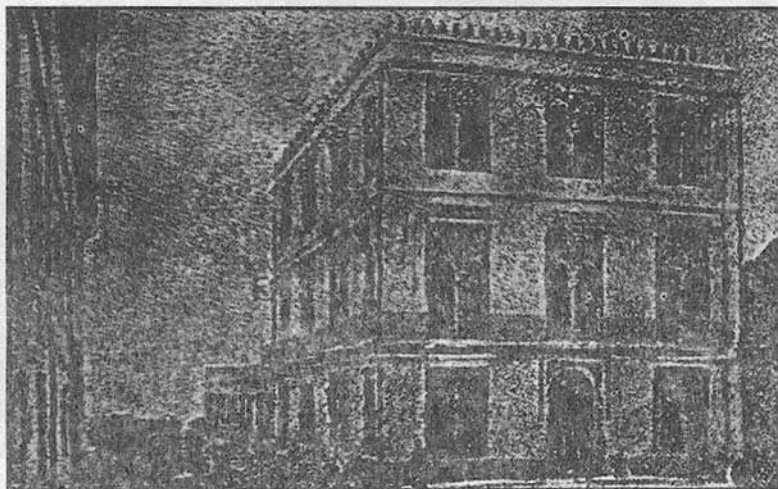
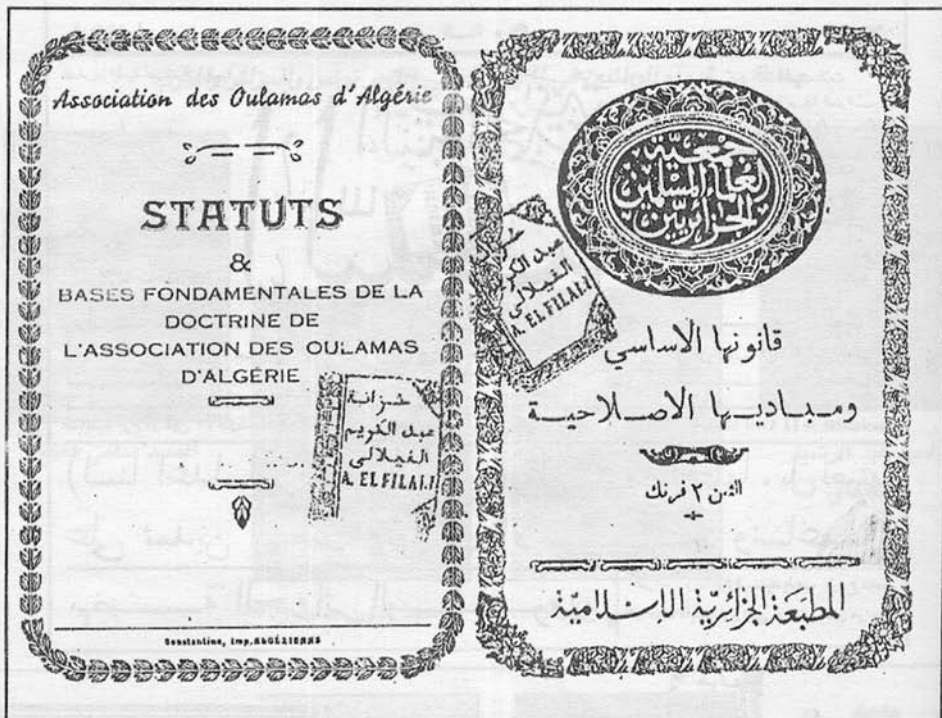
فضيلة الشيخ عبد الحميد بن باديس
المصلح الاسلامي الكبير ومؤسس جمعية
العلماء المسلمين بالجزائر



فضيلة الشيخ العربي التبسي نائب
رئيس جمعية العلماء المسلمين
ورئيس المعهد قسطنطينية



رسم أعضاء المجلس الاداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين



مدرسة وهران بالجزائر أسستها جمعية الطماء المسلمين الجزائريين

العدد ٧ السنة الأولى

ثمن النسخة ٥٠ ص

المراسلات
كلها ب. هذا العنوان
AS-SOURNAH
13, rue A. Lambert, 13
CONSTANTINE
تليفون الادارة ١٥٠

الاشراف
عن سنة ٣٥ ف
عن نصف سنة ٢٠ ف

صدرها الجمعية تحت اشراف رئيسها
الاستاذ
عبد الحميد بن بايرس
رئيس تحريرها
الاستاذان
العقبي والزهري

السنة الأولى

لكم في رسول الله أسوة حسنة

من رغب عن سنتي فليس مني

Constantine le 17 Avril 1953

تصدر يوم الاثنين ٢٢ ذي الحجة ١٣٥١

تصدر يوم الاثنين من كل اسبوع

لسنا أعداء لفرنسا ولا نحن نعمل ضد مصلحتها . بل نعينها
على تمدين الشعب وتهذيب الامم . ونساعدتها
نهضة الجزائر اليوم

الترجمان . واذا برؤا لشبه يذهب بفروع دينهم
والعقائد . فيستبدون الذي هو ادنى بالذي هو خير

المستأولة

بين الافراد والشعوب والاجناس
لسان حال بيان الشعب الجزائري

١٩٤٥ - ٨ ماي

نحو لاعلى اقتراء حزب البيان صادق مجلس
قسنطينة العام على مريضة يود بها مشروع
استقلال الجزائر

ما اروع بعض الفرنسيين الى الغضب في هذه الايام - وكان
هزيمة عام ١٩٤٠ شربت عليهم المذلة والسكدة تترامح يمولسون
دفع الاذى باذابة الناس وترويح الارانب يخوضون في مسائل
لا علم لهم بها فيهنون ولا يزيدهم كل ذلك الاعما وعملا
ذلك اني صادفت في البريد السواد على تسرا في ربي مقالة
نشرت في جريدة النصر لسان حال حزب الحركة الجمهورية الصعبة
التي كتبت بمدينة تولوز - لحررها - بيير دوماس -
قال حضرة المحرر - دوماس - فيما قال
- فماذا رايها بعد الحوادث في المجلس التايهي الفرنسي -
راينا نعيم حزب البيان يند من اعلى منة الخطابة فهدانا وبس
فرنسا ويصفا بالفرنسين والمثوسين وقد اشترحت لاقواله صدور
ليصبحين فتهتوا له وصفا
« والرجل الذي كان يجرى على القذح والتدح في وطننا انما
هو صيد من مدينة قسنطينة جذا عليه بالعلم والشهادات الجامعية
والرافعية والفتى وبما هو خبير من ذلك بالانتداب في مجلس
١٩٤٥ - ٨ ماي - كما بلاد - واعدا لسنا كان

انتم نواب حزب البيان قرعة
انقاد جلسات المجلس العلة في
القائضات الثلاث تقدموا اليها
بمريطين نطالب احصاءها بانجاز
مشروع استقلال الجزائر وتخص
الاشارة على الاصل الاجرامية

الربيعين صادق المجلس عليها
ان هذا النجاح لتنظيم فهو
اعتراف اعادتنا يصدق فينستنا
وسواها ذلك لان الشواوب
الصميرين تسلم صادقوا على
١٩٤٥ - ٨ ماي - نطلقات

انهت اعظم الحروب العالمة وبلادنا الجزائرية حرا
عاش وفي الثامن ماي سنة ١٩٤٥ يوم بيوتوا الا لشه
استسلام القايا القذرية حاج الحق وماج انهم ككل ضد
استفادوا عهد الحرية الجدي
ولكن هذا العهد كان على الجزائر المسكينة وجمهوريهم شه
حيدا وحدادا فقدر لها الاستمرار القائم يمس في تحفة
في نفس اليوم المكيدة الكراه التي ادمت فذكرهم اليوم

جماعة من قدماء الوطنيين في المغرب العربي الكبير تونس والجزائر والمغرب



السيد سلمى فاتح



السيد قدور صاطور



السيد علي الزاوش



السيد عبد الرشيد
مصطفاي



السيد فرحات عباس



السيد عبد الخالق
الطريس



السيد عبد الهادي
الشرابي



سعد الدين بن أبي
الشناب



محمد الزغاري حكم التاريخ
أنه رجل نظيف رحمه الله
وأسكنه فسيح جناته

مذ وحيئة المغان
الاسلامية

القصر الملكي
الدامر

الحمد لله وحده

بناء على الظهير الشريف المؤرخ بسابع شوال 56 الموافق 11 دجنبر 37 المتعده
بالتعلم المعمل بالمسايه

1356
بناء على القرار الوزري المؤرخ بسابع شوال 56 الموافق 11 دجنبر 1937

بناء على ان الطلب الذي قدمه عبد الواد بوعلجة بن جعفر الواد غيبري الراغب
في فتح مدرسة قرآنية علمية بمسكنه الشمراء الواد غيبري بجوجار على ما يتطلبه العمل
الناهي والثالث من القرار المذكور

بناء على ان الطلب حلي بالموافقة المولوية

سرد ما يانسي

العمل الاول وعلى مسكن بوعلجة بن جعفر الواد غيبري الراغب في فتح
مدرسة قرآنية علمية بمسكنه الشمراء الواد غيبري بجوجار على ما يتطلبه العمل

العمل الثاني ان التعلم المعمل في هذه المدرسة يكون مبنيا على الفنون المقررة
في البرنامج الذي قرره مديرية المعارف الاسلامية للمارس القرآنية العلمية المؤهلة
للمقابلة التعلم الابتعا الى العزيب الذي

العمل الثالث يدور هذه المدرسة وتحمل مسئوليتها للشهيد عبد الواد غيبري

وحرر بمذ وحيئة التعامري في الاسترا 1355 الموافق نشتمبر 1946

رخصة تأسيس
مدرسة حرة في
قصر الواد غيبرين
باسم الوطني
الكبير الحاج
محمد بن عبد
الرحمن بوقلجة
الودغيري الحسني
رحمه الله

نشرة



من الواجب على كل متخرج من المدرسة الثانوية الفاسية أن يطلب الانخراط في سلك الجمعية

جمعية قداماء تلاميذ المدرسة الثانوية الإسلامية الفاسية
تأسست عام ١٩٤١ بمشورته من قبل السيد محمد بن عبد السلام (الذي كان يظن أنه في فرنسا نفس الثاني من أيام نظامه مع طابعا من الحدباء) والناشطة

تأسست في جمادى الثانية سنة ١٣٤٧ هـ - تصدر إثر كل جمع عمومي - موافق ديسمبر سنة ١٩٢٨

جودوا على الجمعية بما تسمح به أنفكم من الكتب وخصوصاً الروايات التي اشتريتها وقراءتها واستفيد منها اخوانكم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صباحك سيد أيها الأخ العزيز
- أمنت صباحاً بأخى التي أراك مبتها في هذا اليوم
- نعم لكن أدبت واجباً مشتركاً في الجمعية فإذ رأيت بإرساله إلى محمد بن التهامي الخلو بالبرهان صاحب صندوقها

ترجمة الجمعية

ما ابتدأت الجمعية بتشي رسماً الأستة ١٣٤٠-
١٩٢١ حيث إن أول اجتماع عمومي افتقد يوم الأحد ٢٧ من أرواح أكتوبر من السنة المذكورة تحت رئاسة الأخ محمد بن عبد الخلو بصفته رئيساً مؤقتاً إذ ذلك لم يكن في السبيل إلا يجوز يصدر مستشاراً فنياً وما هو إلا الذي يصوغ العمل بها
قرار

إن المراد من إنشاء هذه الجمعية هو ما يجرى به الفصل التالي من قوانينها - انظر صفحة ٣٠ - فوق هذا كله - فن هذه الجمعية تلعب دوراً هاماً في الحياة الاجتماعية المغربية - وبالخصوص في مجال من الوجهة الأدبية فإنها الواسعة الوحيد بين الدولة الحاخمية وبين الأهل في تضييق ما ترمى إليه الحياة من نشر التعليم بين جميع الطبقات - فنتاهم من وهداة الخطوط إلى معارج البرقي والكمال .
إن هذه الجمعية منذ نشأت وهي تسمى ورائها نشر التعليم

وما يتوجب الامتثال أن هذه الشارح نستلعب مصاريف جمة يد أن صندوق الجمعية لا يمكن له أن يفي بأدائها بصفة منظمة إذ الواجبات الشهرية التي يودها أعضاؤها الملغون لا يمكن بكل ما تلزم الجمعية أن تقدم به - فلهذا المواقف الحاقلة دون مقاصدها - ارتأى مجلس الإدارة لسنة ١٣٤٤ - التزك إذ ذلك من الاخوان محمد الزنغاري - أحمد بن الحسن - محمد الخازي - عبد القادر بن جلون - محمد بن التهامي الخلو والمرئي تقصيرة أن يقتضوا عن الرسائل القادمة نسبة مالية للجمعية فبدأ وجدوا الآن أن يتوروا

قد أمنت بعدها بإيالات أدبية فضلا عن عدم ادخالها أي وسيلة تمكن في سبيل ارشادها ونصحها - فمن جملة هذه الجمعيات - جمعيات قداماء تلاميذ المدرسة الثانوية الرباطية - والبيضاوية - والسلاوية - والان المراكشية التي لازالت تحت التأسيس فترجو لها التبرع - وقد عضدت الجمعية الرباطية القالب مادامياً وادياً .
إن جمعية على هذه الصفة جديرة بأن تكون مؤسسة - بل إن هذه المدينة المغربية التي عاشت منذ نشأتها

الفصل الرابع والستون بعد المائةين

شيخ الإسلام وجمعيات قدماء الثانوية

الإسلامية والقرويين بفاس وبدائيات التنظيم

الوطني عام 1920-1930 واثره في عموم المغرب

في الوقت الذي كان شيخ الإسلام يعمل من أجل تكوين جماعة الرعيل الأول في مدينة فاس، وفي الثانوية الإسلامية أولا والقرويين ثانية، كان الإمام عبد الحميد بن باديس يفعل مثل ذلك في الجامع الأخضر بقسطنطينة، وإذا كان برنامج ابن باديس قد اعتمد تعليم الشباب صباحا والشيوخ مساء، فإن برنامج شيخ الإسلام كان من الثامنة إلى العاشرة بالثانوية الإدريسية بفاس ثم بعدها القيام بمهمة القضاء إلى الساعة الواحدة بعد الزوال، ثم يعود لنفس العمل من الرابعة إلى ما بعد العصر ويومي الإثنين والخميس يتفرغ للدروس العامة التي كانت بجامع القرويين حيث يقصده السكان من مختلف الأحياء إلى درجة أن الذين كانوا لا يتمكنون من الالتحاق مبكرا للحصول على أملكهم كانوا يؤجرون من يحجزها ويحتفظ لهم بها، ولم يكن هذا الزمان ببعيد، فقد ربينا من تلك الدروس ما يحتاج تدوينه إلى دراسة ميدانية وموضوع خاص مصدره الشيوخ الذين ينعمون بالحياة، وبهم اليوم تعمر مساجد أحياء ما حول القرويين، والمخفية، والطالعة، وقصبة فيلالة، وفاس الجديد (278) حيث سنتعرف بعد على ما أنتجته تلك الدروس العامة، وما كونته من رجال وبعثت من وعي.

كان شباب الثانوية الإسلامية بفاس الواقعة غرب جامع أبي الجنود، والتي

(278) لقد حصلت على كثير مما دونه بعضهم وسجلت ما رويته عن آخزين، سواء في ذلك ما يتعلق بالفتاوي الأحكام أو غيرها من الأقوال التي كانت مثار نقاش بين الطائفتين، السلفيين والطرقيين، والوطنيين وغيرهم وهو النقاش الذي ساهم في تكوين ونشر الوعي السياسي الوطني مبكرا.

أسسها اليوطي لغاية وهدف مقصود، نشاط كبير وكبير جدا، أفاد في تحريك المجتمع الفاسي فائدة أسهمت في تبديل كثير من المفاهيم، والدفع بعجلة الوعي الوطني إلى الأمام بدافع ما جد بين أبناء الثانوية أنفسهم من تنافس، ثم بينهم وبين أبناء القرويين أيضا، والذي تحول بفضل شيخ الإسلام كقاسم مشتزك بين الفريقين، إلى تراحم وتواصل وتوادر وتعاون، كان شباب الثانوية يتلمسون طريقهم في مجال المعرفة بالمحاضرات والمسرحيات الإسلامية وتكوين المكتبة التي كانت تعير الكتب باللغتين العربية، والفرنسية، للطلاب، وكانت أعمالهم بإسم جمعية أنشؤوها مبكرا ويقانون حسبما سمح به ظهير 24 ماي 1914 المتعلق بالجمعيات وقد أطلقوا عليها إسم "جمعية قداماء تلاميذ المدرسة الثانوية الإسلامية الفاسية" وذلك بعدما وضعوا لها قانونا صدرت الموافقة عليه بإدارة الشؤون السياسية بالرباط بتاريخ 15-9-1921م وبهذه الجمعية إقتدت جمعيات قداماء ثانويات الرباط، وسلا، والبيضاء، ومراكش، كما أصدروا لهم جريدة بإسم "نشرة من ثماني صفحات، كانت توزع مجانا، وكانت رغم شدة الرقابة توجي بما سيجد من أفكار المستقبل وتطلعات الشباب، وكان رئيسها العملي لمدة سنتين الرجل الذي عاش وفيا للشيخ، وهو محمد الزغاري بفتح الميم والتلمساني الأصل رحمه الله، والذي بقي طول حياته يتغنى بما كان لشيخ الإسلام عليه من فضل التوجيه والرعاية، وأنه بمساندته تمسك به إخوانه كرئيس للجمعية وحتى لما غادر المدرسة إحتفظوا له بالرئاسة الشرفية(279) وسيكون في طليعة الذين يكتبون عريضة الاستقلال عام كما سنرى.

وهذه لائحة أسماء الرعيل الأول من الذين تكونت منهم إدارة الجمعية لسنة 1340هـ =1921م وهم الذين انتخبوا من طرف زملائهم في شهر صفر، أكتوبر من السنة المذكورة، ولمدة سنة وهم:

محمد التازي كرئيس للجمعية

عبد السلام التويمي كاتب

بن التهامي لحو صاحب الصندوق

محمد بردلة خليفة الرئيس
المهدي المنيعي خليفة الكاتب
العربي قصارة قيم الخزانة(280)

وكان إنتخاب هؤلاء الطلبة من إخوانهم بالاقتراع السري الذي فاز فيه المذكورة أسماؤهم، وكان لهذه الجمعية مستشار فرنسي إسمه "سلانك" كما كان رئيسها شرفيا كلامن السلطان والمقيم العام، كما نصبت كأعضاء شرفيين الكثيرين من نوبي المكانة أو الذين يخشى كيدهم وقتها، ولقد كان لبعض أعضائها باع في هدم دجل الكيتاني عبد الحي كما سبق، على أن الصحيفة الوحيدة التي بقيت لنا من تراث هذه الجمعية السكوت عنها جهلا أو قصدا والتي لم يذكرها ولا واحد ممن أرخو للحركة الوطنية والتي قول : إن أول من فكر في إنشاء هذه الجمعية وبتوجيه من شيخ الإسلام طبعاً هم السادة:

العربي الديوري، ومحمد بن التهامي لحو ومحمد بردلة، كما شايعها ولأول وهلة كل من محمد السليمانى، وعبد الوهاب لحو، واعتمد في إنشائها على قانون أساسي بحكم التنسيق، مكون من 15 بندا، نص الثاني منها على أهداف الجمعية ومقاصدها، أي القصد من تأسيسها، وكما جاء في ميثاقها حرفيا، هو "ربط العلائق الحبية بين أعضائها وإثبات الألفة والمساعدة بينهم في جميع ما يرجع بالنفع عليهم من تثبيت وتنمية العارف التي حصلوا عليها، والإنكباب على مطالعة الكتب، والمجلات، والجرائد العلمية، والأدبية، والصناعية، والتجارية والفلاحية، والاقتصادية، وإلقاء المسامرات، وتلقي الدروس" كما كانت الجمعية تسعى في نشر التعليم بين طبقات المواطنين، وترغيب الشبية في الإقبال عليه، والانشغال به، كما أنها كانت تبذل قصارى جهدها في السعي وراء تحسين حالة متخرجي المدرسة الثانوية ماديا وأديبا، وتنشيط التلاميذ مدة مكثهم بالمدرسة بأي وسيلة ممكنة(281) وحتى لا تتعرض الجمعية للمنغصات والمضايقات من إدارة الحماية؛ كانت تنشر ضمن أعضائها الشرفيين جل أسماء المرموقين من

(280) ص 1 من المصدر السابق.

(281) نفس المصدر ص 3

الفرنسيين، وبعض المتعاطفين من الإداريين المغاربة، وغيرهم من "الأشرار" الذين تأكّد لها كيدهم أمثال عبد الله بن عبد السلام الفاسي الذي كان ولفترة ضمن أساتذة الثانوية، والذي جر على بعض أفرادها الأذى حين بدأ تضافرهم مع أبناء جامعة القرويين يثمر، تلك الحملات العنيفة ضد الطريقة والدجل الخرافي المتمثل في عبد الحي الكيتاني، أما عدد أعضاء الجمعية بصفة عامة، والذين سجلت لنا أسماءهم الجريدة التي أنشأوها عام 1921 فهم كما أوردت النشرة:

عبد العزيز بن الحسن بوطالب	المهدي لمنيحي	العربي الديوري
محمد بن عبد القادر بوجيدة	إدريس بوجيدة	محمد الزغاري
محمد اللبار	أحمد بن الحسن	عبد السلام التويمي
علال بن ج عبد الرحمن لحو	محمد بن إدريس برادة	محمد التازي «ضل وخان»
عمر بن ج الغالي السبتي	محمد الطيب برادة	عبد الوهاب لحو
عبد المالك الصقلي	محمد بن ادريس بن يحيى	محمد بن محمد بن العباس جسوس
الطالب الازرق	حماد بن المهدي بن شقرون	العربي قصارة "ضل وخان"
إدريس العلمي	عبد الحميد الجابي	فقتل اثر نفي محمد الخامس.
عبد القادر بن عمر برادة	محمد بن محمد الغزاوي	الحسن بن جلون العربي بن عبد الجليل
محمد بن عبد الرحمن بنيس	عبد الرحمن الميسوم	محمد بن أحمد بردلة
أحمد التويمي بن جلون	العربي بن عبد الخالق برادة	محمد بن الحسن بن جلون
عبد الجليل الصقلي	عبد القادر بن محمد التازي	بناصر البدرابي
محمد بن لعرج السليمانى	قاسم بن عبد الجليل	الطيب بن لفضل بوعياذ
ج محمد بن سالم بن عبد الجليل	إدريس بن أحمد لحو	محمد بن محمد بن علال بن كيران
عبد القادر بن جلون	ادريس بن عبد القادر لحو	عبد الرحمن التازي
محمد بن عبد الرحمن الخطي	عبد القادر بنيس	محمد بن حاجي منصور
عبد المالك فرج	عبد الجليل الوليدي (282)	محمد الخطي
المدني مكواري	محمد بن زين العابدين العراقي	الحاج الحسن غلاب

(194) عمل في جهاز الأمن السري وكان وطنيا أفاد كثيرا بتنبيه الوطنيين إلى ما كان يدبر لهم كما أعرف ويذكر الوطنيون بفاس الجديد، كما يؤكد ذلك أغلب قدماء الوطنيين مثل محمد الغزاوي.

العربي بن محمد بن عبد المجيد بن جلون	المهدي بن سليمان	محمد الوجدي
العباس بن محمد بن لمفضل بن جلون الحسن الوزاني	محمد بن الشيخ	محمد بن الحسن العلوي
محمد بن محمد بن التهامي الوزاني	محمد بن زيان	محمد التازي مكناس
عبد الكبير بن عبد الحفيظ الفاسي	إدريس بن ج بويكر جسوس	محمد بن الحاج بناصر بن يحيى
محمد الصفار	الطالب بن الطاهر الجواهري	محمد بن موسى
محمد بن الجلاي بن عيسى	أبو بكر الحجوي	محمد بن الطيب برادة (غير السابق)
محمد الوديني	أحمد بن شقرون	عبد الغني التويمي
محمد بن إدريس برادة	محمد بن شقرون	محمد الزيايدي بن شقرون
محمد بنيس	التهامي بن شقرون	محمد بن الحسن العراقي
عبد السلام السبتي	الطاهر السقاط	
علي السملالي	محمد بن أحمد التازي	
المفضل بن جلون	إدريس بن عمر برادة	
	محمد بن عمر برادة	

وهؤلاء من الذين درسوا على شيخ الإسلام في المدرسة الثانوية الإسلامية بفاس، والذين باشرُوا أول نشاط ثقافي بروح وطنية ظهرت نتائجه السياسية بعد عندما ظهرت الدوافع للخوض في مجال السياسة، ومهما يكن فمنهم من أخلص وأثمر ومنهم نكص وغدر، وهؤلاء قلة ضئيلة جدا أمثال محمد التازي (283) الذي تولى "محافظة باشوية" فاس وكان قاسيا على الوطنيين إلى جانب الجنرال نوجيس، كما سنرى، وغير هؤلاء كفريق من الرعيل الأول كانت جماعات أخرى في طريق التكوين، ولم يتم العقد الثالث من القرن العشرين حتى كانت الجموع قد تكاثرت وأعطت من النتائج ماسوف نتعرض لها بعد.

(283) نلاحظ هنا على أنه ليس كل من إنتسب إلى مدينة تازة هو تازي، فهناك بعض يهود الحي الأندلسي ببر من الذين تعرضوا لاضطهاد حي البربر ثم أسلموا كرها، وبعدها دخلوا مدينة فاس التي عرفوا فيها بإسم التازي، وقد تعرض لذكرهم الزياتي أبو القاسم وغيره.

كان هذا الرعيل الأول في مدينة فاس هو الذي عاصر نشأة الكفاح الوطني حيث عرف بحماس نوي الأصالة منهم وتطلعهم، ذلك لأنهم في الواقع إنقسموا إلى قسمين قسم وطني تمسك بما تلقاه من معارف في العمل والسلوك، وقسم إعتبر ما تلقاه من معارف وسيلة لكسب العيش في سلام، وبعض هذا القسم خرج للمساومة على حساب المبادئ والشعارات وترضية المستعمرين الذين كان مخططهم يهدف إلى خلق جماعة متفرنسة(284) من المغاربة، لكنهم لم يحققوه في جهات أخرى باستثناء أربعة أفراد في مدينة فاس كلها، يتقدمهم محمد التازي وعبد القادر بن جلون والعربي قصارة ثم الرابع وان لم يكن من هذه المدرسة فهو يحمل جرثومة الخيانة بالوراثة، وهو الفاطمي بن سليمان الإسلامي الأصل الذي عرف بجرائمه السياسية وفضائحه الخلقية التي كان بفاس يتنافس فيها مع الجنرال سوفران والطيب بن البغدادي المحروق للفتك بالشبيبة الفاسية .

في الوقت الذي كان هذا الفريق يتحرك داخل البرنامج الذي حدده القانون الأساسي للجمعية كما سبق، كان هناك فريق آخر يتكون في جامعة القرويين، وكان ضمنه طيب الذكر الوطني الأصيل محمد المختار بن علي السوسي الفيلاي العباسي، وهو الذي سجل لنا بأمانة كيف كان يتكون هذا الفريق، والطريقة التي كان شيخ الإسلام يهيء الصادقين منه لحمل الأمانة خدمة للإسلام ودفاعا عن كرامة الوطن، بنشر الوعي بين المواطنين، يقول صاحب الإلغيات:

"في فاس استبدلت فكرا بفكر، فتكون لي مبدأ عصري على آخر طراز، فقد إرتكز

(284) لقد صرح إدجارفور بعد عام 1955م أمام الجمعية الوطنية الفرنسية، وكما سنرى، أنه بما أقدم عليه من حل لقضية المغرب بالشكل الذي إختاره، إنما يهدف لخلق مجتمع فرنسي في المغرب، وبواسطة المغاربة، مادام السابقون لم يستطيعوا تكوينه بواسطة الحديد والنار، والتمكين لأكثر من 500000 فرنسي؟؟! وينظرة خاطفة على ما حصل في مغرب الاستقلال سياسيا بظهور عناصر العملاء القداماء، وسطوهم بحماية على مختلف المجالات اقتصاديا، وما يعرف من تحويل الثروات، واجتماعيا وما يعيشون من إباحية وخبور وفجور، يتقدمهم المتزعمون لحرفة الفنادق والحانات باسم السياحة والتجارة وهات وهات، وهم بذلك إنما يحققون هدف إدجار فور، لكنهم نسوا أن للبيت ربا يحبه وللشعب ديناً وتاريخاً فيهما كل أصالته وأمانته، وإذا تحملنا في صبر مكرهين ولم نرد لهذا البلد الدمار فإن القصاص لا شك سوف يتولاه عدل الله، وإن يوم الظالمين لاشك آت مهما طال الانتظار.

على الدين والعلم والسنة القويمة" إلى أن يقول "وكانت فاس إذ ذاك لا تزال متأخرة عن الرباط وتطوان، خصوصا جامعة القرويين التي كانت لا تزال تغط غطيظا قبل دروس موقظ الهمم، أستاذنا المفكر، سيدي محمد بن العربي العلوي، فقد كان مجلسه ندوة الفكر الدينية الجديدة، وإن كان إنما هو يحوم جهرا ضد الرد على الصوفية، ولكن تحت ظل ذلك تكون غيره من الفكر الوطني العام، فإذا ذاك سكرت بتلك الفكرة، وأنا كما تفتحت لي الدنيا بجرائدها، وجغرافيتها وكتبها الحديثة، والحركات المصرية، والتركية، والسورية، والعراقية، والهندية، والافغانية، والإيرانية، والتونسية، وحركات العلماء في الجزائر، هذه كلها ترن في الأذان رنين الأجراس التي توقظ النائمين، وحكومة المغرب إذ ذاك لا تزال غافلة عن ذلك، ولما تنتبه إلى منع ذلك وخنقه في مهده، فسدنا في الآمال وتصورنا البعيد قريبا، وبهذا أيضا كنت مشغولا غالب أعوام 1343-1345هـ = (1924-26) فضلا عما أخذته هناك حتى زلزلنا إغلاق المدرسة الناصرية التي كانت منتدانا، ومسرح أفكارنا، وقد أسسنا هناك جمعيتين:

الأولى "جمعية الحماسة" كنت أنا - يقول محمد المختار - مع الأخ مولاي الصديق العلوي، أول من دعى إليها لنتلو فيها بيتا لتستقيم ألسنتنا العربية، وقد اتخذني الأعضاء رئيسا، والثانية "جمعية سياسية" أسسناها في 12 رجب 1344هـ = "1925" ورئيسها الأخ علال أصغرنا، وأعضاؤها الفقيه الغازي.. وعبد الهادي مكار، ومولاي الصديق، وسيدي المديني، والجابري، والفرسيوي، والمختار، وقد كان لهذه الجمعية فروع، أو هي بنفسها فرع لجمعية أخرى أصيلة كما حكى لي بعد يقول صاحب المذكرات الإلغيات(285).

وحسب التاريخ، فقد كان نشاط جماعة القرويين بعد نشاط جمعية الثانوية الإسلامية بخمس سنوات، وإذا هو تمكن واستمر، فإن الذي زوده بقوة المساندة، ثم دفع إلى حيث استمد القدرة على الاستمرار، هو شيخ الإسلام الذي جر إلى الميدان كبار

(285) ج 2/226 طبعة النجاح البيضاء 1963، ثم راجع قبل ما سجله كل من علال، والقرى، وغيرهما ممن أشرنا إليهم قبل ويقول محمد القرى رحمة الله عليه فيما نشر له بكتاب الأدب المغربي ط 1 ج 2 ص 46 وفي الرابعة عشرة دخلت القرويين لأنتم بها قراعتي فتوفقت والحمد لله بإرشاد منه إلى القراءة على أستاذ الإصلاح وشيخ الإرشاد رهناب الأفكار سندي في كل معلوماتي ومرشدي "منقذي: من هوة الضلال سيدي محمد بن العربي العلوي قاضي ناس الجديد ولا يفوت القرى هنا أن يخبرنا عن الصداقة القوية التي كانت تربط بين شيخ الإسلام والمرحوم=

وحسب التاريخ، فقد كان نشاط جماعة القرويين بعد نشاط جمعية الثانوية الإسلامية بخمس سنوات، وإذا هو تمكن واستمر، فإن الذي زوده بقوة المساندة، ثم دفع إلى حيث استمد القدرة على الاستمرار، هو شيخ الإسلام الذي جر إلى الميدان كبار القوم في كل من قسبة فيلاله، وفاس الجديد، عندما دفعهم لتكوين عريضة الاحتجاج على ما جد في الميدان من مظاهر الفجور في الأعراس كما سنرى بعد، وتلكم كانت أوليات نشاط جماعة القرويين التي لم يذكر لنا صاحب الإلغيات من أسماء رعيها الأولين غير ثمانية، في حين كان إلى جانبهم آخرين، ولولا سكوتهم والذي ربما لعله لذكرتهم جميعا، لكن من الذين لم يذكرهم وربما سهوا، وهم ممن كانوا ذوي عطاء يعترض به، أمثال الهاشمي الفيلاي الانصاري "الغرفي" (286) وعبد العزيز بن ادريس العمروي، وعبد الملك البلغيثي، وهؤلاء ممن لا يجوز السكوت عنهم لأن حصادهم جميعا كان وطنيا هادفا إلى آخر المرحلة، رغم ما اعترض البلغيثي من تجانية خرافية كما رأينا.

أما في بقية المغرب فقد عرفت مدينة الرباط نشاطا موازيا في هذه المرحلة، وكان بفضل ما عرفته من رجالات قد طفر الوعي فيها حسب رأي محمد المختار السوسي كذلك، والذي فضل كلا من الرباط وتطوان على مدينة فاس، في مجال التطور الفكري، إذ يقول، "وإذا ما عرفت فاس مضايقة بسبب ما جد من نشاط أدى إلى نفي مدير المدرسة الناصرية محمد غازي (287) فإن الرباط كانت أحسن - في غير مجال - ولذلك رحل إليها في فاتح عام 1347 = 1928 لأنها كانت تتوفر على صفوة من العلماء، أبو شعب الدكالي،

= عبد السلام السرغيني الذي كان هو الآخر كذلك من جملة أساتذة الثانوية الإدريسية، وقد نقله شيخ الإسلام معه إلى الرباط عند ما عين على رأس المجلس الأعلى للإستئناف عام 1928م.

(286) نسبة إلى الغرفة في تافيلالت وهي مجموعة من القصور عرفت جُلها بالعلوم والمعارف مثل اصرعين واهسيفي، وتينغراس وغيرها، وإذا كان والده قد عمل في حرفة الدباغة كما أورد بعضهم عبد الهادي بوطالب في ذكرياته ورجاله ج 1 ص 290 ط س بدون تاريخ فإن ذلك مما يرفع قدر الرجل عاليا، ثم هو أشرف سلوكا من بوطالب ووالد بوطالب وكل من تمسح بهم بوطالب من الذين لا يذكر إسم الواحد منهم عبد الهادي بوطالب إلا وظلمات الخجل تخيم على المجلس الذي يتحول إلى كلام فاحش عن الانحراف والمنحرفين ومدارس الواردين مثل العطاوين.

(287) كان الذي تسبب في اغلاقها بواسطة الفرنسيين هما عبد الحي الكيتاني وعبد الله بن عبد السلام الفاسي أما محمد غازي فهو أصلا من مسطاسة الشمال، وقد استوطن أهله مدينة مكناس، وقد قضى حياته السياسية نظيفا ماديا.

بمحمد بن عبد السلام السايح، والمدني بن الحسن، ويقول عن هذه السنة التي رحل فيها إلى الرباط، "فكانت سنة مباركة لم يمض علي نظيرها في كل السنوات التي قضيتها في الدراسة" لكن صاحب الإلغيات لم يتذكر أن الذي دفعه لتفضيل مدينة الرباط هو ما كان له من صداقة متينة مع بعض رجالها الذين تعرف عليهم وعلى بعض أهل تطوان في مدينة فاس، أمثال المكي الناصري، وأحمد بلافريج، وأبو بكر البناني من الرباط الذي تأسست فيه الفكرة السلفية، والوطنية، بواسطة ما عرف من كبار العلماء منذ أواخر القرن 12هـ/19م كما سبق(288) حتى إن التاريخ السياسي ليذكر وبكل إعتران، ما عرفت به مدينة الرباط من تقدير للعلم والعلماء، وما كان عليه أفاضلها من رحلات الدولة عبد السلام السويسي وعبد الخالق فرج وعبد الرحمن برقاش، وأحمد الزيدي بوهلال، وهؤلاء هم الذين زرعوا ما أنتج من زرع الدكالي أمثال محمد المكي الناصري صاحب كتاب، إظهار الحقيقة، وصنوه الذي كان ضد الطرق الضالة والذي رد عليه محمد الشرقاوي بما سماه "غاية الإنكسار ونهاية الانكسار" لكنه مزق بكتاب "ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الإنكسار" وهو للسلفي الوطني الصادق محمد اليمني الناصري، رحمه الله ومن الرعيل الأول في هذا البلد كذلك محمد بن العباس القباج، ولا ننسى أن نتذكر أقوى ما عرفت مدينة الرباط من رجالا الوطنيين وفي مقدمة الرعيل الأول منهم الشاعر البليغ، والكاتب الصادق الوجدان، محمد الجزولي وأحمد الشرقاوي، ثم عبد اللطيف العتابي، وعباس بن عمر المعروفي، وعبد الله بن العباس الجراري رغم ما صدر منه من دفاع عن المتصوفة وقتها مما أثار عليه الضجة في جريدة الشهاب الجزائرية كما سنرى، والتي سجلت ما حصل بينه وبين محمد بن أبي بكر التطواني السلاوي راجع جريدة الشهاب عدد 74 بتاريخ ج2/1345 ثم عدد 77-78-179.

أولئك بعض رجال الرعيل الأول في مدينة الرباط وإن كنا قد أهملنا من تبين لنا بعد أنهم إتخذوا الوطنية ناموسا، لكنهم إفتضحوا بعد الاستقلال ثم أصبحوا عبئا ثقيلا على الشعب، ورموزاً لخيانة الامانة امثال اليزيديين محمد بن بوشعيب وصنوه أحمد ويذكر لنا صاحب الإلغيات أيضا معارفه فقط ونسي أن يعرفنا في تطوان على اكرم

وأنبأ ما فيها وهم آل الخطيب وليس على الماسوني العميل عبد السلام بنونة" المفتري على وطنيته المزعومة وهو الذي تعرف عليه محمد المختار وبواسطة السماع كغيره بل والذي سوف نتعرف على عمالته للأسباب والتي لم يشاركه فيها صنوه محمد، لكنه يعود فيؤكد لنا حسب تقديره المساواة بين المدن الثلاث فاس والرباط، وتطوان، وأنها كانت مراكز تفكير في فجر "المغرب الجديد" ومن هناك تمخضت الفكرة الوطنية على الدين والأخلاق السامية، ولو أن طيب الذكر محمد المختار السوسي لم يتعرض لذكر من ذكر في سياق مذكراته الذاتية، وكان يؤرخ للسياسة لكانت له نظرة أخرى، ومهما يكن فإن الوطنية السياسية، والسياسة الوطنية الخلقية، كانت وقتها في مدينة سلا أقوى وأصدق من كل المدن المشار إليها، ولذلك سوف يختار شيخ الإسلام الإقامة بها عندما تعمل إدارة الحماية على نقله من مدينة فاس، واسناد رئاسة مجلس الاستئناف، إليه عام 1928م كوسيلة من وسائل شغله والحد من نشاطه الذي أعطى ثماره في مدينة فاس.

ولقد عرفنا بمدينة سلا بما فيه الكفاية قبل حين كلامنا عن المصلح أحمد الصبيحي رحمه الله وفي هذه المرحلة التي هي مرحلة ظهور الرعيل الأول من رجال الوطنية، بل تعتبر مدينة سلا في الطليعة قبل كل مدن المغرب ولو أن بعضهم قام ببحث ميداني في الموضوع، لوجد أن مدينة سلا كانت سبابة قبل غيرها في مجال السياسة الوطنية، فمنذ العقد، الأول من هذا القرن كان عاملها السابق عبد الله بن سعيد أول من نبه إلى خطر الدس الفرنسي وبعد ظهور التطلع الألماني كمنافس فضل ضرب ظالم بمعدت، لكنه بعدما فرضت الحماية وكانت الحرب بين الألمان وفرنسا وحلفائها أتهم بميله للألمان (289) وأبعد إلى مدينة وجدة، ولما أعيد دعى لمقاومة مشروع الضريبة 1921 فأبعد ثانية إلى الجديدة بعد البيضاء، ومثله الحاج على أزنيير، وبوبكر بن بوزيد، وعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر أسماء الرعيل الأول في هذه المدينة العظيمة بأهلها وهم:

(289) لقد فصلنا في هذا الموضوع بما فيه الكفاية قبل راجع حوله موضوع عبد الله بن سعيد وعيسى بن عمر العبدوي الوزير السابق، ثم عاملا للشاوية قبل، والذي عرف الاضطهاد حتى الموت مشردا في مدينة سلا من غير أن يعلم به أحد الا بعد ثلاثة ايام إلى أن فاحت رائحة نتوتته.

أحمد بن محمد الصبيحي المشار(290) إليه قبل.

بناصر عواد	محمد بن المكي القادري	بنعيسى لعلو
عبد القادر حجي	محمد العزوزي	عبد الرحمن حجي
علي الأحرش	ج محمد بن فارس حجي	عبد اللطيف الصبيحي
عمر عواد	ادريس الجعايدي	محمد حصار
الهاشمي املاح	الحاج محمد الطالبي	سعيد حجي
عبد الرحيم الفاسي	الصادق بن العربي	عبد الكريم حجي
محمد الزيزي	المكي السدراتي	الفقيه محمد بن سعيد
ج بوبكر عواد	عثمان الأحرش	أحمد الجريري
محمد بن العربي ومعينو	الفقيه محمد لحصيني	أبو بكر زنيذ
ج محمد بن عبد الله الغربي	أبو بكر بن اسعيد	ج أحمد معينو
ج محمد بن علي عواد	أبو بكر حجي	محمد البقالي
محمد بن الطيب العلوي	زين العابدين بن عيود	أبوبكر السماحي
وأولاد بن خضرا	عبد السلام بن اسعيد	

هؤلاء الذين تعرفت على أسمائهم من رجالات الرعيل الأول في مدينة سلا وبالنسبة لمدينة النور والإشعاع سلا يكون العدد أكبر كثيرا وستتعرف على ما ستقوم به مدينة سلا قبل غيرها من رد فعل ضد الظهير البربري حيث إنطلق اللطيف الذي أزعج إدارة الحماية بشكل مريع من مدينة سلا، التي كان وقتها يسكنها شيخ الإسلام في رياض الطالبية منذ 1928م(291).

(290) سوف نرى بعد أن باشا المدينة محمد بن الطيب الصبيحي للأسف لم يكن في المستوى عام 1953 حيث صار في ركاب الفرنسيين إلى درجة أنه لم يكتف بما أقامه في منزله من أجل تحقيقبيعة ابن عرفة. بل عام 1944 بأمره شدد الفرنسيون الحصار على المدينة قبل بما وزعوا فيها من جنود مدججين في كل الاحياء. أمر أهل كل حي أن يصنعوا الكسكس قهرا لإطعام أولئك الجنود بل هو وولده عبد الله من الذين كانوا يتملقون الجنرال جوان أيام روعته وتطاوله الفاجر كما سنرى بعد، ونشير هنا إلى أنه لا علاقة تربطهما مع الوطني المصلح أحمد محمد الصبيحي بل إن آل محمد بن الطيب ولحيلة فضلوا قبره في المكان الذي جعلوا فيه خزانة حتى لا ينشب قبره بعد الدفن في المقابر العامة وتلك كانت بدعة من بعض المتطرفين فعلوها مع كثيرين حتى الوطنيين غير المتخلفين مع أشباه الوطنيين ادريس لحمدي بمقبرة مكناس.

(291) أسقطت من لائحة مدينة سلا المسمى أبو بكر القادري الذي أحرق ماضيه المهلهل بما أقدم عليه من ترسيم خيانة الأمانة ببيمه مدرسة النهضة التي شيدها المواطنين في مدينة سلا. بحيث ساهم فيها سكان المدينة بنون إستثناء حتى الأرامل والفقراء المعوزون من لم يجد ما يساهم به مالا ساهم بساعده أوصناعته، وفي عهد=

أما رجال الرعيل الأول في مدينة تطوان والذين لم نتعرف عليهم إلا بعد الاستقلال في الوقت الذي كان السابقون الأولون منه قد إتصلوا بمدينة فاس أيام إنطلاقة العمل

محمد الطنجي وهو صاحب	محمد الرزيني	علال بن الحداد
النشيد العربي العالمي بلاد	محمد الفاسي الحفاوي	أحمد اعمار
العرب أوطاني إلخ	محمد أفيال	ج محمد الصفار
وعبد الكريم الدليرو	محمد باغوز	ومحمد بوشة
علي الخطيب	محمد الدليرو	محمد بن جلون
محمد اللبادي	محمد الخطيب	عبد السلام حجاج
محمد طنانة	عبد السلام التسماني	محمد العتابي
التهامي الوزاني "الماسوني" «؟»	احمد العمراني ابن القت	العربي السقا
عبد السلام بنونة مع عمالته	وأحمد أشعاش	المختار أحرسان الطنجي
للأسبان وماسونيته	محمد الورداس	مصطفى الريسوني
محمد بنونة	محمد بن محمد بوهلال	محمد أقلعي
عبد الخالق الطريس	محمد التجار	محمد العرفاوي
محمد لغنيمية	محمد الوزاني	محمد الوقواق
الحسن بن عبد الوهاب	محمد بن عبود	عبد السلام الطود
أحمد بن عبد الوهاب	محمد عزمان	محمد المؤذن(292)

= الإستقلال باعها لوزارة التعليم التي كان على رأسها محمد الفاسي بمات الملايين، وذلك ما فتح شهية ولده خالد الذي أصبح مديراً للإملاك المخزن التي تحولت بقدرته وعربدته إلى ممتلكات خاصة أصبح بعضهم بها وبما خلف المستعمرون أكبر مالكين للعقار عمارات ومزارع إلخ من وجدة إلى أغادير راجع للمؤلف الكتاب المصادر قبل النشر في 14/6/1968 مذكرات الشعب المفترى عليه في المغرب وثائق خزانة عبد الكريم الفيلاي بالخزانة الملكية أو مديرية الوثائق الملكية وما كان لأبي بكر القادري أن يفعل لولا أنه وقف على قدرة زميله في ترسيم خيانة الأمانة عمر بن عبد الجليل صاحب المجرم في حق دينه ووطنه ابراهيم الزهاني الذي فرض عليه ابن عبد الجليل عام 1956 اتارة أربعين مليون فرنك أو يقتل هو وولده فما كان منه إلا أن دفع منها 33 مليون ثم عجز 1956 ومثلها في ترسيم خيانة الأمانة محمد اليزيدي بوشعيب وهما بطلا مقررات إكس لي بان الحقيبر كما سترى بعد ومحمد اليزيدي هو الذي نصب طول حياته الرئيس المدير لمفاحم جردة بوجدة مقابل مبلغ من المال يساوي مرتب وزير ساهم بجهله للمهنة وتصرفات الآخرين في إفلاس النجم وتشريد عماله وأخيرا ختم حياته بأن اشترت له دار هي ملك للمنجم بحي أنفا بالدار البيضاء رقم (102) بمبلغ 50 مليون سنتيم، ثم بيعت بمليارين ونصف مع العلم أن سنة وقتها بلغ 82 ولم يكن له بنت ولا ولد، اللهم انا نعوذ بك من سوء الخائمة ومما ابتلى به هؤلاء الذين عميت أبصارهم فحسبوا أن الحياة أكل ونوم وروث، وأن إمكانات الشعب المسلم الجاهل بضاعة يوزعها القوم بينهم غدرا بلا خجل ولا وجل، لكن ويل للقوم من لعنات التاريخ الأبدية.

(292) ربما يلاحظ من له دراية بتراجم هؤلاء الوطنيين الذين جمعت أسماعهم من جهات متفرقة، وأنتي قدمت-

بالمدراس الحرة التي دعى لتأسيسها شيخ الإسلام كما أخبرنا بذلك محمد المختار السوسي رحمة الله عليه، وعلى سبيل المثال كذلك لا الحصر وحسب ما لدي من الوثائق كان يجب أن يكون في المقدمة، صاحب أول نداء ضد الاستعمار الفرنسي والذي كشف خيانة عبد الله الفاسي وعلاقته المريية كجاسوس لصالح الفرنسيين ضد المغرب في عهد الولي عبد الحفيظ حيث فضحه السيد محمد بن عزوز المراكشي الذي أصبح بعد كبير وزراء الخليفة السلطاني بمنطقة الشمال، لكننا إذا لم نفعل فإن الأول عن جدارة بالنسبة للفكر الوطني ومع شيء من التحفظ بالنسبة للفكر السفلي هو: محمد داوود رحمه الله .

وأخيرا بقي لنا أن نشير إلى ما كان يجري بمدينة مراكش التي كانت تعيش تحت سيطرة مجرم عريق فاجر، تطوع لخدمة الاستعمار بالحديد والنار، ذككم هو التهامي بن محمد الجلاوي المعروف بن ولد "طاببيت" والذي قاتل إلى جانب الفرنسيين من أجل تهديد وتطويع المغرب، لفائدة استعمارهم بحيث تجند معهم كل من التهامي وأولاده ثم المدني، وكذا حمو أخو التهامي لخدمة فرنسا بحقد شديد ضد المغاربة الذين قاوموا الاستعمار الفرنسي في كل من الأطلسين الكبير والمتوسط، وكذلك قبائل الجنوب، وما كادت هذه المقاومة تتوقف وربما قبل أن تتوقف حتى عرفت مدينة مراكش تحركا سياسيا من بعض رجالاتها مثل.

= أو أخرجت فإن ذلك راجع إلى عدم معرفتنا بتاريخ الحركة الوطنية في المنطقة المشار إليها بما يتفق وما خططاه للكتابة حول التاريخ السياسي وذلك بحكم الانفصالي الذي فرضه الاستعمار قبل والذي قسم المغرب إلى أربع مناطق ولقد حاولت قدر الإمكان المسaire فيما يرجع إلى ما كتبه بعضهم حول الحركة الوطنية في المنطقة حيث كان الأستاذ علال الفاسي رأي خاص في أسرة أولاد بنونة طالما رده في مجالسنا الخاصة بالقاهرة، ولعلمهم يعرفونه جيدا خصوصا وأن وثائق خزيمهم ترقد في وزارة الخارجية الإسبانية، ودليلها ما حصل منهم من فظائع في عهد الاستقلال مما هو معلوم لدى الكبير والصغير خصوصا إذا علمنا أن كل ما قدمه عبد السلام بنونة وولده المهدي بالأخص من خدمات للاستعمار الإسباني له وثائق محفوظة بوزارة الخارجية رغم المداينات والمعاملات على حساب الأخلاق والتاريخ الحق، فقد كان المهدي بنونة عنده هو الشيطان الذي يلعب على الحبال وليس على الحبلين حيث كان يقول يوما أن كل ما كان يبرم مع الطريس من اتفاق حول المواقف الوطنية لا يتم إلا إذا كان المهدي بنونة بعيدا لأنه كان كثير الدس ولا يستريح إلا إذا قام بدور الشيطان بين الإثنين، ثم هو ينقل كل شيء إلى الأسبان يقول الأستاذ علال، وهو ما تؤكدته المراسلات وعموم التطوانيين، أما بقية أولاد بنونة فقد عرف التاريخ فضائح الطيب والتهريب أيام سفارته في لبنان وبلاد الترك وببكر أيام إدارته للإذاعة المغربية، ولعل مجال هذه الفضائح هو تاريخ مذكرات الشعب الفكري عليه، المصادرة والذي هو في حاجة إلى الصياغة بالأسلوب الذي يتفق وكشف عورات المفلسين من خلال الوثائق التي تشهد بفضائح القوم الفاسقين الذين حسبوا أن كفاح الشعب وعاهله العظيم محمد الخامس ضد الاستعمار الفرنسي كان من أجل أن يحل مكانه استعمار الخونة والمعلماء الذين اندسوا من أجل الابتزاز وافقار الشعب.

ادريس ولد منو، وأحمد لكريسي، وكلاهما عملا مع السلطان عبد الحفيظ وبين أبناء جامعة ابن يوسف وهي الجامعة التي كان أبناؤها إلى جانب المولى عبد الحفيظ في حركته التحريرية التي حاولت الإنقاذ عندما تدهور الوضع زمن المولى عبد العزيز، بسبب الخيانات المفضوحة التي أشرنا إلى أصحابها قبل، لكنه وقع فيما هو أذكى وأحقر باعتماده على جماعة أخط وأخس هي جماعة الجلاويين الذين لم يكونوا في الأصل غير حمارة طرق أو رعاة وفي مقدمتهم بعد المدني وحمو التهامي الذي سنتعرف عليه أكثر بعد في حوادث 1950 - 1953 وما جره على المغرب والمغاربة.

ففي عهد جبروت هذا المجرم الذي كان يقتل الأحرار رميا بالرصاص على مرأى ومسمع من الجميع ولا حسيب ولا رقيب، ظهرت جماعة من الوطنيين تعتبر بحق أقوى ما عرفه ميدان الوطنية في المغرب، سواء منهم القداما الذين قاوموا الظهير البربري، أو الذين قاوموا ما تطوع لتكريزه الجلاوي، وهو فرنسة المغرب بالحديد والنار، ومن الرعيل الأول المصلح السلفي محمد بن عبد الله بن الموقت صاحب الرحلة المراكشية وغيرها، بل ومنذ أواخر العقد الرابع عرف بعض رجال الرعيل الأول من رجالات مدينة مراكش الاتصال بصحافة المشرق العربي ثم كتبوا في مواضيع جد ذات إعتبار بالنسبة للزمان والمكان، فمثلا عبد الله ابراهيم المصلوحي الحسني كتب مبكرا في مجلة الأمازي لصديقنا محمد علي الحوماني(293) يعلق على رأي الكاتب الفرنسي روبرت مونتاني حول "أزمة الوحدة العربية، ويجهلون المغرب ومن الرعيل الأول.(294)

كذلك وكذا عبد القادر حبيب حول جهل الذين يبشرون بالوحدة العربية

ومحمد بن عبد الرزاق

وبريك

ومحمد الملاح

والحسين بن لقزيز الشرقاوي الفيلاي

وولده عبد الجليل بن لقزيز

ومحمد بن لقزيز

ومولاي الحاج صاحب أول مدرسة حرة إلخ

ومبارك الغراس التلمساني الأصل

عبد القادر حسن

أحمد المنجرة السعدي الحسني

والحاج الباعمراني

والعربي بنيس

وعبد القادر المسفيوي

وأحمد بن الفضيل

(293) راجع المجلة ط ببيروت عدد 44 بتاريخ 30 يونيو 1939 ص 15.14.9-99.55.

(294) نفس المصدر السابق.

وإذا ما رجعنا إلى مذكرات طيب الذكر محمد المختار السوسي نستفتيها في موضوع الوطنية بمدينة مراكش وما عرف الوطنيون فيها من ظلم واضطهاد من صاحب ماخوري "عرصة موسى، وعرصة الحوت" التهامي الجلاوي، لوفعلنا ذلك بواسطة دراسة ميدانية وقد فعلنا الحق لنا أن نرفع عالياً مكانة الرعيل الأول من رجال الوطنية بمدينة مراكش وسوس (295) والذين وقفوا في وجه طغيان ذلك العبد الأبق والعميل الخسيس، بل المرتزق الذي كان في قسوته، وعنفه، وظلمه، وطغيانه، أشد عتوا من المستعمرين الفرنسيين.

ونعود فنذكر أن التبادل الثقافي وقتها الذي كان قائماً بين المدن العريقة ومدينة فاس القرويين إلى جانب التبادل الاقتصادي، حيث كان التجار من كل الجهات يتواردون على مدينة فاس التي عرفت في العقدين الثاني والثالث من نشاط شيخ الإسلام السلفي محمد بن العربي العلوي ما طغى على كل التيارات، خصوصاً عندما اشتد الصراع بين السلفية والطرقية الضالة، ثم أخذت إدارة الحماية تنتصر للطريقيين وطوائف الضلال مما مكن للدعوة، وشد أزرها بواسطة الأحرار من رجالات الرعيل الأول المشار إليهم، هنا وهناك، وشيء آخر هو تبادل فتاوى العلماء والقضاة فيما كان يعترض من الأحكام، وقد كان بين مراكش وفاس تبادل في هذا المجال جدمهم.

وهكذا كان لعمل شيخ الإسلام المصلح محمد بن العربي أثره حسب الخطة التلقائية التي كان قد سلكها من أجل إصلاح العقيدة والدعوة إلى السلفية، وذلك عندما كثرت الجموع وأقبل الشباب على الفكر بالدرس ونشر الوعي بين المواطنين في عموم المغرب، وإذا كان شيخ الإسلام بحكم منصبه كقاضي في مدينة فاس الجديد والاحواز حيث كان لمنصب القضاء ما له من مكانة عالية في المجتمع، وتأثير قوى على النفوس فإنه إستغل ذلك في التمكين للسلفية أصدق تمكين، وحتى تصير مدينة فاس وما حولها تعمل بحب لأهداف الفكرة السلفية، كان بكل قوة إيمان وأحسن سلوك، إستطاع أن يزيد في حرمة القضاء إتماداً على الصحيح من الأحكام فيما يتعلق بالقضايا التي كانت لا تجد لها حلاً في المحاكم، تارة بسبب تدخل نوبي السلطان والجاه، وتارة بسبب تراجع الفقهاء وارتباكهم أمام النظريات والشروح المتعددة، والتي تدعو إلى الحيرة تارة، وتارة إذا ما رجعنا إلى كثير من الأحكام التي صدرت عنه في تلك المرحلة، يظهر لنا وكان الرجل بحق

كان في المغرب أقوم وأصدق من تعرف على مذهب الطوفي في المصالح المرسله أو بالأحرى كما يقول السيد أبو بكر البناني الرباطي، وقد كان ممن عاصروه زمنًا طويلاً، وعمل معه، وأنه كان لشيخ الإسلام من الآراء والنظريات ما يجعله نفسه وباجتهاده صاحب مذهب خالف به كثيراً من الآراء بما فيها آراء مالك ابن أنس القائل إن الأرض لا تؤجر بمثلها، أي أن الأرض لا تستغل بالخمسة كما هو معروف بالمغرب، بل يقول الراوي إن شيخ الإسلام كان قوي الذاكرة بشكل جد عجيب، حتى أنه كان لا يصدر أحكامه إلا بالراجع المعتمد على الكتاب والسنة، وبذلك عظمت سمعته وسمى قدره في المجتمع الفاسي، الذي استطاع أن يحوله عن الوثنية الطرقية إلى شبه مدرسة سلفية بما فيه من عمال، وتجار كانوا يلتفون بروح ملؤها الحب والتعلق بشخص شيخ الإسلام حول دروسه العامة بالقرويين.

ولقد كان أيضاً حكيماً حين دفع إلى إنشاء المدارس الحرة 1926م-1345هـ التي إتخذ لها كفصول للدراسة بعض الزوايا حتى يقطع الطريق على أصحابها فكانت مدرسة "سيدي" بن رمضان، ومرسة الرميلى، ومدرسة الزاوية الناصرية، ومدرسة زاوية ماء العينين وأصبحت هذه المدارس ملتقى تضافر الفريقين، فريق الثانوية الإسلامية بفاس وفريق جامعة القرويين. الفريق الأول يتطوع أفراده لتلقين اللغة الفرنسية، والثاني لتلقين الدروس العربية الإسلامية، وكما تحمل ذاكرة شباب تلك المرحلة وهم شيوخ عصرنا الذي نحياه من آلام سببها لهم كل من عبد الحي الكيتاني، وعبد الله بن عبد السلام الفاسي وهو ما سيجدانه مكتوباً في سجليهما وسيقرانه بين يدي الله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه أما في هذه الحياة يكفيهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "المرء حي مادام يذكر"، بل إن لبعضهم مذكرات كالتى تطرقنا لبعضها مما كتبه العميل عبد الحفيظ الفاسي، حول الصراع الذي عاشه ولده عبد الكبير مع عبد الحي، ومثلها مما هو مدون في مذكرات كل من أحمد أباً حنيني ومحمد الزغاري(296) وما أبلغ قول الله تعالى "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم" فقد كان الخير كل الخير فيما كان الرجلان يكيدانه ضد تلك المدارس والنهج الذي كانت تنهجه، مما دفع إلى إنتشار فكرة

(296) كلاهما تولى منصب الوزير الأول في مرحلة ما بعد الاستقلال وكلاهما رويت عنه الكثير من تلك المخازي عن عبد الله الفاسي وقد ورث عنه أولاده ذلك كما سنرى.

التعليم وإنشاء المدارس الحرة، خصوصاً عندما قرر اليوطي إنشاء مدارس أولاد الاعيان ثم أنشأ مدرسة أزرو تمكينا للبربرية، وذلك إثر صدور ظهير التعليم الخاص بالمغاربة بتاريخ 13 ربيع الثاني 1334هـ=18-1916م والذي بمقتضاه تأسست كل من المدرسة الثانوية الإسلامية بفاس، ومدرسة مولاي يوسف بالرباط، وثانوية مراكش، وبه تأسست الهيئة العليا للتعليم برئاسة الصدر، ووقتها، كانت حركة شيخ الإسلام بفاس السبب في إصدار الظهير الخاص بالتعليم الحر بتاريخ 14-10-1919م.

ثم بعده كان صدور الظهير المؤسس لإدارة التعليم العمومي للقرويين، بتاريخ 8 قعدة 1338هـ/26 يوليو 1920م. وبالتالي فكما عرفت مدينة فاس تلك الحركة، عرفت مدينة مراكش والرباط (297) وسلا والبيضاء، وغيرها، وفي مراكش حيث أنشئت مجموعة من المدارس أولها مدرسة الزاوية لطيب الذكر المرحوم محمد المختار السوسي، ثم مدرسة مولاي الحاج الباعمراني وغيرها رَحِمَ اللهُ الجميع.

وهكذا لم يقترب العقد الثالث من القرن العشرين من النهاية، حتى كانت جماعات الرعيل الأول قد تكونت هنا وهناك، وإذا كانت الفكرة السلفية هي وسيلة البعث، فإن ما يتعلق بها من كتب لتوضيح الفكرة، كان لا بد من التعريف بها ونشرها، خصوصاً تلك التي إستمدت نهجها مما عرف لابن تيمية وابن القيم من القداما، والأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، من المعاصرين، كما أقبل الشباب وقتها على كل ما كان ينشر حول النشاط السياسي في كل من الجزائر ومصر وبلاد الترك، والمشرق العربي، خصوصاً العراق، وبلاد الشام، وما عرفته من صراع في سبيل التحرر، وكان بحق أصدق من عبر عن تلك المرحلة، جماعة من أبناء الرباط وسلا، يتقدمهم الأديب المقتدر كبير شعراء العدوتين محمد الجزولي رحمه الله، يليه محمد اليمنى الناصري صاحب كتاب "ضرب نطاق الحصار، على أصحاب نهاية الانكسار" ط الرباط 1926 وبآخره ص 156 مقالة

(297) كانت أول مدرسة حرة بالرباط عام 1908 وهي التي أنشأها السادة المعطي بوهلال، والحاج الفاطمي بركاش، وأحمد الزبيدي، وكان مقرها الزاوية الحراقية التي كانت في الأصل مدرسة لسكنى الطلبة بدرب والزهراء، والتي يرجع تاريخها إلى العهد الاسماعيلي يقول عبد الله السوسي في كتابه عن الرباط وهي التي علم فيها السيد محمد لمعمرى لما هاجر إلى المغرب عام 1906م.

للجزولي بعنوان "لاطرق في الإسلام" والمقالة جواب على سؤال هو : ماهي هذه الطرق، فكان الجواب هو المقال المشار إليه والذي كتبه الجزولي منذ عام 1919 كما أشار بذلك ناشره، ويستحق أن يكتب وينشر حيثما وجدت البدع، ووجد الذين يعملون على نشرها بإسم التصوف وطرق المتصوفة، لأنه إلى جانب إختصاره أمكنه أن يقنع المتمعن بضلال الطرق، وأنها جرثوم أدخل على الإسلام، ولم يكن منه في شيء يقول أديب الرباط وقنوة السلفيين من شبابه وقتها(298).

«الطرق هي ما دعي فيه إلى أعمال وأقوال زائدة غير صالحة في نفسها، ولا مصلحة لغيرها، مستمدة من عالم الأذواق والإلهام لم يدع إليها محمد صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من أصحابه نصا، لم تسد في الدين ثغرة، ولم تزوده في عالم الإصلاح شهرة، بل شوهته بما إستحالت إليه من محاكاة القرده والحيوانات المفترسة، والمتوحشين في مجاهل الأرض، إدعاها أشخاص من طلاب الشهرة الدينية أو الدنيوية، فيهم صالح النية وخبيثها ومن العسير معرفة صالحهم من طالحهم إذ لا مميز قطعيا هناك مما يوجب طرح دعاويهم جميعا. وإلقاء أثوابه جملة وتفصيلا، إستغناء بكتاب الله وسنة رسوله.

وقال في خطاب المحامي عن الطرق إلى المنافع عنها: أيها السيد الخ من ص 157

إلى 161.

ولقد كان بحق أقدر على الإقناع لمخاطبة الذي كان متمسكا بضلال الطرق حيث قال له واصفا الطرق "تلك الوصمة التي وسم بها الدين وأحدث بها التفريق بين جماعة المؤمنين، وتفوهت تأثيرا بما أثاره ذلك الحديث بتلك الجملة التي أنزلتها منزلة كلمة التثليث، وهي "إن الإسلام بدون هذه الطرق خير منه بها" فقامت وقد إنتفخت أوداجك، وتصلبت أمشاجك، وقلت إن ذلك القول ضلال، واعتقاده وتخيله زندقة، والعمل به مخرقة، وشددت اللوم على من يحوم في حمى القوم، وطالبتني بالدليل على صحة جملتي، والحجة التي تثبت بها دعوتي، فاستدلت ولم أبعد، ورغما عن إبراقك فلم أردد، بأن الإسلام قبل

(298) مما يرفع الجزولي هذا مكانا عليا أنه لم يسع إلى شهرة في حياته، ولو فعل لكان عن جدارة أحق من

يتصدر قافلة الأدباء وخصوصا منهم السلفيون وشعراء الوطنية.

تفريخ جراثيم هذه الطرق في جسمه، كانت أعظم بول الأرض ترتعد لذكر إسمه، وأنه بعد تسميمها لدمه، وسريان ذلك الدم المسموم في جميع أممه، تفرقت أجزاءه، وسادته أعداؤه، وانفصمت عراه، وانحط من علاه، وتمزق أيدي سبأ، وتمسك بالقشور وأعرض عن اللباب، ولفح روضاته الغناء إعصار فيه نار فاحترقت، وطما على سدوده المتينة سيل الجهل فانخرقت، وإن لم تكن كل مصائبه من تلك الطرق فإنها إحدى مصائبه الكبرى، وفي تمسك دعاة العلم بأهدابها أفدح المصائب وأعظم العبر، وهذه طبيعة العمران، فإن الأمم إذا هرمت إنحلت قواها العاقلة، وتسفلت فيها المدارك والعقول وانحطت من أوج التمحيص والانتقاد إلى هاوية التقليد والخمول، حيث تستعبد الأوهام والخرافات، باعتقاد سيدات وسادات، لهم التصرف في الكون قبضا، وبسطا، ومنعا، وإعطاء، إعتقادا يتساوى فيه العالم والجاهل، والعالي والنازل، عاملين على إستبدال الأعمال الصالحة بمضغ الألفاظ، مع بعدها عن مركز الانفعال بعد الأعقاب عن الألفاظ، وأعماهم التعصب والتقليد عن رؤية الحق مع أن الحق نور، ولكنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا ص 60-59.

وهكذا وبلا شك أمكن للجزولي أن يخجل المخاطب بما ساقه من حجج قوية، وبأسلوب أدبي أقوى، ثم ختم ما كتب في موضوع ضلال الطرق بالأسئلة التالية إذ قال وذيلتها بأسئلة تقوم في وجه الباطل بسيف الحق وهي:

(1) الإسلام دون هذه الطرق خير منه بها "؟" (2) هل هذه الطرق ضرورية للدين؟ (3) إذا كانت غير ضرورية للدين، وهو تام بدونها. فما الموح لها إذا. (4) هل كانت الديانة الإسلامية ناقصة قبل وجود هذه الطرق. (5) هل المتمسكون بهذه الطرق أهدى ممن كان قبلهم من المسلمين ومن معاصريهم المسلمين الغير المتمسكين بها.

(6) هل المؤمن بكتاب الله وبما صح وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم العامل بمقتضى الشريعة بعد ضلال إذا قال: إن الإسلام غني بنفسه عن الطرق بعد فشوها فيه حتى إمتاز عصره بها بالعز والجاه والفضل والاستقامة عن غيره من أعصره الخالية منها. (8) لو لم توجد في الإسلام هذه الطرق التي فرقته شيئا وجعلته طرائق قديما، ويبقى على ما كان عليه أيام النبي عليه السلام والأعصر الثلاثة بعده، أيكون غير صالح لهداية

البشر، وأتعبس حالا مما هو عليه الآن.

(9) أعتزنا بهذه الطرق على إكسير الأخلاق الذي صير الأمة في أخلاقها وأطوارها خير مما كانت عليه من قبل (10) إذا تمسك المسلمون بالكتاب والسنة، واتحدوا عليهما، وبنوا هذه الطرق المبتوثة الأطراف، أيصيرون غير مسلمين ويعودون بذلك من الضالين (11) هل جاءت هذه الطرق بشيء، زائد على ما في الكتاب والسنة يحتاج إليه الإسلام والمسلمون. (12) إذا كانت لم تأت بشيء زائد على ما فيهما فما الفائدة من إحداث طرق منشقة في الإسلام، ترى لنفسها فضلا وشفوفا على غيرها إغترارا بقول داع مجترئ (13) هل المؤمن المصلي على نبيه، الذاكر لربه، انتمارا بأمر الله في كتابه العزيز وبالصيغ الواردة عن محمد صلى الله عليه وسلم، يكون أحط رتبة وأخس مثوبة وأقل أجرا من المصلي والذاكر وفاقا لقانون الشيخ فلان، وبالصيغ الموحاة إليه من حظيرة الأوهام. (14) ما قولك في من يبتدع صيغا من الأدعية والصلوات غريبة الألفاظ، ركيكة التركيب، ليست على نهج القرآن، ولا على أسلوب الحديث، يتلقفها من عالم الغيب، ويمليها ألفاظا غير أليفة، ولا مألوفة ولا يحصل لخاتم ختم القرآن كذا وكذا ألف مرة (299) (15) وما قولك فيمن يدعي ما لم يدعه محمد ولا عظماء صحابته من التصرف في الجنة والنار، يدخلها من يشاء ويخرج منهما من يشاء كأن مفاتحهما في جيبه أو عقد إتفاقا مع خزنتهما أوجب تخصيصه بذلك، أو شارك رب العزة في ملكوته يغر بذلك السذج ويجريئهم على معاصي الله (16) هل قام الإسلام في العالم وانتشر بالعودة على الطنافس، ولوك الألفاظ، وتحريك السبج، وضرب الرؤوس ونهش اللحوم، والرقص على التمويل إلخ، أم بجلائل الأعمال، وبذل النفس والنزوح عن الأوطان في سبيل الدعوة إلى الأقطار النائبة الشاسعة مع بعد الشقة وعظم المشقة. (17) ماذا ترى فيمن تعرض له صيغة تصلية أو

(299) المعروف بهذا ما زعمه التجانبي فهو الذي قال ما سيحاسب عليه بين يدي الله مما يعتبر بحق أحقر وسيلة لهدم الإسلام كما سبق أن أشرنا، حيث قال مفتريا على رسول الله "رسالته صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفاتح" فأخبرني أولا بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانيا أن المرة الواحدة تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير وصغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة" راجع جواهر المعاني ج2/103. ومثله وبه اقتدى محمد بن عبد الكبير الكتاني كما رأينا.

ذكر مما لفته شيخه فينزهها عن ذكره لها لكونه على غير وضوء، حتى إذا عرض له ذكر القرآن وهو في مجلسه ذلك، وبحالته لتلك إندفع في تلاوته إندفاع السيل من الجبل، ألتك الصيغة الواردة عن شيخه أجل قدرا وأعظم خطرا من القرآن المنزل من رب العزة بواسطة جبريل الأمين على قلب محمد بن عبد الله...؟ (18) لا شك أن جل مبتدعي هذه الطرق كان قصدهم حسنا فيما إبتدعوه، ولكن يعرض لتلك البدع ما يخرجها عن مقصد الحسن ويجعلها وبالا على الإسلام والمسلمين كما هو مشاهد .

(19) إذا قسمنا الطرق الصالحة "إن كانت هناك طرق صالحة، - ثم يرجع الكلام إلى مخاطبه بقوله : وليست هي إلا طريقتك في نظرك على الكثير الفاسد، ورفضنا الكل سدا للذريعة، ودفعا للأذى، فهل يضربنا ذلك الرفض في ديننا (20) إذا كان رفض تلك الطرق يضربنا في ديننا فما وجه ضرره(300).

وعلى هذا المنوال نسج محمد اليميني الناصري الذي يعتبر بحق من أول من كتب ونشر في المغرب ما سماه {ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الإنكسار"، وهم اتباع الطرق الضالة الذين يمثلهم في الرباط الشرقاوي المعنى بالرد، وكان الذي قدم له هو عبد الكبير بن عبد الحفيظ الفاسي المذكور سابقا في الصراع مع عبد الحي الكيتاني.

وبحق لم يكن المقدم في المستوى سواء في أسلوب الكتابة الركيك رغم أن المفهوم أحسن حين قارن بين الحزبين، حزب الإصلاح كما سماه، وهو حزب الذين حملوا راية الدفاع عن الحق والتمكين للكتاب والسنة، من السفليين الذين كانوا وقتها يتمثلون في شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي والرعييل الأول من ذوي الوجدان الوطني الصادق، وأما الحزب الثاني فهو حرب "المحافظين" كما سماه، لكن محافظين على ماذا؟ يقول عبد الكبير الفاسي: "ولسنا في حاجة إلى القول بأن حزب الإصلاح يدعون إلى نبذ التوكل الكاذب ويحضون على مزاوله الأعمال النافعة، وهذا ولا شك لما جبلت عليه النفوس التي وجدت في وسط كوسطنا المغربي الذي عدم من التربية والعلم ما صار به في كثير من شؤونه قريبا من التوحش، إن لم أقل في التوحش نفسه، كشدخ الرؤوس وأكل اللحوم

النيئة، والنار والزجاج والحشرات السامة، أي أن الحزب الإصلاحى يدعو المسلمين بما جاء من الأثر "إعمل لندياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا" بينما الحزب الرجعى والطرقىون يدعون إلى التوكل والراحة والركون إلى عدم العمل، وهذا هو غاية ما تتطلبه نفوس الكسالى أو يضمنون لهم حسبما هو معروف من مناقب بعض المشهورين بالصلاح الغنى الكثير، حتى إن بعض الطرق لا تجد فيها إلا ذا ثروة أو ذا حيثية يريد دوامها، أو بقاءها في بيته، فإنك ترى أن الطرقيين والرجعيين يقصدون أقبح ما في الإنسان وهو الكسل، والتوكل، أو حب الحصام فلأغنياء طرقهم، وللفقراء طرقهم، ولكل وجهة هو موليها.

وأما حزب الإصلاح فإنه يخاطب العقل أي أحسن ما في الإنسان، فيقول للناس جميعا إن أردتم رضى الله فاعملوا بما في كتابه، وإن أردتم الغنى فاكتسبوه، وخنوه من وجوه الشرعية، وهذه طريقة قليل من يتبعها ونصيحة قليل من يسمعها، ولذلك فحزبه الآن قليل، ولكن من كان الحق في جانبه فالقلة لا تضره، ولا بد من أن يكثر حزبه عندما يستنير عقل الأمة وتنشط العقول من عقالها، وإنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه كما قال الأستاذ الإمام".

هذا منطق أحد تلامذة شيخ الإسلام وهو عبد الكبير الفاسى الذى ينتمى لأسرة بنت كل ما عرف لها من شقوف مفتعل فى المجتمع الفاسى على التصوف البدعى الفاسد الضال(301) ومثله الأستاذ الزعيم علال الفاسى(302) وكلاهما بحق، وهما فقط من بين أفراد الأسرة الفاسية استطاعا أن يتحررا من ربة التصوف المحترف الفاسد الذى عرفت به أسرتهم وكبيرها صاحب أزهار البستان، وابتهاج القلوب، بخبر أبى المحاسن وشيخه المجذوب الخ.

لقد عرفت هذه المرحلة كذلك منشطا لا ينكر ما كان له من أثر فى الدفع بالفكر

(301) راجع كتابنا التاريخ المفترى عليه فى المغرب خصوصا الإسلام ومعتقد آل الفاسى ص 129 ط 1969.

(302) بل من خلال التقاريط الصادقة وأسماء المقرظين لكتاب ضرب نطاق الحصار الذى ألفه محمد اليمىى الناصرى ردا على الشرقاوى وانتصارا لإظهار الحقيقة الذى ألفه شقيقه المكى الناصرى، والروح الذى ساد فى تلك المرحلة يدرك المرء مدى الصراع الذى كان بين أنصار السلفية، ودعاة الرجعية، وقد بلغ عدد الذين قرظوا الكتاب المذكور حوالي ستة عشر، كلهم كانوا من الشباب وقتها.

السلفي إلى حيث أصبح له شأن ورواج في ميدان المعرفة بفضل الحوار والنقد الذي عرف لجماعة من المهتمين في الشرق العربي، بما كان يروج من ضلال في المغرب العربي، تلكم هي جريدة الشهاب التي كان يصدرها الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، والتي فسحت المجال أمام بعض المغاربة بطريقة لم يكونوا قد عرفوها، ولا ألفوها سواء في مغرب ما قبل الحماية أو ما بعد الحماية، بل إن الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمة الله عليه، وحتى يدفع بقافلة السلفيين إلى الأمام فسح المجال للذين كانوا يدافعون عن الطرقيين وينافحون عن أصحابها الذي أسموهم "أولياء الله" وهو ما نشر على أعمدة جريدة الشهاب عدد 67 بتاريخ 7 جمادى الأولى عام 1364 هـ تحت عنوان "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" فرد عليه كاتب وقع باسم "موحد" تحت عنوان "حول مقالة الجراري" وقد نشر النقد العنيف في نفس الجريدة عدد 74 بتاريخ 4 جمادى 2 عام 1345 هـ ثم بعدها نشرت الجريدة في عدد 77 بتاريخ 25 جمادى الثانية عام 1345 هـ وتحت عنوان: رد على رد "ما أنت أول سار غره قمر، وإذا كانت المقالة السابقة كشفا لفضائح التجانية فإن هذه جاءت للرد عليها، لكن في العددين 78-79 من نفس الجريدة خرج لها صراحة محمد بن أبي بكر التطواني الذي ذيل المقالين باسم "سلاوي" وفي العدد 80 صرح بالإسم كاملا والحقيقة أن ما نشر وقتها كافيا للدلالة على ما عرفه المغرب على يد شيخ الإسلام من نهضة سلفية، كان العامل القوي والفعال لظهور الحركة الوطنية السياسية التي بدأت فعاليتها بإصدار الظهير البربري للمرة الثانية بتاريخ 16 ماي 1930 (303) والذي سنتعرف عليه بعدما نتعرف على أول تجربة سياسية نتجت عن الحركة السلفية في مدينة فاس وكان رائدها شيخ الإسلام محمد بن العربي رضي الله عنه.

(303) بمراجعتنا لمحاولات اليوطي استصدار الظهير البربري 1914-1918 1921-1922-1923، 1924 ثم استتبع 1926 تتحقق أن هذه المحاولات التي أفضلها المولى يوسف بفضل مشورة التهامي اعابو لم تعرف التحقيق إلا في 16 ماي سنة 1930 وفي عهد وصاية الدخيل بن المهججي محمد المقرئ كما سنرى.

الفصل الخامس والستون بحث المائتين مدرسة شيخ الإسلام وأول تجربة سياسية في المغرب عام 1926 كان مجالها الإصلاح الاجتماعي

لقد نهجت إدارة الحماية في بداية عهدها بالمغرب نهجا مخططا له بطريقة تكشفها لنا اليوم وسائل البحث في التاريخ السياسي عموما والاجتماعي بنوع أخص، لقد عمل دهاقنة الاستعمار الأوائل على نشر التفسخ والانحلال والمجون بإسم التنظيم الاجتماعي، وإصلاح الإدارة فقد رأينا بعد عقد الحماية وتنصيب اليوطي مقيما عاما كيف غير كل النظم إلى أن أصبح هو كل شيء، ولا شيء يتحرك من غير إشارته، وكيف أمكنه هدم الذاتية المغربية بطريقة لم تعرف لغيره قط في التحايل مهما كل الاتفاقات الدولية والثنائية، رغم إشادته بها ظاهرا، وكل ذلك تحت ستار الإصلاح الإداري الذي بإسمه أنشئ منصب المعتمد بالإقامة العامة بظهير تاريخه 27 رجب 1335هـ/1917-5-19م ثم أعطي لصاحبه حق التصرف المطلق إذا ما غاب المقيم، أما منصب الصدارة الذي كان قد ركز فيه شخصا عميلا هو "كاباص" المسمى محمد الجباص، وبعده ابن المقهجي ثم بائع الجير محمد بن عبد السلام المقرئ، فإنه كان قد نظمه هو الآخر بظهير تاريخه 20 قعدة 1330هـ/1913-10-31 وبهذا الظهير تأسست وزارات العدل، والأوقاف، وكذا نيابة التعليم بالإضافة إلى ظهير 8 شعبان 1331هـ/1913م الذي يعتبر خاصا بوزارة الأوقاف، وبعدهما رتب للصدارة ما أطلق عليهم "الناديب" وعددهم خمسة في المالية، والفلاحة، والتجارة، والصحة العمومية، والشؤون الاجتماعية، وذلك حسب الفصل الثالث من الظهير المذكور، وكلها كانت وظائف صورية بالنسبة لإدارة المقيم الذي جمع بين يديه كل شيء

عمليا، بحيث هو المشرف المسير للإقامة العامة التي كانت تتكون من المصالح السياسية، والإدارية، بيدها الإشراف على السياسة الداخلية، والأمن العام، كما بيدها تسيير إدارة المالية والنقل، والإنتاج الصناعي، والخدمات العامة، وتوجيه السياسة الفلاحية، وإدارة التعليم العمومي، والصحة، وكلها تحت سلطة المقيم أو المعتمد في حالة غياب المقيم، ومبالغة في التضييق إستصدر اليوطي ظهير تنظيم القضاء بتاريخ 1913/11/11 ومحاكم الباشوات 1918.84، أما مصادرة الأراضي فتاريخه 1914.11.11م إلخ.. بعدها تفرغ لتنظيم المجالس البلدية بعدما كانت خدماتها موكولة ومذ عرفت الدولة في المغرب إلى رجل السلطة في المدينة، عمل على تنظيمها بما يتفق والأهداف الاستعمارية، وحتى ينصب عليها أشخاصا فرنسيين وقد حصل بإسم الظهير المؤسس للبلديات والمؤرخ 18/ج2 عام 1335هـ/1917.48 والذي غير ثم عدل أيضا بتاريخ 1923.12.27 و1926.12.22 والأول منها خاص بإختصاصات رئيس المصالح البلدية الفرنسي، والذي أطلق عليه إسم المندوب، ومن تلك الاختصاصات مراقبة ما يقوم به رجل السلطة المغربي الباشا أو القائد، وكذا إمضاء القرارات الصادرة من أي منهما في شؤون تدبير أمور البلد، وكذا رئاسة الشؤون البلدية، كالأشغال العمومية، والصحة وما يتعلق بالموظفين، والمستخدمين المياومين، موافقة ورفضاً، والحالة المدنية للبلد من تسجيل المواليد والوفيات وزواج الفرنسيين، والأوربيين، وكذا تهئى برنامج اللجنة البلدية وتسييرها منه أو من نائبه والرئاسة الصورية شكلا للباشا أو القائد.

وفي مدينة فاس وحدها فقط، وحتى يسكت الواعون من أبنائها كانت اللجنة البلدية من أهل البلد المغاربة المنتخبين، أما في جهات أخرى فقد كانت مختلطة من مغاربة وفرنسيين، قيل وبمرسوم، كان الذي يختارهم من الأعيان هو الصدر، بقرار وزير، وفي مدينة الدار البيضاء كانت فقط من الفرنسيين "المنتخبين"؟

وهكذا فبعدهما كانت مهمة الفرنسيين إستشارية بحتة، تحولت إلى تسيير مباشر، الأمر الذي أحدث وبالمبالغة في ذلك التداخل كثيرا من الفجوات والخلل في المجتمع بإسم الحرية، وخصوصا في الجوانب الإجتماعية، وأحيانا حتى التي لها إرتباط بالدين، بحيث أصبح من حق الرئيس المباشر الفرنسي، أن يقترح من التنظيم ما يشاء ويريد، وعلى

الباشا أو القائد أن يطيع وينفذ بواسطة ما وضع تحت يده من قوات مساعدة، مهمتها القهر والزجر والإكراه، في جو من الرعب والخوف والتهديد لكل ما يقف في طريق حرية التصرف كما يريدونها ويتصورها المندوب الفرنسي الذي هو رئيس المصالح البلدية المغربية، وبإسم تلك الحرية ظهرت مستحدثات لم تكن معروفة في المجتمع المغربي ومنها مواخير الدعارة العلنية رسمياً، وبحماية القانون، بحيث أبيع في أماكن معينة خصصت له في كل مدينة، وفي أماكن معينة من الأحياء الشعبية، مثل حي مولاي عبد الله بفاس، ووقاصة بالرباط، والمرس بمكناس، وبوسبير بالدار البيضاء، وعرصة موسى، وعرصة الحوت بمراكش حيث نشط الجلاوي في هذا المجال وما سجله غوستاف بابان حول الجلاوي ومواخيره كما سنرى وأصبح له مواخير في مدن متعددة بالمغرب بل وخارج المغرب كما يعرفنا على ذلك المستشرق الفرنسي ماسينيون وعنه تنقل جريدة البصائر الجزائرية التي كان قد أنشأها المصلح الكبير الشيخ البشير الأبراهيمي بحيث دنس الفرنسيون مدينة فاس وغيرها من بقية المدن الكبيرة كانت أم صغيرة، وأحياناً تكون تلك المواخير لا يفصل بينها وبين المسجد إلا مسافة لا تتعدى 50 متراً وأقل، الأمر الذي دفع بعض المؤمنين في فاس مثلاً إلى الاحتجاج ضد إطلاق إسم مولاي عبد الله (304) على المآخور الذي كان بفاس الجديد، وذلك بزعامة جماعة من رجالات الحي فكان الجواب من السلطة أن الأمر لا يعنيه وإن هم عادوا لمثل ذلك يحاكمون، ولاداعي هنا لتفصيل ما رويته عن بعض الذين خاضوا تلك المعركة من أهل فاس الجديد حيث كان شيخ الإسلام هو قاضي منطقة فاس الجديد وأحوال المدينة.

وهكذا حتى إذا ما أخذت سلطات الحماية تطعم تلك المواخير بالفرنسيات ومختلف الأوربيات المتفرنسات، فإن الاندفاع أكثر من الإقبال على الدعارة وتمكينها لها جعل الإشراف على مواخيرها خصوصاً في المدن الكبيرة تابعا لرجال السلطة من الفرنسيين الذين أسندوه بدورهم لمن كانوا أهلاً لذلك من المغاربة خصوصاً العديمي الأصل والخلق من الذين أخذوا يستمرؤون ما تخصصه لهم العاهرات والمشرفات عليهن من أتاوة ظهر معها ثراؤهم الذي ذاع خبره وانتشر بطريقة شجعها الفرنسيون بوسائلهم

(304) حارة دفن فيها السلطان عبد الله بن إسماعيل بفاس العليا وهي تحمل إسمه حتى اليوم .

التي لم يكن المغاربة بعد قد خبروها، الأمر الذي دفع أول مستثمر في هذا الميدان وهو "الحاج" التهامي الجلاوي إلى إتخاذ مكانين كبيرين جدا هما = عرصة موسى وعرصة الحوت، بمدينة مراكش، وسيلة من وسائل إستثماره، حيث كان يجلب لهما العاهرات من مختلف الجهات واللائي كان قد نظمهن بواسطة مسيرات قابضات، ويشرف على الجميع المسدى "الحاج البياز" (305) والذي كان يجمع منهن آخر كل ليلة وقبل وسط النهار ما تجمع لهن من كراء الفروج بطريقة عادية، وبلا خجل ولا وجل مثل ذلك عنده كمثّل مداخل سوق من الأسواق التي كانت خاصة بصاحبه الذي كان يتجر في الحشيش الذي يزرعه في تلوّات ولا حسيب ولا رقيب، كما يذكر أهل مراكش ذلك حتى اليوم، بل الذي أراد القيام بدراسة ميدانية في هذا المجال كما حصل من بعض الأمريكيين لا يجد كبير عناء من أجل التحقيق في ذلك من الذين كانوا عملاء وزبناء أنفسهم، بل ومن الوطنيين الذين أستهدفوا لنقمة الجلاوي، لأنهم كانوا يقاومون عمالته وما كان يتخذ من وسائل لإفساد سمعة البلاد، حتى إن ذلك منه لم يقتصر على المغرب، بل تعداه بواسطة الداعرة الفرنسية مدام سيمون كما سنرى من خلال ما نشرته الصحافة 1951-53 أيام رعونته وخيانته واستعدائه على الوطن والمواطنين، ممثلا في شخص محمد الخامس رحمة الله عليه.

ومهما يكن فإن الذي نافس الجلاوي بمعدل 10٪ كان هو محمد التازي باشا مدينة فاس، وذلك بحكم استعجاله الثراء، وبما بلغه من خبر مداخل الجلاوي اليومية ونقول رواية مساعديه أنه فقط فرض على كل من لها مجموعة من العاهرات، قدرا تدفعه أسبوعيا قبل أن يؤذن لها بحق المراقبة الطبية، لكنه بعد زمن وقد تحقق من نمو المكاسب شيد لنفسه مأخورا بإسم فندق مشرف على الباب الجديد، وبالقرب من داره، خصصه للانحراف الذي مكن له اليوطي الذي كان له بيت خاص لذلك عرفه الكبير والصغير من القوم المعروفة أسمائهم والذي سيرثه فيه بعد الفاطمي بن سليمان الذي كانت الحرية عنده كما أرادتها دعاة فرنسا قد تمكنت أكثر في عهده حتى إنه أصبح معروفا عند

(305) لقد حل مكانه اليوم بعض الفنادق بإسم السياحة ومثلها المواسم على الأضرحة في بعض المناطق مثل أزموور وغيرها كما نشرت الصحافة الوطنية.

الكبير والصغير بما كان له من غلام خاص وغلما من متعددون زاحمه عليهم الجنرال سوفران كما يحفظ تاريخ مدينة فاس لمرحلة ما بين 1940-1950م وهذا ما أغرى روم لاند حيث قال ما قال في كتابه "جونال أوف موركو ص 181 على الشذوذ الجنسي في المغرب وان كل نساء فاس عاهرات ومع ذلك كرمه القوم وأغدقوا عليه.

وهكذا فبحكم ما أصبح للمجالس البلدية تحت إشراف المندوب الفرنسي من حق في التسيير والتوجيه، ظهرت في المجتمع عادات وأخلاق منها إلى جانب ما سبق تلك التي إنطلقت من الملاح بمدينة فاس، وهي حارة اليهود الذين وجدوا الحماية فوق المعدل، فأخذوا يتاجرون في الخمر سرا مما جلب على المدينة الشر، ومنهم تنقل إلى المواخير المشار إليها، ثم إلى بيوتات القداما من ذوي الحميات، كما وجدت عادات أخرى فاسدة طريقها إلى المجتمع بواسطة ما جد من قلة الزواج من بنات الأوساط التي فاحت رائحة خمورها وفجورها، مما دفع إلى شراء الأزواج بواسطة ما كان يعلن من شورة الزوجة وما استحمله لدار العريس من حلي وحلل، كان يعلن عنها في حفلات الزفاف (306) وبسبب ذلك ومن غير أن تعرف الطبقة المتوسطة التي كانت وقتها تمثل الأغلبية إنسأقت إلى المحاكمات ثم التنافس فظهرت تلك الفظائع المتمثلة في التظاهر بكثرة الحلى والديباج في الأعراس وولائم العقيقة والختان التي أصبحت تقام بواسطة الماشطات و"العريفات" والحجامة يحضرها النساء متبرجات في كامل زينتهن، وقد أحطن بمجموعة من الراقصات يحركهن ما يعزفه الرجال من موسيقى، ويصيح به بعضهن من كلام سافر أحيانا دون قول إمرئ القيس:

وناهدة الثديين قلت لها اتكي على الرمل من جبانه لم توسد،، إلخ

مما دفع المرأة الفاسية وكرد فعل مثل التونسية أمام الزوج "البارد" إلى التظاهر والتباهي بما تملك وما لا تملك من وسائل الزينة، وإذا ما إعتلت المرأة في أي مجتمع أسرعته نحوه الموبقات وتفشت في ربوعه الفتن، وعرف من النعوت أسوأ مما وصف به

(306) تحول الوضع بعد الاستقلال فأصبح بيع العوانس من طرف الآباء والأخوة بواسطة الوظائف بالنسبة لمن في إمكانهم ذلك أو بواسطة الامتيازات من رخص موصلات وتجارة وأراض إلخ ولقد كان في الإمكان ضرب أمثلة كثيرة نتركها إلى مجال آخر هو مذكرات الشعب المفترى عليه.

الكاتب الأنجليزي المنحرف المابون روم لاندو المرأة الفاسية في كتابه "جورنال أوف موركو ص 181 ط 1952 (307) وهكذا فبسبب تلك العادات وما جد من مغالاة في المهور والشورة قامت ضجة في مجتمع فاس، أحدثتها طبقة المحافظين من الرعيل الأول في الوطنية السلفية، وهم في الغالب من الذين كانوا يلازمون دروس شيخ الإسلام إنضم إليهم بعد كثير من العلماء، والقضاة، وأشراف المدينة كما سنرى.

كان التخطيط الذي لم يتناوله ولا واحد من الدارسين للتاريخ من هذا الجانب الذي فيه مساس بالكرامة التي لم يفكر فيها العملاء السابقون، جهنميا وهداما بشكل مهول، ولولا ما جد بعد الخمسينات من إندفاع الفرنسيين بلا إحساس ولا شعور، هم وعملاؤهم يتقدمهم الجلاوي إلى الاعتداء على العاهل الذي بحق وبما نهجه من خلق عظيم، أصبح الرمز المحرك للشعب، لولا ذلك لطال زمن العودة بالمغاربة إلى ما كانوا عليه قبل من خلق وتراحم، ذلك لأن التخطيط الذي سلكه الفرنسيون لهدم المقومات الخلقية للمجتمع المغربي، كان محكما من جانب، وسافلا ساقطا منحطا قوامه إستهواء النفوس المريضة والدفع بها إلى حيث تحقيق شهواتها الحيوانية، وقليل من يتنبه إلى أن الفرنسيين في كل تجاربهم ضد المجتمع ومن أجل هدم الإسلام والذاتية المغربية كانوا يبذؤونها من مدينة فاس التي تعودت طائفة فيها السابق إلى كل ما يجد في المجتمع من عادات في مختلف الميادين، وإذا كانت مدينة فاس العاصمة الروحية للمغرب التي صمم اليوطي على هدم

(307) لم أعرف قط من أساء إلى الإسلام في المغرب ثم نال التكريم كما فعل هذا المابون الذي فسح له المجال في المغرب والذي مات فيه تحت وطأة إنحرافه في مدينة مراكش، ولولا الخجل من كشف موبقات القوم من أمثاله، لأوردنا فقط ما سجلته مذكرات بوعزة 1965 الذي أمر بمرافقته وهو السابق بوزارة الأنباء، والذي كان يسكب عبرات الدم على وطنه وما كان ينشره فيه ذلك المجرم من موبقات، ومع ذلك يتجرأ على طعن الإسلام في المغرب وهي أخس طعنة عرفها من عدو يخجل الكريم من وصفها، راجع كتابه المشار إليه أعلاه، ولا داعي لذكر غيره من أمثاله الذين إستأسدوا في المغرب وينشرون فيه أفضع الموبقات تحت حماية الحديد والنار لكبت الفضيلة ونشر الرذيلة، لكن نحمد الله على الليل والنهار الجديدين يبليان كل جديد وان وعد الله لاشك سيتحقق فيهم كما قال صلى الله عليه وسلم الخلق عيال الله من أذى لله عياله أذاه الله فليتنظر الشياطين الخمس الأعور، والأقرع، والأسود، والأعرج، وقزم الرباط، أولئك الذين يشجعون الرذيلة كل في ميدانه بلا خجل ولا وجل ليعلموا أنه إذا كان للباطل جولة، فإن للحق صولة، ولسوف يعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وهذا هو مجال العبر من التاريخ، وأعود فأؤكد، قسما بالله أن الظالم المفترى والفاقد المفسد المغتر بالسلطان والقهر لا يخرج من الدنيا حتى يدفع الثمن ويكون عبرة لمن يعتبر.

الأخلاق فيها وهو المنحرف المأبون فإنها كذلك ولزمن غير قصير، كانت أكثر من غيرها تمثل العاصمة الإدارية والاقتصادية قبل غزو الاقتصاد الفرنسي الأوربي الذي إتخذ بدلها مدينة الرباط والدار البيضاء، بوحى من تقرير اليوطي 1920 حتى لا يربط المغاربة حاضرمهم بماضيمهم، وما كانت مدينة فاس لتضل وفيها الرائد ومحرم الفكر المغربي، وجماعة الرعيل الأول من السلفيين الوطنيين، فقد حول شيخ الإسلام مواضيع دروسه وقتها إلى الإهتمام بما ظهر إنشغال الناس به، حيث أخذ يعالج ذلك في دروسه العامة والخاصة، خصوصا وأنه بحكم منصب القضاء الذي كان يزاوله أمكنه الإطلاع على واقع ما يشغل المتذمرين، مما جعله يتناوله في دروسه بصراحته المعهودة، وكشفه لأسباب الداء قبل أن يوجه نحو الدواء، وفي هذه المرحلة تقول رواية بعض رجال الرعيل الأول كانت الدروس التي يلقها بجامع القرويين، لم تعد قاصرة على يومي الإثنين والخميس بل أضيف يوم الأربعاء، حيث أقبل عليها جمهور كبير من سكان فاس الجديد، وقصبة فيلالة، بالإضافة إلى مختلف حارات "حومات" المدينة، حتى أصبح حضورها - وكما أشرنا - من نوي اليسار الذين يريدون القرب من مجلس الشيخ يكلفهم تأجير من يحفظ لهم مقاعدهم كما كان آخرون يضعون علامات من بسط وفرش لحفظ أماكن جلوسهم، أو كان على الرجل أن يأتي مبكرا ليحتل المكان المناسب.

كانت سنة 1345هـ/1926م أي بعد مغادرة اليوطي وتولية اليهودي استيج الذي كان وزيرا للعدل في فرنسا، والذي شاع أنه يريد أن يحقق فوق ما حققه اليوطي بالقوة والعنف قد كون في طبقة الرعيل الأول إحساسا خاصا نحو الرجل الذي كان همه الشاغل إرضاء جماعة المعمرين الذين إقتلعوا جذور اليوطي من جانب، ثم تحقيق ما فشل في تحقيقه سلفه وهو الظهير البربري، الذي ركزت عليه طبقة خاصة من كبار المثقفين، والسياسيين، في فرنسا وشمال إفريقيا(308)، وكان ذلك من الشباب على وجه

(308) أعفي اليوطي من منصبه كمقيم عام لفرنسا في المغرب وهو الذي كان يعمل بدهاء للقضاء الذاتية المغربية. وقد نجح كما صرح بذلك في تقاريره كما سبق وسنرى. وما طرد إلا لأنه تعرض لغضب بنك باريز والأراضي المنخفضة بسبب تصرفه إزاء إدارة الفوسفاط التي كانت رغبة الاستعماريين ضرب عرض الحائط بكل القوانين والاعراف، تم تملكها للبنك المذكور متجاهلين أن الذين اكتشفوا الفوسفاط في المغرب إنما هم الايطاليون، وأنهم بالرصاد، ولذلك سماها اليوطي "الإدارة الشريفة للفوسفاط" حتى يكون للفرنسيين التصرف المطلق فيها كما في=

الخصوص ما دفع إلى تنظيم المكان الذي إعتاد شيخ الإسلام أن يلقي فيه دروسه في جامع القرويين تحت الثريا، وأمام المحراب، وحتى لا يندس من يشوش بالأسئلة الزائدة وضع شباب الرعيل الأول، وكانوا من طلبة القرويين والثانوية الإسلامية - للحضور نظاما خاصا بحيث يجلس في المقدمة العلماء، ثم الطلبة ثم بعدهم طبقة الأشراف والتجار والحرفيين، وخلف الجميع وبالقرب من أبواب الجامع مجموعة من المتطوعين للملاحظة والمرافقة، حتى لا يحدث ما يشوش على الشيخ أثناء إلقاءه الدرس، وكان الذين يقومون بهذا الدور يقول الراوي هم أهل حارتي القطانين ورحبة الزبيب أحيانا، وسكان الطالعة والزربطانة أحيانا أخرى، وأخيرا إستقل، بذلك أهل الطالعة وقصبة فيلالة في شكل من القوة والاستعداد لأي طارئ تردده الإدارة، وهذا هو الذي سيكون السبب في نقل الشيخ الإمام إلى الرباط 1928م.

كانت الدروس ولفترة طويلة قد ركزت على مختلف الادواء التي ظهرت في المجتمع، والتي مصدرها ما جد من إشراف الفرنسيين على التسيير المباشر لمختلف المرافق، بل وحتى يكسب إلى جانبه إنتصار غير العملاء من رجالات الدولة، كان من حين لآخر يركز على التذكير بما سبق أن تمسك به المغاربة من تقاليد وأخلاق بعيدة عن التكلف والإرهاق، وأنه سبق أن عرف المجتمع المغربي شبه هذه الطفرات من مغالات في المهور والشورة، فعالجهما السلاطين قبل نزولا عند رغبة وتوجيه بعض المصلحين من العلماء حيث أصدروا ظهائر تؤكد التمسك بالصالح، وتمنع الفاسد من سيء العادات مثل ما صدر من السلطان محمد بن عبد الله، ثم حفيده محمد بن عبد الرحمن، والمولى الحسن ثم المولى عبد العزيز، وأن ما شرع منذ تلك العهود كان هو القاعدة العامة التي تمسك بها المغاربة. وفعلا كان لحملة شيخ الإسلام أثرها حيث قامت جماعة من أعيان فاس المدينة، وفاس الجديد، ما بين أشراف ووجهاء فكونوا جماعة قدموها للمطالبة بإصدار تشريع ينص على العودة إلى ما كان الناس عليه قبل أن يستهدفوا لما أصبح يمزق مجتمعهم من

= غيرها باسم الحماية هذا بالإضافة إلى فشله في معالجة حرب الريف بزعامة محمد بن عبد الكريم الأمر الذي دفع حكومة فرنسا إلى إرسال المرشال بيتان إلى المغرب يوم 17 يوليوز 1925، وكل ذلك لم يرضيها رغم أنها حملت المغرب دينا مقداره 183 مليون فرنك لمواجهة تكاليف الحرب المذكورة. كما أن اليوطي كذلك عجز عن تحقيق أهداف الظهير البربري الذي تكرر اقتراحه مرات ومرات... إلخ

عادات، وأن يكون الإلزام بذلك عن طريق المجلس البلدي المنتخب، وكتبت المطالب في أسلوب شكاية وتظلم مما جد وتتضمن الإشارة إلى الأسباب والدوافع، ووقعت العريضة من طرف حوالي ما يقرب من 700 منهم 143 من الشرفاء و500 من الأعيان والتجار، و53 من أهل فاس الجديد، وقصبة فيلاله، وهؤلاء هم الذين استطعت الحصول على لائحة أسمائهم(309) ومما جاء في هذه العريضة المؤرخة في 20 رجب عام 1345هـ/1926م ما يلي :

"لقد حدث من البدع والمنكرات واخترع من العوائد الشيطانية والمباهات، ومن التناول في فرش الحرير الخالص، والذهب، وتبرج النساء بالحلي والحلل، في غير دورهن، وتجمهرهن بتلك الصفة أمام المومسات المغنيات وخروجهن لسائر المواسم والأفراح وسائر المآتم والأفراح، وأساس عمدتهن في ذلك الماشطات اللائي ينتزعن منهن ومن رجالهن ثروتهم، ويختلسن إياها مع ما شاع وذاع في حفلات الرعاع، في هتك الأعراض واختلاط النساء بالرجال، والتكهن والتطلع بالزعم على الغيب وخبال ضعفة العقول بذلك، وشدة التبذير في المآتم والأفراح، إلى ما لا حد له من المحرمات والمنكر، وما تنزه عنه الألسنة وأقلام المحابر".

وكانت العريضة إلى جانب ذلك قد عدت من سيء العادات ما أفسد على الناس حياتهم، وكان هذا الموقف وسيلة تدرّب الناس له على ما سيعرف المجتمع بعد من المواقف السياسية، خصوصا وقد تحقق القصد. وفعلا عاد المجتمع الفاسي إلى ما كان عليه قبل من مظاهر الحشمة والمحافظة على الأقل بين الطبقة ذات الأصالة، وما عرفته من أجمل العادات مع البساطة وحفظ الشرف فيما إصطلحت عليه أيام "الفاتحة وكمال العطية، ودفع النقد، ويوم الوعد، ثم يوم توجيه القياس ويوم الفصالة، ويوم التنقل، ويوم الحمام، ولكل يوم عادات وتقاليد، هي عبارة عن الروابط التي تربط بين المواطنين وتقرب بينهم في المجتمع الذي يتعايشون فيه، وما كاد الظهير المشار إليه يصدر والمعنى به هو

(309) المصدر خ.ع 3031 ك ص 21 وكان جامع تلك الأسماء يقصد الوشاية بهم إلى الدوائر الفرنسية وقتها، لأنه كان يعتبرهم من أنصار شيخ الإسلام ضد جماعة الطوائف الضالة التي كان يتزعمها المكشوف الجاني عبد الحي الكيتاني الذي احتفظ لنا باللائحة.

المجتمع الفاسي، حتى قام رجال الزعيل الأول في مختلف المدن إلى تنبيه من حولهم حتى لا يمزق مجتمعهم شر ممزق(310) فكانت تلك هي بداية الطفرة السياسية.
أما الذين وقعوا تلك العريضة ممن يعتبرون أيضا من رجال الزعيل الوطني الأول،
من أهل فاس الجديد وقصبة فيلاله، فهم كما وردت أسماؤهم في مخطوط خ.ع 3031
ص21.

(310) لم نحصل على ما يستحق أن ندرجه في الموضوع من الوثائق حول الإشراف في بقية المدن باستثناء
مدينتي سلا والرباط اللتين وقفت على الوثيقة التالية عنهما وهي تعني ما إتفق عليه أعيان مدينتي سلا بإشراف
المرحوم عبد الله ابن سعيد، مما يعني الشورى بالنسبة للزواج بين أبناء الطبقة العالية، وبهم إقتدى أهل الرباط الذين
إتخذوا ما ورد فيها قاعدة لهم كذلك، فقد جاء في الوثيقة المذكورة ما يلي : تقييد ما تحصر فيه الشورى من الطبقة
العالية بمدينة سلا حرسها الله وإلغاء كل ما عداه من العوائد المتعلقة بها، بحيث لا تكون المحاسبات إلا على مقتضاه
ولا تعداه.

فرش البيت:

أربع مضارب حشوها صوف، من عمل عين أو حاجب من ثوب الإبر، دائرة واحدة من الحق البيت من ثوب
الإبر أو ما يماثله وحاجب أو من ثوب الإبر دائرة واحدة دائرة واحدة من ألحف البيت من ثوب الإبر أ ما يماثله.
8 ثمان خديات "وسائد" كبار نصفهم بالرقم البلدي والنصف الآخر من الموير، والكمخة بأغشيهم.
8 ثمان خديات صغار، مثل نوع الكبار وبأغشيتهم أيضا.

4 أربع أزر لباب البيت، أحدهم موير، والثاني بالرقم بالطوالع، وواحد رهيف وإيزاران للسراجم من الكمخة.
ثمان نماطات من بوضرية والكمخة والطسان والحريز، وفراشيات للفراش، وأربع أزر من الكتان، وإثنان
للحف، وفوطة كبيرة من المحريل.

الملبوس: 10 أقمصة من الكتان نصفهم بأكمام الشبكة، وغيرها والنصف الآخر مطلق على العادة 20
منصورية 5 من الحريز و5 من الشبكة و5 من مقد عليه و5 من الزهيف 6 قفاطين طيسان أو أطلس 2 وكمخة أو ملف

2 و أربع سراويل من طلس وكتان وغيره، شربية حمراء، وإزار للتخليل، وحايك حريز، من عمل فاسي وصندوقان
صغيران، ويترك الكبير بالكلية، 2 حمائل إحداهما عالية والأخرى نونها 4 شراويل 6 سباني حريز، وكسوة واحدة من
الملف للزوج، إما محصورا أو قفطانا بسراويله ولا يبقى من فطور العروس إلا عشر موائد كيفما تيسرت، ويترك من
العوائد بالكلية ما يفرق من الكساوي على آل الزوج المعروف عندهم بكساوي التفريق، ويترك أيضا ما يوجه يوم سابع
الولادة من الحوائج وغيرها، المعروفة بالقماشة وكذلك تسقط العادة المعروفة بالغرامة، سواء على العروسين أو المطربين
أو المطريات، وكذلك يسقط ما يوجه للعائلات من العادة المعروفة بالمودة أما بقية العوائد وهي ما يعني الخطبة، وحفلات
الزفاف، والعقيقة والختان، وختم القرآن، وما تكلفه الولائم لذلك، فقد تعرض لها الأستاذ عبد الله السويسي في كتابه
تاريخ رباط الفتح 156.161 طالرباط 1972.

أدريس بن القائد اسعيد بوشويه الشراذي
 محمد بن ج أعلى الفيلاي
 ج التهامي بن الطيب الفيلاي
 العربي بن محمد البلغمي كان مورقا بجامع
 الحمراء من فاس الجديد
 أحمد بن الحسن الشراذي
 بوشته بن محمد الشركي
 م عمر بن أمبارك العلوي
 م الحسن بن م العربي العلوي: حفيد م
 المامون بن اسماعيل
 حماد بن محمد الإدريسي
 المعلم عمر بن ابريك السوسي
 ج الحسن بن ابراهيم الفيلاي
 إدريس بن بوبكر لعرايشي.
 عبد السلام بن الحسن العلوي
 أحمد بن الحسن العلوي
 محمد بن ج أحمد الوليدي
 الكبير بن الحسن الفيلاي
 ج محمد بن خاي البلغمي
 أحمد بن قدور البطاحي
 أحمد بن البدي الفيلاي
 محمد بن الحاج الصديق ديدي الفيلاي
 عمر بن محمد الفيلاي
 ق محمد بن بلعيد الجامعي
 ج اعمارة بن أحمد الجامعي
 أحمد بن اسعيد الفيلاي
 مسعود بن لحسن العروي
 حمادة بن محمد التلمساني
 إدريس بن العربي بن ج إدريس يطوط.

م. أحمد بن محمد العلوي
 م الحبيب بن سعيد العلوي
 م عمر بن الحسن البوكيلي
 محمد بن اليمني البلغمي
 ج حم بن طلحة الفيلاي
 محمد بن الحسن المراكشي
 ج المعطي بن لعرابي الفيلاي
 لمعلم الطاهر بن المهدي الزرهوني
 وهو يهودي أسلم جده تحول وخان ثم
 أصبح عميلاً أساء جدا عام 1944
 أحمد بن المكي المراكشي
 التهامي بن عبد الله الفيلاي
 المعلم عبد المالك الكاوزي الفيلاي
 محمد بن محمد القباب
 ابريك بن سالم البخاري
 الغازي بن عبد الكريم الفيلاي
 محمد بن محمد بن عبد الرحمن
 محمد بن ج امبارك الشراذي
 محمد بن أحمد المسفيوي
 أحمد بن لحسن السنغروشنني
 الصديق بن الحبيب الفيلاي
 محمد بن مولود الفيلاي
 أحمد بن الصالح بن بوبكر الفيلاي
 أحمد بن محمد التواتي
 محمد بن محمد العلمي
 الصالح بن أحمد الرحالي
 الجلاي بن موسى السوسي
 أحمد بن الصديق الشراذي



الشيخ الامام شيخ الاسلام محمد بن العربي العلوي الذي
تعرض لنكران الجميل من الذين وجههم الاستعمار
خصوصا بعد موت محمد الخامس وظهور شوكة خصوم
المغرب والمغاربة أمثال احمد رضى كديرة



تدشين محمد الخامس رحمه الله لأول مدرسة مولوية في
طليعة المدارس الحرة التي تزعم الدعوة لانشائها شيخ
الاسلام في عموم المغرب شرقا وغربا وشمالا وجنوبا



شيخ الاسلام يفتتح مدرسة النهضة بمكناس



محمد الخامس وشيخ الاسلام محمد
بن العربي العلوي رحمهما الله



شيخ الاسلام ومعه ولي العهد مولاي الحسن اثناء فتح مدرسة
حرة بفاس



محمد الخامس يشرف على زيادة بعض الأقسام في
الثانوية الإدريسية بفاس 1940 ويرى في الصورة
الجنرال نوجيس



سيد البستيل العيساوي الذي ترامى عل المرحوم محمد
لعمري بتاريخ 29 يناير 1944
يشارك مع مجموعة من الوطنيين في افتتاح مدارس
محمد الخامس بالرباط عام 1946

الباب السادس والعشرون
فرنسا الإستعمار وسياسة التجهيل
في المغرب العربي

الفصل السادس والستون بعد المائةين بصمات الفرنسيين ضد التعليم في الجزائر وتونس

لست في حاجة لأكرر ما كتبته قبل عن واقع الجزائر الدولة، وما كانت عليه من قوة في البر والبحر وما كانت تتمتع به من تنظيم إداري وقوة في الخارج، وأنها في فترة من التاريخ المتوسط كانت أقوى دول المغرب العربي الكبير بحرا إلى درجة ارهاب أوروبا التي كانت أساطيلها تحسب ألف حساب للأسطول الجزائري الذي عرفت سجون بلاده المآت بل الآلاف من الأسرى الأوروبيين الذين كان يجمعهم من عرض البحر الأبيض المتوسط الذي كانت له السيادة الأولى عليه زمن خيرا لدين بربروس واخوته إلى درجة أن الأوربيين كانوا يباعون في أسواقها بأبخس الأثمان، والسعيد منهم ذاك الذي يصبح من خدم أسرة جزائرية وكل ذلك كان مقابل ما كانت أوروبا تقوم به من تصرفات حاقدة مع الذين كانوا يتعرضون للأسر من قراصينها، وإذا ما كانت الأيام دول بين الناس، وتبدلت فعرفت الجزائر ضمن قافلة المغرب العربي الكبير التفكك والتخلف ثم الاحتلال من طرف الفرنسيين الذين وجدوا شعب الجزائر فقط في مجال التعليم يتوفر على مات المدارس، وآلاف الكتاتيب القرآنية، كما يشهد بذلك بعض كتاب فرنسا ومؤرخيها، وسياسيها، أمثال أوجين كومب، عضو مجلس الشيوخ سابقا، والكاتب بولارد في كتابه "تعليم الأهالي في الجزائر"، والجنرال بول آزان فيما كتب عن الأمير عبد القادر والذي أحرق الآلاف من كتب خزائن الجزائر في الحرب التي خاضها ضد الفرنسيين. وكان ذلك من الأغبياء الفرنسيين دليل على حقارة تكوينهم والمستوى الأخلاقي الذي كانوا عليه، بل وما كتبه الضابط رين الذي قال بالحرف "لقد كان للغزو الفرنسي نتائج وخيمة، ولم تتخذ أية تدابير للعناية بدور العلم مذ وضعت السلطات المحتلة يدها على المنشآت العامة، ولم يبق إلا بعض المدارس العديمة الشأن، والتي تضم حوالي 30000 تلميذ وهو عدد لا يكاد

يصل خمس 5/1 العدد الذي كان يجب أن تضمه دور العلم من قبل (311). كانت سياسة فرنسا من أول وهلة وإثر تركيز إدارتها بالجزائر قد خطت لنشر الجهل وحرمان الجزائريين من كل وسائل المعرفة، وذلك عملاً برأي الذين أشاعوا أن تعليم الجزائريين فيه خطر على مستقبل فرنسا، وهذا الرأي هو الذي سبب النهضة في الجزائر بعد أكثر من مائة سنة، وعلى قدر ما عرفنا من برامج جهنمية لاساسة دول الاستعمار، ما عرفنا قوماً أشد غباوة من الاستعماريين الفرنسيين في هذا المجال، ذلك أنهم عندما فكروا في غزو بلاد المغرب العربي حسبوها وكأنها من بلاد الادغال يسكنها شعب لم يعرف من الحضارة قليلاً ولا كثيراً، وعميت أبصارهم حتى عن مراجعة ما كتبه بعض رجال العلوم والمعارف من الفرنسيين أنفسهم حول المغرب، وماضي المغاربة وحضارة الإسلام في أرض المغاربة أمثال جوستاف لوبون 1841-1931م في كتابه "حضارة العرب الذي انصف فيه الحضارة العربية وأشاد بفضلها على الحضارة الأوروبية، ومنها يفهم أن المغرب كان متحضراً يوم كانت فرنسا متوحشة تحيا حياة السوائم تحت وطأة جهل الفرنكة وقسوة لوجولوا، وإذلال همجية التوتون. بل فقط لو ارتقوا إلى الملاحظة المادية بمعرفة بنايات المدارس كما فعل تراس .حول مدارس فاس.

لقد عرف شعبنا في المغرب العربي الكبير، تقدماً وازدهاراً في مجال المعرفة والعلم حيث اعتمدت مناهج التعليم فيه قديماً على المنهج الذي استمده ابن خلدون نفسه ثم وضعه في مقدمته للتاريخ التي عرفها الفرنسيون وتعرفوا على ما فيها قبل غيرهم، وفيها ذلك المنهاج الذي أطلق عليه العلوم الشرعية (312)، وهو ما كان مصدره الأول بلاد المشرق

(311) المصدر محاضرة ضرة ألقاها المؤلف يكراتشي عاصمة الباكستان يوم 14 جمادى الأولى عام

1374هـ/1955م.

(312) من لسانيات كلفة ونحو وصرف وبيان وأدب منظوم ومثبور، ومن علوم القرآن كقرآءات ورسم وتفسير، ومن علوم الحديث الناسخ والمنسوخ والأسانيد "الرواية" وعلم غريب الحديث، وعلم تصريف القوانين أي تطبيق القواعد على الأحاديث، وعلم مصطلح الحديث، وعلوم الفقه وأصوله، وعلم الكلام والتصوف، وتعبير الرؤيا، وكل ما سبق مما يدخل في نطاق العلوم الشرعية كما عرفها ابن خلدون.

أما العلوم العقلية والتي هي الأخرى أبدع فيها الفكر الإسلامي أحسن إبداع سواء في المنطق =

العربي والعالم الإسلامي، منذ العهود الأولى لوضع الحضارة الإسلامية العربية، في كل من بغداد ودمشق والحجاز، وبلاد ما وراء النهرين في عهود الأمويين والعباسيين والفاطميين والسلاجقة، وما كان لهذه الدول في مجال الدراسات الإسلامية، والتي منها استمدت القيروان وقرطبة، وإشبيلية، وسجلماسة، ونفوسة، وتاهرت ثم جامعة القرويين بفاس، والزيتونة بتونس والأزهر بمصر وبجاية وتلمسان ومراكش وطرابلس وغيرها من العواصم والمعاهد التي اشعت النور يوم كانت فرنسا ترسف في قيود الجهل وتشقى بقساوة الظلم والاستبداد. وقتها كانت تلك المعاهد بفضل الإسلام تعمل جاهدة من أجل إسعاد الإنسان بالتمكين للمعرفة ومحاربة الجهل على الصعيد العالمي وفي المغرب العربي الكبير أنتجت من كبار العلماء وعباقر التاريخ ما تزخر به خزائن الكتب في المشرق والمغرب وبلاد أوروبا من مختلف العلوم والمعارف التي أسهم في إنتاجها المغاربة الذين لم يعرفوا التخلف والجهل والتمزيق والانحطاط في عهد من العهود كما عرفوها تحت نير الحكم الفرنسي الذي عمل بكل وسائل القسوة على إبادة شعب المغرب العربي الكبير بواسطة التفتير والتجهيل.

في سنة 1937؛ ظهر تنظيم جمعية العلماء بالجزائر⁽³¹³⁾، وفي السنة بعددنا أصدر وزير فرنسا في التعليم «شوتان» مرسوماً بتحريم اللغة العربية في الجزائر باعتبارها لغة

= أو العلم الطبيعي مثل صناعة الطب بدوي وحضري، والفلاحة وما يتفرع عنها من صناعة خصوصاً صناعة النبات وغرسه، والعمل، الإلهي، وعلوم الهندسة العامة، وهندسة الأشكال الكروية، والمخططات والمساحة والمناظر، وعلوم الحساب وما يتفرع عنه من براهين الحساب الجمع والطرح والضرب، والقسمة، والجبر والمقابلة، والمعاملات التي هي تعريف الحساب في المعاملات أي علم المعداد، وعلوم الفرائض، الذي هو حساب الموارث، ثم علم الهيئة أي علم الأحكام النجومية، وهو معرفة آثار أوضاع الكواكب والأفلاك في عالم الإنسان، ثم علم الموسيقى إلى غير ذلك من الدراسات التي نجد لها مؤلفات متعددة ومركزة صدرت عن الأندلسيين والمغاربة في كل علم من العلوم، والتي لا تزال الخزانة العامة والخاصة تزخر بالعديد منها، ويوم يتفرغ المغاربة لإحياء التراث الإسلامي العربي في ربوع هذه الديار يرى الناس العجب العجيب مما عرفه المغاربة القداما من علوم وأتقنوها، والتي يستدل على بعضها بما كان لهم وما خلفوه فقط في مجال العمران والفلاحة وغيرها كل هذه العلوم عرفها المغاربة، لكن هؤلاء المغاربة أوقعهم سوء الطالع في قبضة الحكم الفرنسي واستعمار الدول اللاتينية التي عرفت بتزمتها وحقدتها على الإسلام والمسلمين بطريقة عنصرية سافلة بالغت فيها كل من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا، والتي ما كادت تسيطر على بلاد المغرب العربي الكبير حتى وضعت لشعوبه برنامجاً تجهيل بقوة الحديد والنار، وهو ما تعرفنا على بعضه وسوف نتعرف على البعض الآخر بعد.

أجنبية، وكان هذا منه عملاً بالتوصية التي كانت قد صدرت عن مؤتمر المستعمرات الذي إنعقد في 1908/3/29م والذي قرر عدم تعليم الجزائريين ونشر الجهل بينهم حتى تتلافى فرنسا ما ينتظرها من خطر إذا ما تعلم الجزائريون، وعلى هذا النهج كان تخطيط سياسة فرنسا عندما أصدرت مرسوم إنشاء التعليم بالجزائر بتاريخ 1850/9/6م حيث أنشأت ست مدارس للذكور ومثلها للإناث في كل من مدينة الجزائر، وقسنطينة، ووهران، وعنابة، ولبليدة، ومستغانم وحتى في هذه المدارس، كان المعلمون فيها يدفعون بالتلاميذ إلى الأعمال في الحقول والمصانع وتوجيههم إلى ممارسة الوظائف التي كانت إدارة الإستعمار وحياة المعمرين في حاجة إليها، هذا بالإضافة إلى إهمال اللغة العربية، وكل ما يتعلق بتاريخ الجزائر وحضارة الشعب الجزائري، بل أصبح التلميذ الجزائري بقدر ما يعرف الكثير عن فرنسا وقراها وماضي تاريخ شعبها يجهل كل شيء عن بلاده وشعبه، بل التلميذ الجزائري المسلم العربي أصبح يردد من إملاء المعلمين الفرنسيين المتوحشين من الأناضول واللورين ما كانوا يملون عليه ويحفظ كالبيغاء «كانت بلادنا قبلاً تسمى لاجول، وأجدادنا هم لوجولو...» وكان هذا من أهم دوافع قيام ابن باديس ورفاقه للجهاد من أجل الجزائر.

أما الأطفال الذين حرموا من التعليم فقد أحيطوا بسياج من حديد حتى يعم الجهل كل تكرار ازديادهم وتقدم عددهم الديمغرافي، إلى أن أصبح الشعب الجزائري يعتبر جاهلاً بنسبة 90% ويكفي للاستدلال على ذلك أن نعرف أن الإدارة الفرنسية بعد مرور نحو الأربعين سنة على وجودها بالجزائر لم تنتشئ من المدارس إلا ستاً وثلاثين مدرسة أنشأتها عام 1870م في مجموع الجزائر، تقول إحصائياتهم أنها كانت تحوي ثلاثة عشر ألف تلميذ، والواقع وحسب معطيات ما قرروه لم تكن تحوي غير ستة آلاف 6000 تلميذ، لأنه حسب العدد الأول يكون بكل مدرسة أربعمائة تلميذ، وهذا العدد يحتاج إلى مدرسة من 10 فصول، وهذا النوع من المدارس يؤكد التاريخ والأرقام أنها أوقفت عنها كل الإعانات التي كانت تتقاضاها كمنحة من المجالس المحلية المشرفة عليها، الأمر الذي أدى إلى تعطيلها فلم يبق منها عام 1880 سوى ستة عشر مدرسة بها من التلاميذ 3672. على أن هذه الخطة لم تقبل من وزير التعليم "جيل فيري" الذي أصدر مرسوماً يعكس ما

سار عليه سلفه من عمل حاقد لنشر الجهل، إذ هذا الأخير أدرك أنه من الخير لفرنسا أن تتقرب من الجزائريين الذي يحنون إلى ماضيهم، مدفوعين بحقدهم على الذين يعملون بقوة القهر على فصلهم عن ذلك الماضي، مما جعلهم يستبشرون بثورة المقراني والحداد عام 1871م ويقبلون عليهما بروح عالية وأمل كبير، وذلك ما رفع معنوية الأمير عبد القادر وزاده قوة إيمان في غربته.

أصدر جيل فيري مرسومه بتاريخ 13/2/1883م وهو الذي بمقتضاه افتتحت مدارس رئيسة في المدن، وأخرى تحضيرية في البوادي كما افتتحت مدرسة للمعلمين بالعاصمة إلى جانب مدرسة المعلمين العليا للمتخصصين الفرنسيين، لكن بناء المدارس لم يظهر ثانية، ومنذ هذا التاريخ الا عام 1889-1891م إذ في هذه السنة أنشئ قسم خاص في بوزريعة، يلحق به معلمون من فرنسا يتولون فيما بعد تعليم الجزائريين، وإذا كان لهذا القسم هدف معين، ندرك المنهج الذي بلا شك وضع له، وأن الغاية منه المسخ والتركيز على كل ما يمكن للاستعمار الفرنسي البغيض.

ورغم كل ما سبق فإن عدد التلاميذ حتى سنة 1891م لم يصل في مجموع المدارس إلا 11246 فقط. أما برامج تعليمهم فقد كانت في الغالب تهدف إلى الزراعة والاشغال اليدوية، كما أن الكتب التي طبعت خصيصا لتعليم الجزائريين - وهي موجودة طبعا - كان التركيز فيها على المسخ ومحو الذاتية العربية الإسلامية للجزائريين.

وفي عام 1899م أنشئت شهادة الدراسة الابتدائية، لكنه في هذا العام أيضا خفضت الاعتمادات المخصصة للتعليم بصفة عامة، تبعه في العشر سنوات الأولى من القرن العشرين تخفيض المستوى في البرنامج الدراسي، وكان ذلك عملا بالسياسة التي دعى إليها كل من الحاكم العام «جونار» ومن تبعه وحتى إن وجد من يلاحظ على المستوى الذي إنحط إليه التعليم مثل العميد "خانمير" فإنه عزل من منصبه.

وبالتالي فإنه بعد مضي تسعين سنة على وجود فرنسا بالجزائر لم تنشئ سوى 404 من المدارس كان يتردد عليها، 46927 من التلاميذ لكن الحرب العالمية الأولى وما نتج عنها من صراع وسع مدارك الجزائريين الذين كانوا قد أفادوا من واقع الحياة وأدركوا أنه من الواجب عليهم أن يفعلوا شيئا من أجل الجزائر وظهرت بوادر جد مشرفة

ومشجعة في الداخل هي تحركات إبن باديس(314) وإخوانه، وفي الخارج لا يهمل التاريخ تحركات أحمد مصالي الحاج وإخوانه في هذه المرحلة، ورغم مواجهة فرنسا لتذمر الجزائريين فإنه وعلى مدى عشر سنوات لم يلحق بالمدارس سوى ألفين من التلاميذ، وإذا كانت الإحصاءات التي تحتفظ بها الوثائق الرسمية هي أفصح دليل، فعلينا أن نقدمها وهي كما يلي من 1920 إلى 1944م (315).

عدد التلاميذ	سنة	عدد التلاميذ	سنة
93433	1935	42269	1920
102816	1936	43831	1921
106305	1937	48750	1922
111750	1938	51040	1923
114117	1939	54150	1924
117585	1940	54851	1925
115257	1941	57641	1926
108805	1942	60683	1927
110685	1943	60765	1928
	1944	62908	1929
		66637	1930
		71578	1931
		78094	1932
		85898	1933
		87458	1934

(314) عبد الحميد بن محمد بن مصطفى بن مكّي بن باديس الصنهاجي قيل يرجع نسبه إلى المعز مؤسس الدولة الصنهاجية التي حكمت القيروان، ولد في مدينة قسطنطينة يوم 5/12/1889 كان رحمه الله يمتاز بإرادة قوية وأهداف نبيلة منذ شبابه، درس اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي بتونس سافر إلى الحجاز ثم عاد منه بفكرة العمل من أجل إصلاح العقيدة، ومنذ عودته عام 1923 ظهر نشاطه الإصلاحية حيث قام بحملة ضد أصحاب الطرق الضالة مما عرضه للاغتيال الذي نجاهته 1927 ثم أسس جمعية العلماء التي صدر قانونها الأساس بتاريخ 4 ربيع 1356هـ/1937م وتوفي رحمه الله عليه بتاريخ يوم 5/5/1940 راجع معجم أعلام الجزائر لعادل نويهض ص 82 بيروت 1937م.

(315) من وثائق إدارة التعليم بالجزائر وقتها نشر لجنة تحرير المغرب العربي القاهرة.

هذا بعد مضي 117 سنة على الاستعمار الفرنسي للجزائر، بل يلاحظ كيف تراجع الرقم عام من 117585 عام 1940 إلى 110685 عام 1943 هذا في الوقت الذي بلغ عدد الفرنسيين في المدارس وعلى نفقة الشعب الجزائري وقتها 200000 خصص لهم من المدارس 1400 مدرسة، وللجزائريين 699 مدرسة كما صرف على الفرنسيين وعلى حساب الجزائريين 339.000.000 وعلى الجزائريين 88000000 بل من خلال ماورد في دليل الاحصاء الجزائري يستدل بالأرقام التالية على السياسة التي كانت تنهجها إدارة الاستعمار الفرنسي إزاء الشعب الجزائري فقد ورد فيه ما يلي :

مصرفات فعلية	مبالغ معتمدة	مصرفات عادية
150.453.473	153.367.176	(1) التعليم القومي
39.838.494	42.920.794	(2) للفرنسيين التعليم القومي ج
5.168.803	5.539.211	(3) التعليم الفني والمهني الابتدائي
180.000.000	24.262.774	(4) الإصلاحات
11.000.000	12.469.978	(5) الأمن العام؟
61.000.000	60.300.424	(6) الحرس الإداري الجمهوري
37.000.000	43.245.452	(7) البوليس؟
18.000.000	17.000.000	(8) التعليم القومي؟
	250.000	(9) التعليم المهني ج
	30.000.000	(10) إنشاء لثكنات للحرس المتحرك والدوريات

إجمالي المصروفات في الميزانية : 2.173.787.238

وهكذا فإن الاعتمادات التي خصصت لتعليم الجزائريين عام 1938م كانت تساوي ربع الاعتمادات التي خصصت لتعليم أبناء الفرنسيين، إذ أن الاعتمادات التي خصصت للجزائريين هي 43170797 أي ربع 4/1 الميزانية المخصصة لشؤون الارهاب والقمع "البوليس - الحرس الإداري الحرس الجمهوري الإصلاحات.

وإذا لاحظنا أن عدد التلاميذ الفرنسيين وكما بينا قبل هو ضعف عدد أقرانهم الجزائريين وجب أن نلفت النظر إلي أن الميزانية المخصصة للفرنسيين لم تكن ضعف ميزانية الجزائريين فحسب بل أربعة أضعافها(316).

وليس هذا فقط، بل دخل الفرنسيون في دوامة الاستهتار بالشعب الجزائري والافتراء عليه بإسم التخطيط، لإنشاء 20 فصلا على مدى 20 سنة، إبتداء من عام 1944 إلى 1961/12/21 كما ورد في تخطيطهم وقتها، ومعدل ما قدر للاستيعاب كل سنة من 20000 تلميذ 1945-46 إلي 40000 عام 1955-56 وحسب أرقام التخطيط أيضا يصل التقدير إلى 125 تلميذ، يدخلون المدارس عام 1965 هذا في الوقت الذي كان النمو الديمغرافي يتزايد بمعدل 300000 سنويا، وإذا افترض أن 3/2 هذا العدد سيظلون على قيد الحياة، فإن أكثر من 1500000 طفل سيحرمون من التعليم في عام 1965م وإمعانا في الافتراء خصص البرنامج لكل خمسين تلميذ فصلا، كما أن المخطط حدد لكل سنة ألف قسم في الوقت الذي لم تتجز الإدارة المشرفة على التعليم في بحر الخمس سنوات من 1945 إلى 1950 سوى 1467 فصل مدعية أن السبب في هذا النقص هو عدم توفر الأطر، ونقص المواد ثم الصعوبة المالية في الوقت الذي نجد الاعتمادات المخصصة للقمع البوليسي والإرهاب في تصاعد مستمر وبنظرة عابرة لميزانية 1948 مثلا يتضح لنا أن الاعتمادات المخصصة للبوليس بعيدا عن الحرس الإداري والحرس المتحرك قد إرتفعت إلى أكثر من نصف الاعتمادات المخصصة للتعليم الابتدائي والثانوي.

للتعليم الابتدائي والثانوي 298815000 وللأمن العام، البوليس وشؤون الاصلاحيات والسجون 167852000 ولسنا في حاجة إلى القول أن 75٪ من اعتمادات التعليم الابتدائي كانت توجه لفائدة الفرنسيين، بل إن الحالة المزرية التي إنتهى إليها التعليم الإبتدائي ليجسمها التقرير السنوي، الذي قدمه التفتيش الأكاديمي بالجزائر العاصمة للعام الدراسي 1945-1946م والذي يعتبر كل ما ورد فيه مؤيد لما سبق فقد ورد فيه عن الحالة المادية للمدارس مثلا:

فصول صغيرة خربة، وأماكن غير صالحة للسكن والأدوات الصحية، والرياضية

نادرة، ولا توجد مياه، وفي أغلب الأحيان فصول عارية بدون مقاعد، ويجلس التلاميذ على الأرض في بعض الأحيان، أما مكتب المدرس فقديم وفي حالة بالية أو خشبات ملفقة بمسامير.

وأما عن حالة التعليم وبرامجه "فصول متزاحمة أعمار متباينة جدا نقص في الأماكن، الدراسة نصف الوقت، ونتائجها هزيلة، ومثل هذا ورد في التقرير الذي ألقاه المدير العام للتربية الوطنية في الجزائر أمام الجمعية الوطنية في شهر ديسمبر 1948م أما عن المواد فلا تسأل وعن التناوب صباح مساء فحدث ولا حرج، وبالتالي يكفي أن تقول أنه بعد مضي 120 سنة على الاستعمار الفرنسي في الجزائر أي في عام 1950 كان بالجزائر 2068 مدرسة ابتدائية و8035 فصل يتردد عليها 110000 تلميذ وطالب فرنسي و177000 تلميذ وطالب جزائري، وإذا نحن قسمنا عدد التلاميذ الفرنسيين على عدد السكان وقتها تكون كنسبة للتعليم بينهم 11٪ لهم من الامكانيات والبرامج فوق ما يشتهون، مدارس وبنيات ممتازة، ومعلمون أكفاء بلغ عددهم 1950-1951م حوالي 10000 والفصل لا يزيد عدد التلاميذ فيه عن 20 وفي بعض الأحيان يصل إلى 30 تلميذ.

أما نسبة التعليم بين الجزائريين فهي قط له تتجاوز 2٪ لهم من المدارس وظروف التعليم ما سبق وصفه من المدير العام للتعليم أمام الجمعية العامة بالجزائر ومن مجموع المعلمين 111 وحتى هذا العدد الضئيل وخصوصا منهم معلمو العربية بخلت عليهم إدارة الاستعمار ولم تسمح بمساواتهم مع الفرنسيين رغم أنها أصدرت وعن طريق وزارة التعليم قرارا بتاريخ 1949/3/22 يقضي بتلك المساواة ثم نشرته في الجريدة الرسمية بتاريخ 1949/4/2م وإذا كان هذا للتمويه ودر الرماد في أعين الذين اتفقوا داخل الجمعية الجزائرية من مجموع النواب الجزائريين إلى درجة أن أصدرت الجمعية المذكورة قرارها بالإجماع، فإن شيئا من ذلك لم يتم ولم توافق عليه وزارة المالية، ومثلهم الموظفون الجزائريون، من سخرية القول. أن يردد المرء للتأريخ أن وضعية المعلم الجزائري كانت تعين وتحدد بواسطة ناظر المدرسة الفرنسي، فهو لم يعرف إطارا معيناً ولا وضعا قارا ضمنه القانون، فلا معنى للمعلمين، بل تلك كانت وضعية المساعدين الفنيين في الصحة العمومية وسيكريتيري المجالس المختلطة وغيرهم أو في مزارع الفرنسيين ومعالمتهم ولا

رحمة ولا شفقة، بل حقد وكراهية إلى درجة أن إدارة الاستعمار ومحاربة لروح التطوع التي خلقتها الحركة الوطنية وجميعه العلماء، وحتى لا تستعمل المساجد في تعليم الشعب أصدرت الإدارة الفرنسية بتاريخ 10/2/1949 قانونا تحت رقم 8122 س يمنع المدرسين بالمدارس الابتدائية العامة من التعليم في المساجد ذلكم هو واقع التعليم الابتدائي فماذا عن التعليم الثانوي والعالي.

التعليم الثانوي:

أما التعليم الثانوي والعالي الذي كان قاصرا على الفرنسيين بسبب ما سبق من ظروف التعليم الابتدائي الذي يؤهل إليه، فقد كان واقعه يدعو إلى السخرية من دولة "الحرية والاخاء والمساواة" ففرنسا التي مضى على وجودها بالجزائر عام 1950 مائة وعشرون عاما، لم تحقق للشعب الجزائري في مجال التعليم الثانوي بالنسبة لما حققته للمستعمرين ولا 1.5% ولعل الجدول التالي يكشف الواقع المزري الذي كان عليه، والجدول المشار إليه والذي ننشره فيما يلي هو الذي نشرته حكومة فرنسا في الجزائر:

سنة	طلبة جزائريون	طلبة فرنسيون	المجموع (317)
40-39	1358	16771	18129
41-40	1260	17274	18534
42-41	1342	17570	18912
43-42	1300	17303	18603
44-43	1209	16457	17666
49-48	2213	20170	22388
50-49	1734	20658	23392

هذا بالنسبة للتأنيوي وأما العالي فالذي يوضحه لنا هو ما عرفته البلاد مما أشرنا إليه، والذي هو الآخر نشرته الدوائر الرسمية وقد مضى على الاستعمار الفرنسي في الجزائر أكثر من مائة عام.

سنة	طلبة جزائريون	طلبة فرنسيون
40-39	89	1777
41-40	147	3626
42-41	148	3772
43-42	189	3287
44-43	269	3897
45-44	360	4618
46-45	227	4474
47-46	263	4305
48-47	282	4357
49-48	306	4280
50-49		

وهناك إحصائيات نشرتها شخصيات فرنسية تتعلق بالوضع الثقافي بالجزائر فمثلا الوظيفة العمومية في الولاية العامة بالجزائر عددهم 2000 موظف منهم من الجزائريين، 8 فقط، واما في الجامعة بالجزائر فإحصائيات عام 1953-1954 هي كما يلي:

	الجزائريون		أجانب	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث
الحقوق	176	3	1133	395
الأدب	157	8	511	594
العلوم	59	3	512	248
الطب	61	5	593	173
الصيدلة	27	3	124	184

أما نسبة الطلبة في التعليم العالي من مجموع السكان: وإحصاء طلبة الثانوي في الجزائر عام 1954.

في فرنسا طالب واحد لكل 300 مواطن مجموع الطلبة 23014.
 وفي الجزائر طالب واحد لكل 15342 مواطن وعدد الجزائريين 6260
 على أنه لا يفوتنا أن نلاحظ أن التعليم العالي إنما كان إسما فقط، ويعني به المعهد
 العالي للدراسات الإسلامية الذي لا تعادل شهادته حتى بالباكالوريا الفرنسية.
 وإذا علمنا أن ظروف الجزائريين في المرحلتين الإبتدائية والثانوية كما رأينا، ندرك
 أنه كان من المستحيل عليهم الوصول إلى اتعليم العالي، وحتى الذين وصلوه عام 1950
 وكان عددهم حوالي 30 طالبا تتهقروا بسبب ظروفهم المادية، هذا بالإضافة إلى أنهم
 كانوا لاحق لهم في المدارس الكبرى بفرنسا مثل سان سير، ومدرسة الهندسة، والمدرسة
 البحرية، ومدرسة المناجم وأما السماح الذي أعلن عنه 1941 بسبب ظروف الحرب فقد
 كان صوريا.

التعليم الفني والمهني والزراعي

أما التعليم الفني والمهني والزراعي فهو الآخر كانت إدارة الاستعمار تخلق له من
 ظروف التثبيط ما يتفق والسياسة الاستعمارية التي رسمتها، ذلك أنها كانت تهدف إلى
 استعمال اليد العاملة بأبخص ثمن والمتعلم فنيا، والذي يتقن مهنة ما يكلف بأحط
 الأعمال(318).

وأما عن التعليم الزراعي فإنه إذا كان الفرنسيون قد استولوا على 90٪ من
 الأراضي الصالحة للزراعة، فإن الجدول التالي يوضح لنا حظ الجزائريين من التعليم
 الزراعي.

(318) على من يريد التوسع في معرفة ما كان عليه مستوى التعليم من إنحطاط في عهد الاستعمار الفرنسي
 أن يرجع إلى دليل الإحصاء الجزائري حتى عام 1950 والتفتيش الأكاديمي في قسنطينة بتاريخ 1950/9/25 المطابق
 للقرار الوزيري 1949/3/22 خصوصا فيما يتعلق بمحاربة اللغة العربية التي وضعوا مكانها في المدارس ما يسمى
 "ديالكال" أي اللهجة الجزائرية الشعبية.

المجموع	جزائري	فرنسي	المدارس	السنة
102	3	99	المعهد الزراعي	49-48
180	30	153	المدرسة الزراعية الاقليمية	
37	28	9	المركز التدريبي الزراعي	
124	9	115	مدارس التدبير الزراعي	
446	70	376	المجموع	
74	0	74	المدرسة الإهلية الزراعية	50-49
75	3	72	مدرسة بن العباس الإقليمية	
129	26	103	مركز الزراعة فليقل عين تموشنت	
54	43	11	المركز التدريبي الزراعي	
124	5	116	مدارس التدبير الزراعي	
453	76	376	المجموع	

بعد هذه الجولة في ماضي التعليم بالجزائر لست في حاجة إلى الكلام عن واقع اللغة العربية والثقافة العربية وما عرفه الشعب الجزائري من معاناة في سبيل المحافظة عليهما، خصوصا وقد علمنا أنه صدر من التشريع الفرنسي ما حرّمها ضمن برامج التعليم وأمام هذا الوضع يمكن لدارس التاريخ أن يقدر عظمة الشعب الجزائري التي تمثلت في الفئة المناضلة التي تعرفنا عليها بزعامة عبد الحميد بن باديس، والتي مكنت لعروبتها تحت ظل الحراب وقوة الحديد والنار التي قط ما رفعت يدها التي ظلت تهوي بالسياط بلا رحمة ولا شفقة، الأمر الذي كان يكلف الجزائري المحروم أن يتحمل الآلام بالهجرة بحثا وراء العلم والتمكن من العلوم والثقافة العربية، على أن الهجرة لم يكن لها ولظروفها المادية أن تستوعب كل شباب الجزائر المتطلع إلى العلوم والثقافة العربية، بل واجمالا ظروفه التي عملت فرنسا على وضعه فيها وما كانت عليه من تجهيل ومحاربة لكل المقومات ، الأمر الذي كان له أقبح العواقب، حيث عرف الشباب الجزائري الظلم والحرمان والقهر والتشرد والإضطهاد، وتلك كانت عوامل تكوينه سياسيا وثوريا فكان على المناضلين أن يعملوا لإنقاذه، وبالتالي إنقاذ الوطن.

لقد كانت مرحلة الأربعينات والخمسينات حيث كانت جمعية العلماء المسلمين بزعامة الشيخ عبد الحميد بن باديس وقد تعرفنا عليها بما فيه الكفاية، ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية بزعامة مصالي الحاج التي نتجت عن حركة نجم شمال إفريقيا التي تأسست عام 1925 وحلت عام 1937 وعن طريق هذه الحركات الوطنية الإصلاحية أمكن للشباب الجزائري أن يتفتح وأن يفكر له في تنظيم المنظمات الرياضية لرفع المستوى الخلقي، وتنظيم الجمعيات الثقافية، وإذا هي اعتمدت فقط على الإمكانيات المحدودة التي كان الشعب هو مصدرها، إلى جانب اعتمادات الشعب نفسه في تعليم أبنائه بإنشاء المدارس الحرة التي أشرفت على تأسيسها جمعية العلماء في مجموع التراب الجزائري والتي رغم أنه لم يكن لها من سند غير المحسنين الملتزمين من أبناء الشعب فقد لقيت هي الأخرى من عنق الفرنسيين ووصلفهم وطغيان ظلمهم وتآمرهم من أجل زوالها، الكثير الكثير مما لم يقو على مقاومته غير كرام العاملين من رجال جمعية العلماء(319) يتقدمهم المرحوم عبد الحميد باديس، وخلفاؤه الكرام يتقدمهم المرحوم الشيخ البشير الإبراهيمي وغيره من الذين تعرفنا عليهم قبل، ولعل تلك المحن هي التي كونت من الشعب الجزائري المسلم العربي خير مثال للجهاد والتضحية في سبيل التمكين لذاتيته الإسلامية العربية والمحافظة على هويته التي لم يزلها الظلم والطغيان وحكم الحديد والنار إلا قوة وتمكينا كما سنرى بعد، بل وتلك من العوامل التي حالت بينه وبين زعامة ما بعد الاستقلال التي سبى عليها أمثال "هوارى بومدين ومن بعده والتي اعتمدت الفجور ثم إنساقبت بتهور ورأء ما قالت عنه الاشتراكية في الجزائر والفرانكفونية، في المغرب.

وخلاصة القول أن ما حققته فرنسا للشعب الجزائري بعد حكم 135 سنة هو أنها كونت من حاملي الشهادة العليا 150 ومن الأطباء 80 ومن الصيدليين 40 وطب الأسنان 20 ثم 120 أستاذا في الثانوي و5 مهندسين و800 معلم ابتدائي، وفي هذا ما يكفي للدلالة على بصمات الاجرام الفرنسي في الجزائر.

(319) راجع صحافة الجزائر ثم مجلة الغرب القدسية ص 4 بتاريخ 12 محرم 1352م أبريل 1933 ثم ص 3 من نفس المجلة بتاريخ 27 حجة 1351 وفيه النص على مرسوم يمنع الفقهاء من التدريس في المساجد.

تونس:

في تونس كما في الجزائر مع الفارق في الوضع الذي وجدت عليه تونس شكلا والذي قيل عنه الحماية نفس الأهداف التي كانت إدارة الحماية ترمي إليها وهي تحويل المجتمع التونسي والدفع به إلى غياهب الجهل والإهمال ومن تعلم يصبح فرنسيا إن هو وجد الطريق إلى الفرنسية ولهذا خطت فرنسا من أول وهلة، حيث عملت بقوة الحديد والنار للتجهيل ونشر الأمية بين أفراد البادية، وإن كانت قد أسست مدارس للناشئة جردتها من اللغة العربية، هذا في الوقت الذي كان الشعب التونسي وقت فرض الحماية عليه يتمتع بمستوى يحترم، كونته مجموعة المدارس العتيقة والزوايا، والكتاتيب القرآنية التي كان رجالها يستمدون أسس تكوينهم من أول جامعة أسست في مغربنا الكبير بعد القيروان هي جامع الزيتونة (320) 114هـ 732م الأمر الذي دفع الشعب التونسي إلى الثورة على نوع التعليم الذي أرادت سياسة الفرنسية نشره حين كونت إدارة المعارف الفرنسية عام 1883م ومع ذلك استمرت سياسة الفرنسية في تعنتها وتلونها الأمر الذي دفع مجموعة التونسيين الأحرار من أبناء المدرسة الصادقية التي كان بها من الطلبة عام 1948م حوالي 710 طالب والتي كان برنامجها منذ عهد قديم شبه متطور يتلقى الطلبة فيها دراستهم الثانوية باللغتين العربية والفرنسية وتؤهلهم للحصول على شهادتها وشهادة البكالوريا الفرنسية، وكان يصرف على المدرسة الصادقية من الأوقاف الخاصة بها، وقد كان لها دور مهم في نشر الثقافة، بحيث كونت مجموعة محترمة من المثقفين كانوا بعدهم وإخوانهم من الزيتونيين حملة لواء الوطنية والجهاد فكريا ضد الاستعمار الفرنسي، وهم الذين سيرغمون إدارة الحماية إلى جانب إخوانهم من أبناء الزيتونة، يتقدم الجميع الزعيم الخالد الذكر عبد العزيز الثعالبي رحمه الله.

وإذا علمنا أن الوعي السياسي في تونس كان أقوى مبكرا منه في كلا القطرين الجزائري والمغربي حتى إن ثورة التونسيين من أجل الحصول على استقلال بلادهم كانت عام 1919 وهي السنة التي قامت فيها الثورة المصرية بعد الحرب التي شارك فيها

(320) صدر مرسوم بتحويل جامع الزيتونة إلى جامعة عام 1933م.

التونسيون إلى جانب الحلفاء بـ 65000 قتل وجرح منهم 45000 كما قدم التونسيون للمصانع الحربية في فرنسا حوالي 30000 إلخ كما سنرى بعد.

وبالتالي توجد إحصائية⁽³²¹⁾ تؤكد أن التعليم العربي كان منتشرًا في تونس بواسطة الكتاتيب التي كان عددها في القطر التونسي وقت فرض الحماية حوالي 1250 كتاب للتعليم وحفظ القرآن الكريم بها من التلاميذ ما يقرب من 23000 وبالعاصمة وحدها عام 1889م من الكتاتيب 110 بها 1600 تلميذ، وحتى زمن طغيان الفرنسيين وسياستهم الرعناء، بقيت تلك الكتاتيب تقوم بدورها المهم في تعليم الشعب، حتى إذا ما تأسست إدارة المعارف الفرنسية بتونس عام 1883 ضمت هذه الكتاتيب القرآنية بمكيدة لإدارتها حيث وضعتها تحت إشراف مدارس الرهبان، ومدارس الإسرائيليين، بل عملت على إخضاعها لمفهوم القانون الفرنسي الخاص بتنظيم مدارس الرهبان الصادر عام 1850 وقانون 30 أكتوبر 1886م وبمقتضى هذه القوانين جردتها من اللغة العربية وبذلك عملت على دفع المواطنين المتعطشين لتعليم أبنائهم. وإلى عدم تركهم للجهل، ومع ذلك لم يقبلوا على المدارس بحيث أثبتت الإحصائيات كذلك أنه سنة 1883م كان عدد الذين يدرسون في المدارس الفرنسية 150 تلميذاً وفي 1889م كان عددهم فقط 1765 تلميذاً، مما يدل على إقبال الشعب على التعليم الفرنسي، حتى إذا ما قدمت إدارة الحماية الفرنسية أنواعاً من الإغراءات لمن يتعلم الفرنسية ويجتاز المرحلة الابتدائية بالحصول على الشهادة، وتتمثل تلك الإغراءات في الإعفاء من الخدمة العسكرية، والحصول على وظيفة لمن له إلمام بالفرنسية، وبذلك بلغ عدد التلاميذ الذين انضموا إلى المدارس الفرنسية ذكورا وإناثا حتى عام 1932 حوالي 29195 تلميذاً هذا في الوقت الذي كان تعداد الشعب التونسي وقتها حوالي ثلاثة ملايين 3000000 منهم 130000 طلياني 70000 فرنسي و120000 يهودي و12000 أجنبي من جنسيات مختلفة، ومع ذلك بقي مشكل اللغة العربية مطروحا بشدة وبشكل جاد فيه صدام من حين لآخر، خصوصا وأن إدارة الحماية ميزت مراكز التعليم الخاص بالتونسيين بأماكن ضيقة وغير صالحة لأنها لم تكن متوفرة على الشروط

(321) راجع مجلة طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا، نشر أعمال المؤتمر الثاني لطلبة شمال إفريقيا

الصحية إلى جانب التحقير من قيمة المعلمين بتلك المراكز، والذين كان عددهم حتى السنة المذكورة قد بلغ 245 في حين أن عدد المعلمين بمدارس الحكومة كان 1326 وعدد المدارس غير الحكومية 199 بنسبة معلم لكل 165. تلميذ في التعليم الأصلي، و47 تلميذ في التعليم الحكومي، ومرتب المعلم بالتعليم الأصلي مع مختلف التعويضات حوالي 17200 فرنك سنويا، في حين أن للمعلم الفرنسي مرتبا سنويا قدره 31500 أي ضعف ما لزميله التونسي الغريب في وطنه، وحتى إذا ما تقدم بنا الزمن ولم تقم إدارة الحماية بغير ما يمكنها من تدمير الذاتية التونسية مما دفع إلى قيام حركة مقاومة عنيفة في سبيل التمكين للغة العربية التي بقيت مادة إختيارية في امتحان الشهادة الإبتدائية حتى عام 1946م وإن كانت إدارة الحماية قد أنشأت عام 1936 مقابل المطالب التي شدد عليها الشعب التونسي- وضع مدير المعارف وقتها "م جو" مشروعا للتعليم البدوي" برنامجا زراعيا بسيطا وقصيرا لمدة ثلاثة سنوات يتعلم فيه التلاميذ مبادئ اللغتين الفرنسية والعربية، والأساس هو التعليم الزراعي حتى يكونوا صالحين لأن يصبحوا عمالا مزارعين، لكن هذا البرنامج ألغى بعد مقاومة الشعب له مقاومة عنيفة، وإذا ما تقدم بنا الزمن بعد الحرب نجد الإدارة الفرنسية رغم ما حل بها من كوارث، وما عرفه الشعب التونسي من تطور بقي التعليم الأصلي في حالة مزرية، الأمر الذي دفع إلى تكوين المواطنين وتعليمهم بواسطة التعليم الحر الذي أقبل عليه الشعب راغبا في فتح المدارس الحرة القرآنية، والتي بعد نصف قرن مضى على الحماية لم يسمح بغير فتح اثني عشر مدرسة، وهذا العدد الذي كان حتى عام 1929م والتي كان عدد التلاميذ بها لا يزيد على 2646 ولم يسمح بفتح المدارس الحرة التي ارتفع عددها إلى أكثر من الأربعين عام 1948 إلا بعد عام 1936م في عهد حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا، والتي أصبحت تلك المدارس في التاريخ المشار إليه تضم 14261 تلميذا، كما بقيت الكتابيب القرآنية التي كانت تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ اللغة العربية، وكان عددها 1800 بها حوالي 36000 تلميذ، ولولا هذه المقاومة من الشعب التونسي لضاعت فيه اللغة العربية ولكان انتشار الأمية أكثر مما عرف، ورغم جهود الثانوية الصادقية فإن التعليم الثانوي في تونس لم يكن له من المدارس إلا ما يضم حوالي 1213 بما فيهم 710 في الصادقية،

ولعل الإحصاءات التالية هي التي تعطينا صورة واضحة على مدى الجناية التي ارتكبتها الاستعمار الفرنسي في تونس باسم الحماية التي دامت خمسا وسبعين سنة كلها ظلم ونكال وهدم للذاتية التونسية التي للأسف لم يعد لها في عهد الاستقلال اعتبارها، لأن بورقيبة، وهو رجل يعاني من مركب ثقيل تبين أنه مرهق في شكل جديد ذلك أنه حقق كغيره ما كان قد قرره لويس ماسينيون فيما كتبه عن افريقيا الشمالية، أو افريقيا ما عدا مصر في كتاب "طريق الإسلام" الذي كتبه بالمشاركة مع "جب" وآخرين.

وهكذا فقد كان عدد الأطفال التونسيين البالغين سن المدرسة حتى عام 1948 حوالي 700000 طفل لم يدخل المدارس منهم سوى 74000 منهم 60000 بالمدارس الحكومية و 14261 بالمدارس الحرة، في حين أن عدد الأطفال من الفرنسيين وغيرهم من الأجانب الذين بلغوا سن التعليم وقتها في تونس عموما لا يتجاوز 78750 كان يتلقى التعليم منهم 55474 وبذلك تكون نسبة التعليم كالتالي :

العرب التونسيون 10٪ / الفرنسيون 85٪.

هذا ولو أننا تناولنا الاعتمادات التي كانت مخصصة لهؤلاء وهؤلاء وكلها على حساب الشعب التونسي لظهر لنا بالتأكيد أن مهمة الفرنسيين كانت في هذا البلد مثل بقية المغربين الأوسط والأقصى هي نشر الجهل بالقوة وحد السيف.



تربية أبناء المغاربة في عهد الحماية
والاستعمار



تربية أبناء المستعمرين والترفيه عنهم على حساب أبناء المغاربة وأموالهم



ظروف تعليم أبناء المغاربة وحرمانهم

الفصل السابع والستون بحث الماتتين التعليم الحر والتخطيط لمقاومة الاستعمار في المغرب

لقد عرف شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي رحمة الله عليه كيف يخطط مبكرا لمقاومة مخطط الاستعمار فكريا والمقاومة المسلحة بعد لا تزال على أشدها في جنوب المغرب تافيلالت والأطلس المتوسط وشماله، الريف وما حولها من أرض اجباله، خصوصا عند ما تبين أن سياسة فرنسا التعليمية بالنسبة للبادية في المغرب أصبحت تعتمد على ما خطه الظهير البربري (20 شوال 1332هـ - 1914/9/11) حتى إنه وقع التأكيد على حذف اللغة العربية أصلا، واستعمال الفرنسية والشرح بالبربرية، ولذلك كانت الغاية أولا من إنشاء المدارس الحرة 1926 هو تنشيط الفكر الوطني أولا، وثانيا بعد ظهور إصلاح برنامج التعليم بالقرويين والذي وضعه شيخ الإسلام نفسه 1930 هو تزويد القرويين بالطلبة بعد إعدادهم فكريا وعلميا حتى تكون منهم الأطر الصالحة لتحقيق فكرة التعليم الحر بعدما تقرر حذف الابتدائي من منهج الدراسة بالقرويين حسب النظام الجديد، ولما اشتد الصراع مع الفرنسيين تطورت الفكرة واقتنع الجميع بوجهة نظر شيخ الإسلام وأنه لا أمل في العمل السياسي ضد الاستعمار الفرنسي الذي خطط للتمكين بدل فكرة الحماية وما ورد بشأنها في المعاهدة المفروضة، وكان في طليعة الذين اقتنعوا بالفكرة محمد الخامس الذي كان من باكورة أعماله في هذا المجال إنشاء المدرسة المولوية 1941 ثم المدرسة الحسنية بزقاق الحجر من مدينة فاس عام 1942 وقد أكد العاهل رحمه الله على تلك القناعة في الخطاب الذي ألقاه بجامعة القرويين بتاريخ 25 جمادى 2 عام 1362هـ/1943م. لكن ما هو الواقع الذي انتهى إليه المغرب مما دفع بالشيخ الإمام إلى أن يفكر في اعتماد الشعب على نفسه في تعليم أبنائه ونشر الوعي بين طبقاته.

أشرنا قبل إلى أن الغاية من وضع برامج التعليم التي وضعها الفرنسيون من بعض جوانبها في أقطار المغرب العربي كانت تهدف إلى فرنسة البربر من جهة وتجهيل غيرهم من العرب من جهة أخرى، واتفق بل تضامن دهاقنة الاستعمار على ذلك، سواء منهم رجال الكنيسة أو السياسيين أو العسكريين، ووراء الجميع بنك بيبي با والأراضي المنخفضة، وفعلا فإنه ثبت من الدراسات المعاصرة أنه بواسطة التعليم يمكن تحقيق أهداف المسخ والتحويل بعد التشويه الذي يتفق وأهداف الاستعمار، وإذا ما أصبح بيد الفرنسيين وبطريقة الغدر والظلم والاعتداء كل وسائل التخطيط والتسيير والتجهيز والتنفيذ، فإنهم رسموا الخطة كما أرادوا، ومن أجل ذلك قسموا التعليم في المغرب الأقصى إلى ما يلي بالترتيب أوروبي - إسرائيلي - إسلامي - وبربري.

جاء في كتاب المغرب الأقصى للمرحوم المهدي بن بركة ما يلي(322): كتب كوليز عام 1930م يقول عند إمضاء عقد الحماية وجدنا أنفسنا أمام حالة واقعية، وجدنا أمانا بفاس جامعة القرويين التي زودت دول الإسلام الأفريقية طول عشر قرون بقيادة الفكر والتي لا يزال فيها سبعمائة طالب مغربي يتخصصون في القضاء والعدالة، كما وجدنا أيضا في الحواضر والبادي عددا كبيرا من الكتاتيب القرآنية يمدّها السلطان والأوقاف أو مطلق الناس بما تحتاج إليه.

نعم وجدنا أنفسنا أمام مجموعة زاهرة بديعة من المدارس كبرى وصغرى، تعمل تحت ظلال الأحياء الحضرية أو تحت خيام المداشر(323).

وهكذا كان المغرب مجهزا بنظام للتعليم خاص ينشر الثقافة العربية الوطنية، ويضمن تكوين الموظفين الضروريين لإدارة البلاد، ولم يكن هذا التعليم الواسع الانتشار يتطلب سوى مجهود قليل لتجديده، كما كانت الإدارة المغربية نفسها لا تحتاج إلا إلى تحويل يجعلها مطابقة لمواقع العصر، لكن سياسة الحماية التي كانت مصممة على الجناية قصدا تجلت في ميدان التعليم الذي هو الآخر خططت لحربه والقضاء على الثقافة الوطنية بشكل جد قاس وعنيف، فقد عملت على تنظيم التعليم بطريقة تمكنها من

(322) ط العربية بالقاهرة 1951 ص 142 كثير منهم استغل هذا الكتاب نون أن يذكر ولو إسم الكتاب ذلك لأن المؤلف لم يضع عليه اسمه، وإنما اكتفى باسم الحزب الذي كان وقتها إلى جانب العاهل في معركة حامية ضد الفرنسيين وأعرف حقيقة الكتاب لأنني أشرفت على الطبعة العربية منه في القاهرة.
(323) كوليز في كتابه حمايتنا ص 268.258 .

تكوين الموظفين الفرنسيين في الميدانين الإداري والفني إلى جانب أعوان مغاربة ثانويين، بل نفس النهج الذي سلكته في تصنيف المحاكم.

استصدرت إدارة الحماية ظهيرا خاصا بتعليم المغاربة بتاريخ 13 ربيع 2 عام 1334هـ/1916/2/28م وبمقتضاه تأسست كل من المدرسة الثانوية الإسلامية بفاس، ومدرسة مولاي يوسف بالرباط، وثانوية مراكش، بل وبه تأسست الهيئة العليا للتعليم برئاسة الصدر، ووقتها كانت حركة شيخ الإسلام بفاس القرويين قد تمكنت مما دفع إلي أن يقبل منه التعليم تطوعا بالثانوية الادريسية كما سبق والتي تعرفنا على النشاط الوطني للرعيّل الأول من أبنائها، ولما كان له من نشاط في ميدان التعليم الحر اضطرت إدارة الحماية كذلك أن تستصدر ظهيرا خاصا بتاريخ 8 قعدة 1338هـ/1920/7/26، وكان المؤسس لإدارة التعليم العمومي للفرنسيين بتاريخ 8 قعدة 1338هـ/1920/7/26، وكان المغربي لا يلتحق بالمدرسة الأوروبية، وإذا ما حصل إستثناء يكون بتصريح رسمي من حاكم المنطقة.

وهكذا فبمقتضى تلك الظواهر وظهير 5/8/1914 قبلها، وضعت إدارة التعليم تحت إشراف موظف فرنسي تابع للإقامة العامة. وهو المرجع في كل ما يتعلق بالمدارس التي أسستها إدارة الحماية. وقد كان له من التوجيهات السياسية التي طبقت في ميدان التعليم بهذه المدارس، أن اللغة الفرنسية هي اللغة الوحيدة في الثقافة والتعليم، وسنرى أكثر المدارس التي أطلق عليها المدارس الفرنسية البربرية في بعض المراكز بالبادية كان يحظر فيها تلقين اللغة العربية طبقا لمبادئ السياسة البربرية في ميدان التعليم حسب عبارات م كودفرواد منيين في أطروحة لنيل الدكتوراه حول عمل فرنسا في المغرب في ميدان التعليم (324)، بل أكثر من ذلك وكما يقول نفس الكاتب أن إدارة الحماية، وضعت التعليم البربري تحت إشراف الشؤون السياسية الداخلية التي أبعدت منها اللغة العربية، وحتى القرآن الكريم بصفة نهائية، الأمر الذي تنبّهت له مطالب الكتلة الوطنية عام 1934م. وأمام هذا التخطيط الجهنمي ضد تعليم الشعب المغربي وتشويه ثقافته لم يكن أمام شيخ الإسلام غير دعوة النخبة الواعية من الشباب أهل الرعيّل الأول المشار إليهم

(324) كودفروا في أطروحة سبتمبر 1928.

قبل، والذين تكونوا وقتها، للعمل على فتح مدارس حرة ولو في نطاق محدود يعلمون فيها إخوانهم، واندفع لذلك وبحماس طلبة جامعة القرويين التي كانت قد انتهت إلى مستوى مزري بحيث أصبح التعليم فيها قاصرا بين الطلبة على حفظ المتون، أو على مواد يقضي الطالب في تعليمها العمر مع الشارح والمحشي ولا طائل، وكلها لا تخرج عن الفقهيات "خليل والرسالة، والعقائد" جواهر السنوسي" ونحو ألفيه مالك بعد القطر والاجرومية" وحساب العمليات الأربع، وتاريخ بسرد بعض الوقائع وأسماء الخلفاء والآداب بحفظ بعض القصائد والتعرف على بعض التراجم، وكل ذلك بلا برنامج ولا منهاج، ولا التزام، وإنما برغبة من الطالب وعمل من بعض العلماء منهم المتطوع ومنهم من يعمل حسب وصية المحبسين وإشراف الأوقاف، الأمر الذي دفع شيخ الإسلام بعدما أصبح عام 1928 الرئيس المسؤول بالمجلس الأعلى للاستيناف ومن حقه أن يقترح على السلطان ما يراه صالحا، ومن أجل ذلك قام بحملة منظمة كان قبل قد اختار لها الدروس التي كان يلقيها في فاس القرويين مرتين في الأسبوع من 1915 إلى 1928 ومنذ عام 1928 بالجامع الأعظم من مدينة سلا مرتين في الأسبوع، الأحد والأربعاء وسرعان ما أعطت الحملات من النتائج ما عجل بالدعوة إلى تجديد المنهاج الدراسي بالقرويين عام 1930.

وهكذا وجدت أفكار الشيخ الإمام أذانا صاغية. وعقولا واعية مما خلق نوعا من المقاومة اضطرت معه إدارة الحماية للرضوخ وإعطاء بعض الحق للتعليم الإسلامي بالقرويين، خصوصا بعدما تقدم العاهل الشاب محمد الخامس صفوف النضال فأصبحت القرويين المعقل والمعهد المنتج للمناضلين، وإن كان مع الأسف حين إختيار لإدارتها، 1942 شخص وطني غيور سبق أن تعلم في فرنسا وهو محمد الفاسي الذي لقي مناوأة من بعضهم ولو لم يكن بجانبه كل من م أحمد الشببيهي والحاج العربي لحريشي وأحمد بن شقرون لكانت صعوباته أشق إذا الأولين كلاهما من خيرة علماء المغرب السلفيين ساهما في تطورها بما يتفق وروح العصر فيما يرجع إلى الثقافة والعلوم الإسلامية العربية خصوصا وأن العاهل العظيم محمد الخامس وحوله الطبقة الواعية من الشعب والعلماء والوطنيين كانوا وراء هذه الرغبة، ومستعدين لتشجيعها بكل الوسائل،

وقد عبر عن ذلك في الخطاب الذي ألقاه بالقرويين عام 1943 (325) لكن للأسف أن إدارتها بإشراف المدير المذكور لم تكن في المستوى علميا بقدر ما كانت سياسيا، وربما كان ذلك هو المطلوب وقتها رفع مستوى الوعي السياسي لخوض المعركة التي ظهر أن العاهل يعد لها زمن الحرب وبعد ظهور وعد الحلفاء 1943 ومشاركة المغرب العربي الفعالة في معركة الديمقراطية ضد النازية، وحتى إذا ما ظهرت فكرة المطالبة بالاستقلال وهي من وحي العاهل محمد الخامس وتوجيه شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، وقتها بدأ عهد تكوين حزب الاستقلال وقد أصبحت جامعة القرويين المكان الوحيد واللائق لتكوين الأطر الوطنية، ووقتها أدخلها المدير المذكور مضطرا في هذه الدوامة التي ابتلعت العلوم والمعارف ثم تركت الزبد يطفو على السطح، بل إنشغل الطلبة والعلماء فيها إلا قليل جدا منهم كانوا يتعاملون سرا مع إدارة الحماية (326) وآخرين بين مؤيد للمدير ورافض، إلى درجة أن الصراع إحتد بين الوطنيين فانقسموا على أنفسهم هذا استقلالي وهذا قومي، فكان كل من "عبد الكبير بن المهدي الفاسي وأحمد لحو" يتبادلان البصاق والسباب بمدخل الجامع أمام باب الشماعين كما عشنا وبذلك بقيت القرويين على ما كانت عليه ثقافيا، وإن كانت قد أنتجت سياسيا وفي مختلف جهات المغرب بفضل صمود وثبات البدويين من أبنائها الذين تفرقوا في البلاد بعد ما عرفوا التعذيب والسجون والمنافي يناير 1944 وهم الذين تجندوا لفكرة التعليم الحر الذي دعى إليه شيخ الإسلام وتبناه العاهل بقوة وعزيمة وثبات سيعطى أجمل الثمار وأحلاها بعد عام 1946 أكثر، أي وقت أن أسند منصب المقيم إلى إريك لابون الذي غض الطرف.

كان النهج الذي سلكته إدارة الحماية وهي تتحول بتخطيط حاقد إلى استعمار، في تصنيف المحاكم، هو نفس النهج الذي سلكته في تخطيطها للتعليم، وكما أشرنا قسمته إلى: أوروبي، وإسرائيلي، وإسلامي، وبربري، وكذا من حيث الموضوع إلى علمي ومهني، ولست في جاحة إلي القيام بعرض مفصل لواقع المغرب العلمي منذ أقدم العصور وما عرفه من تقدم في هذا الميدان، ذلك أننا أشرنا إلى بعض ذلك في مقدمة هذا الفصل،

(325) راجع رسالة المغرب السنة 1 عدد 11 ص 1 - 5 بتاريخ 1943/8/5.

(326) بن سوادة والتقى العلوي التازناقتي.

وبنظرة خاطفة لحضارتنا الضاربة في القدم، وفي مختلف مرافق الحياة من عمران وصناعات وإجتماع وزراعة منذ الفتح الإسلامي بالأخص إلى أن حلت بأرضنا كارثة فرض الحماية، تكفي للدلالة على ما كان للمغرب من مكانة سجلها التاريخ وتعرف عليها كل الذين درسوا تاريخ المغرب والأندلس، وتعرفوا كذلك على ما كانت عليه فرنسا وقتها من تخلف وانحطاط علمي واجتماعي إلى درجة الهمجية، وما عهد الفرنكة ولوجولوا والتوتون ببعيد ولذلك سوف أقتصر على ما قامت به الإدارة الفرنسية من ظلم وجناية في مجال التعليم أيضا بإسم الحماية، الشيء الذي تظهر معه عظمة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي وكيف أمكنه أن يحول التيار ويحطم كل ما بناه دهاقنة الاستعمار.

أشرنا قبل إلى أنه عند ما تسلطت فرنسا على المغرب وجدت به في كل حي وفي كل قرية أو مدينة كتابا لحفظ القرآن وفقهه معلم في أغلب الجوامع، يدرس ما يتفق وحياة من حوله من فقه معاملات وعبادات للعموم، ونحو وصرف وأدب وتوجيه إجتماعي وفقه للخواص، وربما لا نجد جامعا من الجوامع الكبيرة في المدن من غير أن تكون به خزانة كتب، وأوقاف للتعليم، وبنظرة خاطفة لما خصصته إدارة الحماية للتعليم من الميزانية العامة وما بقي لنا منها نعرف الوضع الذي كان عليه المغرب وقت ظهور فكرة التعليم الحر باجتهاد شيخ الإسلام.

فعندما فرضت الحماية كذلك كان عدد المغاربة تقديرا وحسب معطيات ما ظهر بعد يقدر بأكثر من أربعة ملايين ونصف، وحسب الإحصاء المزعوم 1931/3/8 حيث قيل إن عدد المغاربة بلغ وكما سبق 4595511 (327) بينهم فرنسيون وأجانب 171615 وكان عدد اليهود المغاربة 117603 كما قيل.

وإذا كان المسلمون المغاربة هم الأكثرية الساحقة، وهم أهل البلاد، وأصحاب الحق الأولين الذين يبلغ عددهم بعد ما يسقط عدد الفرنسيين والأجانب الأوروبيين يكون 4423896 فإن ما خصصته إدارة الحماية كميزانية للتعليم الإسلامي عام 1930 كان هو 14863389 للمغاربة المسلمين في حين أن ما خصصته للفرنسيين الأجانب بلغ 43265820، ومثله

(327) يظهر أن هذا زعم باطل لأن المقاومة المسلحة كانت وقتها قوية في جهات متعددة من المغرب تافيلالت وأيت احديبو، وأيت عطا، ولخصاص وأيت باعمران إلخ فكيف أمكن الإحصاء وقتها.

للإسرائيليين، وفي عام 1931 خصص للتعليم الأوروبي 53976150. وللتعليم الإسلامي 17951577 في حين أن موارد الميزانية أصلا من الشعب المغربي المسلم وإمكاناته، وحتى نتبين ما قامت به فرنسا من جناية باسم الحماية أيضا، لابد لنا من الإدلاء بالأرقام من خلال الوثائق المعاصرة وقتها، وما عرفه كل من الأصناف الثلاثة في مجال التسيير والتجهيز، فمثلا:

التعليم الأوروبي الإبتدائي :

أنشأت له الإدارة مركزا لتكوين المعلمين عام 1928م وفي عام 1932 بلغ عدد المدارس الخاصة بأبناء الفرنسيين والأوروبيين 104 بها من الأقسام 454 قسما ولها من المعلمين والمدرسين 475 معلم ومعلمة ومن التلاميذ 17035 الذكور منهم 8754 والإناث 8281 عدد الفرنسيين منهم 9739 والاسبانيين 2138 وعدد الإيطاليين 117 هذا بالإضافة إلى المدارس الاعدادية وعددها خمس بها 120 من الذكور و279 من الإناث متفرقة في جهات مختلفة (328) بالإضافة إلى مدرسة التعليم الفني بالرباط والبيضاء، وكان عدد التلاميذ بها وقتها 101. ومدرستا التدبير المنزلي بالرباط والبيضاء، وكان عدد التلاميذ بهما 111 كلهن إناث ثم المعهد التجاري والصناعي بالبيضاء الذي كان يهيئ للمدارس الصناعية العليا بفرنسا وعدد التلاميذ فيه 377. كما أن إدارة الحماية أعطت لأبناء الفرنسيين عام 1928 منحا بلغت 360 مجموع ما صرف فيها من الأموال 400066 كما قدمت إعانة لطلاب المعهد التجاري الصناعي المشار إليه بالرباط.

التعليم الإسرائيلي (329).

ويلحق بهؤلاء رسميا تعليم الإسرائيليين الذين كان لهم من المدارس 42 بها من الأقسام 215 قسما ومن المدرسين والمدرسات 213 ومن التلاميذ 8460 منهم من الإناث 4844 ومن الذكور 1316 ولهم من المدارس الصناعية مدرستان في الرباط فيها 166 تلميذا ومدرسة بطنجة بها 155 تلميذا هذا بالإضافة إلى قيام الاتحاد العالمي الإسرائيلي بالإشراف على 32 مدرسة إسرائيلية بالمغرب ومدته للكثير من الطلبة الإسرائيليين بالمنح والإعانات للدراسة في مختلف الدول كما أسست "جمعية الإليائيس" العديد من المدارس

(328) راجع إحصائية مندوبية المعارف لنفس التاريخ

(329) ارتفعت بعد إلى 24 كان منها في الرباط 5 وفي البيضاء 4 وفي فاس 3 وفي مراكش 2 وفي وجدة 2

في مختلف المدن المغربية بكل حرية بلغ عدد الدارسين فيها حوالي 35000 مع أن عددهم وكما بينا قبل 117603 من الأنفس(330).

التعليم الإسلامي:

وأما التعليم الإسلامي العربي الذي يعني الشعب المغربي، فإنه لم يترك حتى كما وصفناه، وعلى ما كان عليه قبل فرض الحماية، بل ضيق عليه وأهمل إلى درجة أن إدارة الحماية لم تؤسس غير قليل من المدارس الابتدائية في المدن الكبيرة، مثل الرباط والبيضاء، وفاس، ومراكش، وطنجة كل ما كان بها من التلاميذ حتى عام 1932م 10500 تلميذ ضمنها 3500 تلميذة، وأكثر من هذا حتى في المدارس المذكورة، وعلى قلتها حارب الفرنسيون فيها اللغة العربية والدين، ولولا وجود المدارس العتيقة، وتمسك الشعب في حواضره بتعليمه الأصلي، لكان لانتشار الأمية والقضاء على اللغة العربية بصفة أشد مما حصل مدة الحماية، ذلك أن إدارة الحماية إنما نشطت في إنشاء المدارس الصناعية التي يتعلم فيها المغاربة مختلف الصناعات التقليدية. كنوع من الترفيه على الفرنسيين أولاً، ولتكوين الأطر الصالحة لخدمة المعمرين الذين إلى جانب المدارس الصناعية كانت هناك مدارس زراعية في البادية، وكلها جميعاً كان التعليم فيها باللغة الفرنسية ومن أجل سد حاجيات الجالية الفرنسية.

وبالتالي فالتعليم الإسلامي منذ 1914 كان الذي خطط له هو اليوطي والذي صاغه بما يرضي أساليب الاستعمار الفرنسي هو هاردي.

التعليم البربري:

أما التعليم البربري وقد أشرنا إليه قبل ولا نهمله في هذا العرض، فقد كان له من المدارس أكثر من 26 مدرسة أسست لعدد من الذين قيل إن قبائل العرف إنتظمتهم، وقد بلغ عدد الذين أضافهم الفرنسيون إلى البربر وحسب الإحصاء السابق 607410 نسمة، والحروف التي كانت مستعملة في تدريس اللهجة البربرية هي الحروف اللاتينية كما

(330) أفتتحت الرابطة الإسرائيلية أول مدرسة لليهود بالمغرب في مدينة تطوان عام 1872م كان التعليم فيها بالفرنسية ما عدا 5 ساعات في الأسبوع بالعبرية، راجع المغرب والاستعمار ص 362 ط عام 1985.

أشرنا، على أنه رغم كل الوسائل التي استعملها الفرنسيون كإغراء لمن يقبل علي تنشيط تلك اللهجة التي كان الفرنسيون يقصدون منها التفريق، فإنهم لم يحققوا لها بين المغاربة قليل ولا كثير من الإقبال، بل كانت أعمالهم رغم ما بذلوا من جهد موضع سخرية كما هم اليوم أولئك الذين خلفوا الاستعمار في هذه المهمة واتخذوا لهم منهاج "بول مارتي" المكشوف.

وبعد ماذا عن تعليم البنات في المدارس الإسلامية العربية، لقد كان للفتاة قديما حظها من التعليم والتربية الإسلامية، لكنه تضاعف، وفي عهد الحماية إنعدم بسبب البرنامج البعيد كل البعد عن التمكين للذاتية المغربية والخلق الإسلامي، والبرنامج الذي كان مطبقا في تلك المدارس وفي مجموع التراب الوطني وحتى عام 1932 لم يكن بالمدارس من البنات، وفي الأقسام الخاصة بتعليم القرآن، والتي بها معلمات نحو الثلاثة آلاف وخمسمائة 3500، ولكم طالب فريق من المغاربة الذين تكونوا في مدرسة شيخ الإسلام السلفية، دون أن يلتفت لمطالبهم المؤيدة بالشعب بإحداث برنامج لتعليم البنات تدبير الشؤون المنزلية إلى جانب الدروس الدينية وحفظ القرآن العظيم، فلم يستجب لمطالبهم، بل قوبلت بالتنفير والدعاية المغرضة حتى يبقى نصف المجتمع مشلولاً، وقد رسمت ذلك البرنامج بقرار من الصدر بتاريخ 1934/11/5 ثم بظهير 12/11/ أدخلت فيه بعض المواد العربية.

وأمام هذا التخطيط المبيت، والتدبير الماكر لسحق ومحو الذاتية المغربية بصفة عامة وفي مجال التعليم كذلك، لم يكن في الميدان من يقاوم التيار الجارف وأمواجه الهوج، غير تلك الطبقة الواعية من الوطنيين السلفيين الذين عرفوا التجربة وعاشوا الصراع ضد الفرنسيين منذ عهد بعيد، وجلهم من الرعيل الأول المشار إليه قبل من أبناء الثانوية الإدريسية وجامعة القرويين ثم جامعة ابن يوسف بمراكش التي كانت قد أثمرت في هذه المرحلة، ونحن في العقد الرابع من القرن العشرين فكانت الكتلة الوطنية ومطالبها، ولسوف يكون رائد الجميع في هذه المعركة هو شيخ الإسلام الذي تمكن من إقناع الجميع وفي المقدمة محمد الخامس بوجوب الإلتجاء إلى التعليم الحر، واعتماد المواطنين على تضامنهم وتضحياتهم من أجل تعليم أبنائهم وبناتهم، لأن الأيام تمر،

والنمو الديمغرافي لا يتوقف، وما حظ من قدر الأمم والشعوب وأذلها شيء مثل الجهل، وما سمى بها شيء أكثر من العلم كما كان شيخ الإسلام يردد.

لقد تزعم الصفوف من أجل تحقيق ذلك الهدف جلالة العاهل محمد الخامس الذي أخذ يعمل جاهدا من أجل إنشاء المدارس الحرة التي كان قد تأسس منها في مدينة فاس عدد من المدارس ومنها انتقلت الفكرة إلى مدينة مراكش، ثم البيضاء والرباط خصوصا وإن مدرسة رحبة القيس التي كان يديرها الوطني الصادق بوشتي الجامعي قد اثمرت، وبذلك تطورت الفكرة حتى بلغ تعداد المدارس الحرة حوالي 150 مدرسة ما بين 1926-1953 وما بين 1926-1930 كان عددها حوالي 10 مدارس انضم إليها حوالي 2000 تلميذ، لكن سرعان ما قام الخونة ضدها بتوجيه من الفرنسيين يتقدمهم المجرم الجاني عبد الحي الكايتاني الذي إنلف حوله جماعة من الخونة طلبوا من إدارة الحماية مقاومتها لكن الزمان والتيار لم يكونا في اتجاه الخونة والاستعمار رغم المقاومة العنيفة والتوجيه المكروه من إدارة الحماية التي أصدرت ظهيرا وقعه المقري يعارض إصلاح أساليب التعليم، وكان بتاريخ 11/9/1937 يلزم المدارس الحرة التي أخذت تنتشر بقوة تسابير قوة الدعوة إلى السلفية، وقد نص الظهير في فصله الأول على أن يقتصر في التعليم بالمدارس الحرة على المواد التالية : أ - تعليم القرآن واللغة العربية والكتابة بها.

ب - تعليم مبادئ النحو والفقهاء الإسلامي.

ج - تلاوة الكتب الدينية في المحفوظات الموجودة في نفس الكتب.

د - الأخلاق والواجبات نحو العائلة.

وبهذا التشريع منع حتى الحساب الذي كان مقررا في برنامج المدارس التقليدية الأكثر تأخرا كما نص الظهير على إقفال كل مدرسة يخبر المفتش بأنها تعلم مواد أخرى غير المواد المنصوص عليها في القانون وكان المفتش الذي عين لهذه المهمة هو العميل بن العميل عبد السلام الفاسي ولد عبد الله الفاسي المعروف بماضيه المريب قبيل فرض الحماية عبد السلام هذا هو الذي سيقوم بدور أخس وأحق من الذي قام به أبوه وإخوته كما عرفنا من أثر تقاريره المؤذية بعد من عام 1947 إلى 1951 - 1953م إذ هو الذي أنشأ بيعة ابن عرفة.

لقد كان رد الفعل ضد ما جاء به الظهير الذي استصدرته إدارة الحماية بواسطة الصدر المغربي هو إنشاء المدارس الحرة في كل مكان، كما تحمس المشرفون عليها ثم قرروا تعليم مواد الحساب والجغرافية، بل والطبيعية وغيرها من المواد أدب وتاريخ، ولذلك كانت الحملة التي تجندت لها الإدارة الفرنسية ثم جندت لها العملاء ضد التعليم الحر ومدارسه في عموم المغرب من فجيح إلى مراكش كما سنرى.

كانت الخطة محكمة حين فكر شيخ الإسلام في إصلاح التعليم بجامعة القرويين التي أصبح فيها بدلا من مطلق إلى محدد بإثني عشر سنة "12" ابتدائي ومدته 3 سنوات وثانوي ومدته 6 سنوات وعالي ومدته 3 سنوات، يحصل بعدها الفائز على شهادة العالمية، وإذا كانت قبل تخرج القضاة والعدول، فإنها في عهد الإصلاح وأيام النهضة أصبحت تخرج الأطر الوطنية الصالحة للتعليم الحر، وبذلك أمكن للفكرة أن تنمو وتتطور، ثم تتم بطريقة جد مفيدة لأنها بعد عام 1944م مزجت التعليم بالسياسة الوطنية ضد الحماية التي تدريجا أخذت تتحول إلى استعمار ومضايقة حقيرة ومقيدة لكل اتجاه وطني.

وإذا ما تقدم بنا الزمن قليلا بعد الحرب العالمية الثانية، والتي كان من المنتظر أن يحصل المغرب بعدها على إستقلال حسب وعود الحلفاء، بل وأن تعتبر فرنسا بما حل بها وما عرفه شعبها من ركل بأحذية الألمان، وما قدمه المغاربة ملكا وشعبا إلى جانب الحلفاء عموما، وفرنسا في محنتها القاسية، فإنها على العكس من ذلك، فقد بقى التعليم الأوروبي مخصصا للفرنسيين والأوروبيين والإسرائيليين ما عدا المسلمين في المغرب ولم يقع التخفيف من الشروط الخاصة لقبول التلاميذ المغاربة إلا في أوائل سنة 1946م إثر إجتماع لجنة التعليم في شهر يولييه من نفس السنة، إذ في هذه السنة كان قد عين مقيما بالمغرب هو إيريك لابون الذي أحدث بعض الانفراج الموهوم، لكن التيار الذي تضامن من أجل توجيه الشعب خلف العاهل الرائد الذي أقبل على المعركة من أجل تحقيق الأهداف بالمعرفة، كان قويا وعنيفا لم تستطع مواجهته الإدارة الفرنسية بكل وسائلها وما جندته من عملاء.

وفي شهر ديسمبر عام 1949 بلغ عدد المدارس الابتدائية الأوروبية 198 مدرسة بينها 18 تحضيرية للأطفال أعطت من النتائج ما يلي : بحيث كان بها من التلاميذ 39704

نجح منهم في إمتحان يونيه 1949 لشهادة الدروس الإبتدائية 1169 وفي دروتي يونيه وأكتوبر من نفس السنة نجح في إمتحان الدخول إلى السادسة "اللسيهات" والمدارس الثانوية 1474 تلميذ.

أما المدارس الثانوية التي تهىء للباكلوريا بقسميها الأول والثاني فقد كان عددها وقتها خمسة عشر، وتضم عددا من التلاميذ تبلغ نسبتهم 25٪ من مجموع تلاميذ التعليم الأوروبي 12202 من بين مجموع يبلغ 51905 تلميذ كانوا بتاريخ نوفمبر 1948م وقد كان حظ المغاربة في هذه المدارس عام 1950 فقط 3801 من بين 6112 تلميذ في المجموع منهم 1867 مسلم و1939 إسرائيليا(331).

وليس هذا في المجال العلمي فحسب، بل حتى في مجال التكوين المهني كان نفس الفرق والتحقير من شأن المسلمين المغاربة حيث كان يراد به تكوين عمال إختصاصيين، وأما المغاربة فلهم مدارس صناعية، وأخرى فلاحية لتكوين العمال الذين يكونون في خدمة المعمرين الفرنسيين، بل ولم يكن في أية ثانوية إسلامية، قسم مهني مماثل لتلك التي كانت ملحقة بثانويات التعليم الأوروبي.

كانت هذه سياسة الاستعمار الفرنسية في المغرب بإسم إدارة الحماية إزاء تعليم المغاربة. والتي وضعت بطريقة عنصرية مقيتة، ففي الوقت الذي كانت الميزانية أساسا تقوم علي الموارد الجبائية التي مصدرها الشعب المغربي كنا نجد إدارة الحماية تضع لكل نوع من التعليم الأوروبي، والمغربي الإسلامي من بعد التخطيط الخاص ميزانية خاصة كذلك، وهذا مثال لما خصص لتعليم الفرنسيين ولتعليم المغاربة عن المدة المتراوحة ما بين 1934-1938 يستدل منه على دناءة وخبث بل وسقوط الفرنسيين وما آلت إليه سياستهم في هذا البلد(332) مع العلم أن مصدر الميزانية هم المغاربة.

(331) لقد عاش الإسرائيليون في المغرب دوما آمنين ولهم أكثر من حقوقهم، بل في عهد الاستقلال وفي عام 1964-1965 وكان وزير التعليم يوسف بن العباس التعارجي الذي أرسل لدراسة الطب خارج المغرب 31 طالبا منهم 27 إسرائيليا أصبحوا أطر إسرائيل مباشرة، وفي السنة التالية تولاهم محمد بن هيمة فكان عدد المهندسين 59 منهم 29 منهم جنسيات مختلفة. مما يدل على سوء التخطيط..

(332) المصدر منشورات لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة.

التعليم الإسلامي	التعليم الأوروبي	السنة
19.310.950	56.572.136	1933
18.006.390	56.928.350	1935
15.280.390	48.943.690	1936
17.996.230	54.340.000	1937
21.185.670	55.916.680	1938

وإذا نحن عرفنا قبل أن الإشراف حتى على التعليم الإسلامي كان للفرنسيين بمقتضى ظهير 1914/8/5 وما تلاه من الظهائر المشار إليها قبل، ندرك أن الأرقام المشار إليها لم تكن خالصة للتعليم الإسلامي، بل كان للموظفين الفرنسيين التصرف المطلق فيها، وحتى ما أطلق عليه مندوب الصدر في التعليم، والذي أحدث فقط عام 1947م عندما تمكنت فكرة إنشاء المدارس الحرة، إختيار له بعد شخص عديم التكوين أولا هو العربي العلوي وهو عميل فرنسي اكتشف أمره في مدينة سطات أيام باشوية عبد الحفيظ بن الحبيب عا 1953م وقد كان فقط خليفة محافظ مدينة مراكش ثم بعده حل مكانه خائن عميل أكثر هو عبد السلام بن عبد الله الفاسي الذي كانت استشارته مفيدة لإدارة الحماية حول المواد التي كانت تدرس في مدارس ومعاهد التعليم الإسلامي بالنسبة لبرنامج التعليم الفرنسي الذي وضعت الإدارة الفرنسية ولا رأي للفكر الوطني فيها كذلك، ولذلك لم تكن للشعب المغربي أية فائدة من التعليم الأوروبي، هذا بالإضافة إلى أن التعليم الذي كان خاصا بالمغاربة وحسب تخطيط إدارة الحماية كان يتجه إتجاهها مضادا للروح الوطنية فقد رأينا أن غدر السياسة الفرنسية وكما عبر عنها أيضا أحد الفرنسيين وهو دفرودومنين" في أطروحته المشار إليها ص 119-121 حول عمل فرنسا في ميدان التعليم سبتمبر 1928م إذ قال حول التعليم البربري "وتوجه هذه المدارس البربرية إتجاهها فرنسيا، لذلك وقع إقصاء اللغة العربية والقرآن إقصاء كلياً منها... إن اللغة الفرنسية - لا اللغة البربرية هي التي يجب أن تسد مسد اللغة العربية كلغة متداولة وكلغة حضارة(333) بالجملة فإن واقع التعليم تدنس إلى درجة أن من التحق بمدارس الحماية زمن الحرب العالمية الثانية ما بين عام 1939-45 هو 25706 من مجموع الأطفال

(333) المرجع كتاب المغرب الأقصى للمرحوم المهدي بن بركة ص 150مصر 1951م.

الذين هم في سن الدراسة وهو 1.300.000 أي بمعدل 2/.

هذا هو الوضع الذي كانت عليه سياسة التعليم الفرنسية التي سيطرت بقوة الحديد والنار على كل شيء في المغرب، وفي الوقت الذي ظهرت فيه دعوة شيخ الإسلام الإصلاحية للنهوض بالتعليم، الذي بحق أمكنه أن يجمع الشمل ويوحد الصفوف ويشمر الساعد لمقاومة الاستعمار، وإذا كان الواجب يحتم على الراعي الذي هو العاهل محمد الخامس أن يطمح إلى تعليم شعبه، وأن لا يرضى ببقائه يتكاثر للجهل وسوء المصير فكريا، فإنه كذلك تجند وبفضل تأثير شيخ الإسلام الذي استأنف نشاطه السياسي في ذلك الاتجاه بقوة وفعالية إثر عودته من المنفى بقصر السوق الذي قضى به أكثر من سنتين، وأدرك الجميع وقتها أن ما يمكن تحقيقه بواسطة التعليم، لا يمكن تحقيقه بدونه، خصوصا وأن الشعب تحديا للإدارة الفرنسية أقبل على إنشاء المدارس الحرة في جهات مختلفة من البلاد وجلبها كان الذي دشنها إلى جانب بعض أنجال العاهل الأمراء هو شيخ الإسلام الذي دشّن المدرسة الحسنية بفاس في 14 ج 2 عام 1362هـ = يونيو 1943 بإدارة م الطيب بن أحمد العلوي، المعلم بالقصر الملكي بفاس والمدرسة العبدلوية بالبيضاء شعبان 1362هـ = غشت 1943 بإدارة محمد بن عبد الله العلوي والمدرسة الحسنية بمراكش بتاريخ 6 ربيع 2 عام 1364هـ = 31/10/1945.

والمدرسة المحمدية الحسنية بالرباط 24 قعدة 1364هـ/1945.

ومدرسة النهضة الإسلامية بمكناس 4 ذي الحجة عام 1364هـ = 10/11/1945 بإدارة مصطفى أحمد بن الحبيب العلوي ثم مدرسة أمير الأطلس بأزرو 1945 بإدارة محمد بن الحسين العلوي.

ومدرسة عين اللوح 1946 ومدرستي النهضة والحسنية بفجيج الأولى بتاريخ 14 رجب 1365هـ 1946 والثانية بتاريخ 14 شوال 10 سبتمبر من نفس السنة ومدارس وجدة وأحفير وبركان وغيرها من المدارس إلى سوس كما سنرى بعد من خلال حملة الفرنسيين العاتية من أجل القضاء على روح المقاومة السياسية باضطهادهم للمديرين والمعلمين بتلك المدارس من فجيج إلى أجادير والكلميم(334).

وهكذا بعد إنتشار المدارس الحرة في عموم البلاد حيث انتشر معها الوعي الوطني وحتى يتحقق للتعليم المنهج الذي يليق اقترح العاهل عام 1946 تكوين لجنة لإصلاح التعليم، وحتى يخرج المسؤولين الفرنسيين اقترح تكوينها من أساتذة فرنسيين جامعيين مستشرقين، وإداريين وممثلين عن النقابات الجامعية ومثقفين مغاربة. وأن ما يصدر عنها يعتبر كميثاق يلتزم به الجميع، لكن إدارة الحماية الفرنسية إمتنعت، الأمر الذي دفع العاهل إلى أن يتقدم إليها بالمبادئ التالية، وكانت كذلك من وضع شيخ الإسلام طالبا أن تعتبر كأساس تقوم عليها برامج التعليم وهي :

- (1) التعليم الإبتدائي يكون إجباريا لجميع المغاربة ذكورا وإناثا
- (2) اللغة العربية هي الأساس للتعليم في المغرب واللغة الفرنسية تعتبر ثانوية
- (3) مجانية التعليم في المدارس الرسمية.
- (4) توحيد برامج التعليم الإبتدائي في جميع مدارس المغرب
- (5) حرية التعليم في جميع مراحل مع تقييد ذلك بنظام خاص يسن فيما بعد
- (6) حرية إنخراط المغاربة في جميع مؤسسات التعليم بالمغرب.

لكن إدارة الحماية التي أخذت تتحول إلى استعمار فرنسي كما عرفنا لم تلتفت إلى هذه المطالب واعتبرتها تحديا، خصوصا وأنها جذدت العملاء لتعرف من وراء هذه المطالب فكانت تقارير عبد السلام الفاسي الدليل على أن العاهل اتخذ له شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي حتى في منفاه المستشار المفضل لا في مجال التعليم فحسب، بل حتى في المجال السياسي، حتى إنه ربط بين العاهل وحزب الاستقلال بطريقة قال عنها في أحد التقارير "أفسدت على مندوبية التعليم جميع برامجها بحيث لا تعلم بافتتاح مدرسة أو تدشينها سواء من طرف السلطان أو الأمراء، إلا في آخر مرحلة، وأن الذي يشرف على ذلك ويجرى الاتصالات بين السلطان والمؤسيس هو الفقيه سيدي محمد بن العربي العلوي(335) الأمر الذي أزم الوضع بالنسبة للتعليم الذي لم يقبل الفرنسيون بالنسبة له أي نقاش، وبذلك تجرد شيخ الإسلام وبطريقة جد حامية

(335) يوجد التقرير في خزانة الأستاذ عبد الله الجرابي ونسخة منه ضمن وثائق خزانة عبد الكريم الفيلاي بالخزانة الملكية، أو مديرية الوثائق.

لتنشيط فكرة التعليم ودفع المواطنين للإقبال عليه ببناء المدارس التي انتشرت من فجيج شرقا ووعدة وبركان وأحفير إلى مراكش وأجادير وإكلميم غربا خصوصا وحسب الوضع والتوجيه والاشراف الفرنسي الذي عرفه مجال التعليم، أبان أنه لم تكن منه فائدة ولا يرجى منه أمل للمغاربة، ذلك أننا إذا علمنا أنه في عام 1948-1949 لم يكن عدد تلاميذ المدارس الثانوية الإسلامية سوى 1.15٪ من مجموع التعليم الإسلامي، وإذا كانت المؤسسات الثانوية المخصصة للمغاربة تنقسم إلى ما يلي:

خمس مؤسسات للذكور، وإثنان للإناث لم تكن تتجاوز في سنة 1949-1950 مستوى الفصل الثالث، باستثناء مدرسة مولاي يوسف بالرباط، والمدرسة الثانوية الإدريسية بفاس اللتان تؤديان إلى القسم الأول للباكالوريا، وطبعا يرجع هذا العقم إلى الفساد المقصود الذي وضع فيه التعليم الإسلامي، وعدم كفاية المعلمين، والوسائل المالية الضئيلة المخصصة له، عكس ما عليه التعليم الأوروبي، ولعل الذي يدلنا على وضعية التعليم بالنسبة للشعب المغربي الذي لم يستفد منه إلا الأرهاق المادي دون جدوى هو الأمثلة التالية:

ذلك أنه قبل أن نتعرف على النتائج نتعرف كيف كانت توزع الاعتمادات بين مختلف أنواع التعليم بالنسبة إلى عدد تلاميذ كل عنصر من عناصر السكان وما معدل ما يصرف على كل تلميذ، وليكن عدد التلاميذ المسجلين في أكتوبر عام 1950م هو المقياس كما قدمته الميزانية العامة حسب الدراسة التي وضعها لتلك الميزانية المرجوم المهدي بن بركة(336) في التقرير الذي قدم أمام مجلس شورى الحكومة.

ففي التعليم الثانوي الأوروبي كان في العام المشار إليه 53759 تلميذ، وفي التعليم المهني 3441 والذي لم يكن من المغاربة حتى في هذا التعليم الذي هو المهني سوى 440 و3001 من الأوروبيين، وفي التعليم الابتدائي والثانوي الذي كان مخصصا للمغاربة عام 1950 هو 111506 من التلاميذ ويستثنى من هذه المقارنة كل من التعليم العالي والتعليم الإسرائيلي، فإذا اعتبرنا ما ذكر كان المصروف السنوي عن كل تلميذ هو مبلغ 31425 فرنك فيما يخص التعليم الابتدائي والثانوي الأوروبي مبلغ 107236 فرنك فيما يخص

التعليم الفني، وأما التعليم الابتدائي والثانوي الإسلامي، فقد كان المصروف على التلميذ فيه مبلغ 16790.

وإذا رجعنا إلى معدل المصروف السنوي لعام 1950 وجدنا أنه يبلغ فيما يخص كل تلميذ في التعليم الأوروبي 33000 فرنك والتعليم الفني 70000 فرنك، والتعليم الإسلامي 18000 فرنك (337) ومن خلال هذه البيانات ندرك الوضع الذي كان فيه التعليم الإسلامي العربي، والذي كانت نتائجه سلبية كما كانت النتائج بالنسبة للتعليم الفني كما يلي : عدد الناجحين في مختلف الشهادات الصناعية والفنية. وهذه نتائج التعليم الفني لعام 1950.

المسلمون	الاسرائيليون	الأوروبيين	نوع الشهادة
0	1	30	لبروفني الصناعي
15	2	70	البروفني التجاري قسم 1
0	1	17	البروفني التجاري قسم 2
16	28	279	الكفاءة الصناعية
0	0	5	البروفني المهني
0	0	10	الباكالوريا الفنية قسم 2
6	90	27	شهادة التعليم الصناعي

وطبعا هذه السياسة الرامية إلى التجهيل دفعت الشيخ الإمام محمد بن العربي العلوي إلى القيام بحملة وطنية قصد نشر التعليم الحر حتي يعتمد الشعب على نفسه في تعليم أبنائه، وقد رأينا ما بعد عام 1937 كيف أصبح كل عمل وطني مهما دق إلا ولا بد للعاهل فيه من مشاركة، وكان ذلك يتوجيه من شيخ الإسلام، والعاهل بعد لم يتجاوز سن الثامنة والثلاثين، وحتى يكون العرش في طليعة ركب النضال، بل وإذا أريد للبرنامج أن ينجح لا بد من إعماده على السلطان، واعتماد السلطان على الوطنيين الذين صمموا على

(337) المرجع تقرير عن ميزانية التعليم المقدم إلى مجلس شورى الحكومة الذي نصبه الجنرال جوان، راجع بعد فصل "الوطني الذي أشعل القتيل" ويعني به محمد الغزالي والتقرير قدم في نوفمبر وديسمبر 1950 وتوجد نسخة منه في خزانة المؤلف.

العمل الوطني لتوعية الشعب والدفع به إلى مقاومة الاستعمار بالمعرفة، وفعلا كانت أول مدرسة في عهد النهضة أسست في العهد الجديد أيام الحرب وبعد الزيادة في الثانوية الادريسية بفاس، هي المدرسة الحرة بزقاق الحجر والتي أطلق عليها شيخ الإسلام إسم المدرسة الحسنية كما إختار لها من يشرف عليها، وهو العالم الفاضل والوطني الغيور الطيب بن أحمد العلوي الذي كان معلمنا بالقصر الملكي بفاس، ثم أتبعته بعدة مدارس أنشئت في مدينة فاس نفسها وغيرها من مدن المغرب حتي بلغ عددها في عموم المغرب 1953 حوالي 150 مدرسة حرة كلها من تبرعات المحسنين وتجدد الجميع لفتح المدارس الحرة وتدشينها وأصبح ذلك هو الشغل الشاغل لشيخ الإسلام الذي دفع الدعاة في كل اتجاه من فجيح حيث مدرسة النهضة بزناقة والحسنية بالوادغيريين إلى أجادير وكلميم.

لكن إقبال المغاربة على هذا التعليم أجم حقد المستعمرين الفرنسيين، خصوصا وقد أصبح جامعا بين الجنسين كما أصبح وسيلة لنشر الوعي السياسي مما دفع بهم إلى محاولات فاجرة حيث اختطفت 1942 فتاة من أسرة كريمة بفاس. إختطفها مجرم عرف بـ "الضب" دفعه الفرنسيون اذلك حتى يعرقلوا نهضة التعليم فصمم محمد الخامس رحمه الله على أن يطوف بالمجرم بعد إعترافه بالدافعين له طوف به على مختلف مدن المغرب حيث كان المواطنون يبصقون علي وجهه أنى حل وارتحل، وكان هذا أقوى وسيلة لفضيحة الفرنسيين ودليل على ما صمم عليه المغاربة ملكا وشعبا ناهيك وأن الفرنسيين بالغوا في محاربتهم للتعليم الإسلامي بالمغرب حتى أنه لم يسمح للمغاربة المسلمين ولو بما كان للجالية الإسرائيلية في المغرب من مدارس حرة في طول البلاد وعرضا أكثر مما كان للمسلمين. بل إن الفرنسيين سمحوا لليهود باتخاذ مساجد المسلمين مدارس كما حصل في مدينتي مكناس والقنيطرة، بالإضافة إلى السماح لأبنائهم بالتعلم في مدارس التعليم الأوروبي، وحتى أكتوبر عام 1950 كان لهذه الجالية مجموعة من المدارس الحرة تابعة للرابطة الإسرائيلية تحتوي على 30269 تلميذ، وكانت تتقاضى من الميزانية المغربية العامة إعانة بلغت عام 1951 بالضبط 172156000 فرنك هذا في الوقت الذي لم يسمح للمغاربة بتأسيس المدارس الحرة إلا بعد التاريخ المشار إليه قبل كما سمحت لهم بدخول

المدارس الحكومية الفرنسية حتى تقلل من شأن المدارس الحرة ذلك أنه لما فتح الباب أثناء الحرب رغما عن إرادة الفرنسيين وأقبل المغاربة على تأسيس المدارس الحرة وإن كانت خاضعة لمراقبة الفرنسيين بإشراف المندوب المخزني وقد اختير للمهمة بعد كما أشرنا عبد السلام الفاسي جزاء ما قدم هو وأبوه للفرنسيين من خدمات إلى جانب العربي العلوي، ورغم ذلك بلغ عدد التلاميذ المغاربة الذين انضموا للمدارس الحرة وكما قرر ذلك المقيم العام غابريال بيو، وبنوع من التبجح والكراهية أن عددهم بلغ في عهده 25000 تلميذ(338) هذا العدد وما كان يضمه من المدارس التي ارتفع عددها عام 1950 لم يمنح إلا مساعدة قدرها 50000000 ولم يكن إلا بعدما تدخل العاهل وبصيغة فيها تدمر ثم رفعت عام 1951 إلى مبلغ 75.000.000 لكنها قط لم توزع بسبب ما عرفته هذه السنة والتي بعدها من الحوادث السياسية، والتي كان من عوامل عدم توزيعها في نظر الفرنسيين ومن خلال تقارير عبد السلام الفاسي التي حولت وبشدة نظرتهم إلى كثير من تلك المدارس نظرة عدائية وذلك بسبب ما ظهر فيها من نتائج تربوية وطنية بالدرجة الأولى، وثقافية وإن كانت محدودة،

بل وزيادة في الكبت والظلم والحرمان من إدارة الاستعمار الفرنسي في المغرب كان عدد المغاربة الذين يبلغون سن الدراسة يتكاثر للضيق، وعدد الفرنسيين لديهم الوفرة في المقاعد هذا والنفقات على حساب المغاربة ففي سنة 1951 بلغ عدد المغاربة الذين بلغوا سن المدرسة 14.7 سنة بالضبط 18.26.253 طفل، وكل الذي كان في المدارس هو عدد 114.407 طفل أي نسبة 7٪.

أما الأوروبيون فقد كان عدد البالغين الدراسة 61129 طفل كلهم كانوا يتوفرون على المقاعد مع الفائض للمنتظر وصولهم، أما الإسرائيليون فقد كان عدد التلاميذ منهم في المدارس هو 30269 وهو العدد الذي كان لهم من الأطفال وكان حظهم من الميزانية 17215600 فرنك.

وليس هذا فحسب بل كانت الاعتمادات للتعليم الإسلامي في تناقص فبعد أن كانت عام 1950 تبلغ 50000000 فرنك ثم زادت بتدخل متدمر من العاهل فارتفعت إلى 75000000

(338) راجع الجريدة الرسمية بتاريخ 1944/12/29م وهو طبعا عدد مبالغ فيه.

فرنك لكنها لم تصرف بسبب الحوادث السياسية وطفرة المدارس الحرة، عادت فتضاءلت إلى مبلغ 47000000 فرنك للتعليم الإسلامي الذي كان عدد التلاميذ فيه 1144074 واعتمد 56800000 للتعليم الأوربي البالغ عدد التلاميذ فيه 61129 بل وحتى التعليم الفني هو الآخر، خصص للمسلمين 174 تلميذ وللأوروبيين 300 تلميذ، ومن الاعتمادات 140000000 فرنك هذا في الوقت الذي يتحمل الشعب المغربي المسلم كل مصاريف إدارة الحماية وحده، إذ هو الذي يؤدي الضرائب وحسب ميزانية نفس السنة 1951 دفع 94٪ من الضرائب غير المباشرة، 95٪ من الترتيب الذي كان يؤدي منه الفلاح المغربي 24٪ أكثر من المعمر الفرنسي وبالتالي لا يقف الأمر عند هذا الحد، فرغم كل ما سبق، فإن إدارة الحماية لم تخصص للتعليم سوى 13٪ 1951 في حين خصصت للشرطة التي كان مجال عملها القمع المتوحش ضد الشعب المغربي المسلم 15٪ أي 44٪ من ميزانية التجهيز، الأمر الذي دفع بالمغاربة ملكا وشعبا إلى الإقبال على التعليم الحر كوسيلة للخروج من دائرة الجهل الذي يدفع بقوة وعنف عنيف إلى التخلف، ولما ظهرت نتائجه كما أشرنا شمردت إدارة الحماية على إضطهاده خصوصا وأن شيخ الإسلام وأطر حزب الاستقلال وكما سجل ذلك تاريخ تلك المرحلة كان قد جند كل جهوده وجهود الأحرار من المغاربة وقتها لتنشيط فكرة التعليم الحر والدعوة له بين المواطنين الذين أقبلوا عليه بشكل صير كل تلك المدارس عبارة عن مراكز لحزب الاستقلال الذي وجدها وسيلة لتقوية صفوفه والاتصال بأبَاء التلاميذ، وتنشيط الفكر السياسي بين مختلف طبقات الشعب، ناهيك وأن فكرة الانتصار لا انتشار مدارس التعليم الحر كان العاهل المحبوب جدا قد تجند لها وجند لها ولي عهده وشقيقته، وبذلك تحولت الفكرة بالإضافة إلى نشر التعليم وما يرافقه من وعي وطني إلى معركة سياسية حامية نشط فيها الشعب بتوجيه من الشيخ الإمام محمد بن العربي العلوي الذي دوما كان في المقدمة ثم قادها العاهل بحكم مسؤولية الرعاية، الأمر الذي دفع بالفرنسيين 1947 إلى تغيير مقيم مدني هو إيريك لابون، بأخر عسكري عنيف ومتبلد هو الجنرال جوان الذي سوف نتعرف عليه بعد والذي من أول وهلة أعلن أن برنامجه هو إعادة الأمور إلى نصابها، ومن ذلك الحد من نشاط العاهل " وإيقاف التظاهرات التي كانت تتخذ إفتتاح المدارس الحرة، بل والتي كانت تؤذي الفرنسيين

وتمس بشرف فرنسا كما عبر جوان وكما سنرى بعد من خلال الرسالة الملكية إلى فانسان أوريول احتجاجا على تصرفات الجنرال جوان الطائشة واشتدت المعارك التي تجرد لها العاهل كما سنرى منذ ما بعد معركة مجلس شورى الحكومة في ديسمبر 1950م تلك التي أشعل فتيلها محمد لغزاوي الصديق الشخصي لمحمد الخامس، وإذا كانت الإقامة العامة قد شممت الساعد وأعلنتها حربا على المدارس الحرة. فإنه على سبيل المثال نورد الوثيقة الثانية التي كان قد اختلسها التهامي المير الفجيجي من مكتب رئيس الدائرة الفرنسي بفجيج وهي واحدة من عشرات أمثالها في كل جهات المغرب لكن وطنية أهل فجيج عموما كانت لا تزال تتوفر على الشجاعة لكشف أساليب الاستعمار حتى ان بعض الوثائق الساسية التي وردت من فجيج أمكن أن يستعملها الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلا فريج في التقارير التي قدمت إلى الأمم المتحدة عام 1947م ومثله استعمل المرحوم المهدي بن بركة هذه الوثيقة الخاصة بمدرسة النهضة التي كانت الإدارة الفرنسية قد صادرتها والتي اختلسها التهامي بن المير وحملها إلى الرباط الوطني الغيور والمجاهد الصادق بوعلام التنوري الودغيري(339) بحيث جاء في تلك الوثيقة ما يلي :

"فجيج أغسطس 1951 دائرة فجيج رقم الإرسال 331 : الموضوع النفقة على مدرسة زناكة من رئيس دائرة فجيج إلى حضرة رئيس ناحية وجدة.

بناء على رسالة إدارة المعارف التي وجهتهم لي وبناء على ما طلبته شفويا من م كونيو مدير التعليم الأهلي "خلال زيارتي له في شهر يوليو الفارط، أنهى لعلمكم فيما يلي المبالغ الضرورية لأداء أجور الموظفين بمدرسة زناكة للسنة الدراسية المقبلة :

المدير 15000x12 = 180000 فرنك - 15 مدرسا 7500 = 1350000 فرنك ومن جهة أخرى فإن الاستحواذ على المدرسة يستوجب إقصاء المدير الحالي علال بن بوعزة وتعويضه بالسيد العربي دادي الذي هو مخلص لنا، وقد أقترح على صاحب السعادة الصدر الأعظم قبوله، إلا أن الصدر لم يجب بعد، ومن المظنون أنه لن يجيب، وفي هذه الحالة

(339) راجع كتاب المغرب الأقصى : قبل الحماية - عهد الحماية - إفلاس الحماية ط القاهرة دار الطباعة الحديثة عام 1951م وهو بتحقيق المؤلف ص 143 ولقد أشار عبد السلام الفاسي وكما أشار عليه رئيس الناحية برونال وتعرف الوطنيون في وجدة ثم صرحوا بذلك لإخوانهم وما تلاه بعضهم من معلومات حول التقارير المؤكدة على خطورة مدرسة النهضة بفجيج.

أ يكون من اللائق أن يتأخر هذا التعويض المقترح إلى ما لا نهاية له؟ ألا يكون من اللائق إنتهاز الإستعداد الذي تبديه اليوم الجماعة مالكة المدرسة دون أن ننتظر رجوعها مرة أخرى؟ إذ لا يبعد ذلك من جانبها في العاجل أو الآجل، ونظرا للبطء الذي يبديه المخزن، فإن إقصاء علال بن بوعزة يمكن إتخاذه بقرار في الجلسة التي سيتخذها الباشا الذي هو موافق على ذلك،(340) وبطلب من الجماعة مالكة المدرسة وهذا الإجراء يكون بمثابة موافقة على إقصاء علال بن بوعزة، لا على تعيين المدير الجديد الذي هو متوقف على موافقة الصدر أو نائبه، ورغم ذلك ينبغي الإستغناء على هذه الموافقة".

هذه هي قصة مدرسة النهضة المحمدية بزناكة التي أعتقل مديرها محمد أفرج ثم أبعده ومعه 8 من أساتذتها سجنوا واضطهدوا مع المؤسسين الذين هم صهره محمد بن أحمد رمضان ، والحاج هكو بوعريب، والحقاوي أحمد بن عبد الحق، وهذه المدرسة نفسها كانت من غراس شيخ الإسلام الذي أطلق عليها نفس الإسم الذي أطلقه على أختها بمدينة مكناس عام 1946م.

أما مدرسة قصر لمعيز التي كان يديرها محمد التاج فهي الأخرى أغلقت، كما سحبت الرخصة التي حصل عليها أهل قصر أولاد اسليمان وكذا المدرسة الحسنية بقصر الوادغيريين والتي هي من غراس المرحوم بوفلجة بن عبد الرحمن وتنشيط م أحمد والصغير وهي الأخرى عرفت من اضطهاد السلطة التضيق واللكال لكن لماذا هذا الاضطهاد الذي انتشر ضد المدارس الحرة من شرق البلاد إلى غربها، ذلك لأنه بعد إفلاس الحماية تبين أن فكرة الإقبال على التعليم الحر وإنشاء المدارس كانت الوسيلة التي جمعت الشمل ونشرت الوعي ووحدت الصفوف وكشفت عورات الفرنسيين وفضحت مقاصدهم، بل أضاعت السبيل أمام المغاربة خصوصا وأنه رغم أن الفرنسيين في هذه المرحلة فتحوا أبواب مدارسهم "التعليم الأوروبي" أمام فئة من المغاربة، فإن الأحرار بل الوطنيين في هذه المرحلة فضلوا أن يرسلوا أبناءهم إلى المدارس الحرة التي كان برنامجها الوطني في تطور مستمر، اتخذت كوسيلة لتكوين الآباء والأبناء والدفع بالجميع

(340) المقصود بالباشا هو الطبيب بن حدو ذو الأفعال الطيبة الذي كان ينوب عن والده طيب الذكر المرحوم ج محمد بن حدو رحمه الله والذي له أثر حسن بين المواطنين في جميع قصور فجيح التي عرفها منذ 1910 كمسؤول.

إلى محاربة الاستعمار الفرنسي، خصوصا بعد التجارب التي مر بها الشعب إثر حوادث سطيف وغالمة بالجزائر 8 ماي 1945، وزيارة العاهل لمدينة طنجة بعد حوادث الدار البيضاء 7 ابريل 1947 أو زيارة محمد الخامس لباريز أكتوبر 1950 ثم رجوعه خائبا، مما دفع إلى تحريك المجرم الغاوي التهامي الجلاوي وعبد الحي الكايتاني ومن لف لفهما، ثم أزمة مجلس شري الحكومة التي اشعلها محمد الغزاوي يوم 1950/12/12 وحوادث 25 فبراير 1951 واشتداد الأزمة ضد حزب الاستقلال الذي اعتبرت المدارس الحرة في ربوع المغرب كمراكز لتكوين أنصاره مما دفع بالفرنسيين 1951 إلى اضطهادها شموليا، وقد إعتمدوا على تقارير عبد السلام الفاسي التي ارتكز فيها على ظهير 1937/9/11 المشار إليه قبل والذي به رشح كمفتش للكتاتيب القرآنية أولا والمدارس الحرة ثانيا، وهو الظهير الذي حدد المواد التي يجب تعليمها في المدارس الحرة، وليس من بينها طبعاً ما أضيف من مواد وما أقدم عليه الوطنيون من تدريس لمواد الحساب والتاريخ والجغرافية والأدب فكانت الحملة القاسية ضد المدارس التالية بعنف عنيف وقسوة قاسية وهذا جدول بأسماء المدارس التي عرفت والمشرفون عليها من غطرسة الفرنسيين ما سجل التاريخ من المآسي التي جرها الفرنسيون على المغرب والمغاربة ملكا وشعبا.

(1) فجيح مدارس زناكة ولعبز وأولاد اسليمان: اضطهاد المدير والأساتذة

والمؤسسين

(2) بركنت(252) : نفي المدير والأساتذة

(3) بركان : نفي المدير عمرو الوكوتي إلى قرية الطاوس حيث كان بها قبل 1945

ويعتبر هذا الرجل من زعماء الوطنية في بني يزناتن وشرق المغرب.

(4) بوعرفة : نفي المدير وأستاذين

(5) إترز : اعتقال المدير

(6) أزرو نفي المدير وأعضاء الإدارة

(241) كانت هذه أول مدرسة في المنطقة، وكان الذي أسسها هو المرحوم أحمد والصغير الودغيري الفجيجي وولده مهاجر محمد العربي الودغيري الذي كان قد زاول تعلمه بالقرويين، ثم توجه إلى المنطقة متأثرا بجو النهضة التي بثها شيخ الإسلام وبروح والده م أحمد والصغير رحمه الله راجع المغرب الأقصى مصدر سابق 44-143.

- (7) بني ملال : نفي المدير وأعضاء الإدارة
 - (8) ابن الرشيد : اعتقال المدير
 - (9) تاليوين : إقفال 3 مدارس واعتقال المدير ونفي التلاميذ
 - (10) أكلميم : نفي المدير
 - (11) أجادير : نفي المدير
 - (12) تازة : إحتلال المكان وهدم المبنى.
 - (13) إعتقال مؤسس المدرسة
 - (14) اعتقال مدير المدرسة
 - (15) الرماني : اعتقال مدير المدرسة
 - (16) نفي المدير محمد المختار السوسي من مراكش
 - (17) عين اللوح أفرغت المدرسة بالقوة واعتقال المدير
 - (18) مكناس : نفي مدير مدرسة النهضة مصطفى بن أحمد والأساتذة الوديع محمد العربي الأسفي، ومحمد الدسولي .
- وكان المتعاون مع الإدارة الفرنسية هو شقيق المدير المسمى العربي بن أحمد الذي قدم لها أسماء بعض الأساتذة بتهمة العمل الوطني والانتماء لحزب الاستقلال حسب تقرير حزبي وقتها كتبه مسؤول الحزب بمكناس وهو ضمن وثائق خزانة عبد الكريم الفيلاي. بالخزانة الملكية.
- (19) فاس : إعتقال مدير المدرسة الحسنية الطيب بن أحمد العلوي والتكحيل به ضربا إلى درجة عزله في السجن الانفرادي بعين قادوس فاس.
 - (20) قسبة تادلة : إقفال المدرسة ونفي المدير والمؤسسين
 - (21) سيدي بنور : إعتقال مدير المدرسة
 - (22) اشتوكة : إقفال 3 مدارس اضطهاد ونفي المديرين والأساتذة والتلاميذ .
 - (23) وجدة: إقفال مدرستين واعتقال المديرين والأساتذة مصطفى المشرفي والحاج العربي الضيرير، ومهما، يكن، فإن ما أسداه التعليم الحر للمغرب من نشر الوعي والتعجيل بالتحريير والتكوين السريع للمناضلين ضد الاستعمار الفرنسي لا يعرف أثره

ويقدره إلا من عاش التاريخ السياسي لتلك المرحلة، وكيف تطور بسرعة مذهلة في المغرب العربي الكبير، خصوصا المغرب الأقصى والجزائر، وكيف أنه بحق كان العامل الذي كثف الضغط وفجر البركان ونظم الفداء بعد 1953 ولو أن بعضهم خصص فقط دراسته لهذا الجانب لجاء بالعجب العجاب، فقد بلغ عدد المدارس الحرة بالمغرب عام 1953 حوالي 150 مدرسة، كان بها من التلاميذ حوالي 40000 وكلها قامت على جهود المحسنين وإحسان الأحرار من الوطنيين بحيث كل مدرسة ظهرت في حي من الأحياء أو قرية من القرى أو مدينة من المدن إلا وكان لسكان الحي أو القرية أو المدينة حظهم من المساهمة في بناء تلك المدرسة، حتى إن سكان مدينة سلا ليذكرون بكل اعتزاز أنه لم يوجد ولا واحد من سكان المدينة كبيرا كان أم صغيرا غنيا أم فقيرا إلا وشارك في بناء مدرسة النهضة⁽³⁴²⁾ التي أسندت إدارتها إلى رجل طرقي هو بويكر القادري، الذي سطر عليها ثم باعها لإدارة الأملاك المخزنية وفيها ولده خالد بوزارة المالية الذي شاركه في خيانة الأمانة بعد وبفضل ما قام به من تحويل لفائدة الدخيل وغير الدخيل أصبح بعد ضمن الطبقة الجديدة من الأغنياء في الوقت الذي سجل التاريخ أن مومس وربة ماخور بمرس مكناس هي خيرابوجو كانت أكرم من أبي بكر القارئ وأحسن بل وأشرف حين تبرعت بالدار التي شيدت عليها وزارة الأوقاف مدرسة النهضة بمكناس عقبة على منون الحسني وتلك هي خيرا بوجو، التي من مكارمها كذلك أنها تبنت البناني وأحمد ولد الهاشمية الطباخة في ماخورها، ثم كونت منه رجلا أصبح وزيرا في عهد الاستقلال وكل كفايته لا تختلف عن مربى القردة. خير السنوسية هذه التي قدمت من غرب الجزائر كمومس مع طلائع جيوش الإحتلال رق قلبها وتعطفت على المغاربة ثم ساهمت بما ساهمت به من أجل تحقيق أهداف فكرة نشر التعليم بينهم، و"مجاهدهم القادري" شمر الساعد ليزيد من مصائب مديونية المغاربة واثقال كأهلهم في عهد الاستقلال بسطوره على

(242) وفي عهد الإستقلال كان الطرقي أبو بكر القادري من جملة الزمرة التي رسمت خيانة الأمانة في المغرب الإستقلال بحيث شاركه في الخيانة وزير التربية والتعليم وقتها والذي يجب أن يحاسب إذ الأول باع المدرسة التي شيدت بمجهود الشعب وعرق أبنائه، والثاني إدارة الاملاك المخزنية والتي اشترت منه ثم دفعت له 250 من الملايين من أموال الشعب وضرائب أبنائه الضعفاء وكلاهما له مع الله والناس والتاريخ حساب لا يفره الشعب ويذكره التاريخ بالخزي والمقت والتحقير، وذلك ما يعيشه البائع والابن والمشتري في عقول وضمائر الأحرار من المغاربة عموما وأهل سلا بالأخص والذين منهم الحاج محمد بن زايرة التجار الذي ساهم بتجهيز قسمين كاملين إلخ إلخ. راجع كتابنا المصادر قبل النشر مذكرات الشعب المقبري عليه ضمن وثائق خزانة عبد الكريم الفيلاي بالخزانة الملكية.

فأكبر مدرسة في مدينة سلا ليبيعتها للدولة بئس البائع والويل للمشتري أحمد رضا كديرة أوسخ عميل استعماري عرفته مرحلة ما بعد موت محمد الخامس وهي المرحلة التي لها في تاريخ المغرب أوسخ الصفحات أطلق لسانه الأبخر وامغرباه، بل بذلك فتح الباب على مصراعيه لخيانة الأمانة فعرف المغرب في مرحلة الاستقلال ومن موبقات الاشرار رفاق أحمد رضا كديرة وأمثاله الوزراء الذي اقتدوا بالسابقين من الزعماء عمر بن الجليل واليزيدي بوشعيب وغيرهم من ذوي الفضائح وما يردده الكبار والصغار. ذلكم هو التعليم باشراف المستعمرين الفرنسيين فماذا عن:

التعليم تحت إشراف الاسبان:

أجل ذلكم هو ماضي التعليم الحر في المنطقة التي أوقعها سوء الطالع تحت حكم الفرنسيين، فماذا عن منطقة الشمال التي وقعت تحت حكم الاسبان، والتي وجب أن نتعرف عليها هي الأخرى وكيف كانت حالة التعليم فيها قبل عهد الحماية وأثناء فترة الحماية، والممثل للعرش فيها هو سمو الأمير الوطني الغيور الحسن بن المهدي بن إسماعيل بن السلطان محمد بن عبد الرحمن.

لقد كانت المنطقة الشمالية من المغرب قبل الحماية تزخر بالكتاتيب القرآنية في كل جهة، بل في كل قرية ومركز وبشكل جد مهم إلي درجة أن حفظ القرآن وبلا مبالغة كان في منطقة الشمال خصوصا الجبل والريف أكثر من أي جهة أخرى، بل فيها حافظ المستمسكون بالقرآن على القراءات السبع بل العشر إلى جانب استظهار جل المتون التي تعنى الدراسات الإسلامية، من فقه وتوحيد ونحو وصرف ومنطق وأصول.

وإذا كانت الحكومة الإسبانية، إنما أخذت ما أخذت من المغرب الذي أصبحت تسيطر فيه على المنطقة الشمالية منه بطريقة لم تكن غير وسيلة من فرنسا لترضية الإسبانيين المزامين، وأن هؤلاء لم تكن تربطهم بالمغرب وحكومته أية رابطة قانونية، ولو على طريق الفرض كما فرضت فرنسا حمايتها، بل وإن كان للإسبانيين مطامع أكثر مما حققوا عن طريق فرنسا، وأنه لولا ما لاقوه من مقاومة وطنية كلفتهم الكثير جدا، لما وقفوا عند الحد الذي خصصته لهم فرنسا، بل ولعملوا على تحقيق أطماعهم بكل الطرق، وخصوصا التي كانوا لا يعرفون غيرها في معاملة جيرانهم المغاربة من قديم، والتي إتفق عليها كل الاسبانيين سياسيين، وعسكريين، وإداريين، وحتى الشعب والكنسيين حسب

الوصية القديمة التي أوصت بها إيزابيلا، والتي إحتفظ بها وأكد عليها القساوسة والرهبان بطريقة فيها حقد شديد، وعنف عنيف، كأنهم جميعا لم يدركوا أن قوة الإسلام في المغرب العربي الكبير عموما والمغرب الأقصى على وجه الخصوص لا تقهر إذا ما وجد الرائد الصالح والقُدوة الحسنة، وأحسن مثال تلك المرحلة بالإضافة إلى ما عرفه من صراع مع الأسبان والبرتغال دام قرونا طويلة تلك المرحلة ما بين 1845 - 1934 م والتي إشتدت فيها مقاومة الشعب المغربي شمالا وجنوبا من أجل المحافظة على الذات وحفظ الكيان رغم ضعف الدولة والانحلال الذي أصاب المسؤولين فيها، فكانت مقاومة الشعب بعيدا عن إرادة المسؤولين، وبطريقة مرغت شرف الدولتين في الأحوال، رغم أن المغاربة لم يكونوا يتوفرون على شبه ما كان للمستعمر من سلاح بري بله الجوي والبحري، وفي الوقت الذي كان السلطان نفسه غير موافق على تلك المقاومة، ولولا إعتراضه كمارأينا من خلال علاقته مع درقاوة الجنوب لتم لهم تحرير الجزائر حين دعى الشيخ محمد العربي العلوي ساكن مدغرة لذلك. وحتى في هذه الظروف، ظروف البغي والإحتلال كان حفظ القرآن على أشده في منطقة الشمال.

ومهما يكن، فإنه لا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن الاسبانيين وقد أدركوا من أول وهلة، ورغم ما استعملوه من قوة الحديد والنار، أنه من المحتم عليهم سياسيا إن هم أرادوا التمكن مما حصلوا عليه من قسمة بل والزيادة التي كانت في نظرهم تعني السيطرة على منطقة طنجة الدولية، أن يتقربوا من المغاربة، وبدأوا هذا التقرب الذي تمثل في المحافظة على ما كان من اهتمام بالعربية والمحافظة على أصول وتنظيم أساليب الدراسة. وذلك منذ عهد المقيم والمندوب الاسباني الأول الجنرال "ألفاؤ" وإن كان في نطاق محدود، إلا أنه كان تقريبا يختلف عن ذلك الدس والإجرام اللذين ظهرا من أول وهلة في سياسة الفرنسيين البربرية نحو المغاربة، ففي الوقت الذي قامت فيه إدارة "ليوطي" بأول عمل لتمزيق المغاربة، هذا بربري وهذ عربي، كانت إدارة الجنرال ألفاؤ (343) في المنطقة الشمالية من المغرب تقوم بدراسة متفتحة لواقع التعليم بواسطة المستعرب الأسباني السيد "ريبيرا" بحيث كلفته في شهر إبريل من عام 1914م أي قبل وضع الظهير البربري بستة أشهر 9/11/ من نفس السنة بوضع تقرير شامل حول واقع التعليم الإسلامي في

المنطقة، وإذا هو جمع المعلومات التي أبانت أنه لا مجال لغير التمكين للتعليم الإسلامي إن هو أريد للأسبان عدم الصدام مع المغاربة الذين هم في المنطقة أكثر تمسكا بدينهم وكل ما يركزه الدين ويؤكد عليه، بل ويمكن له في نفوس ناشئتهم، وإذا ما استمرت الدراسات لمدة سنتين، وربما كان الإسبان يوقنون التحركات المريبة للفرنسيين في هذا المجال، فإن أول إجتماع يتعلق بالتعليم كان في المجلس البلدي بتطوان بتاريخ 1916/12/30 حضره حوالي ما يزيد على المائة مواطن كلهم من رجالات المنطقة، وسبعة من الإسبانين، حيث انتخبوا لهم هيئة سميت بـ"المجمع العلمي المغربي" والذي عنه تمخض تأليف مجلس من خمسة عشر عضوا من المسلمين وسبعة من الإسبانين، وهذا المجلس هو الذي أصدر جريدة الإصلاح التي أشرف عليها محمد العربي الخطيب والتي صدر أول عدد منها بتاريخ 1917/1/29م لكن هذه الجريدة سرعان ما أصبحت حكومية، ولذلك تخلى عنها الخطيب محافظة على استمرارية وطنية ونبل هذه الأسرة وما عرفت به من صدق وأمانة ووفاء وتولى تحريرها الترجمان اللبناني الاستعماري نعمة الله الدحداح الذي كانوا قد استقدموه مثل الاستعماري المعروف مع طلائع الفرنسيين وديع كرم اللبناني. وأما جانب التعليم الأصيل فقد قام المجلس بتنظيم ما كان يدرس في الجامع الكبير بتطوان، والذي وضع له بعد قانوننا ضمن النظام العام للتعليم الذي وضع للمنطقة بصفة عامة (344) وهو فيما يلي وكما لخصته وزارة العدل في المنطقة الشمالية عن الأصل المطول الذي وضعته جمعية من العلماء عينت لذلك ثم نشرته:

نظام التعليم

الحمد لله وحده

تقرير النظام العام للتعليم بمنطقة الحماية الاسبانية
النظام المذكور يشتمل على مقدمة وأبواب ثلاثة وخاتمة

المقدمة

تؤسس بالمنطقة إدارة المعارف مستقلة أو مندرجة في إدارة من إدارات المخزن

(344) راجع مجلة الاتحاد الإسبانية التطوانية في عددها 48 السنة 5 بتاريخ ذي الحجة 1349م

الشريف وهذه الإدارة ترشح جمعية فرعية تسمى جمعية التعليم مؤلفة من أهل الطبقة الأولى من المعلمين تتولى تنظيم التعليم ومراقبة إجراء التنظيم، وتنتهي نتيجة أعمالها لإدارة المعارف التي تصدر جميع القرارات والأعمال باسمها.

الباب الأول

في المكاتب القرائية ومتعلقاتها

الفصل الأول

تؤسس في كل حومة دار واسعة مستجمعة لشروط الصحة أو روض كذلك وتصلح ثم يجمع فيها صبيان تلك الحومة ويعين لكل دار أستاذ واحد ومعينان وان افتقر الحال للزيادة في المستقبل زيد كما يعين خادم لتلك الدار يقوم بأعمالها مع مراقبة أحوال المتعلمين الأدبية والوساطة بين الأستاذ الكبير وبين إدارة التعليم، ويعين لكل دار أيضا مدرس من مدرسي الطبقة الثالثة يلقي إليهم الدروس العربية والدينية في الوقت الذي يعين لذلك.

الفصل الثاني

مدة القراءة ستة أعوام ومن تقدمت له قراءة قبلها نظر في حاله ويعين في السنة التي يستحقها ومن أراد أن يزيد زاد ما لم يكن في بقائه ضرر على غيره، وأيام القراءة والبطالة تبقى الآن على عاداتها القديمة.

الفصل الثالث

كيفية القراءة تسند للأساتذة بعد مشاورة إدارة التعليم

الفصل الرابع في قراءة الدروس

أهل السنة السابعة من عمرهم فاقل يقتصر في حقهم على تعليم القراءة والكتابة باتقان وحفظ بعض احزاب القرآن مع ما يتوقفون عليه في عبادتهم ومن زاد على هذا السن يقضي النصف الأول من النهار في حفظ القرآن والنصف الثاني أي العصر في الدروس العلمية وما بعد العصر في التكرار.

الفصل الخامس

في أوقات القراءة

تبدأ القراءة في الساعة السابعة صباحا وتنتهي في الساعة التاسعة حيث يذهب

الصبيان للفقور إلى الساعة العاشرة ثم يشرعون في القرآن إلى الساعة الثانية عشر ثم يذهبون للغداء ويرجعون في الساعة الثانية بعد صلاة الظهر جماعة في أقرب مسجد لدار القراءة فيقرأون الدروس العلمية إلى أن يصلوا العصر فيشرعون في القراءة ختمة من القرآن جماعة بحيث تختم في كل خمسة عشر يوماً ثم يسرحون لحال سبيلهم.

الفصل السادس

في سن التلاميذ

يقبل في المكتب من أكمل الخامسة من عمره لأن هذه المكاتب إنما هي ابتدائية تهيء التلاميذ للدخول للمدارس النظامية أو الجامعة الإسلامية

الفصل السابع

في الدروس العلمية

يخص ما بين الساعة الثانية والعصر من يوم السبت بالتوحيد ويوم الأحد بالعبادة ويوم الاثنين بالسيرورة والتاريخ ويوم الثلاثاء بال نحو ويوم الأربعاء بالحساب والخط والمحفوظات الأدبية.

وهذا كله في السنوات الأربع الأخيرة من ستة سني المكتب السابقة أما السنتان الأوليان فيقتصر فيهما على القرآن والضروريات كما مر وتفصيل هذه العلوم والكتب يسند لجمعية التعليم

الفصل الثامن

في كون التعليم اجبارياً

يجبر كل صبي أكمل الخامسة من عمره على أن يدخل مكتب حومته ويقضي به على الأقل ثلاث سنين ثم يكون لوليه الاختيار في إبقائه به أو ادخاله إلى معهد آخر من المعاهد العلمية بعد جبره على التعليم بإيهما شاء

الفصل التاسع

في الصواير والرواتب

راتب الأستاذ 200 بسيطات في الشهر وراتب كل واحد من المعينين 150 بسيطات في الشهر وراتب المراقب كذلك وراتب المدرس من ميزانية إدارة التدريس العالي.

ومخرج ذلك مع كراء الدار والضوء والحوادث من الاحباس

الفصل العاشر

في تعليم اللغة الاسبانية والصناعات

يخصص ما بين الساعة الثامنة والعاشرة من يوم الخميس والجمعة لذهاب أصحاب السنة الرابعة من ستة سني التعليم إلى المدرسة الصناعية ليتعلموا بها اللغة والصناعات على يد اساتذة مسلمين.

الفصل الحادي عشر

في الامتحان والعقوبة

تقوم جميعة التعليم بتنظيم كيفية الامتحان واعطاء الشهادة والجوائز وتنظيم العقوبات لمن يخالف ما يلزمه ولا يكون ذلك معمولاً به حتى تصادق عليه إدارة المعارف وتامر بإجرائه

الفصل الثاني عشر

تعيين إدارة المعارف أستاذاً فاكتر لتعليم تجويد القرآن.

ووظيفته الطواف على المكاتب وتدريب التلامذة على تلاوة القرآن مجوداً مرتباً.

الباب الثاني

في التعليم بالجامع الأعظم من عاصمة تطوان وفروعه

الفصل الأول في المدرسين

يجعل المدرسون النظاميون ثلاثة طبقات، الطبقة الأولى عددهم في تطوان ستة، والطبقة الثانية عددهم فيها ثمانية، والطبقة الثالثة فيها عددهم عشرة، فالجميع أربعة وعشرون ويجعل في كل فرع عند الامكان ثلث هذا العدد، اثنان من الطبقة الأولى، واثنان من الثانية، وأربعة من الثالثة، والمدرسون الذين يوجدون ساعة الشروع في هذا التنظيم يبقون في وظيفتهم ان كانوا مستوفين للشروط بعد ترتيبهم في الطبقة اللاتقة بهم، ولا يرشح بعد ذلك إلا من أدى الامتحان وحصل على شهادة الطبقة التي يستحقها على يد جميعة التعليم، ويلزم المدرسين النظاميين ذوي الرواتب المعينة التدريس بالجامع الأعظم أو فرعه على مقتضى النظام، أما المتطوعون قبل ادخالهم في سلك النظاميين، فلهم ان

يدرسوا ما شاؤا بعد حصولهم على الأذن من إدارة المعارف، وهناك طائفة أعلى وهي طبقة العلماء الأكابر، الذين يعتبرون اساتذة شرفيين إذا لم يريدوا أن يدخلوا في النظام، فهؤلاء لهم أن يدرسوا ما شاؤا وكيف شاؤا أينما شاؤا من غير تحجير بل مع الترغيب.

الفصل الثاني في العلوم والدروس

العلوم الرسمية في الجامع الأعظم وفروعه، النحو، والصرف، وفن العربية، والبلاغة، وأصول الفقه، والمنطق، والتوحيد، والفقه، والتفسير، والحديث، مصطلحه، والحساب، والتاريخ، والتوقيت، والجغرافيا، ومبادئ الصحة، والهيئة، والهندسة، والسيرة، والعروض، والقوافي، والوضع، وعلوم الأدب، ونحو ذلك عند الامكان والتدرج إلخ.

وعندما وضع هذا القانون ورغم أنه كان قد مضى على الوجود الاسباني في المنطقة زما غير قصير، فإنه لم يكن ثمة من المدارس غير مدرستين، واحدة إسبانية، وأخرى فرنسية بتطوان، وقد بقي الحال هكذا إلى عام 1924م حيث قام الأهالي بإنشاء مدرسة حرة في تطوان تولى إدارتها الوطني الغيور محمد داوود بمساعدة الحاج محمد أفيال، وقد افتتحت الدراسة فيها يوم 1924/12/24م وهذه المدرسة هي التي كونت جماعة من التلاميذ توجهوا إلى القرويين بفاس حيث كان نشاط شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي قد تمكن وأخذ طريقه بواسطة الرعيل الأول كما عرفنا قبل.

في هذه المرحلة كان من المناصرين للتعليم الحر في المنطقة التي نحن بصدد التأريخ لها محمد الرهوني ومحمد لمير، ومحمد الطنجي، ومحمد داوود، وأحمد معينو السلاوي وكان قد هاجر إلى المنطقة، ثم بعد هؤلاء طبقة ظهرت من أبناء المنطقة إلى مدرسة النجاح بنابلس من أرض فلسطين بدءا من عام 1929 إلى عام 1935 أذكر منهم رجل الفضيلة والخلق المثالي محمد محمد الخطيب، ثم محمد الفاسي الحقاوي ومحمد بن عبد السلام الخطيب، ومحمد بن جلون، وأحمد بن عبد الوهاب، ومحمد بن احساين، وعبد الكريم الفاسي، وأحمد مدينة، ومحمد الحسيسن، وعبد الله الخطيب، وأحمد بن عبود، وهؤلاء وغيرهم كانوا نتيجة مجهود جماعة الرعيل الذين هم بالإضافة إلى ما سبق، التهامي الوزاني، ومحمد بوهلال، وعبد السلام حجاج، وأحمد غيلان وأحمد اللبادي، ومحمد الصفار، ومحمد باغوز، وعبد الكريم الدليرو، ومحمد الدليرو، ومحمد

طنانة، والحسن بن عبد الوهاب، وأحمد أشعاش، وأحمد العمراني بن القت ومحمد الورداسي، ومصطفى الريسوني ومصطفى أفيلال الأموي وعبد السلام اجزول، ومحمد طنانة، ومحمد عزمان، وغيرهم من رجال الرعيل الأول الذين كونوا هيئة العمل الوطني وكتلة العمل الوطني بعد (345) بعد بلا أمل في جزاء ولا من أجل تحقيق هدف خاص.

وإذا كان محمد داوود قد أنشأ المطبعة المهديّة بتطوان عام 1928 فإنه كان لها أبلغ الأثر في مجال الثقافة والنشر، بما قامت به تلك المطبعة في هذا المجال، كما كان لزيارة أمير البيان شكيب أرسلان إلى المنطقة عام 1930م إثر إعلان الظهير البربري للمرة الخامسة بتاريخ 16 ماي من طرف الفرنسيين الذين كان أمير البيان يمقتهم ويحتقر سياستهم بقدر ما كان يتعاطف مع الألمان والاسبان، فكان لتلك الزيارة أثرها السياسي، في عالمية القضية والتشهير بالسياسة الفرنسية. كما كان لها أثرها في المجال الثقافي خصوصا وأن العهد الجمهوري كان له أثره في المنطقة بما عرفته من الانتخابات التي وقعت في اسبانيا والتي أسقطت حكومة الفونصو الثالث عشر وأعلنت الجمهورية يوم 14/4/1931م كما تآلفت الحكومة بطريقة ائتلافية بين اليمينيين والإشتراكيين، وإذا ما قام الجمهوريون بحملتهم الإصلاحية، فإنهم أرادوا أن تشمل المنطقة الواقعة تحت نفوذهم، مما قوى عزيمة وأمال بعضهم، حيث قدمت بعض المطالب السياسية إلى الاسبانيين بتاريخ 25/5/1931م كما أنشأ عبد الخالق الطريس الذي ما كاد يظهر حتى سلط عليه الاسبان عميلهم عبد السلام ابن لونا حيث بدأ الطريس عمله بتأسيس جمعية الطالب المغربية بتاريخ 23/3/1932م ثم بعدها هيئة العمل الوطني بتاريخ 20/11/1933م وبعده كتلة

(345) يلاحظ القارئ عدم ذكرى للعميل الاسباني عبد السلام ابن لونة الإسلامي التلمساني الأصل الذي كانت كل تحركاته مصلحية نفعيه وتجارية، وأنه سلك لها للدس على المغاربة ظهور المرحوم شكيب أرسلان في المنطقة 1930م والذي كان يتمتع بعطف الاسبان لكرهيته للفرنسيين الاعداء التقليديين للاسبان، وتعاطفه مع الألمان، بل إن هناك مواقف أليمة للمهدي ابن لونة الإسلامي تحتفظ بها مذكرات الأستاذ علال الفاسي التي لم تكتب والتي عندي منها الكثير كما سمعت ورويت أما ما يعني عبد السلام ويخط بيك بيدير فمنه الكثير في وزارة الخارجية الاسبانية ومتحفها وتعي الكثير منه ذاكرات التطوانيين وغير التطوانيين ثم راجع وثائق خزانة عبد الكريم الفيلاي بالخرانة الملكية أو مديرية الوثائق الملكية ويكفي أن نجد أن عبد السلام ابن لونا ومعه التهامي الوزاني وغيرهم ممن ارتموا في احضان الماسونية الصهيونية التي قتلت ثورة فرانكو كل من كان ينتمي إليها من الاسبان ثم أبقت على المغاربة ليكونوا في خدمة الاسبان كما تعهد بذلك عبد السلام بنونة ليبيكيديو 1931..

العمل الوطني في 1/2/1936 ثم حزب الإصلاح الوطني بتاريخ 18/12/1936م وكل هذه المراحل كان لها أثرها في بعث الحماس والدفع بعجلة التطور والرغبة في نشر المعرفة، إذ في هذه المرحلة كذلك أنشأ محمد داوود مجلة السلام 1933م ومحمد بن علال الخطيب المدرسة الخيرية للبنات، وفي شهر مارس 1934م أصدر الطريس جريدة أطلق عليها إسم "الحياة" كما ظهرت وقتها حركة تزعمها الطريس تعاطفت مع الضباط الفاشست، كان وراءها المصلحة الشخصية لعبد السلام ابن لونة قبل أن يموت بتاريخ أول يناير 1934 وهو الذي استغل طيبوبة وسلامة طوية الطريس واندفاعه العاطفي فوق المعدل استغلالاً مقبلاً عرفه الكبير والصغير من رجال العلوم والمعارف في المنطقة لكنهم أهملوا الكتابة حوله ضعفاً.

وفي هذه المرحلة أنشأ المكي الناصري مجلة أطلق عليها إسم "المغرب الجديد" وكل هذه التحركات كانت باتفاق مع الاسبان الذين كانوا وراء عبد السلام ابن لونة التلمساني الأصل وفي هذا الجو كذلك والذي لم يقف تأثيره على من سبق ذكرهم، بل وعلى الجهات الرسمية التي في مقدمتها الخليفة السلطاني بالمنطقة سمو الأمير الحسن بن المهدي بن اسماعيل بن السلطان محمد بن عبد الرحمن(346)، والذي تحمس هو الآخر، فكان من أثر ذلك إنشاؤه باتفاق مع الاسبان المعهد الثانوي للتعليم الحر، ثم معهد مولاي المهدي الذي شارك في الإحتفال بيوم إفتتاحه الجميع، مغاربة واسبانيين، وهو الذي بحق كان له أبلغ أثر في الميدان الثقافي والذي أنشئ بمرسوم مؤرخ بـ 10/2/1937م وتم تدشينه بتاريخ 12/12/1937، ثم تعزز نشاط التعليم الإسلامي في المنطقة بهجرة كل من ابراهيم الوزاني والملكي الناصري اللذين استفادا من الإفتتاح المشار إليه، حيث كانت الحكومة الإسبانية قد أصدرت مرسوماً خليفياً بتاريخ 15 جمادى 2 1353هـ 26/9/1934م أسست بمقتضاه المجلس الإسلامي الأعلى للتعليم، وكان هذا المجلس بمثابة هيئة استشارية فيما يعني شؤون التعليم، وقد حصل تعديل المرسوم الصادر في شأنه مرات إلى أن

(346) حصلت على بعض مذكراته رواية بكثرة المخالطة، وكما يتمنى المرء لو أنه كتبها وتنتشر عن مرحلة ما قبل الاستقلال وبعدها وما تعرض له هذا الأمير الشهم من عدم الوفاء مما أدى به إلى نهاية أليمة ستعرف بعد وتنتشر إن كتب لها ذلك، ثم راجع ما بعد نزول محمد بن عبد الكريم الخطابي في القاهرة بواسطة طيب الذكر محمد بن عبود التطوانى عام 1947 من هذا الكتاب...

أرسى على تكوينه من ستة أعضاء، لكل منهم مرتب شهري خاص، وأما الأعضاء الذين تكون منهم هذا المجلس فهم كما يلي:

مندوب الصدر، ومفتش التعليم الإسلامي، وممثل وزير الأوقاف، وعضو عن التعليم الحر، وآخر عن التعليم الرسمي، ويرأس الجميع عالم من كبار العلماء يساعده عالم مسلم آخر.

وهذا المجلس بحق وإن كان له نظام خاص حدده المرسوم المذكور الذي كان آخر تعديل له بتاريخ 24 شوال 1355هـ / 1937/1/7م فإنه تمكن وساهم في تنشيط التعليم الإسلامي، كما استغل الانفتاح الذي ظهر من المقيم "خون بيك بيدير" الذي كان فقط مراقبا مدنيا بمدينة الشاون، ثم عين مقيما ويحكم ما كان له من اطلاع على واقع المنطقة وتعلق أهلها بالدين والتقاليد، عمل على التقرب منهم أكثر فما كان من بعضهم إلا أن إستغل هذه الفرصة لصالح الدين والوطن، وفعلا كان لهذه المرحلة التي أراد بعضهم بدافع التباعد السياسي أن يطعن في أعمال بعض الذين تزعموا النشاط فيها دون البعض مما يظهر الأغراض المقصودة التي لاداعي لتدوينها والكشف عن مفتريات أصحابها، يتقدمهم لقلال تطوان حسب تعبير المرحوم علال الفاسي، ويعني به المهدي ولد عبد السلام ابن لونا الذي ترقد تقاريره وتقارير أبيه بوزارة الخارجية الاسبانية كما رويت عن الزعيم، والذي حصل على بعضها بواسطة ابن عمه عبد الكبير بن المهدي مكتوبة وشفويا ومن المقاوم الغيور مصطفى كما سمعت ورويت واستوليت وقرأت لقد أصدر المقيم المشار إليه "بيك بيدير" مرسوما بتاريخ 1937/1/29م عكس به ما كان متبعا في المدارس التي أحدثتها فرنسا في منطقة نفوذها، بحيث أصبح المواطن المغربي على رأس إدارة المدرسة بدل أن كان الإسباني، وأصبحت اللغة العربية هي اللغة الأولى في هذه المدارس بدلا من اللغة الاسبانية التي كانت هي الأولى وأدرك بيكبيدير بخبرته أن لا فائدة ترجى من فرضها بالإكراه.

والواقع أن المجلس الإسلامي الأعلى للتعليم كان قد أفاد هو الآخر من ذلك الانفتاح، وأصبح وقتها يمثل بحق هيئة استشارية حققت الكثير من التنظيم الذي سمحت به الإدارة الاسبانية في المنطقة التي كانت تحت نفوذها، وهذا المجلس هو الذي سعى لإنشاء معهد مولاي الحسن وحتى يبعده عن النزاعات العائلية المتمكنة بشدة في

الخفاء بين بعض التطوانيين أسند الاسبان إدارته إلى محمد المكي الناصري، بصفته من غير أبناء المنطقة، ولأنه كان متفاهما جدا مع بيكبيدير الذي كان ذلك منه عن قصد حتى يبعد المعهد عن التطاحن، كما أسندت مهمة التفتيش إلى الاستاذ الوطني الصادق محمد داوود، ومن خلال الشخصين المذكورين مضافين إلى المجلس الأعلى والقانون المنشور هنا يدرك المرء البرنامج الذي كان يطبق ولأول مرة في المعهد الذي بحق كان في المستوى مما دفع بالمجلس الأعلى إلى تزكيته في أول انعقاد للمجلس الذي انعقد بتاريخ 26 محرم 1356هـ=1937م وذلك بعد ما تألف من الأشخاص التالية أسماؤهم:

أحمد الرهوني* رئيسا، (2) محمد داوود نائبه، (3) محمد لمير، ومحمد الحداد، ج الحسن أفيلال الأموي، محمد عزمان، الحسن بن عبد الوهاب.

لقد كان لهذا المجلس وما أحدثه من نظام للتعليم الإسلامي العربي في المنطقة أثره الذي شمل جهات مختلفة من المنطقة باستثناء منطقة الريف التي استمر حقد الاسبانين عليها، فلم تتل حظها من العناية بما يكفي مثل المناطق الأخرى، ومثلها المدينة المباركة أهلها مدينة الشاون التي عرف الاسبان فيها معركة أنوال الثانية كما عرفنا قبل، والتي كانت وطنية أهلها صادقة وعنيفة ضد الاسبان، ولذلك لم يكن لهم حظ كبير حتى في البعثة التي وجهت إلى القاهرة، وإن حاول الوطنيون الذين أسندت لهم مهمة تكوين البعثة العلمية أن يلحقوها ببعض الأفراد من أبناء الريف فلم يكن بينهم غير واحد من كبدانة هو الرجل السليم الحبيب الكبداني على أنه في الجملة لم تستفد البلاد من أفراد تلك البعثة التي حولتها إنتهازية بعض الذين أشرفوا على تكوينها إلى جانب ظروف الحرب ووضع الاسبان، فتحولت البعثة التي شقي أفرادها شقاء ماديا، وبذلك ضاعت الجهود الهادفة، التي قصدها الاسبان وزينها لهم المنتهزون.

وأما بالنسبة لسير التعليم الحر في المنطقة فقد نظمه المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي وكما رأينا إلى ابتدائي وثانوي كما وضع القواعد التي يجب السير عليها فيما يرجع للمعلمين وأجورهم، والدروس ومستواها وأنواعها بالنسبة إلى الجامع الأعظم والمعاهد العتيقة التابعة له أو في مستواه في كل من أصيلة والقصر الكبير، والعرائش والشاون مثلا.

* هو صاحب الملخص: تقريب الأقصى من كتاب الاستقصا الذي نسبه ابن عزون حكيم لغيره خطأ والذي تم طبعه على نفقة ولده أحمد الرهوني عام 1346هـ=1927م بمطبعة إيديطوريال أسبانو أفريكانا بتطوان وصفحاته 75.

وكل هذا كان في ظل الوضع الذي نتج عن الانتخابات التي تمت في فبراير 1936م والتي جاءت باليساريين الاسبان إلى الحكم، (347) ففسحوا المجال أمام العاملين في المنطقة الواقعة تحت سلطتهم، والذين كثفوا اتصالاتهم في الداخل والخارج، كما تم إنشاء حزب الإصلاح من طرف عبد الخالق الطريس الذي كان قبل تحت رقابة عميلهم الممتاز عبد السلام ابن لونا وذلك اعترفت به الحكومة الإسبانية الشعبية بتاريخ 1936/12/18 مما دفع بالطريس إلى ربط الصلة الودية مع الكتائب التي اعتمدها فرانكوفي ثورته، كما اعتمد على المنطقة التي لا ينكر ما كان لأهلها من مساهمة في تحقيق ثورة فرانكو، خصوصا منهم بعض أهل الريف الذين كان دافعهم غير سياسي ولا هو الإنتصار لافرانكو، باستثناء محمد مزيان الذي أصبح بعد جنرالا ومن كان على شاكلته كالمذبوح بل كان الدافع لبعضهم حتى شارك في تلك المعارك مع جانب ضد آخر من الإسبان هو وسليمان الخطابي وعبد القادر الحاج الحقد الذي كان القوم يكون له الحقد وللأسبان، وبالفعل فباسم فرانكو فعل القوم في الذين قتلوا منهم الشيوخ والنساء والأطفال قبل وبعد واثناء ثورة الريف، ما كان بحق شر انتقام إستساغته بلادة الدكتاتور الذي لم يكن يعنيه شيء غير الوصول إلى الحكم ولو على جثث الضحايا من أبناء جلدته،

ومهما يكن فإن ما عرفه الاسبان من فتن وتحول في الحكم أفادت منه المنطقة بانشغالهم فيما بينهم حيث كان له تأثيره على النفوس فيما يتعلق بالتعليم الذي هو موضوعنا هنا، فكان من جملة المتأثرين بل وفي المقدمة الخليفة السلطاني الأمير الحسن بن المهدي كما سبق، والذي تحمس هو الآخر إلي درجة أنه أرسل نجله إلى القاهرة ليتعلم فيها وهو طفل صغير في المرحلة الابتدائية، أرسله في شهر مارس من عام 1938م بصحبة محمد داوود، حيث التحق بمدرسة النورمان الابتدائية، وكان هذا من الخليفة المذكور، لأنه قبل كان الاسبان قد انشأوا بالقاهرة معهدا للأبحاث والثقافة بتاريخ 1937/8/8م فكان له من الصدى في القاهرة وبين المثقفين الأثر الطيب والذكر الجميل للخليفة مما هيا الجو لابن الخليفة فلقى ترحيبا كبيرا وعناية من المسؤولين المصريين (348).

(347) هذا الموضوع سيعترضنا بعد فنفضل فيه أكثر

(348) راجع ج الأهرام 1938/6/3 وج البلاغ 6/2 وج المقطم 6/2 وكلها حول الاتصال بوزارة المعارف في

موضوع البعثة والتي كان قد توجه إليها مندوب مرسوم خليفي بتاريخ 28 محرم 1357هـ.

لكن رغم كل هذا التفتح الذي كان دافعه بالدرجة الأولى مصلحة فرانكو ونظامه الذي اعتمد على إغراء وإغواء جماعة خاصة بتطوان حاولت هي الأخرى تحقيق مصالحها المادية، والمادية فقط، وذلك بزعامة معلمها السابق عبد السلام ابن لونة، وهو الرجل الذي كان وأولاده في ركاب الاسبان باستثناء ادريس رحمه الله كما كانت وطنيته تتسم بالمصلحة الذاتية قبل كل شيء، والتي فشل في تلطيفها الوطني الغيور صهره محمد داوود وغيره من الوطنيين الذين لم يجدوا بدا من المسائرة، لكن سلامة طوية الطريس وصدق مقاصده كان لها الفضل في تحقيق الهدف الوطني ونشر الوعي بين بعض الجماهير، رغم ما انجر على الطريس بسبب "سيطرة" ابن لونة عميل الاسبان. الخفي.

كان التعليم بالدرجة الأولى في حاجة ماسة وحتى تتمكن قافلته من السير قدما إلى تحقيق الأطر المتكونة تكويننا جيدا قوامه التربية وعلم النفس ومن أجل تكوين المعلمين الأكفاء قرر المجلس الأعلى للتعليم القيام بدورة تدريبية قوامها محاضرات تلقى بواسطة بعض العلماء من ذوي الإختصاص في مجال التربية وعلم النفس جلبوا لهذا الغرض حيث ألقوا محاضراتهم على معلمي كل من تطوان وأصيلة والقصر الكبير والعرائش والشاون، والناصور، لكن هذه المحاضرات لم تعط النتيجة المرجوة مما دفع إلي تكوين بعثة مغربية ثقافية توجه إلى مصر قوامها حوالي اربعين طالبا، توجهوا إليها في دفعتين في كل دفعة عشرون طالبا كما سبق أن أشرنا، وكانت مغادرة البعثة الأولى بتاريخ 15/9/1938 حيث تأسس لهم بيت بالقاهرة شارع السلولى رقم 12 أطلق عليه بيت المغرب وقد نظم هو الآخر بمرسوم خليفي من فصول تسعة كان قد صدر بتاريخ 29/7/1938 وكان مديره هو مدير معهد مولاي الحسن بتطوان أما المدير المباشر الذي كان يدير هذا البيت فهو الوطني السلفي محمد اليميني الناصري صاحب كتاب "ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكسار" إلا أن نهاية هذا البيت كانت أليمة بسبب ما آلت إليه ظروف الاسبان بعد الحرب، بل كل تلك الجهود ضاعت ولم تثمر حسب المجهود الذي بذل.

- 3 -

الحصص الاسبوعية للتعليم الابتدائي الاصلي

القسم الاول - (١) التربية الدينية والحلقة ، القرآن الكريم (٥ ساعات)
الدين (١) الاخلاق (١) .

(٢) الدروس الثقافية العربية - تعليم القراءة والكتابة (٧) ،
المحادثة (٥) الاملاء (٢) الخط (١) الرسم (١) المحفوظات (١)
الحساب (٣) .



(٣) التربية البدنية (٣) المجموع (٣٠) ساعة .
تنبه لوظف في برنامج هذه الطبقة امكان قبولها لتنفيذ الذي
لم يتقدم له تعليم بالرة على شرط ان تكون سنه السادسة
او السابعة .

القسم الثاني - (١) التربية الدينية والحلقة - القرآن الكريم (٥)
الدين (١) الاخلاق (١) .

(٢) الدروس الثقافية العربية - التلاوة (٤) المحفوظات (١)
الاملاء (١) الخط (١) الرسم (١) الحساب (٤) المحادثة (٤) .
(٣) اللغة الفرنسية - تعليم القراءة والكتابة (٢) المحادثة (٢)
التارين (١) .

- 4 -

القسم الخامس - (١) التربية الدينية والحلقة - القرآن الكريم (٥) الدين (٢)
الاخلاق (١) .

(٢) الدروس الثقافية العربية - التلاوة (٣) المحفوظات (١)
النحو (٣) الانشاء (١) الرسم (١) الجغرافية (١) التاريخ (١)
دروس الاشياء (١) الحساب (٣) .



(٣) اللغة الفرنسية - التلاوة (٢) النحو (١) الاملاء (١)
الانشاء (١) .
(٤) التربية البدنية (٢) .

المجموع (٣٠) ساعة .

مدونة المعارف الاسلامية

الدولة الشريفة



برنامج

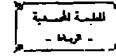
التعليم الابتدائي الاصلي

البنني على مقررات اللجنة للملكية للتعليم

والذي سيجري العمل بتطبيقه

في فاتح السنة الدراسية

طرم ١٣٦٦ - ٦٧ سنة ١٩٤٧ - ٤٨



- 4 -

(٤) التربية البدنية (٢) المجموع (٣٠) ساعة .

القسم الثالث - (١) التربية الدينية والحلقة - القرآن الكريم (٥) الدين (٢)
الاخلاق (١) .

(٢) الدروس الثقافية العربية - التلاوة (٤) المحفوظات (١)
النحو (٢) الاملاء (١) الرسم (١) التاريخ (١) دورس
الاشياء (١) الحساب (٤) .

(٣) اللغة الفرنسية - التلاوة (٢) المحادثة (٢) التارين (١) .
(٤) التربية البدنية (٢) المجموع (٣٠) ساعة .

القسم الرابع - (١) التربية الدينية والحلقة - القرآن الكريم (٥) الدين (٢)
الاخلاق (١) .

(٢) الدروس الثقافية العربية - التلاوة (٣) المحفوظات (١)
النحو (٣) الرسم (١) الانشاء (١) الجغرافية (١) التاريخ (١)
دروس الاشياء (١) الحساب (٣) .

(٣) اللغة الفرنسية - التلاوة (٢) النحو (١) الاملاء (١)
التارين (١) .

(٤) التربية البدنية (٢) المجموع (٣٠) ساعة .

الباب السابع والعشرون

الفصل الثامن والستون بحث المائتين

محمد الخامس وبداية النضال لتحقيق الاستقلال

من الكتلة الوطنية الى الحزب الوطني 1934-1937

غالت فرنسا الى درجة العمل بسياسة التمثيل في المستعمرات والمحميات التي أوقعها سوء الطالع تحت سيطرتها بقوة الحديد والنار، إلى درجة أنها زعمت لنفسها التمثيل النسبي واعتبرتها جزءا لا يتجزأ من فرنسا إلا شكلا في المحميات، بل رسمت لهذه المستعمرات والمحميات سياسة موحدة ترسمها وتقررها باريز التي أحدثت فيها وزارة ما وراء البحار، وأكثر من هذا حصل في المغرب حين إستشعرت أنها تمكنت بقوة الحديد والنار وأسلحتها المتطورة من القضاء على المقاومة الشعبية التي استمرت طيلة 22 سنة، حيث وضعت خطا فاصلا بين المغاربة والتعليم كما رأينا، وبالتالي بينهم وبين الحضارة المعاصرة، وإذا كانت قد إختارت قلة منهم إلى جانب بعض الجزائريين والتونسيين طوعتهم ليكونوا تراجم وخداما للمستعمرين، وخصوصا الإقامة العامة، فما ذلك منهم إلا إضطرارا، ومع ذلك وضعتهم تحت حراسة مشددة، وأما إذا هي أنشأت المدارس وعبدت الطرق، وأنشأت بعض المستشفيات وجهزت بعض المرافق لتوليد الطاقة الكهربائية، فهي لم تقصد غير التمكين للفرنسيين وتحقيق مصالحهم الاقتصادية، ثم لأبناء "الأعيان" و"الصفوة" الصالحة لها، بل الطرق في مختلف الاتجاهات لم تكن لغير توجيه القوات العسكرية لمحاربة المواطنين المقاومين للاحتلال، أو لصالح إقتصادها تصديرا وإيرادا، والمستشفيات التي يشهد تاريخ ومكان تأسيسها، أنها لم تكن في غير المدن ولم تكن التي نالت العناية منها غير تلك التي كانت في مناطق المعمرين والأوروبيين، وللوقاية من نشر الأمراض بينهم أو بالقرب من تجمعاتهم(1)، ولقد مضى على عهدنا

(1) وللدلالة على صحة القول نستدل بالحقائق التالية. لقد دخلت فرنسا للمغرب بفرض الحماية 1912 ومن أجل أن "تساعده" على التطور والتقدم. وحين دخلت كان عدد السكان بالتقدير يزيد على الخمسة ملايين. وبعد =

بالاستقلال قرابة أربعين سنة، ودار لقمان على حالها بالنسبة للبادية.

لقد دامت هذه الحال حتى سنة الانفجار وهي سنة 1946 والتي عبر عنها محمد الخامس رحمه الله في خطاب العرش لنفس السنة حيث قال بلهجة تنم عن منتهى ما بلغه من التذمر من وضع المغرب وما إنتهى إليه تحت سلطة وقهر الفرنسيين وخبثهم الذي إشتد في مرحلة ما بعد الحرب كما سنرى يقول محمد الخامس وبعد تعداد ما قام به جلالته من أعمال وطنية في مختلف المجالات ومنها ردع بدعة وضلال الطرق الضالة باسم التصوف: «ولنلق إن شئتم نظرة عامة على ما يقرعنا من الخجل أمام ما يعوزنا من أكيد العمل: يقدر سكان المغرب بثمانية ملايين نسمة، ليس فيها من جنسها ثمانية أطباء لينوب كل مليون من الأشخاص طبيب واحد، بلغت الطرق المرصفة والسكك الحديدية آلاف من الكيلومترات في كل نواحي المغرب، وليس من أبنائه الا من يستعمل بها أجيرا يعاني الشقاء في إنشائها، ويحالف العناء مأمورا لا أمرا، ولا يوجد منا مهندس واحد يسير قطارها، أو يدير أمر إدارتها، بنيت مخازن للمياه لسقي الأرض وتوليد الكهرباء ولا نجد من رعايانا المهملين مهندسا واحدا يشارك في تشييدها أو يتمتع بنفع مياهها. ينتفع جل سكان المغرب بمنافع البريد والتلغراف والتلفون، وليس فيهم إلا الرقاصة لتفريق المكاتب أو خدمة إصلاح الأسلاك، تبلغ مساحة أراض المغرب الفلاحية ملايين عديدة من الهكتارات، ولا نجد عشرة من المغاربة يقابلون خدمتها بطرق الفلاحة العصرية. لا يوجد بعامه في باديته وحاضرتة إلا معمل صناعي عصري واحد أنشأه بعد أكيد العناء ذلك الشاب الغيور الذي نرجو له مزيدا لفلاح، لا يوجد في بلادنا إلا شركات

= الحرب العالمية الأولى 1914-18 واتخاذ المغاربة وسيلة للدفاع والهجوم. ونتيجة للحرب وما بعد الحرب، وما عرفتة شعوب المغرب الكبير من إهمال عرف المغرب ضمنها انخفاضا، فبعد ما عرف المغرب إحصاء 1921 نقص العدد إلى 4300.000 ثم في عام 1926 (كان العدد 4900.000. وفي 1931 أصبح العدد 5400.000 وفي عام 1936: 6.300.000. وفي إحصاء 1951-52 أي بعد عشرين سنة أصبح عدد 8.000.000 وفي المنطقة التي كانت تحت حكم الاسبان 1.100.000 نسمة وفي طنجة التي كانت نوكية 300.000 أي أن المجموع 9.400.000 نسمة على أنه لو تقدمنا قليلا وبمجهود المغرب المتواضع بعد الاستقلال في مجال الصحة نجد عدد المغاربة ينمو ديموغرافيا وفي فترات متقاربة بطريقة تخجل الفرنسيين حيث أسفر إحصاء 1963 على 12.665.000 وإحصاء 1972 بلغ 15.867.000 وفي عام 1977 بلغ 18.300.000 ويبلغ عدد الشعب المغربي بلا شك ونحن في عام 1990 أكثر من ثلاثين مليوناً، وهم يقولون²⁵.

تبلغ من القلة عدد أصابع اليد والحال أن الأجانب تعد شركاتهم بالمآت» بربك هل صاحب هذا العرض الأليم ملك أو مناضل رائد.

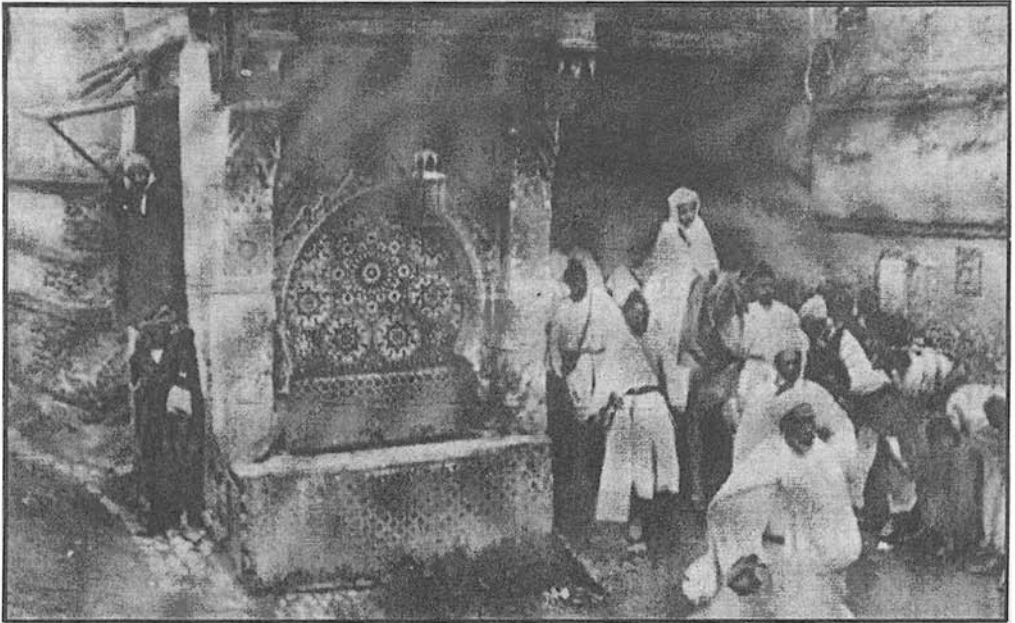
رأيتم بعد هذا العرض الوجيز المخجل أننا نحاول أن نزاحم الأمم المتسابقة إلى الطرق الجديدة بوسائل القرون الوسطى الخ⁽²⁾. لكن من الذي انتهى بالمغرب والمغاربة إلى هذا المصير وما وصف العاهل العظيم بحسرة وألم، إنها فرنسا وسياسة القهر والظلم والاستعباد التي نهجتها في ربوع شمال إفريقيا وغيرها من الشعوب التي أوقعها سوء الطالع تحت نفوذها وسيطرتها.

لقد إنتزع المعمرون وبقوة الظلم والقهر من أخصب الأراضي المغربية وحتى عام 1934م أكثر من 600.000 هكتار ومع تمكن الاستعمار بلغت 1150,000 إغتصبوها من أصحابها إغتصابا ثم وزعت على المستوردين الهمج من الأكراس واللورين والكورس الذين مهما طال الأمر لا ينسى المغاربة همجيتهم وسوء تصرفهم، كما استولى الفرنسيون وبتخطيط حائد وخبيث وضعته إدارة ليوطي وزكاه كل الذين جاؤا بعده، وكذا رؤس المال إستولوا على كل خيرات المغرب ومواده الخام، بالإضافة إلى أن جل الشركات الصناعية في مرسيلية وغيرها أسست لها فروعا في الدار البيضاء، وبذلك أصبح للمعمرين في المغرب وشمال إفريقيا قوة سياسية تابعة في انقساماتها لما يحدث في فرنسا التي عرفت أخطر الانقسامات في العقد الثالث الذي إبتدأته في المغرب بفرض سياسة الظهير البربري وما تبعها من إرهاب، وإذا كانت الفئة الواعية من مغاربة الرعيل الأول في ميدان الوطنية السلفية، التي بدأت تتجه سياسيا قد إستغلت تلك الانقسامات لفائدة مستقبل المغرب وعدالة قضيته، فإن المعركة لم تكتسب نوعا فعالا من الجدية الا بعد أن مسك اللواء سلطان شاب في عنقوان الشباب، عرف منذ فجر شبابه بالرفض ومقاومة التناول على حقوق الآخرين حتى ممن كان في قمة الدولة إلى جانب والده

(2) من مجموع خطب العاهل العظيم محمد الخامس رحمه الله المنشورة بعنوان : مراحل النهضة المغربية من سلطان المغرب إلى شعبه الوفي وهي خطب ألقى في الفترة ما بين 1359-1363هـ/1940-1944م ص 64-65 المحمدية بالرباط.

المرحوم المولى يوسف، ذلكم هو محمد الخامس الذي أفاد ولمدة سنوات من إتصال وتوجيهات شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي يسجل التاريخ أنه في المرحلة التي نحن بصدد التأريخ لها كان قد شمر الساعد وتجند للعمل من أجل مقاومة الشرور التي ظهرت من الفرنسيين ويعنف عنيف بعد الظهير البربري الثامن بتاريخ 16 ماي 1930م أدرك محمد الخامس أن الواجب يحتم عليه قيادة المعركة وكما أكد الشيخ محمد لمعمري رأي شيخ الاسلام للعاهل "تقدم الصفوف حتى لا ينفلت الزمام من يدك، وكان هذا وقت إلحاق شؤون المغرب بوزارة خاصة غير وزارة الخارجية وهي وزارة المستعمرات في شهر فبراير 1934 فتقدم محمد الخامس باحتجاج على ذلك، ولقد أدى هذا الاحتجاج الى رفع القضية أمام المحاكم الفرنسية فحكمت محكمة النقض والإبرام العليا بتاريخ 13/4/1934م أن المعاهدة التي وضعت بين فرنسا والمغرب الأقصى "30 مارس 1912" من أجل نظام الحماية الفرنسية بالمملكة الشريفة ليس من مفعولها أن تضيق للمغرب إستقلاله الذاتي» الامر الذي شجع المغاربة لمقاومة مغالات إدارة الإقمة العامة وسياستها لما تنطوي عليه من غدر ومحاولة طمس معاهدة الحماية التي تحتفظ للمغرب بسيادته. كما ظهر التزام محمد الخامس في كل ما يتعلق بحقوق شعبه، فكان إنتصارا للطبقة الواعية من المغاربة ودافعا لتجمعهم والتفافهم من حول عاهلهم وبذلك تكونت الكتلة وما نتج عنها من حزب وطني.

بعد رفض إدارة الحماية للمطالب في ماي 1934-1936 كما سنرى كانت هذه المرحلة نقطة تحول وتطور في تاريخ الحركة الوطنية، خصوصا أن صدى تحركات جمعية العلماء وأنصار الحريات الديمقراطية بالجزائر وجمعية طلبة شمال إفريقية بباريز كان يتردد صداها في المغرب مع الواردين من الطلبة والتجار الذين أكثروا وقتها من المشاركة في معارض الصناعة التقليدية المغربية بباريز وغيرها. وإذا نحن علمنا أن سنة 1934 هي السنة التي توقفت فيها المقاومة المسلحة بجبل صاغرو بواسطة التفاوض مع قيادة المقاومين التي أرغمت العدو على الرضوخ إلى ذرجة أن التفاوض كان مع الجنرال هوري القائد العام للقوات الفرنسية بالمغرب، وإذا ما تردد صدى تلك



المرأة المغربية في الماضي القريب عام 1930 قبل أن يخطط شيخ الإسلام ومحمد بن العربي رائد النهضة الوطنية لإنقاذها بتعليمها

الانتصارات التي كان شيخ الإسلام يزودها معنويا ويقويها بمساعدة ما حولها بواسطة فتاويه التي كان صداها يتردد هنا وهناك، إلى درجة أن الوفود كانت تتردد عليه منذ 1918 وكما علمنا حين حرب تافيلالت التي إستمرت إلى يوم 1932/1/20 ثم حرب الريف التي ذاع وانتشر في مدينة فاس: أن القاضي محمد بن العربي اشترى حصانا واستعد للذهاب إلى ميدان الجهاد 1922م(3) ثم بعد إنتقاله الى الرباط 1928 وسكناه بمدينة سلا. المدينة التي تزعمت هدم سياسة الظهير البربري، بل والتي عرفت النور فيها فكرة عيد العرش عام 1933م بواسطة لجنة من خير رجالاتها برئاسة الحاج محمد فارس حجي. وهو العيد الذي أصبح وسيلة اللقاء والترابط والتلاحم بين المغاربة ويوم تطلعهم لتحقيق ما ينتظر الأجيال المقبلة من كفاح ونضال.

كان شهر ماي من سنة 1934 هو المنطلق غير المقصود نحو التحام العاملين في الميدان الوطني وجملة العاهل محمد الخامس الذي زار مدينة فاس وضمن حاشيته شيخ الإسلام الذي ما كاد يظهر بالمدينة حتى تحول منزل مقامه الى منتدى شبيه بخلية النحر حيث أخذت الوفود تتردد عليه والذي ينظم الاستقبالات هم الشباب من طلبة القرويين والثانوية الإسلامية بفاس، وكان حاكم مدينة فاس وقتها الطاغية المستبد الجنرال ماركي الذي ساءه أن يرى ما حصل من تجمعات وتنظيم للمواطنين من أجل الالتفاف حول العاهل، وحتى تكون الزيارة في المستوى الذي يليق بمدينة فاس التي سبقتها مدينة سلا بسن عادة الاحتفال بعيد العرش، أرادت جماعة الرعيل الأول من أبناء المدينة أن يؤكدوا أنهم يستطيعون الزيادة على ما عرفت مدينة فاس ومن أجل استقبال العاهل من الأفراح والزينة ما لم تعرفه في تاريخها المعاصر، إلى درجة أن المواطنين بقوة حماسهم والتفافهم حول العاهل حالوا بينه وبين أية حراسة من القوات النظامية، بل أصبح ومسافة نزوله من القصر الملكي إلى قلب المدينة مسافة كيلومترين على حصان كان يمر وسط المواطنين

(3) رواية القاضي الأستاذ عبد الغني ابن القائد البشير المومي وهي رواية تقدر من رجل عرف بصدقه ونزاهته وخلقه ووفائه، لأنه الوحيد الذي قدم إستقالته من منصب القضاء يوم أبعد محمد الخامس كما سنرى، ثم هو ابن المنطقة التي كان شيخ الإسلام يزاول فيها القضاء وقتها وهي منطقة فاس الجديد والناحية، وفيها كان والده البشير قائدا بالقصر الملكي بفاس.

الذين كانوا يرددون الأناشيد الوطنية من نظم الاستاذ علال الفاسي ومحمد القرى(4). بل وعلى غير العادة علقت الرايات المغربية على الأبواب والسطوح وأبواب المحلات الى درجة أثارَت انزعاج الفرنسيين لأن العلم المغربي لم يكن قط ليرفع ويأمر صارم منهم، ما عدا فوق القصر الملكي بالرباط، وكان ظهوره في أي مكان يعتبر مخالفة يعاقب مرتكبوها .

(4) نشيد علال الفاسي مطلعہ :

يا ابن عدنان الأبي	يا ملك المغرب
نحن جند للقدنا	نحمي هذا الملك
عرش مجد خالد	ماجد عن ماجد الخ

كما وضع الشيخ السلفي محمد الطنجي نشيدا تغني به الشباب المغربي زمنا غير قصير هو:

1- بلاد العرب أوطاني	ومن نجد الى يمن
2- لنا مدنية سلفت	ولو في وجهنا وقففت
3- عرفنا كيف نتحد	ولسنا بعد نعتمد
4- فلا حد يباعدنا	لسان الضاد يجمعنا
5- فهبوا يا بني قومي	وغنوا يا بن أمي

ومثله وضع الشهيد محمد القرى رحمة الله عليه نشيدا آخر بمناسبة أول احتفال بعيد العرش من خمس مقاطع مطلعها كما يلي:

أيها الشبان هبوا	إنكم روح النشاط
ولتحيوا في سرور	وابتهاج واغتباط

ملكا يحيى البلاد

ملكا روح الترقى	منه يسرى للشباب
فيقوى فيه عزمنا	مدنيا كل الصعاب
فيرى مندفعنا في	قوة الأسد الغضاب

قصد إعلاء البلاد

أيها الشبان هبوا الخ	من البلاد المغربية
هتوا بالعيد سلطا	الذات الأبيسة
إنه عيد جلوس الملك	عن صناديه الحمية
فوق عرش الملك إرثنا	

عيد شباب البلاد

أيها الشبان هبوا الخ الخ

كان نشاط شبيبة سلا والرباط وحماسهم بمناسبة عيد العرش سببا في توقيف صحيفة الكتلة الوطنية التي هي "عمل الشعب" وكان صدى هذا التوقيف قد أحدث استياء لدى الشبيبة الفاسية التي أصبحت أيام وجود العاهل في مدينتهم كلها أعياد. أحيا فيها شيخ الإسلام ذكريات الماضي القريب، بإلقاء الدروس في جامع القرويين طيلة أسبوع. وفتحت المدارس الحرة أبوابها على غير العادة في الليل ليقوم فيها أبناء الثانوية الإسلامية بإلقاء دروس في محاربة الأمية كما ينص على ذلك قانون جمعيتهم، وبالأخص منه البنود السنة الأولى، كما إشتد نشاط "جمعية الحماسة" التابعة لأبناء جامعة القرويين. وشقيقتها "الجمعية السياسية"، وتكثفت جهود جماعة الرعيل الأول في هذه

(5) واقد احتفظ لنا الأستاذ غلال الفاسي بتاريخ الموقف السلطاني الخالد في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الوطنية وذلك بالقصيدة الموادية التي ألقاها بين يدي جلالة الملك اثناء الاحتفال الديني بالقرويين عام 1959، وقد نشرت بعد في دعوة الحق فيما اذكر مطلعها:

يجيش الشعر في نفسي وتابى قوافيه لدعوته جوابا

(6) تناول هذه المطالب بالتحليل الاستاذ غلال الفاسي في كتابه الحركات الاستقلالية ص 189-195 ط 1948 دون أن يورد نصها بالإضافة الى ما في الموضوع من تجاوزات أكد البحث عدم ثبوتها. ومثلها مذكرات ساكن سلا. ط النجاح 1982م.

(7) الكتلة والمطالب الوطنية

قيل ان الذي قدمها للعاهل وفد مكون من مجموعة من الوطنيين قدموها للعاهل وللمقيم الفرنسي واقد اخترنا ان نوردتها كاملة في الهامش حتى يتعرف المواطنون كيف كان المغرب وقتها في عهد الحماية التي فرضت بدعوى انها تريد مساعدة المغرب على الخروج من التخلف من جهة ومن جهة أخرى ليرى المغاربة كيف كان المستوى الذي فرض تلك المطالب وما تحقق منها وما لم يتحقق واقد مضى على عهد الاستقلال عشرات السنين.

الحماية

نظريتها - شروطها - مهمتها

أ- المعاهدات:

إن أول وأهم معاهدة وقع فيها التنصيب على النظام الذي كانت تريد السياسة الخارجية الفرنسية إحداثه في المغرب: هي المعاهدة الفرنسية الألمانية المؤرخة في 4 نوفمبر سنة 1911 حيث تقول مادتها الأولى: "إن الحكومة الامبراطورية الألمانية تصرح ببناء على كونها لا تعمل في المغرب الا من أجل مصالح اقتصادية بأنها لا تعرقل في المستقبل عمل فرنسا لبذل مساعدتها للحكومة المغربية قصد إدخال سائر الاصلاحات الادارية والمالية والعسكرية التي تحتاج اليها هذه الحكومة".

ب- التصريحات الرسمية:

وقد وقعت مصادقة البرلمان الفرنسي على أساس تقرير المسيموموريس لون الذي سجل فيه هذا التصريح: "إن المقيم العام سيضع حمايتها في طريق التطبيق مع محافظته على تعهداتنا أمام الدول، والتزامه الإخلاص التام في تطبيق الحماية بمعناها الخاص المنافي للحكم المباشري كل المنافاة".

وقد صرح المقيم ليوطي في الخطبة الأولى التي ألقاها بين يدي المولى عبد الحفيظ بما يأتي =

الأيام بشكل قوي الى درجة تقول مذكرات جميع الذين كتبوا وذاكرات الذين لم يكتبوا

= "إني أشرب على نخب جلالة السلطان، ملك هذه البلاد الذي أنا مطوق قبل كل شيء بمهمة مساعدته لتثبيت سلطته ووضع النظام، ونشر الأمن، وسأصرف في سبيل ذلك كل ما أملك من تقان وإخلاص" (1)
ومن جملة تصريحات المقيم ليوطي لجلالة السلطان المرحوم مولانا يوسف قدس الله روحه:
"يمكن لجلالتكم أن تكونوا واثقين من المساعدة التي أصبحت حكومة الجمهورية عازمة على بذلها لكم -طبعا للاتفاقات السابقة- من أجل بسط السلام في مملكتكم، وتتمية خيراتها، وترقية أنظمتها، وكل ذلك في دائرة أكمل الاحترام لتقاليدنا ودينها".

ويقول المقيم ليوطي في تقريره الى الحكومة الفرنسية بتاريخ فاتح ديسمبر سنة 1916م:
"إن احترام حقوق الملك للسلطان، وما له من الامتيازات: أمر لازم، ليس فقط، لأننا مقيدون في معاهدة الحماية بحفظ سلطته النافذة، ولكن بصفة أخص لأن هذا البقاء يتجلى في نظر جميع المغاربة، كضمانة سامية لباقي الأشياء التي يطالبون بها".
ومن جملة ما ورد في الخطبة التي ألقاها المقيم ليوطي برباط الفتح بتاريخ 24 نوفمبر سنة 1919 هذه التصريحات.

"... وهناك نقطة أخرى لا يمكنني إغفالها، وهي مسألة مبدأ الحماية فقد حملت من باريز تأكيدا بينا وقع التصريح به على السنة من لهم أعظم الاختصاص يقضي بأن مبدأ الحماية يجب أن يبقى خارجا عن كل جدال، فنظام الحماية ليس بمسألة شخصية، ولا محلية، ولا فرنسية وهو حقيقة جاءت بضبطها المعاهدات، وهو مكفول باتفاقات دولية، ليس في مقبور أي واحد منا، ولا في استطاعة الحكومة الفرنسية أن تغتبرها، ويستنتج من هذا أن المغرب دولة مستقلة تقوم فرنسا لحمايتها، ولكنها تبقى تحت سيادة السلطان، ولها دستورها الخارجي فمن الشروط الأولية حفظ وحدة هذا النظام، واحترام هذا الدستور".

"ومن نتائج هذه الحالة الواقعية أن التنظيمات السياسية الفرنسية ليس لها محل بالمغرب، فمن الممكن ان نوجد لمواطنينا الفرنسيين بعض هيئات، ونوع من التمثيل الفني، ولكن ليس في الامكان أن يكون لهم تمثيل سياسي".
فالمطالبات والمجادلات في هذا الباب ليست إلا حبرا على ورق، ووقتا ضائعا، وأزيد دون أن يؤكد في البيان أنه بناء على هذه الحقيقة نفسها وهي أن الدستور المغربي مضمون في المعاهدات الدولية ما لا تكون المطالبات الخاصة بهذه المسألة مجردة عن كل فائدة فقط، بل إنها أخطر الأشياء، والحكومة الفرنسية ستكون أول من يقطع دابرها".
ولما أخذ بعض الناس يتحدثون عن مصير الادارة المغربية متوهمين أن نظام الحماية سيكتسح هذه الادارة ويكنسها بعد بسط السلام، لتحل محلها ادارة مباشرة صريحة تكون نسخة من الادارة الفرنسية، وتقرب بالتدريج من نظام المقاطعات، قام المقيم ليوطي وقعد وحمل على أصحاب هذه النظرية الباطلة.

وفي الحفلة المنظمة بمناسبة تدشين "ميناء" الدار البيضاء بمشاركة نخبة من النواب، والرؤساء، والمفكرين الفرنسيين، صرح ليوطي بأن: نظام الحماية يقتضي مجرد مراقبة. وأن السلطان. والهيئات المخزنية التي تلتف حوله والاحتفاظ بالتنظيمات الوطنية المبنية على التقاليد، كل هذا لم يكن واجهة وستارا، وإن يضمحل منه شيء وإن يكتس. وقد شرح مسيو لويس بارتو -عضو المجمع العلمي الفرنسي ورئيس الوزارة سابقا- انتصار المشير ليوطي. لمبدأ الحماية، ودفاعه عن حقوق الدولة المغربية بقوله: "هذا أمر لا يمكن أن يكون ويجب أن لا يكون، هذان هما أساس النظرية التي ناضل عنها المقيم العام ليوطي بشدة بالغة، بإيمان راسخ، نعم هذا أمر لم يكن لأن هناك معاهدات تحمل توقيعنا، ومن شرف بلادنا أن لا نتكرر توقيعها، ولأن هناك ميثاقا ثنائيا يفرض علينا تعهدات نحو السلطان الذي أعطيناه عهدا هي من الدقة والصراحة بمكان، ونحو شعبه الذي جاهد من أجل استرجاع النظام، والأمن=

أنهم حققوا في هذه الأيام، بل وفي هذا الشهر الذي هو شهر ماي من عام 1934 من

= باسم السلطان ومن أجل السلطان. وهذا أمر كان من الواجب ان لا يكون إذ -بقطع النظر عن المعاهدات نفسها- ألسنا قد اقترضنا دينا أدبيا من الصنع الجميل، أصبح يفرض علينا واجبات نحو هؤلاء المسلمين المخلصين المتشبتين باستقلال المغرب الاسلامي، تحت السلطة المصونة التي لأمر المؤمنين المغاربة؟.

وقال وزير الشؤون الخارجية في البيان الذي وجهه باسم الحكومة الفرنسية وتلاه المقيم ليوطي على جلالة السلطان مولانا يوسف قدس الله روحه في يوم 7 ديسمبر سنة 1919م:

"إنني أرغب في أن أجد مباشرة لجلالتكم، التأكيدات الصريحة، التي ما فتئتم تأخذونها من حكومة الجمهورية، فيما يرجع لنظام الحماية، التي تضمنه المعاهدات، والذي أسس على سيادة جلالتكم، واستمرار دولة المخزن وإبقاء النظمات المبنية على تقاليد الملكة الشريفة واحترام الشعب، ففي هذه الدائرة التي لا تمس- دائرة نظاماته الخاصة- سيضمن المغرب بأحسن ما يمكن نموه المادي والاجتماعي، وأمنه وقوته".

وقد أوجز المقيم ليوطي القول عن مبدء (الحماية في التقرير الذي رفعه الى الحكومة الفرنسية بتاريخ 3 ديسمبر سنة 1920 حيث يقول:

"إن نظرية الحماية هي أن بلادا تحتفظ بتنظيماتها وتحكم نفسها وتدير شؤونها بنفسها، وذلك بوسائلها وهيئاتها الخاصة تحت مجرد مراقبة دولة غريبة والذي يسود هذه النظرية ويطبعا بطابعها الخاص، هو أسلوب المراقبة المتعارض تمام التعارض مع الادارة المباشرة".

وقد جاء في الخطبة الرسمية التي ألقاها المشير ليوطي بين يدي سلطان المغرب في المائدة التي أقيمت إكراما لجلالته بتاريخ 7 غشت سنة 1931 في قصر المستعمرات في المعرض الاستعماري الدولي بباريز:

"... وأما هذه السياسة -سياسة التعاون الودادي المتين- فهي أساس كل العمل الذي تقوم به فرنسا بالمغرب وهي كذلك شرط جوهرى في بناء النظام والأمن وتحقيق الرفاهية.

فلأجل هذا يمكن لي اليوم -بمناسبة أداء واجب التحية لجلالتكم والترحيب بمقدمكم- أن أتحدث في كامل الثقة والاخلاص عن مصير هذه الملكة السعيدة التي تعتبر جلالتكم الشريفة الوارثة مجد الدولة العلوية النبوية رئيسها السياسي ورئيسها الديني.

"فسلطتكم كما تقتضيها المشاهدات ليس في الإمكان أن تمتد إليها اليد بسوء، وهي ميسوطة في سائر المغرب من طنجة الى أقصى حد في الجنوب ومن المحيط الى التخوم الجزائرية".

ج- القانون الدولي:

وقد صرح المسيو بادفان -الاستاذ الشهير بكلية الحقوق الباريزية والمستشار القانوني بوزارة الشؤون الخارجية الفرنسية- في المحاضرة التي ألقاها بمعهد الدروس القانونية التابع للاتحاد الاستعماري الفرنسي في موضع نظام الحماية بشمال إفريقيا:

"إن نظام الحماية ينشأ عن ميثاق تلتزم فيه الدولة الحامية باحترام الدولة المحمية". وورد في الحكم الذي أصدرته المحكمة العليا الفرنسية للنقض والإبرام بتاريخ 12 أبريل سنة 1924 ما نصه:

"إن المعاهدة التي وضعت بين فرنسا والمغرب من أجل نظام الحماية الفرنسية بالملكة الشريفة ليس من مفعولها أن تضيع المغرب استقلاله الذاتي".

ونما هو مدون في الكتاب المشهور المسمى: "البحث في الحماية" لمؤلفه العلامة الاختصاصي في موضوع الحماية دسباني أستاذ الشرع القانوني الدولي بكلية الحقوق بجامعة بورديو والعضو بمجمع القانون الدولي:

"إن أعظم واجب مفروض على الدولة الحامية -كما هو مفروض أيضا على الدولة المحمية- يقضي=

الوعي السياسي ما لم يحققه في سنوات مضت، بل كانت هي مصدر الوعي

= بكامل الامتثال لنصوص المعاهدة وتنفيذ التزاماتها تنفيذًا كليًا وعدم تجاوز دائرة الحقوق التي أسند إليها القيام في ميدان السيادة الخارجية والداخلية للدولة المحمية إذا وقع التعهد صراحة نحو شعب من الشعوب. من أجل الدفاع عنه وحماية كيانه ثم لم يحقق الوفاء بانوعد إلا ما دامت في فائدة لصاحبه وتتوسى بالمرّة متى عظم حملته كان ذلك متنافيا تمام التنافي مع أصول الشرع الدولي ومع الواجب الأول للدولة التي يجب عليها -طبقا للقول المشهور- أن تكون قبل كل شيء كالرجل النزيه الأمين".

لم ننكر أبدا الصبغة الاستغلالية التي تصطبغ بها الحماية لفائدة الدولة الحامية، ولم تبلغ قط البساطة بالانسان إلى اعتقاد الاخلاص الطاهر في الاعمال التي تدبرها السياسة الخارجية، ولكن المهم هو أن تعرف هل ليس في إمكان الانسان أن يفيد غيره في حالة خدمته لنفسه، ففي حد ذاته -يقطع النظر عن قيمته الادبية- هل ينعدم الخير أو ينقطع عن الغير بسبب الفائدة التي تعود منه على فاعله؟

لوصح هذا لم يكن فيه أقل تشجيع للنفس البشرية الضعيفة التي ليس في الإمكان أن يطلب منها بكيفية عامة تحقيق الكمال في التضحية، ولكادت تفقد كل سلوى عند ما يشاهد المرء أن كل صنع في هذه الدنيا يلطخه دون المنفعة الشخصية مهما يقل عدد من المفكرين -وليسوا بأقلمهم قيمة واعتبارا- فالثقافة الخلقية والشعور بالعدالة وشدة الاهتمام باحترامها وتحقيقها تتجلى بازدياد في الروابط الدولية. كما أنها تتوغل في حياة الشعوب الداخلية بما يوجد بينها من الشعور المتكاثر بالحاجة الى تمتيع برغد العيش وإلى مواساة بعضها بعضا في البأساء والضراء: وباختصار الى التضامن البشري.

"قلو حصر الانسان اعتقاده في الاستغلال القاسي الذي يصاب به الضعيف من القوي في علاقات الشعوب، ولو زعم أن مذهب داروين في تنازع البقاء هو دستور السياسة الخارجية لكان مستعبدا لنفوذ الوقائع التي ما تزال والحق يقال -كثيرة العدد رغم كونها أخذت تصير شيئا فشيئا من قبيل الطوارئ، ولكنها -على أي حال- كالسياسة التي تسلكها الحكومات المتعاقبة في كثير من الأوقات- مخالفة لهذا المجرى العظيم من العدالة الذي ينعش اليوم روح العالم المتمدن.

تصريح جلالة الملك

سيدي محمد بن يوسف نصره الله

ببيع جلالة الملك سيدي محمد بن يوسف أيده الله ونصره يوم 23 جمادى الأولى سنة 1346 الموافق 18 نوفمبر سنة 1927 وبعد مضي يومين علي البيعة الشريفة، أقيمت حفلة فاخرة في القصر السلطاني في رباط الفتح عاصمة المملكة المغربية، وقد خطب فيها مقيم الجمهورية الفرنسية بالمغرب إذ ذاك الميسوستيغ فكان جواب جلالة الملك هذا التصريح الآتي:

"إن الشعب المغربي ينتظر منا مجهودا مستمرا، لا من أجل تنمية سعاداته المادية وحدها، ولكن لنكفل له الانتفاع من تطور فكري، يكون متلائما مع احترام عقيدته ويستمد منه الوسائل التي تجعله يرتقي درجة عليا في الحضارة بأكثر ما يمكن من السرعة".

مقدمة

بقي المغرب الأقصى منذ القرن الثاني للهجرة والثامن للميلاد: دولة مستقلة عن سواها من الدول الاسلامية وغيرها وحتى عن الخلافة الاسلامية نفسها، وقد حافظ على حرية خلال القرن التاسع عشر رغما عما كان يحدث به من الاخطار بسبب وضعيته الجغرافية، وعن مطامع الدول الاستعمارية التي ما فتئت -بعد أن اكتسحت القسم الاعظم من البلاد الاسلامية- تحوّل الدساش وتدير المؤمرات لبيسط نفوذها على الملكة الشريفة رغبة في تعزيز سيادتها الخارجية واستغلال خيرات البلاد =

بالمطالب(6) التي تقدمت بها الكتلة الوطنية التي تعتبر بحق بعد الزاوية والطائفة نقطة

= وبالرغم مما كان ينقص المغرب الأقصى من وجهتي التجهيز المادي الجديد، والتقدم العلمي العصري، فقد استطاع أن يدافع عن كيانه ويحمي مصيره بفضل جهود ملكه الفذ مولانا الحسن (روح الله روحه) ذلك الملك الذي وطد الأمن في داخلية البلاد، وأوفد البعثات العلمية للجامعات الأوربية قصد إعداد الخبراء الفنيين والموظفين الأكفاء الذين يستطيعون القيام بخدمة الدولة، وإجراء التنظيمات التي تمس حاجتها إليها، وقد شرع أيضا في تنظيم الجيش المغربي وذلك باستخدام مدرّبين من مختلف الاجناس كما أخذ في تكوين أسطول حربي بشراء بعض البوارج من الدول، أما سياسته الخارجية فلم تكن أقل أهمية من التنظيم الداخلي فقد فتح باب المفاوضات مع الدول ذات الامتيازات قصد الاتفاق على نظام جديد لا يتنافى وسيادة المغرب، ولا يعرقل أعمال الحكومة ويؤدي شيئا فشيئا الى إلغاء الامتيازات الاجنبية، مع إعطاء الضمانات الكافية لحفظ ما هو مشروع من مصالح رعايا الدول الاجنبية النازلين بالمغرب، ولكن المنون حالت بينه وبين تميم أعماله الاصلاحية وهكذا حرم المغرب من ثمرات الجهود التي بذلها هذا الملك العظيم فجاءت بعد موته فترة كثرت فيها المؤمرات الاجنبية، وضعفت فيها شوكة الحكومة المغربية حتى أصبحت هدفا لمطامع الدول المتنافسة في شأن مصير المغرب. فالتجأت بحكم تلك الظروف القاسية الى القروض الخارجية، ثم تضعض نفوذها في كثير من الجهات، ونشأ عن ذلك كله اضطراب داخلي أدى الى تدخل الاجنبي في شؤون الدولة، وقرض معاهدات على الدولة الشريفة كمعاهدة الحماية سنة 1912.

قبل سلطان المغرب سابقا مولاي عبد الحفيظ في هذه المعاهدة ان يسند وزارة خارجية الدولة المغربية الى سفير الدولة الحامية، ووساطته في سائر المعاهدات التي يروم عقدها مع الدول الاجنبية ومشورته في المخابرات المتعلقة بالقروض التي قد تحتاج اليها المملكة.

وقد كفلت هذه المعاهدة كفالة صريحة سيادة الملك ببسط حكمه على سائر أصقاع المملكة المحافظة على التراب المغربي وحماية حقوق الأمة ومصالحها فجاءت معاهدة الحماية بتأكيد ما تضمنته المعاهدات السالفة من التزامات وضمائنات وهكذا فرض نظام الحماية الحديث على الدولة الحامية تدريب الحكومة المغربية ومساعدتها حسب ما يقتضيه منطق المعاهدة ومفهومها: كل ذلك من أجل إجراء الإصلاحات التي تحتاج اليها البلاد.

ومعنى هذا أن سلطان المغرب كان يرى في الحماية -زيادة على ما تقتضيه صراحة- أداة لتوقيف الدسائس والمكايد التي ظلت الأيدي الاجنبية تتسابق لحوكها قصد خلق الفتنة وإثارة الشعب، وكان يرى فيها سبيلا للراحة والطمأنينة اللازمين لتدبير الملك وتحسين العمران، ومساعدة ثمينة من دولة قامت على تراث الثورة الفرنسية ومبادئ حقوق الانسان الذي من شأنه أن يساعد المغرب على العودة الى الحياة النشيطة القوية. محتفظا بشخصياته الضرورية. وفق الضمانات الدولية، كأمة لها منزلتها ومكانتها في هذا الوجود.

وقد حق للمغرب أن ينتظر من تنفيذ هذه المعاهدة تدشين عهد جديد من تاريخه المجيد، إذ لم يبق من هم للدولة سوى تنظيم داخليتها ورفع مستوى الشعب من الناحيتين الفكرية والمادية.

مر اثنان وعشرون سنة على إضفاء معاهدة الحماية قهلا بلغنا أمينتنا منها؟

لقد أسدل الأمن على سائر أطراف المملكة وأُنشِرح المغاربة انشراحا لا يكرهه الا ذكرى الوقائع المؤلمة وما أريق فيها من الدماء. ويزيد هذه الذكرى مرارة ما يراه المغربي مفقودا أو مداسا من الوسائل السياسية السلمية التي كان في استطاعة الادارة اتباعها في كثير من الاحيان والتي لو اتبعتها لحققت بها كثيرا من الدماء، وما يراه أيضا من الانظمة الاستثنائية والمعاملات الشاذة التي لازالت خاصة بأمته، والتي تسبب الاستياء العام.

وقد خطا المغرب خطى واسعة في سبيل تجهيزه تجهيزا عسريا، بتخطيط الطرق ومد السكك الحديدية، وتشبيد البنائات الادارية، فالمغاربة ينشرون لهذا التجهيز، ويعترفون بمجهودات الحماية في سبيله وإن كانوا ينتقون من جهة عدم السير بحكمة في وضع برنامج هذا التجهيز وسلوك سياسة جبائية مشطبة مع الأفرط في فرض العروض الباهظة على الدولة والأمة ويلاحظون من جهة أخرى أن فائدة هذا التجهيز عادت بالأخص على-

تحول في تاريخ المغرب السياسي وتطلع رجاله الى العمل الصادق من أجل التحرر

= الاستعمار وعلى الشركات الرأسمالية، في الوقت الذي لم يستفد منه أبناء البلاد الا بطريق غير مباشر وفي نفس الوقت ينتقدون على الادارة اغفالها -أثناء التجهيز المادي- ترقية الشعب المغربي من الوجة العلمية، ورفع مستواه الفكري الى الدرجة التي تتناسب مع تضحياته ورغباته.

يرى المغاربة أن اتباع الادارة لسياسة الامتيازات العنصرية هو الذي جعلها تهمل وسائل ترفيتهم، في الوقت الذي تكفل فيه الجالية الأوربية كل وسائل الراحة والسعادة فشيدها لها المدارس والمستشفيات والمحاكم، وأسست لها المجالس وفتحت لها الهيئات الإدارية، وبذلت لها المساعدات وضمنت لها مصالحها المادية، وحقوقها المدنية، وحريتها الشخصية حتى أصبحت العنصر الممتاز المختار في البلاد المغربية.

لم تفرض معاهدة الحماية على الدولة الحامية بسط الامن في البلاد وتجهيزها العصري من أجل الأجنب ولم يقبلها المغرب كمعاهدة استعمار واستغلال في سبيل الجالية الأوربية ولكنها أسست على مبدأ تنظيم المغرب من الناحية المادية والعلمية بكيفية تضمن رقي الأمة الحقيقي وتعزز أركان الدولة المغربية فهل رعت الحماية تعهداتها أو حافظت على مصالحنا وحقوقنا في التشريع وفي التنظيمات الادارية؟؟

لا نقول ان الادارة لم تقم بعمل ما لفائدة المغاربة فانهم استفادوا بطريق غير مباشر من الاعمال التي قصد بها غيرهم كما استفادوا بطريق مباشر من الاعمال التي جعلت من أجلهم كبناء بعض المستشفيات وبعض المدارس، واحداث بعض المؤسسات المختلفة.

ولكن لا نكون مقصرين في البيان اذا قلنا: ان العمل الذي قامت به الادارة من أجل المغاربة لا يكاد يذكر اذا تسناه بما كان يجب أو يكون نظرا لتعهدات الدولة الحامية وقابلناه بما فرض على المغاربة من ضرائب وتكاليف وما أضاعوه من أرض وثروة وما خسروه من جاه وسيادة.

على أننا في ملاحظتنا نعترف بأنه لم يكن من السهل اصلاح كل الانظمة العتيقة في ظرف اثنين وعشرين سنة ولهذا لا تطالب الحكومة الا بما كان واجبا عليها ان تفعله خصوصا ونحن نرى ما قامت به من الاعمال في سبيل الجالية الأوربية. ألم يكن في استطاعة الحكومة -على الاقل- وضع برنامج لسياستها العامة، والاصلاحات الهامة، والشروع في تنفيذه، واعداد الرجال له؟ ففي ميدان العدالة مثلا -والعدالة أقدس حقوق البشر- لم تجد الحماية سنة 1912 -يقطع النظر عن المحاكم القنصلية- أثر لمحاكم فرنسية، ولا لعدلية فرنسية يصح أن يطلق عليها هذا الاسم ولم تلبث أن شيدها لها البنائيات الشاهقة، ونظمتها تنظيما يغار منها رجال القضاء بفرنسا نفسها وخصصت للموظفين فيها المرتبات العالية والتعويضات الكثيرة، كل ذلك من ميزانية الدولة المغربية فماذا فعلت الحماية فيما يرجع للعدلية المغربية، وقد وجدتها قائمة الذات، يتحاكم اليها ملايين من المغاربة والاجانب أنفسهم في كثير من القضايا؟

إن العدالة المغربية لاتزال الى اليوم على هامش الميزانية العامة، فالقواد والقضاة لا يتقاضون أجورا ثابتة، وليست لهم أنظمة ولا ضمانات.

إن العدالة المغربية لا تزال فاقدة لكل نظام من ناحية التشريع، ومن ناحية السيطرة، ومن ناحية التنفيذ. إن القواد والقضاة لازالوا يحكمون بابواب نورهم وكثيرا ما يكترون المحاكم من مالهم، ويسجنون في الاروية مع البهائم في المدن وفي المطامير في البادية. إن السلطات القضائية والتنفيذية والادارية كثيرا ما تجتمع في يد الشخص الواحد، وكثيرا ما تختاره الادارة من بين الاميين الذين يجهلون كل شيء عن القضاء وعن التنفيذ وعن الادارة.

ألم يكن في استطاعة الادارة عدم توظيف الاميين في منصب القضاء؟ وهلا استطاعت اعداد قضاة وقواد المستقبل مثل ما هو الشأن في جميع الدول، مع وضع برنامج لاصلاح الدلية المغربية وتأسيس محاكم عصرية تقوم بتنفيذه على سبيل التدرج.

إن ما ذكرناه عن العدليتين الفرنسية والمغربية يصح أن نعيده في باقي الاعمال الادارية، كالتعليم =،

والاستقلال ولقد كان الفرنسيون دائماً يشهرون ان الحركة الوطنية لا برنامج لها وأنها

= والاقتصاد والصحة، والاسعاف، والعمل وغير ذلك، وهذا يبين بجلاء كيف تسود في البلاد سياسة الامتيازات العنصرية ويفغل جانب سكان البلاد الأصليين رغم ما يجب ان يكون لهم من الحقوق كمغاربة وكأغلبية ساحقة في هذه البلاد.

لم تكثف الادارة بتمييز العنصر الاوروبي على المغربي بل أرادت اتباع سياسة التفرقة بين المغاربة أنفسهم فأحدثت أنظمة شاذة كالنظام المبني على السياسة البربرية لتوجيه الاكثرية العظمى في الأمة المغربية نحو الثقافة الفرنسية والقضاء الفرنسي، ومقاومة الاسلام، والثقافة العربية، ووحدت القضاء المغربي، وسلطته الشريفة ونفوذ جلالة السلطان.

وقد تتقن المغاربة ان السياسة البربرية سياسة إدماج، وأنها مظهر من مظاهر السياسة العامة المتبعة في البلاد: أي سياسة الحكم المباشر المنافى تمام المنافاة لمعاهدة الحماية التي تقضي بأن الحكم للمغرب وحده، وأن ليس للدولة الحامية سوى حق المراقبة وواجب المساعدة. ان عدم اهتمام ولاة الحماية بأدخال الاصلاحات اللازمة على النظم القديمة، وإيثارهم الجالية الاوروبية على سكان البلاد الاصليين بخيرات البلاد، واتباعهم سياسة الادماج وطريق الحكم المباشر جهاراً وخفية: كل ذلك أصبح شديد الوطأة على المغاربة، وأحدث اضطراباً عاماً في الافكار، واستياء عميقاً في جميع الاوساط، وقد وقعت أثناء السنين الأربعة الأخيرة مظاهرات واحتجاجات شديدة، ورفعت لجلالة السلطان ولولاة الحماية ولرجال الحكومة الفرنسية عشرات من العرائض ومئات من البرقيات وكتبت في الداخل والخارج أسفار من الأبحاث والمقالات قصد التعريف بالأمر ورغبة في تحسين الحال.

وقد كانت الأمة المغربية متضامنة -شيوخاً وشباباً- في حركة احتجاجاتها على تصرفات الادارة، مع كتلة عاملة من أبنائها الساهرين على مصالحها فبرهنت في مختلف المناسبات على شديد ارتباطها بهم وعظيم ثقتهما فيهم وتحببها لخطتهم.

وقد أصبح مدى هذه الحركة المنتشرة في كل أنحاء البلاد المغربية معروفاً لدى كل الناس، ولملوساً بالأخص في الدوائر التي يرجع اليها النظر في شؤون هذه البلاد، واعترف كثيرون من رؤساء الادارة بأن أغلابل كثيرة قد وقعت في تطبيق نظام الحماية حولتها عن الغاية التي وضعت من أجلها، فخاب أمل الذين كانوا يرون فيها المساعدة والمدد، وشعروا بوجود العودة الى العمل من جديد، وتدشين الحماية للمرة بالمعنى الذي يتفق ومصصلحة المحميين وحينئذ فقد أصبح واجباً على الأمة التي طالما انتظرت تغيير الحالة الحاضرة أن تعرف الحكومة بكيفية بينة بالاصلاحات التي يجب تحقيقها لتحسين حالتها العامة.

وقد استخلصت الكتلة العاملة المغربية -التي تضم النخبة المجاهدة في البلاد- هذه المطالب المحتوية على تعريف ضمني بالسياسة المنتقدة، والتصرف الاستثنائي من مجموعة العرائض والشكايات والمطالب الجزئية التي رفعها الشعب في أوقات مختلفة لجلالة السلطان والحكومة.

وقبل اعطائها صيغتها النهائية عملت على الاتصال بمختلف طبقات هذه الأمة في حواضرها وبواديها وهكذا استطاعت أن تدرس نفسية الشعب وأن تعرف الفكر العام معرفة كاملة وعلاوة على ذلك فقد وردت عليها شتى الرسائل في الاعراب عن حاجة البلاد الماسة الى نظام صالح يحفظ حقوق المغاربة ومصالحهم أمة وأفراداً ويسير بهم في صراط التقدم المستقيم. وقد حرصت الكتلة عند وضع هذه المطالب على إيجاد حلول للمشكلات الحاضرة يتيسر معها تحسين العلاقات بين مختلف العناصر المتساكنة في البلاد وتضمن للجميع مصالحهم والحفاظة على حقوقهم المشروعة ضمن الاوافق الدولية، وطبقاً للحماية كما تقتضيها المعاهدات وتسمح بها في حدود القانون الدولي.

وقد وجدت أثناء تهيئة هذه المطالب أن قسماً من الاصلاحات التي تتوق اليها الأمة قد وضع له تشريع منذ زمن بعيد فهي لا تطالب بأكثر من تطبيق ذلك التشريع على المغاربة إذ كثيراً ما يقصر تطبيقه على الجالية الاوروبية مثال ذلك التشريع الخاص بالعمل والحالة المدنية والحريات الشخصية.=

غير منظمة الأمر الذي دفع الى وضع ما سمي بالمطالب، والتي في نفس الوقت تعرب عن

= على أن القسم الاعظم من حاجات الامة المغربية قد أغفله التشريع المغربي، فالكثلة العاملة المغربية تطالب بوضع تشريع له يرضي البلاد، واتباع خطة رشيدة في تطبيقه، ومن هذا القبيل اصلاحات سهل تناولها، يمكن للحكومة تحقيقها في الحين، مثال ذلك ما يرجع للتعليم والسياسة الاقتصادية وإعانة الفلاحين والصناع الصغار وهناك اصلاحات لا يمكن تحقيقها برمتها دفعة واحدة فيجب على أي حال قبول نظامها المقترح والشروع فيه من سلوك التدرج في انجازها، مثال ذلك اصلاح العدالة المغربية فهو يقتضي تنظيم المحاكم بكيفة عصرية وتقسيما الى درجات وهذا يقتضي إعداد موظفي القضاء الأمر الذي لا يتيسر في زمن قصير، فالواجب في مثل هذا الحال الشروع في إعداد الموظفين القضائيين مع اتخاذ تدابير مؤقتة لضمانة حقوق المتداعين وجعل حد حاسم للظلم والتعدي. ومهما يكن من الأمر فيم يرجع لتحقيقها المعجل أو المؤجل فالمطالب التي تقدمها اليوم، كلها ضرورية، وأنها أضمن وسيلة لرقى الامة وتحقيق أمانها.

هذا واننا لم نكن في هذه المطالب حريصين على شيء حرصنا على التوفيق بين رغبات الشعب الحقيقية ومصالحه الثابتة من جهته، والأوفاق والمعاهدات التي يراعيها جلاله الملك المفدى من جهة أخرى مع الاقتصار على ما هو -في الواقع- ضروري للمغرب في طوره الحالي. وعسى أن يكون برنامجنا هذا برهانا للحكومة على حسن الغاية التي ترمي اليها حركتنا، وعلى أن ما نتمناه هو أن تتوقف الحكومة لسلوك سياسة رشيدة تصلح ما أفسدته الغلطات السابقة وتعيد للأمة الثقة في حسن نوايا الحماية.

ونحن لا نشك في أن تلبية هذه المطالب تضمن كل ذلك وتخطو بالمغرب خطوة واسعة الى الرقى في ظل جلاله مولانا الملك سيدي محمد بن يوسف نصره الله كما أنها تجعل مهمة فرنسا بالمغرب محسوسة في الواقع مشرفة للدولة الفرنسية تستحق من أجلها الاعتراف بالجميل، وتسجلها الاجيال القادمة لها خير تسجيل والسلام؟

1- الإصلاحات السياسية

(1) التنظيم الإداري

مبادئ عامة

- (1) بناء النظام الإداري على أساس المعاهدات الدولية وخصوصا معاهدة الحماية طبقا لنصوصها الصريحة، ولعنى الحماية القانوني المحدود.
- (2) الغاء كل التشريعات والمؤسسات التي أحدثت منذ إعلان الحماية على أساس "الإدارة المباشرة" وكفالة الإقامة العامة لسائر المصالح الفرنسية في المغرب بالوسائل الإدارية.
- (3) تمثيل جلاله السلطان في كل الاجتماعات الرسمية بحضور من يختاره من أعضاء حكومته.
- (4) العدول عن سياسة الامتيازات العنصرية في التشريع والإدارة.
- (5) عدم السماح بانتقاص الحدود المغربية، وبسط السلطة المخزنية في سائر أطراف المملكة.
- (6) جعل التقسيم الإداري للنواحي خاضعا لمبدأ "المركزية الإدارية" وأسناد رئاسة النواحي لموظفين مغاربة.
- (7) العدول عن النظام الإداري المعروف بنظام (القواد الكبار).
- (8) استبدال الحكم الإداري العسكري في سائر المدن المغربية وفي كل البوادي التي استتب بها الأمن وأجرى فيها النظام بالحكم الإداري المدني.
- (9) تحديد مسؤوليات الإدارة والموظفين تحديدا قانونيا.
- (10) إسقاط الإدارات الزائدة وادماج الإدارات المتشابهة الاختصاص، وإلحاق كل إدارة بالوزارة المغربية التي تمس اختصاصها.
- (11) إدخال عدد كاف من المغاربة في كل المجالس الإدارية. مثلا =

مقاصد الوطنيين وأهدافهم. فوضع الوطنيون لهم مطالب اطلقوا عليها مطالب الشعب.

= - المجلس الأعلى للتجارة والصناعة

- المجلس الأعلى للفلاحة

- المجلس الأعلى لتربية الحيوانات

- المكتب المغربي للملكية الصناعية

- مجلس السياحة

الحكومة المغربية

(12) تأليف الحكومة المغربية من تسع وزارات:

أ- الصدارة العظمى أو رئاسة الوزارة

ب- وزارة الداخلية

ج- وزارة العدلية المغربية

د- وزارة المالية (التي أقرها ظهير 31 أكتوبر سنة 1912 المنظم للوزارة المغربية)

هـ- وزارة الاقتصاد (فلاحة - تجارة - صناعة)

و- وزارة المعارف

ز- وزارة المواصلات (الاشغال العامة- البريد - التليفون والتلغراف)

ح- وزارة الاحباس

ط- وزارة الصحة العامة

(13) تعيين خليفة سلطاني للقائد العام للجيش بالمغرب (ظهير 31 أكتوبر 1912)

(14) تعيين كل ما هو ضروري من الموظفين الفنيين الفرنسيين في الإدارات الفنية التابعة للوزارات المغربية،

زيادة على الموظفين المغاربة

الإدارة العليا للحماية

(15) تركيب الإدارة العليا للحماية من:

أ- الإقامة العامة

ب- المعتمد

ج- المكتب المدني

د- المكتب العسكري

هـ- مكتب السياسة الداخلية

و- مكتب السياسة الخارجية

ز- إحدات مكتب للمراقبة العامة يشتمل على مراقبة النواحي المدنية والنواحي العسكرية

إدارة الشؤون الشريفة

أ- اداة وصل بين الحكومة الشريفة والإقامة العامة .

ب- مستشارا للحكومة الشريفة

الموظفون

(17) تقليل عدد الموظفين والتخفيض من مرتباتهم بقدر حاجة البلاد ومقدرة السكان الجبائية، وتبرير إحدات

الوظائف بالحاجة الماسة اليها لا بمجرد ترضية الأفراد ومكافآتهم.

(18) التخفيض من المرتبات العالية تخفيضا كبيرا . =

وهي عبارة عن برنامج سياسي يتضمن اهداف ومقاصد الحركة الوطنية خصوصا وأنها

- = (19) التخفيض من التعويضات المعروفة بالخمسين في المائة، وإسقاط تعويضات غلاء المعيشة، وتعويضات السفر وتعويضات الاختصاص وتعويضات الانتاج.
- (20) منع نساء الموظفين وبناتهم من التوظيف .
- (21) عدم السماح للموظفين بالجمع بين وظائف متعددة وخصوصا المتقاعدين الذين ينخرطون في سلك المساعدين.
- (22) منع الموظفين من استعمال متاع الدولة في مصالحهم الشخصية.
- (23) وضع أكرية مناسبة للوقت على أملاك الدولة التي يشغلها الموظفون. وإيقاف القروض التي تمنحها الدولة لموظفيها الراغبين في بناء مساكن لهم.
- (24) جعل تعيين الموظفين بسائر الإدارات المغربية خاضعا لنظام المسابقة لتقديم المغربي على غيره عند تساوي الكفاءة.
- (25) عدم السماح بتوارث الوظائف العامة من قبيل المكافآت.
- (26) التسوية بين الموظفين المغاربة والفرنسيين متى كانوا من درجة واحدة في الأجور وتعويضات الزواج، والولادة، والأولاد، ورخص الاستراحة والاصطياف، والجازات المرضية.
- (27) إحداث أنظمة إدارية للموظفين المغاربة في التسمية والترقية والرخص والتأديب والتقاعد مماثلة للأنظمة المنطبقة على الموظفين الفرنسيين وإعطاء تعويض عادل عن إعفاء الموظف الذي يعجز عن القيام بوظيفته.
- (28) عدم تعيين الأميين في أي وظيفة من وظائف المخزن.
- (29) عدم السماح للموظفين العاملين بالمساهمة في الشركات ولا بدخول مجالسها الإدارية ولا بتعاطي أي عمل من الأعمال المربحة.
- (30) كفالة حرية الأفكار لسائر موظفي الدولة.
- مجالس البلديات
- (31) إنشاء مجالس بلدية مغربية مشتركة بين المسلمين والإسرائيليين المغاربة، يكون انتخابها من درجتين وبطريق "انتخاب القوائم" ولا ينتخب لعضويتها أحد من الموظفين.
- (32) تعيين المكاتب الإدارية لهذه المجالس يكون بطريق الانتخاب من أعضائها.
- (33) اعتبار قرارات هذه المجالس نافذة في دائرة اختصاصها.
- (34) مدة هذه المجالس أربع سنوات ويجدد أعضاؤها أنصافا كل سنتين.
- (35) رئيس الإدارة البلدية يكون موظفا مغربيا ويسمى "محتسبا".
- مجالس الدوائر
- (36) إنشاء مجالس استشارية في الدوائر الإدارية يكون أعضاؤها مختارين من بين ذوي الأهلية في القبائل والقرى وتنظر في المصالح المحلية.
- الغرف الاقتصادية
- (37) إنشاء غرف اقتصادية مغربية استشارية في النواحي الإدارية تكون مشتركة بين المسلمين والإسرائيليين، المغربية، ويكون انتخابها من درجتين وبطريق "انتخاب القوائم" من قبل أصحاب المصالح الاقتصادية فلاحين وتجارا وصناعا وملاكاً.
- (38) اختصاص هذه الغرف النظر في سائر المصالح الاقتصادية المحلية.
- (39) مدة هذه الغرف أربع سنوات ويجدد انتخاب نصف أعضائها كل سنتين.
- المجلس الوطني =

رفعت إلى جلاله محمد الخامس ليقدمها الى الحكومة الفرنسية بواسطة المقيم الذي كان

- = (40) تأسيس مجلس وطني مشترك بين المسلمين والاسرائيليين المغاربة يكون أعضاؤه منقسمين الى قسمين:
 أ- ثلث مركب من مندوبي مجالس العرف الاقتصادية .
 ب- ثلثان يكون انتخابهما من درجتين وبطريق "انتخاب القوائم" من قبل الناخبين غير المقيدين في قوائم انتخابات الغرف الاقتصادية.
- (41) جعل مدة هذا المجلس أربع سنوات وتجديد نصف أعضائه كل سنتين.
 (42) مندوبو المجلس الوطني لا يتخلصون أجورا على وظائفهم، وإنما تؤدي الحكومة تعويضات التنقل للمندوبين الساكنين خارج العاصمة.
 (43) اعطاء أعضاء المجلس الوطني حق الاقتراح وتخويل المجلس ضبط جدول أعماله وجعل اختصاصه المسائل الآتية:
 أ- الاصلاحات الضرورية للبلاد.
 ب- مناقشة الميزانية العامة بجميع فصولها والمصادقة عليها.
 ج- التوفيق بين المصالح الاقتصادية المختلفة.
 د- مراقبة الانتاج والتوازن بينه وبين الاستهلاك .
 هـ التوسع الاقتصادي للمنتوجات المغربية.
 و- ويجب ان يعرض على المجلس كل اقتراح يخص إحداث ضريبة جديدة على المكلفين أو تقويت ملك من أملاك الدولة أو فتح أي قرض جديد.
 (44) لجلالة مولانا السلطان الكلمة العليا في مقررات المجلس.
 (45) جلسات المجلس علنية ويجتمع على الأقل ست مرات في السنة.
 (46) حضور الوزراء والموظفين الفنيين في جلسات المجلس لتقديم تقارير ومعلومات تتصل بموضوع المسائل التي تطرح على بساط المناقشة.
 (47) انتخاب المندوبين الشعبيين في المجلس يكون على الاسس الآتية:
 أ- شروط الناخب من الدرجة الأولى أن يكون مغربيا نكرا بالغا من السن عشرين سنة فأكثر .
 ب- شروط الناخب من الدرجة الثانية أن تتوفر فيه شروط الناخب الاول مع معرفته للقراءة والكتابة .
 ج- شروط المندوب في المجلس الوطني أن تتوفر فيه شروط الناخب الأول والثاني وأن يكون بالغا من السن خمسا وعشرين سنة وألا يكون من الموظفين .
 د- قوائم الناخبين يهيؤها الولاية المخزنيون وولاية المراقبة بإعانة بعض الناخبين .
 هـ- كل نزاع يقع في شأن القوائم يعرض على لجنة لمراجعة القوائم، يرأسها قاض مخزني، ويمكن استئناف قراراتها لدى الغرفة الخاصة المحدثه في محكمة الاستئناف المخزني العليا.
 2- الحريات الشخصية والعامة
 (1) كفالة التعبير عن الأفكار والآراء بكل الوسائل القانونية دون خضوع لمراقبة سابقة
 (2) عدم متابعة الأفراد لدى المحاكم وعدم اتهامهم أو إيقافهم أو سجنهم أو نفيهم الا في الاحوال التي ينص عليها القانون، وطبقا للكيفية التي يقرضها، وعدم السماح بمعاقتهم الا من أجل الامور التي يعتبرها القانون مستوجبة للعقاب.
 (3) وجوب تناسب العقوبة مع الجريمة، وتقرير نفس العقوبات عند ارتكاب نفس الجرائم دون تفرقة بين طبقة وطبقة أو شخص وشخص.
 (4) إبطال العقوبة بحجر الأملاك والامتعة في سائر أطراف المملكة =

عقد الحماية قد فرضه كوزير لخارجية المغرب، وإذا كانت مطالب الإصلاحات نفسها قد

= (5) إبطال الضرب بالسياط والتعذيب بأية آلة من الآلات في جميع أطراف المملكة وعدم اتخاذ ذلك من وسائل الاقرار أو المعاقبة

(6) اعتبار كل معاملة زائدة علي العقوبة المحددة بالقانون جريمة يُعاقبُ عليها وقصر تقدير العقوبة على القاضي المختص

(7) وجوب احتواء الأمر بالقبض على ذكر سببه صراحة! وعلى نص القانون الذي باسمه يقع واعطاء نسخة من الأمر للمقبوض عليه، وقصر إصدار الأمر بالقبض على القاضي المختص.

(8) إطلاق المقبوض أو إسناد النظر في أمره إلى السلطة القضائية المختصة داخل مدة أربع وعشرين ساعة ابتداء من ساعة القاء القبض عليه.

(9) إطلاق سراح السجين أو حجزه حجزاً قضائياً داخل مدة اثنين وسبعين ساعة ابتداء من الساعة التي يسند فيها نظر قضيته إلى القاضي المختص، ووجوب تبليغ السجين القرار الصادر في أمره داخل هذه المدة.

(10) احترام المنازل وعدم السماح بغشيانها أو تفتيشها الا بطريقة قانونية مشروعة ويأمر من القاضي المختص، وقصر التفتيش على الشخص أو الشيء المعين في نص القرار نون غيره، ووجوب حضور رب المنزل، أو من يمثله من عائلته أو شخصين من أهل البلد.

(11) احترام المراسلات بجميع أشكالها وعدم السماح بالاطلاع عليها الا بأمر من القاضي المختص.

(10) الصرامة في تنفيذ التشريع القاضي بمنع الرق والاتجار فيه .

(13) وضع تشريع عام موحد للصحافة الصادرة بالمغرب نون اعتبار جنسية أصحابها وتخويل المغاربة حق الامتياز في اصدار الصحف باللغات الاجنبية، وعدم السماح بتثقيف الصحف أو توقيفها أو منعها الا بحكم قانوني صادر من القضاء المختص.

(14) السماح للمغاربة بالتمتع بحقوقهم في حرية الاجتماع دون اخضاعهم لنظام استثنائي خاص بهم.

(15) السماح للمغاربة بحق تأسيس جمعيات وأندية ونقابات وشركات.

(16) عدم الزام المغاربة بالحصول على إذن التنقل داخل المنطقة السلطانية .

(17) إسقاط جوازات السفر بين مناطق المغرب الثلاثة، والاستغناء عنها ببطاقة التعريف الشخصية .

(18) تمكين المغاربة الراغبين في السفر للخارج من الجوازات وترك الحرية لهم للذهاب حيث شاعوا .

3- الجنسية المغربية والحالة المدنية

أ- الجنسية المغربية:

(1) عدم السماح للرعايا المغاربة اسرائيليين ومسلمين بالانسلاخ عن جنسيتهم المغربية وبالتجنس بالجنسية الفرنسية داخل المغرب.

(2) مقاومة التزوير الذي يبيح التجنس بدعوى الانتساب الى أصل جزائري أو غيره.

(3) اعتبار المولودين في الخارج من أب مغربي مغاربة .

(4) اعطاء حق الاختيار للمولودين بالمغرب من أب أجنبي غير فرنسي بين الجنسية المغربية وجنسيتهم الاصلية.

(5) اعتبار المولودين بالمغرب من أب أجنبي غير فرنسي ولد فيه متجنسين بالجنسية المغربية.

(6) الاحتفاظ بالجنسية الفرنسية للمولودين بالمغرب من أب فرنسي ولد فيه أو لم يولد والاحتفاظ بالجنسية المغربية للمولودين بالمستعمرات الفرنسية من أب مغربي ولد فيها أو لم يولد كما احتفظ لهم بها في فرنسا.

(7) اعطاء الجنسية للمولودين من أبوين مجهولين بالمغرب.

(8) اعطاء حق التجنس بالجنسية المغربية للأجانب المقيمين بالمغرب، ووضع تشريع يحدد الشروط اللازمة لذلك.=

قدمت بمقدمة جد موثقة، تؤكد استقلال المغرب وعدم المساس بمكانته الدولية، رغم فرض

= (9) وضع تشريع مشتمل على تسهيلات تعطى للمغاربة الذين يتجنسون في البلاد الأجنبية ويرغبون في العودة الى الجنسية المغربية بعد رجوعهم للمغرب.

(10) احداث تشريع خاص في حالة الأشخاص المدنية للمتجنسين بالجنسية المغربية من غير المسلمين والاسرائيليين والأجانب المجهولي الجنسية.

ب- الحالة المدنية

(11) ضبط الحالة المدنية لسائر المغاربة بكيفية إجبارية.

4- الاصلاحات العدلية

العدلية والسجون

نظام العدلية، والقانون المغربي، ولغة المحاكم.

(1) توحيد نظام العدلية المغربية في سائر أطراف المنطقة السلطانية.

(2) تحرير قانون مغربي واحد يكون مستمدا من الفقه الاسلامي والظواهر المخزنية وما جرى به العمل،

وتطبيق هذا القانون في المحاكم الشرعية والمخزنية على سائر الرعايا المغاربة.

(3) تأسيس لجنة لتحرير القانون المغربي، مؤلفة من العلماء بالشرعة والخبراء في العمل مع مساعدة بعض الاختصاصيين في القانون.

(4) جعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية في سائر أعمال المحاكم المغربية.

انشاء محاكم وتقسيمها واختصاصاتها ومسطرتها القضائية:

(5) بناء محاكم كافية في جميع أنحاء المملكة بهيأة تناسب كرامة القضاء .

(6) تقسيم المحاكم المغربية الى قسمين يكون كل منهما راجعا الى نظر وزارة العدلية .

أ- محاكم شرعية، يكون اختصاصها النظر في قضايا الأحوال الشخصية والموارث والقضايا العقارية طبقا لمعاهدة مدريد وعقد الجزيرة .

ب- ومحاكم مخزنية يكون اختصاصها النظر في كل ما سوى ذلك من القضايا .

(7) قصر اختصاص المحاكم الفرنسية علي ما كان للمحاكم القنصلية لأنها حلت محلها وتغيير اسمها باسم

"محاكم فرنسية شريفة" لأنها أسست ونظمت في الأرض المغربية بظواهر شريفة ولأنها تطبق التشريع المغربي، وينفق عليها من الميزانية العامة، ويحكم فيها باسم جلالة السلطان الى جانب اسم رئيس الجمهورية الفرنسية.

(8) ارجاع القضايا التي يكون المدعى عليه فيها مغربيا الى القضاء الشرعي أو القضاء المخزني حسب

اختصاص كل منهما، وكذلك القضايا العقارية التي بين المغاربة কিفما كانت حالة الملك المتنازع فيه بقضايا الاكزية التي بخت اليد، وقضايا الغش، ونظام المورد، وكل نزاع في الاحوال الشخصية وقع ضمن قضية مرفوعة الى المحاكم الفرنسية، وكذلك قضايا الشركات المؤلفة من مساهمين مغاربة.

(9) رد النزعات المتعلقة باختصاص المحاكم المغربية والمحاكم الفرنسية الى لجان تحكيمية.

(10) إصلاح المسطرة القضائية وجعلها سهلة وقليلة التكاليف، ووضع أجل محدود للنظر في القضايا حماية

للمتتارعين من إضاعة الوقت والمال.

(11) وجوب تسجيل الأحكام الصادرة من المحاكم المغربية، وإعطاء نسخ منها للمتداعين.

(12) جعل جلسات المحاكم المغربية علنية، إلا إذا قررت المحكمة جعلها سرية، رعاية للنظام العام، أو محافظة

على الآداب.

(13) إدخال المساطر الاستثنائية الآتية في المحاكم المغربية شرعية ومخزنية .

أ- تمكين رؤساء المحاكم الشرعية والمخزنية من اتخاذ تدابير مؤقتة لكفالة بعض المصالح ريثما يتم =

الحماية، كما شخصت الواقع المزري الذي انتهى إليه بسبب غلو الإدارة الفرنسية وعدم

= فصل القضايا المتعلقة بها بالطرق العادية .

ب- تمكين المتداعين في المحاكم الشرعية والمخزنية من طلب نقل قضاياهم من محكمة الى محكمة أخرى، إذا كانت لقاضي المحكمة الأولى أو لزوجه صلة نسب أو مصاهرة مع بعض الخصوم .

ج- تمكين المتداعين من حق التعرض على أحكام القضاة الشرعيين والمخزنيين متى كان في القضية غش أو خيانة أو ارتشاء سواء أثناء البحث أو عند الحكم.

د- قبول تعرض الأفراد الذين لهم مصالح في دعوا راتجة لم يتدخلوا فيها أثناء إجراء المسطرة القضائية على الأحكام الصادرة ابتدائياً أو نهائياً إذا مست الاحكام تلك المصالح.

هـ - قبول مراجعة الأحكام التي صارت نهائية اذا ثبت فيها بعد ذلك نوع غش أو خيانة أو ارتشاء أو ظلم .
القضاة والموظفون القضائيون

(14) فصل السلطة القضائية عن التنفيذية مع إبقائهما خاضعين لجلالة السلطان، وحماية القضاة من التدخلات الإدارية، وتركهم احرارا في نظر القضايا وإصدار الأحكام .

(15) ازيادة في عدد القضاة بنسبة عدد السكان ونظرا لحاجاتهم.

(16) إدخال القضاة والموظفين القضائيين من عدول وكتاب وأعوان في ميزانية العدلية المغربية وإعطاؤهم أجورا تكفي حاجاتهم وتتناسب مع مكانتهم ودفع مصاريف الدعاوي الى صندوق الدولة .

(17) عدم عزل القضاة الا من أجل خيانة ثابتة، وعدم إيقافهم، إلا من أجل اتهام مقبول، وإنشاء أنظمة خاصة لهم محتوية على ضمانات كافية في التسمية والترقية والرخص والتأديب والتقاعد.

(18) عدم الجمع في هيئة المحكمة الواحدة بين قضاة اقرباء أو أصهار مثل الأب وابنه والأخ وأخيه والعم وابن أخيه وأبناء العم الأشقاء والمتصلين بهؤلاء عن طريق المصاهرة.

حقوق المتهم

(19) تمكين كل متهم من التمتع بحق الدفاع أثناء البحث ووقت المرافعة.

(20) وجوب تعيين محام لكل متهم في قضية جنائية إن لم يعينه بنفسه.

(21) فتح باب المساعدة والاسعاف للدفاع عن المعوزين أمام المحاكم المغربية.

(22) عدم سجن المتهم أكثر من 24 ساعة دون بحث قضائي.

النيابة العامة والتفتيش

(23) إحداث نيابة مغربية عامة مؤلفة من نائب عام ووكلاء له في سائر النواحي الادارية.

(24) تعيين مفتشين عدليين مغاربة ملحقين بوزارة العدلية للقيام بتفتيش المحاكم المغربية.

المحاكم الشرعية

(25) أ- جعل المحاكم الشرعية منقسمة إلى محاكم شرعية ابتدائية ومحاكم شرعية ثانوية ومحكمة عليا

للاستئناف الشرعي .

فالمحاكم الشرعية الابتدائية تكون مؤلفة من قضاة وعدول وكتاب وتراجمة وتتعدد هيئتها من قاض مع عدلين مسجلين وتنظر في القضايا البسيطة التي هي من اختصاص القضاء الشرعي، ويكون بعضها ثابتا في المدن والقرى الكبيرة، وبعضها متنقلا في أسواق البادية.

والمحاكم الشرعية الثانوية: تكون مؤلفة من رئيس ومستشارين واثنين من قضاة البحث وعدول وكتاب وتراجمة وتنظر في القضايا المهمة، كما تستأنف لديها أحكام المحاكم الشرعية الابتدائية التي في نواحيها، وتتعدد هيئتها من رئيس ومستشارين اثنين مع عدلين مسجلين، وتكون ثابتة، وفي سائر النواحي الادارية، ويكلف كل من رئيس المحكمة

الثانوية وقاضي المحكمة الابتدائية بالأداء مجانا على الرسوم التي يقدمها لهما عدول دائرتهم =

احترامها لا لارتزامها ولا للمعاهدات الدولية التي تؤكد ما لجلالة العاهل من سلطات في

= والمحكمة العليا للاستئناف الشرعي: تكون مؤلفة من رئيس ومستشارين وقضاة بحث وكتاب وعدول وتراجعة وتستناف لديها القضايا التي حكمت فيها ابتدائيا المحاكم المخزنية الثانوية وتنعقد هيئتها من رئيس ومستشارين اثنين مع كاتب مسجل، وتشتمل على غرفة خاصة لاستئناف القضايا الجنائية وغرفة أخرى للنظر في كل نزاع ينشأ في صحة الانتخابات المغربية واستئناف القرارات التي تصدرها لجان مراجعة قوائم الانتخابات، ويمكن لهذه الغرفة أن تضم إلى أعضائها بعض الموظفين المخزنيين

(27) اتخاذ نظام المستشارين المحلفين في القضايا الجنائية وفي "المخالفات" الراجعة لقانون الصحافة .

النقض والابرام

(28) إحداث محكمة عليا للنقض والابرام تكون تحت نظر جلالة السلطان.

شروط القضاة والموظفين القضائيين والوكلاء والمحامين

(29) أ- يختار قضاة المحاكم الشرعية من المغاربة الحاملين لشهادة قسم الشريعة الاسلامية بجامعة

القرويين أو ما يعادلها من الجامعات الاسلامية الأخرى بعض قضاء مدة التمرين.

ب- وقضاة المحاكم المخزنية من المغاربة الحاملين لشهادة قسم الحقوق المغربية بالمعهد المغربي الأعلى بعد

قضاء مدة في التمرين.

ج- ويختار العدول المسجلون من المغاربة الحاملين لشهادة الكفاءة في خطة العدالة المتخرجين من الفرع

الخاص بذلك في مراكز التعليم الديني الثانوي.

د- والكتاب المسجلون من المغاربة الحاملين لشهادة الكفاءة المتخرجين من الفرع الخاص بذلك في المدارس

الثانوية.

هـ- ويختار الوكلاء الشرعيين من بين المغاربة الحاملين لشهادة قسم الشريعة الاسلامية بجامعة القرويين أو

ما يعادلها بعد قضاء مدة في التدريب.

و- والمحامون المخزنيون من الحاملين لشهادة قسم الحقوق المغربية بالمعهد المغربي الأعلى أو غيرها من

شهادات الحقوق المعترف بها في المغرب بعد قضاء مدة في التدريب.

المنفذون لاحكام المحاكم الشرعية والتنفيذية

(30) يطوق الباشاوات القواد بتنفيذ أحكام المحاكم الشرعية والمخزنية، مع قيامهم بالمحافظة على الأمن

العام، ويشترط في هؤلاء الموظفين الكفاءة في المعرفة وحسن السيرة، وتحدث لهم أنظمة خاصة في التسمية والترقية

والرخص والتأديب والتقاعد.

(31) الاكتفاء في تنفيذ الاحكام بالوسائل المشروعة وعدم اللجوء الى السجن

(32) تطبيق التشريع الخاص بالاملاك التي لا تحجو ولا تفوت عند تنفيذ أحكام الثقافة أو البيع على الافراد

واحترام أملاك المرأة المغربية من حلي وفراس وأثاث عند تنفيذ أحكام الثقافة أو البيع على زوجها.

تدابير مؤقتة

ريثما يتم تنظيم المحاكم المغربية وإعداد موظفي القضاء .

(33) اختيار الباشاوات والقواد من بين أهل الكفاءة والنزاهة وبطريق المسابقة مع تعيين مرتبات كافية

واسقاط ما يحوزه قواد البادية من ضريبة الترتيب وواجبات الاسواق.

(34) اختيار القضاة الشرعيين من بين المحصلين على شهادة العالمية بالقرويين أو غيرها من الجامعات

الاسلامية وبطريق المسابقة مع إضافة مفت أو مفتين في الهيئة القضائية للنظر في القضايا المهمة.

(35) اختيار كتاب المحاكم بطريق المسابقة.

(36) قبول المحامين في المحاكم المخزنية والوكلاء في المحاكم الشرعية يكون بامتحانات خاصة . =

دولته فإنها بحق عبرت وقتها عن طموحات المغاربة وهذا نص تلك المطالب التي اعتبرت

- (37) = تحديد عدد العلماء المفتين المقبولين في المحاكم والزامهم بعدم الخروج عن موضوع الفتوى وعدم الاعتماد على الأقوال الضعيفة، مع طبع قوائم بأسماء المأذون لهم بالافتاء وتطبيق ظهير 13 شعبان سنة 1322هـ.
- (38) تحديد عدد العدول واشتراط النزاهة والكفاءة فيهم واختيارهم بطريق المسابقة والزامهم بكتابة الشهادات في دفاتر خاصة حين تلقيها وكذلك بكتابة أسمائهم وعناوينهم في الرسوم زيادة على علاماتهم.
- (39) وضع نظام للخبراء المقبولين لدى المحاكم المغربية واشتراط معرفة القراءة والكتابة مع الكفاءة الفنية.
- (40) اشتراط الكفاءة والنزاهة في القائمين بوظيفة "أب المواريث" و"وكيل الغياب" والزامهم بمسك دفاتر وحسابات مدققة وإخضاعهم لمراقبة مجلس الوصاية الأعلى الملحق بوزارة العدلية المغربية.
- (41) تعيين مندوبين مغاربة من قبل وزارة العدلية إزاء كل محكمة شرعية لمراقبة سير القضايا واستخلاص صوابها ومراجعة الدفاتر (الكتانيش) وتلقى الشكايات المتعلقة بالقضاة والمفتين والعدول والأعوان والبحث فيها وتقنين التقارير بكل ذلك (ظهير 13 شعبان 1322-7 يوليو 1914).
- (42) تعويض مندوب إدارة الشؤون الشريفة إزاء محكمة الاستئناف الشرعي العليا بمندوب من قبل وزارة العدلية.
- (43) جعل اختصاص المراقب الفرنسي إزاء المحاكم المخزنية مراقبة سير القضايا بالحضور في المرافعات والمداولات وإعطاء نظره على سبيل الاستشارة.
- العدلية الادارية
- (44) إحداث عدلية إدارية أو إسناد النظر الى المحاكم المدنية في جميع القضايا المرفوعة على الادارات أو على موظفيها سواء كانت تلك القضايا راجعة الى اختصاص الادارة الكلي أو إلى التصرفات المتجاوزة لحدود السلطة المقبولة .
- (45) مد اختصاص المحاكم المدنية الفرنسية الى القضايا المرفوعة على الادارة الفرنسية أو على موظفيها في شأن التصرفات المتجاوزة لحدود السلطة المقبولة، كما أن تلك المحاكم مختصة في القضايا التي تتعلق باختصاص الادارة الكلي.
- (46) اعتبار الدولة متضامنة مع موظفيها في أداء التعويضات المحكوم بها للأفراد.
- القضاء العسكري
- (47) قصر القضاء العسكري على الحكم في المسائل العسكرية الخاصة بالجيش.
- (48) عدم إنشاء قضاء استثنائي من أجل أسباب محلية .
- أمور مختلفة
- (49) تحويل القانون الأساسي للجنة الخاصة بالعفو ومراجعة القضاء الجنائي وإدخال عدد كاف من المغاربة فيها .
- (50) تعميم الحكم بالتعويضات الشرفية والمالية ويصواتر الدعاوى في سائر المحاكم المغربية.
- (51) اعفاء المدعي المغربي من أداء الضمانة القضائية في المحاكم القضائية بفرنسا .
- (52) قبول المحامي المغربي الحامل لشهادة الحقوق المغربية للدفاع في المحاكم الفرنسية بالمغرب .
- (53) عدم اشتراط الباكالوريا في قبول المحامي المغربي الحامل لشهادة الحقوق الفرنسية للدفاع في المحاكم الفرنسية بالمغرب.
- (54) قبول المحامين المغاربة في هيئة المحامين الفرنسيين مع التسوية في جميع الحقوق .
- (55) بسط فائدة الاسعاف القضائي على المغاربة المعوزين للمتجنين الى المحاكم القضائية بفرنسا .
- (56) تعميم فوائد التشريع الفرنسي الخاص بالاكراه على المغاربة المقيمين بفرنسا . =

مرحلة في تاريخ الحركة الوطنية ونشير هنا إلى أن الذين قدموها لم يكونوا في مستوى

= (57) الاعتراف للمغاربة المقيمين في البلاد الاجنبية بالحقوق المعترف بها للأجانب المقيمين في المغرب (طبقا لظهير 12 أبريل سنة 1913 المتعلق بالاحوال المدنية للفرنسيين والاجانب).

النفي

(58) إلغاء النفي الإداري.

(59) معاملة المنفي معاملة حسنة في حالة النفي القضائي وعدم السماح بإبعاده خارج المغرب.

نظام السجون

(60) بناء عدد كاف من السجون في الحواضر والبوادي بطريقة صحية للمساجين القدر الضروري من الهواء

والنور أثناء العمل ووقت النوم.

(61) منع السجن في المطامير والمراحيض والاروية وغيرها من الاماكن القذرة.

(62) فصل بيت الراحة داخل السجن والنوم واجراء الماء فيها .

(63) توزيع الماء الكافي على المساجين وعدم منعهم منه ليلا ونهارا .

(64) انشاء مستوصفات داخل السجون يكون فيها ما يكفي من السرر والممرضين بالنسبة لعدد المساجين .

(65) مساواة المساجين المغاربة مسلمين واسرائيليين بالمساجين الاوروبيين في الاكل واللباس والفراش والمعاملة

في حالتها الصحة والمرض.

(66) منع ضرب المساجين وسبهم ومخاطبتهم بالالفاظ الجارحتمنع معاقبتهم بكل وسيلة يأبأها القانون.

(67) عدم إجبار المساجين غير المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة على العمل خارج السجون واستخدام من

رضي منهم بالعمل الخارجي في أشغال الدولة دون غيرها من أشغال الافراد والشركات مع اعطائهم مقابل عملهم أجورا مناسبة لاسعار الوقت تحفظ له على حسابهم .

(68) تخصيص محل للعبادة بكل سجن والسماح للمسلمين باقامة شعائر دينهم

(69) تخصيص وعاء دينيين للسجون.

(70) إحداث خزائن كتب تهذيبية داخل السجون .

(71) إحداث مصانع لتعليم المساجين بعض الصناعات .

(72) تخصيص بعض ساعات في الاسبوع لتعليم الاميين من المساجين مبادئ القراءة والكتابة.

(73) انشاء إصلاحيات للمساجين الاحداث تحت نظر وزارة المعارف.

السجن السياسي

(74) جعل السجن السياسي في غرف متسعة مستوفية لشروط الصحة ومؤتة بشكل يضمن الراحة

للمسجون.

(75) الاعتناء بطعام المسجون السياسي ومشروباته والترخيص له في قبول ذلك من الخارج يوميا .

(76) تمكين المسجون السياسي من مقابلة الزوار من أهله ومن الكتابة والتأليف ومطالعة الصحف والكتب .

(77) حفظ الحقوق المدنية للمساجين السياسيين.

5- الاصلاحات الاجتماعية.

التعليم

وزارة المعارف

(1) إنشاء وزارة خاصة للمعارف تشتغل بالتعليم المغربي ويكون بها موظفون خصوصيون لتفتيش المدارس

ومراقبتها الصحية.

(2) إبقاء "القرويين" والمعاهد الدينية تحت نظر "المجلس الاعلى للتعليم الديني" =

ثوبها وصياغتها بالشكل التي هي عليه(7).

- (3) = إنشاء مجلس يشتمل على نخبة من المثقفين المغاربة لملاحظة سير التعليم وتقديم اقتراحات لوزارة المعارف.
- برامج التعليم
- (4) توحيد برامج التعليم الحديث لجميع الرعايا المغاربة المسلمين نون اعتبارات محلية ولا تفريق بين مختلف الطبقات الاجتماعية.
- التعليم الابتدائي
- (5) جعل التعليم الابتدائي اجباريا في البوادي والواضر تدريجيا وحسب الجهات، ابتداء من 6 سنوات إلى 12 سنة مع الاحتفاظ لولي التلميذ بالحرية في اختيار المدرسة التي يشاء .
- (6) جعل تعليم القرآن، واللغة العربية، والديانة الاسلامية، والتاريخ المغربي، والجغرافية المغربية أساسا للتعليم الابتدائي الحديث ومنحها في الامتحانات الاعتبار الذي لغيرها من الموارد.
- (7) جعل التربية البدنية اجبارية في جميع المدارس الابتدائية.
- (8) تنظيم مصايف للأطفال المغاربة أثناء العطلة الصيفية.
- التعليم الثانوي
- (9) احداث مدارس ثانوية كافية في أهم نواحي المغرب وخصوصا منها النواحي التي تشتد فيها الحاجة الى تلك المدارس .
- (10) اضافة قسم داخلي ضامن لراحة الطلبة في كل مدرسة ثانوية.
- (11) احداث "بكالوريا مغربية" مساوية للبكالوريا الفرنسية والسعي للاعتراف بها من الجامعات الفرنسية والاجنبية.
- (12) تخصيص وقت كاف للغة العربية والثقافة الاسلامية والتاريخ المغربي والجغرافيا المغربية في برنامج البكالوريا المغربية.
- (13) انشاء فروع في المدارس الثانوية لتخريج مدرسي اللغة العربية والفرنسية في المدارس الابتدائية وفروع اخرى لتخريج الكتاب المسجلين الذين يرشحون للمحاكم المخزنية .
- (14) السماح للتلاميذ بدخول المدارس الفرنسية في المغرب
- التعليم العالي
- (15) إنشاء معهد مغربي أعلى يحتوي على ثلاثة فروع .
- أ- قسم الحقوق المغربية: ينال المتخرج منه ليسانس حقوق مغربية مساوية ليسانس الحقوق الفرنسية.
- ب- قسم الآداب يتخرج منه أساتذة لتدريس اللغة العربية والفرنسية وأديهما في المدارس الثانوية.
- ج- قسم الطب والصيدلة
- ويكون "المعهد العلمي الشريف" ملحقا بالمعهد المغربي الاعلى.
- (16) منح إجازات وقروض شرفية من الميزانية العامة لمن أراد مواصلة العلوم العالية بفرنسا ومن بينها العلوم التي لا توجد بالمغرب، والمساعدة على إعداد طائفة خاصة من المتعلمين المغاربة. لدخول الادارات الفنية كادارة المالية والاشغال العمومية، وادارة البريد والتلغراف والتلفون .
- التعليم الفلاحي
- (17) إنشاء مدارس فلاحية عملية، في النواحي الادارية، يتلقى تلامذتها دروسا نظرية وتطبيقية، مع اللغتين العربية والفرنسية، وتكون بها أقسام داخلية.
- (18) إنشاء مدرسة عليا للفلاحة، لتخريج مهندسين فلاحين، ويكون بها قسم داخلي.=

وفعلا كانت المقدمة والمطالب كافية لتنبيه الفاعلين وبعث الوعي السياسي المطلوب

= التعليم التجاري

(19) إنشاء مدارس تجارية عملية في أهم مراكز التجارة، مع الاهتمام باللغة العربية في برنامجها.

(20) إنشاء مدرسة عليا للتجارة.

التعليم الصناعي

(21) تكثير المدارس الصناعية الابتدائية في سائر مدن المغرب لتعليم الصناعات اليدوية والآلية مع الاهتمام

باللغة العربية وبمبادئ الثقافة العامة ويحصل المتخرج منها على شهادة صناعية تخوله حق الانخراط في المدارس الصناعية الكبرى مثل مدرسة "الدار البيضاء".

(22) إنشاء مدرسة مغربية خاصة للفنون الرفيعة، قديمة وحديثة، وقبول المغاربة في المدرسة الفنية المحدثة

بالرباط، والمحظور فيها قبول المغاربة الآن.

التعليم العسكري

(23) ترقية التعليم بمدرسة الضباط المغاربة في مكناس باحداث تعليم اللغة العربية والثقافة الاسلامية فيها.

(24) احداث مراكز خاصة لتخريج البوليس تشتمل على دروس تطبيقية زيادة على مبادئ القانون المغربي

ووسائل تحقيق الجنائيات ومبادئ الاسعاف مع العناية الكافية بالعربية والفرنسية.

تعليم البنات

(25) جعل تعليم البنات مبنيا على أساس الثقافة العربية الاسلامية.

(26) تأسيس مدارس ابتدائية للبنات يعلم فيها القرآن والعربية، والدين، وبمبادئ الحساب، والصحة، وتبدير

المنزل وشغل الابرة، ووسائل رعاية الاطفال.

(27) جلب بعض المعلمات من مسلمات الشرق للتعليم في مدارس البنات ريثما يتم إعداد معلمات مغربيات.

(28) إنشاء مدرسة خاصة لاعداد معلمات البنات .

(29) تمكين الآباء من رعاية هذه المدارس.

(30) انشاء مدارس للقوابل والمرضات.

التعليم الديني

(31) وجوب اعتناء الحكومة بالتعليم الديني بسائر أقسامه، وذلك بالانفاق عليه من ميزانية الدولة زيادة على ما

تخصه له الأحباس سنويا.

(32) جعل التعليم منقسما الى ثلاثة أقسام: إبتدائي، وثانوي، وعالي.

(33) اتخاذ الكتابات القرآنية الحالية، نواة للمدارس الابتدائية الدينية، وذلك بتنظيمها وجعلها مثنى ومثلث

ورباع في بنايات صحية مناسبة، وجعلها مشتملة على سنة تحضيرية، وسنوات بعدها للتحصيل على شهادة التعليم

الديني الإبتدائي.

(34) اتخاذ المعاهد الدينية الكبرى المنتشرة في أطراف المغرب مراكز للدراسة الثانوية الدينية.

(35) إدخال ما هو ضروري وعملي من المعلومات الحديثة في برنامج التعليم الديني الثانوي.

(36) إنشاء فروع خاصة في مراكز التعليم الديني للتحصيل على شهادة الكفاءة في خلة العدالة.

(37) تخصيص جامعة القرويين للتعليم الديني العالي، وجعله منقسما الى ثلاثة أقسام .

أ- قسم الآداب

ب- أصول الدين

ج- الشريعة الاسلامية

(38) إنشاء قسم خاص للتدريب على مهنة التدريس، يدخله من نجح في أحد أقسام القرويين الثلاثة =

نشره بين المواطنين، والذي تناولته ثم وضحته المطالب بتفصيل شمولي كاف ليكون

- = العالية ورغب في مزاولة التدريس بواحد منها.
- (39) إصلاح المدارس المعدة لسكنى الطلبة طبقا لقواعد الصحة والنظام، وإنشاء مدارس أخرى تفي بحاجة الطلبة الغريباء.
- (40) كفالة حرية المعلمين والطلبة سواء الشخصية أو السياسية وذلك بإبطال التشريع المتخذ ضد هذه الحرية (ظهير 10 مايو 1932).
- (41) جلب بعض المعلمين من مسلمي الشرق لادخال أساليب التعليم الجديدة في المعاهد ريثما تنهياً طبقة كافية من المعلمين المغاربة.
- مساعدة الطلبة
- (42) بذل مساعدات مالية للمستحقين من طلبة التعليم الحديث والتعليم الديني.
- (43) إرسال بعثات علمية على نفقة الحكومة للمدارس العليا بفرنسا والشرق وخصوصا من الذين أظهروا استعدادهم لمزاولة التدريس.
- (44) إدخال عدد كاف من المغاربة ومن بينهم بعض ممثلي الطلبة المسلمين في اللجنة المختصة بفحص شهادات طالبي القروض الشرقية.
- المكاتب العلمية
- (45) إنشاء مكاتب عامة بأهم المدن المغربية للمساعدة على نشر الثقافة والبحث العلمي.
- (46) المحافظة على الكتب المدخرة في خزائن المساجد والزوايا وعدم السماح بتسريبها للخارج.
- (47) إدخال عدد كاف من المغاربة المثقفين في مجلس ادارة المكتبة العامة بالرباط.
- التعليم الحر
- (48) السماح للأفراد بإنشاء مدارس حرة تحت مراقبة وزارة المعارف، وتعديل التشريع الحالي الخاص بذلك لما فيه من العقبات والعراقيل.
- محاربة الأمية
- (49) جمع صغار المتشردين لتعليمهم القراءة والكتابة .
- (50) إنشاء دروس ليلية خاصة بالكبار لتعليمهم مبادئ اللغة العربية والفرنسية ومبادئ الحساب وبعض المعلومات العامة.
- (51) تعليم الأميين من المساجين والجنود المغاربة مبادئ القراءة والكتابة.
- (52) تنظيم الدعاية في الاوساط المغربية للاقبال على المدارس وإرسال الأبناء اليها.
- الثروات الفنية والتاريخية:
- (53) بسط حماية الدولة على الثروات الفنية والتاريخية خصوصا بمنع تحويرها أو إخراجها من البلاد.
- (54) إدخال عدد كاف من المغاربة في لجنة ترميم الآثار التاريخية وفي المجلس الإداري لمتحف الآثار والفنون الاسلامية بالمغرب.
- 6- الأحباس الإسلامية
- (1) نقل الاختصاصات الموجودة بإدارة الأحباس للوزارة الحسبية بدار المخزن، وإحياء المجلس الحسبي الاعلى على أسس تمثيلية جديدة مع اختيار أعضائه من بين أهل الكفاءة والنزاهة.
- (2) المحافظة التامة على ثروة الاحباس بأسرها، وعلى جميع المساجد والمعاهد الدينية والمدارس الحسبية، وسائر المكاتب العلمية، والآثار التاريخية.
- (3) عدم تقصير وزارة الاحباس في القيام بخدمة الثقافة العربية ونشر التربية الاسلامية وتشجيع =

الوسيلة الفعالة للتكوين السياسي بين المواطنين، وربما ذلك ما حصل بحيث أصبح ترويج

- = الأعمال الخيرية، وصرف محمولات الاحساس في تحقيق الرغبات التي حيست من أجلها.
- (4) إعفاء الأملاك الحسبية مع جميع الضرائب المفروضة عليها من قبل الدولة.
- (5) عدم تقويت الأملاك الحسبية إذا لم تثبت موجبات التقويت الشرعية.
- (6) عدم السماح بتسليق أي شيء من وفر الاحساس .
- (7) تطبيق التشريع الموضوع للكرية على المستأجرين للأملاك الحسبية.
- 7- الصحة العامة والاسعاف الاجتماعي
- أ- الصحة العامة
- (1) إنشاء مستشفيات كافية بالمدن والمراكز الادارية ومستوصفات ثابتة بالقرى، ومستوصفات متنقلة في المداشر والأسواق لمعالجة المرضى وتوزيع الانوية على الفقراء مجاناً زيادة على ما هو موجود الآن.
- (2) إنشاء مصحات للأمراض الصدرية المنتشرة بالمغرب.
- (3) تأسيس دور مغربية للولادة بالمدن والمراكز المهمة.
- (4) تنظيم الملاجئ الخاصة بالمجانيب والمجانين على الطرق الطبية الحديثة.
- (5) وضع تعريف خاصة للاستشارة وللزيارة الطبية مطبوعة بالعربية والفرنسية في مكاتب الاطباء.
- (6) اتخاذ وسائل لتجديد الأحياء المخربة الضارة بسكانها وبالصحة العامة.
- (7) حماية مياه الشرب من الأوساخ والأقذار ومن بينها آبار البادية ومجاريها.
- (8) تنظيم الماء المضاف في جميع البلدان المغربية وتغطية الأودية الحارة.
- (9) مقاومة الأمراض المعدية بوسائل الفعالة وخصوصاً الأمراض التناسلية.
- (10) مقاومة البغاء السري في كل البلاد المغربية مقاومة فعالة، ومنع المسلمات المغربيات من الاتجار بأعراضهن، والمسلمين المغاربة من غشيان المواخر، واعتبار ذلك جريمة يعاقب عليها المسلمون المغاربة رجالاً ونساء .
- (11) إبعاد المواخر المفتوحة لغير المسلمين عن الأحياء الإسلامية .
- (12) إقفال جميع الحانات الموجودة بالأحياء الإسلامية واتخاذ جميع التدابير اللازمة لتحريم تناول المسلمين للخمور وبيعهم لها تحريماً عملياً، ومنع المتجرين فيها من ترويجها بين المسلمين واستعمال الصرامة التامة في تنفيذ الظواهر الصادرة في ذلك مع وضع تشريع جديد يكملها.
- (13) الصرامة في تطبيق التشريع المحرم للقمار.
- (14) إلقاء محاضرات وعرض أفلام صحية، لبيان أنواع الأمراض والاحتياطات الواجب اتخاذها للوقاية منها، والسماح بإنشاء جمعيات لمقاومة المسكرات والبغاء.
- (15) تشجيع الجمعيات المغربية التي تعنى بنشر التربية البدنية وتنمية الروح الرياضية.
- (16) إدخال عدد كاف من المغاربة في اللجان البلدية المختصة بحفظ الصحة، وفي المجالس المركزية للصحة العامة.
- ب- الاسعاف الاجتماعي
- (17) تنشيط الجمعيات الخيرية الاسلامية، ومساعدتها من ميزانية الدولة والاحساس والسعي في تكثير عددها وتمثيلها في المجلس الأعلى للاسعاف والاحسان.
- (18) احداث ملاجئ لإيواء الشيوخ والعجزة.
- (19) رعاية الأيتام واللقطاء المغاربة كغيرهم من الأطفال الأوربيين الذين يستفيدون وحدهم من ظهير (18مارس سنة 1928).
- (20) توزيع مدخولات "حق الفقراء" باعتبار النسبة العددية، بين الفقراء المسلمين وغيرهم.
- (21) تأسيس مكاتب كافية للاهتمام بتشغيل العملة العاطلين =.

تلك المطالب بين طبقة خاصة من المتعلمين كاف ليجعل النقاش حولها يغزو مختلف

(22) = تأسيس مجلس خيري إسلامي أعلى للإشراف على سير الجمعيات الخيرية الإسلامية، والبحث عن أصلح الطرق لتعميم البر والاحسان.

(23) منع التسول واعتباره مخالفة يعاقب عليها .
العائلات الكثيرة العدد

(24) حمل شركات السكك الحديدية على منح تخفيض للعائلات المغربية الكثيرة العدد، مثل ما تفعل مع العائلات الفرنسية الكثيرة العدد.

(25) أخذ المنح المخصصة للعائلات الفرنسية الكثيرة العدد من ميزانية فرنسا لا من ميزانية المغرب.
8- العمل
1- العملة

(1) تطبيق الاتفاقات الدولية المتعلقة بالعمل على العملة المغاربة.

(2) حصر مدة العمل اليومي في ثمان ساعات ما عدا الاعمال الفلاحية وتنظيم أوقات فتح الدكاكين والأسواق وجعل الراحة الأسبوعية إجبارية على سائر العمال المغاربة، وفرض الراحة السنوية للعمال المغاربة على حساب المستخدمين .

(3) العناية بتطبيق التشريع الموجود لتنظيم العمل في المحلات التجارية والصناعية وملحقاتها وإحداث تشريع لتنظيم العمل الفلاحي وعمل الخدمة والمأجورين وفيما يخص الأمراض الناتجة عن مزاولة العمل.

(4) تطبيق التشريعات الموجودة والموجبة للاعتناء بالشروط الصحية في مساحات الاشغال النائية عن المدن (شانطيات) ولحماية العمال من الأمراض المعدية.

(5) تطبيق التشريع الموجود الخاص بالحوانيت القشاشية التي تقام بمحلات العمل بقصد البيع للعمال والصرامة في تنفيذ المادة القاضية باقفالها إن باع الخمر للمسلمين المغاربة .

(6) رفع أجور العملة المغاربة وجعلها ضامنة لكفاية حاجاتهم الحيوية ومتناسبة مع نتيجة عملهم وقيمتهم في الأسواق العامة.

(7) تسوية العملة المغاربة مع العملة الأجانب في الاجور متى كانت مقدرتهم في العمل متساوية.

(8) اتخاذ الوسائل اللازمة لمكافحة البطالة كالتشديد في تطبيق التشريع الخاص بالعملة الاجانب الوافدين الى المغرب وتفضيل العملة المغاربة على غيرهم في حالة تساوي الكفاءة.

(9) إحداث مساكن للعمال مستوفية لشروط الصحة في ضواحي المدن والمراكز الصناعية وتأجيرها لهم بثمن مناسب.

(10) إلزام المستخدمين المغاربة (المعلمين) بإعطاء تعويضات لعمالهم عند حصول آفة لهم أثناء العمل.

(11) تعيين مرشدين يلتجئ إليهم العملة لمعرفة مالهم من الحقوق والواجبات خصوصا فيما يرجع لأفات العمل وتعويضاتها.

(12) السماح بتأسيس نقابات مغربية للدفاع عن مصالح العملة المغاربة وتأسيس صناديق تعاونية لمساعدة العملة المرضى والعاطلين. =

(13) تسهيل شروط استخدام العملة المغاربة بفرنسا وتطبيق التشريع الفرنسي الموضوع لحماية العملة الفرنسية على العملة المغاربة المقيمين بفرنسا كما يطبق التشريع الخاص بالعمل في المغرب على العملة الفرنسيين.

(14) إلفات مفتشي العمل إلى منع استخدام الفتيان والفتيات الذين لم يتجاوزوا سن الثانية عشرة منعا كليا وتطبيق التشريع المحرم لاستخدام النساء والاطفال الذين يتراوح سنهم بين الثانية عشرة والسادسة عشرة في أشغال فوق طاقتهم.

(15) إنشاء مجالس مغربية تقوم بتطبيق التشريع الخاص بالعمل على العمال المغاربة المستخدمين عند مواطنيهم وبفصل النزاعات التي تنشأ بين العمال بعضهم مع بعض أو بينهم وبين المستخدمين (المعلمين). =

الطبقات بطريقة لم تكن منتظرة ولم يحسب لها الفرنسيون ما يليق بها من الحساب، ولم

= (16) إدخال عدد كاف من المغاربة في اللجنة الاستشارية للعمل وفي المجلس الاستشاري لليد العاملة وفي المكتب المغربي لليد العاملة، وفي اللجنة الاستشارية لافات العمل .

ب- الصناع

(17) ترك الحرية للصناع المغاربة في ترقية صناعاتهم حسب الذوق الوقتي، وتدريبهم على ذلك في المدارس الصناعية .

(18) حماية المصنوعات المغربية من المزاومة الاجنبية وعدم السماح بجلب البضائع التي تقلدها من الخارج، ومنع المعامل الميكانيكية كذلك من تقليدها داخل المغرب.

(19) السماح بتأسيس نقابات صناعية للدفاع عن مصالح الصناع، ومقاومة الغش في الصناعة، وتنظيم الانتاج، وتسهيل ترويجه داخل المغرب وخارجه.

(20) إعانة الصناع المغاربة بقروض صغيرة لترقية وسائلهم الصناعية.

9- الاصلاحات الاقتصادية والمالية

السياسة الاقتصادية

- (1) تهيئة وسائل العمل والروجان الاقتصادي لرفع المستوى المعاشي للمغاربة
- (2) تسهيل استهلاك القمح داخل المغرب بين سائر الطبقات وخصوصا الفلاحين والعملة.
- (3) تنظيم الانتاج وجعله متناسبا مع حاجات الاسواق الداخلية ومع قابلية الاسواق الخارجية.
- (4) تشجيع المغاربة على الانتاج الفلاحي والصناعي ومراعاة مصالحهم عند إجراء المفاوضات من أجل الاتفاقات التجارية التي يبرمها المغرب استقبالا، وكذلك في المعاهدات التجارية التي تعقدها فرنسا ويجري العمل بها في المغرب .

(5) حماية الانتاج المغربي من المزاومة الاجنبية ومنع دخول كل البضائع التي هي من نوع المنتوجات المغربية من أية دولة كانت.

(6) جعل استثمار سائر المناجم الطبيعية ومناجم النفط والمياه المعدنية والسلك الحديدية والقوات الكهربائية والمرافئ البحرية من اختصاص الدولة المغربية.

(7) السعي لجعل "احتكار الدخان" من اختصاص الدولة المغربية (المادة 17 من المعاهدة الفرنسية الاسبانية 27 نوفمبر سنة 1912).

(8) إدخال عدد كاف من المغاربة في سائر المجالس المشرفة على استثمار خيرات البلاد.

(9) اتباع سياسة اقتصادية موحدة في المناطق المغربية الثلاثة، وتسهيل المبادلات التجارية بينها واسقاط الواجبات التي تؤدي على البضائع عند دخولها من منطقة الى أخرى .

10- الاستعمار والفلاحة المغربية

أ- الاستعمار:

(1) إلغاء التشريع القاضي باعتبار نزع الملكية لاحداث "نوائر الاستعمار" من المصلحة العامة.

(2) إيقاف الاستعمار الرسمي.

(3) ارجاع الاراضي التي انتزعت ولم توزع بعد لأربابها إن أظهروا الرغبة فيها مع إعطائهم المهلة الكافية=

= لرد المعاوضة التي دفعت لهم، أما التي قرر انتزاعها ولم ينفذ بعد فتلغى قراراتها وتبقى بين أربابها.

(4) مطالبة المستعمرين الرسميين بتنفيذ ما في دفتر الالتزامات من الشروط.

(5) مراقبة "القرض الفلاحي" مراقبة دقيقة حتى لا يستغل استغلالا جائرا .

ب- الفلاحة المغربية =

يتبنهوا إلا بعد ما أصبح من خدمهم والعاملين لصالح إستمرارهم بعض الخونة

- (6) = إعداد مرشدين فلاحين مغاربة لنشر طرق الفلاحة الحديثة بين الفلاحين.
 (7) إلزام الجمعيات الاحتياطية المغربية بالقيام بواجبها نحو أعضائها، والمعوزين من سكان دوايرها.
 (8) اختيار أعضاء المجالس الادارية والفرعية للجمعيات الاحتياطية من غير الموظفين وتعيين ممثلين لهذه الجمعيات داخل "مجلس المراقبة" الذي يتخذ تحت رئاسة الصدر الأعظم. للإشراف عليها. والمصادقة على ميزانياتها، وداخل "لجنة الصندوق المركزي للجمعيات الاحتياطية".
 (9) إحداث حقول مشاعة للتجربة، يقوم بخدمتها أعضاء الجمعيات الاحتياطية وتدفع مداخيلها لصناديق تلك الجمعيات.
 (10) توسيع مداخيل الصندوق العام لاسعاف الجمعيات الاحتياطية، بتخصيص إعانات من الدولة زيادة على اشتراكات الجمعيات.
 (11) إعطاء الفلاحين حق الاختيار بين اقتراض المال أو أي نوع من أنواع الحبوب.
 (12) تأسيس مخازن تعاونية في جميع مراكز الجمعيات الاحتياطية لتسهيل ترويج المنتوجات الزراعية، والسماح باشتراك الجمعيات الاحتياطية المغربية في المخازن التعاونية المعدة لبيع محصولات المستعمرين.
 (13) الاهتمام بتشجيع الفلاحين على استعمال الاسمدة والآلات الفلاحية الحديثة.
 (14) تأسيس جمعيات تعاونية لضمانة المشتركين فيها ضد الجوائح الفلاحية.
 (15) التسوية بين الفلاحين والمستعمرين في الضرائب وحرية الانتاج وحق إصدار منتوجاتهم الى الخارج.
 (16) حماية الفلاحين من الربا والضرب على أيدي المرابين.
 (17) الاهتمام بالجوائز الخاصة بالفلاحين لتشجيعهم على تحسين الفلاحة والتربية
 (18) المحافظة على حقوق القبائل في استعمال الغابات المجاورة لها والتخفيف من الواجبات المفروضة على ذلك.

- (19) المحافظة على حقوق الفلاح في مياه الشرب والورد والسقي.
 (20) إصلاح الآبار الموجودة وحفر آبار جديدة بالجهات المحتاجة إليها.
 (21) مساعدة الفلاحين في بناء مساكنهم تقيما لشروط الصحة.
 (22) حماية الفلاحين من اعتداءات بعض المستعمرين الذين يضرئونهم بالسياسات ويسجنونهم في المطامير ويفرضون عليهم الغرامات. وإلزام المستعمرين باتباع الطرق المشروعة في كل نزاع يقع بينهم وبين الفلاحين.
 (23) حماية الفلاحين من اعتداءات موظفي "إدارة الغابات والمياه" ونزع ما بيدهم من السلطة غير المشروعة التي باسمها يضرئون ويسجنون ويفرضون الغرامات.
 (24) تحرير الفلاحين من التكاليف المناهية للحرية الشخصية كمؤونة موظفي الترتيب والمحافظة ومن العمل الاجباري عند المستعمرين أو الولاة والموظفين.
 (25) إعفاء الفلاحين من الحضور الاجباري في المواسم السنوية. وعدم إلزامهم بشراء الخيل وسرجهما ودفع فرائض للولاة بتلك المناسبة.

(26) إغقاد النساء من الحضور الاجباري في الحفلات التي تقام للاقتبالات والوداعات وغيرها.

11- النظام العقاري

نزع الملكية

(1) عدم نزع الملكية الا للمصلحة العمومية بمعناها القانوني الصحيح وطبقا للمواد الخاصة بذلك في عقد الجزيرة وادخال نظام "الحلفين" لتعيين معارضة انتزاع الملكية والاتجاه الى نظام التحكيم عند عدم تحقيق الأغلبية بين هيئة "الحلفين".

الملك العائلي الثابت

(2) الاحتفاظ للفلاح المغربي بعشر هكتارات في أرض البور أو ثلاثة في أرض السقي، ووضع تشريع=

العملاء من كلاب المزابل الذين عملوا في قلم مخابراتهم أمثال عبد الوهاب بن منصور

= يمنعه من تقويتها بأي نوع من أنواع التقويت.

أملاك الجماعات

(3) إنشاء مجلس مغربي بدار المخزن الشريف للنظر في شؤون أراضي الجماعات، وفي مداخيلها عوضا عن

مجلس الوصاية الحالي.

(4) الاحتفاظ بأملاك الجماعات وتوزيعها على أربابها مع منعهم من تقويتها أو إيجارها لأمد بعيد.

الأراضي الموات.

(5) توزيع الأراضي الموات على فقراء الفلاحين لحياتها والتعيش بها.

الاملاك المخزنية.

(6) الاحتفاظ بما بقي من الاملاك المخزنية، وعدم تقويتها إلا لمصلحة محققة مع تعويض ما فوت منها بأملاك

جديدة.

المحافظة العقارية

(7) مراعاة الاسبقية في إجراء التحديد وعمليات التحفيظ نون نظر الى جنسية صاحب المطلب.

(8) إلزام طالب التحفيظ بتقديم رسوم صحيحة لاثبات حقه في المساحة التي يطلب تحفيظها. وإلزام المحافظة

العقارية بالتدقيق في معرفة عين الملك المطلوب تحفيظه ومعرفة حدوده الحقيقية التي يملكها طالب التحفيظ.

(9) عدم قبول الملكية المحررة بقصد الاحتجاج عند استلام مطالب التحفيظ.

(10) وجوب حضور التراجعة، في كل تحديد محافظة على حقوق المجاورين المتعرضين.

(11) عدم الاكتفاء بالمراسلة في ابلاغ الفلاحين أجل انتهاء التحديد، وتعزيزها بالمنادين في الأسواق نظرا

لأمية أغلب الفلاحين.

(12) جعل واجبات التعرض متناسبة مع المساحة المتعرض عليها. وتأخير أدائها وفرضها على المحكوم عليه

من المتنازعين.

بطائق البحث

(13) عدم قبول تعرضات الافراد في خصوص بطائق البحث التي يصدرها القاضي الشرعي لتسليم رسم

التملك أو التقويت.

13- الضرائب والترتيب.

(1) جعل مقدرات الميزانية مناسبة لحاجات الأمة، وملائمة لمقدرتها على الأداء، وعدم الالتجاء في تقدير

الميزانية للقروض الخارجية.

(2) عدم تكليف الرعايا المغاربة بتأدية أي شيء من الاموال، أو "الفرائض" إلا ما جده القانون.

(3) التخفيف من الضرائب غير المباشرة.

(4) وضع واجبات الديوانة على سائر البضائع الواردة من الخارج على أساس المساواة الاقتصادية.

(5) إحداث ضريبة على الاجور الثابتة التي تتجاوز سنويا 12.000 اثني عشر ألف فرنك.

(6) إلغاء الضريبة المعروفة بالمكس، و"الصنك" بسائر أنواعها. لضررها بالاقتصاد الداخلي.

(7) إعفاء الصناع الصغار المعوزين من ضريبة الأرياح، والسكنى والضريبة الشخصية.

(8) الاكتفاء في استخلاص الضرائب بالطرق المشروعة، وعدم الالتجاء للسجن

(9) عدم إحداث أية ضريبة على موارث المسلمين.

(10) اتخاذ طريقة موحدة لاحصاء المرتبات، وتقويمها واستخلاص واجباتها، يخضع لها الفلاحون

والمستعمرون على السواء =

التلمساني(8)، ومحمد اشماعو السلاوي، والعربي قصارة ومحمد التازي والقزم احمد

- (11) إسقاط العشرة في المائة التي يتسلمها القواد والأشياخ عند استخلاص الترتيب.
- (12) إعفاء المواشي قبل الفطام من ضريبة الترتيب.
- (13) إعفاء الفلاح الصغير من ضريبة الترتيب، إذا لم تتجاوز مساحة حرثه هكتارين اثنين من الحبوب
- (14) إعفاء المنتوجات الفلاحية من ضريبة الترتيب إذا لم تتجاوز خمس قناطر في الهكتار.
- (15) تخفيف الضرائب على أولياء العائلات الكثيرة الافراد.
- (16) إدخال عدد كاف من المغاربة في "لجنة مراجعة واصلاح الضرائب.
- 13- إصلاحات متفرقة
- السياسة البربرية والتبشير
- (1) العول عن تطبيق السياسة البربرية، وإبطال العمل بما صدر فيها منذ 1914 من الظاهر والقرارات المخزنية والمناشير الادارية.
- (2) جعل نظام المحاكم المغربية، ونظام التعليم المغربي موحدين في كافة انحاء البلاد طبقا لما هو مبين بباب العدالة وباب التعليم.
- (3) منع التبشير بين المغاربة المسلمين في البوادي والحواضر.
- (4) إيقاف حركة التبشيرية والمبشرين على اختلاف جنسياتهم ومذاهبهم، ومنعهم من التجول والحضور في الأسواق والمواسيم بصفتهم التبشيرية، وعدم السماح لهم بنشر أي شيء يمس بكرامة الاسلام، وكرامة النبي عليه السلام.
- (5) عدم منح اية إعانة من الميزانية المغربية، أو أي ملك من أملاك المخزن الشريف للجمعيات التبشيرية، أو الساعين في تشييد الكنائس والمنتديات المسيحية.
- (6) عدم السماح للمبشرين والمبشرات باحداث مدارس أو مصانع، أو ملاجئ، لفتيان المسلمين وفتياتهم، وتسليم ما أحدث من ذلك للحكومة المغربية أو الجمعيات الإسلامية.
- 14- العربية لغة المغرب الرسمية
- (1) اعتبار اللغة العربية لغة المراسلة، والمرافعة، وتسجيل الاحكام، وتحرير العقود في سائر المحاكم التي يترافع اليها الرعايا المغاربة.
- (2) جعل سائر طوابع الدولة وخواتمها في الادارات الرسمية بالعربية والفرنسية.
- (3) إدراج جميع نصوص الظاهر والشريفة والقرارات الوزيرية، والمنشورات الادارية، في الجريدة الرسمية بالعربية، وإصدار الطبعة العربية كاملة في نفس الوقت الذي تصدر فيه الطبعة الفرنسية، وجعل "مكتب الجريدة الرسمية العربية" لدار المخزن الشريف.
- (4) إصدار نسخ عربية لجميع مطبوعات الدولة، من تقارير سنوية، وإحصائيات، وتقاويم، وخرائط وأبحاث تتعلق بالشؤون المغربية، وكذلك جميع دفاتر وقهارس ومطبوعات المكتبة العامة بالرباط.
- (5) استعمال اللغة العربية في ادارة البريد والتلفون والتلغراف، وكتابة سائر مطبوعاتها وأوراقها وطوابعها وخواتمها باللغة العربية والفرنسية، وقبول البرقيات، والمكاتب المسجلة، والحوالات المالية، باللغة العربية، دون أجرة إضافية.
- (6) كتابة أسماء المدن والمحطات، وإشارات المسافات وأخطار المنعرجات والمنحدرات والمزالق، وجميع إشارات الأشغال العامة باللغتين العربية والفرنسية.
- (7) إلزام الشركات التي لها معاملة مع المغاربة، وخصوصا شركات السكك الحديدية، وشركات النقل، باستعمال اللغة العربية إلى جانب الفرنسية. في تذاكر السفر والوصلات المالية وأوراق نقل البضائع، وفي إعلاناتها بالبرقيات والمحطات =

مكوار الأسود الذي أصبح بعد خليفة باشا مدينة فاس وغيرهم ممن سنتعرف عليهم أكثر بعد، والذين كان رائدهم الجاني عبد الحي الكتاني والفاطمي ابن اسليمان الإسلامي.

- = (8) الزام المصارف المالية وخصوصا "البنك المخزني المغربي" باستعمال اللغة العربية مع الفرنسية، وكتابة مطبوعاتها وخواتمها باللغتين معا.
- (9) وجوب استعمال اللغة العربية في:
- أ- جميع عمليات الديوانة المغربية.
- ب- الرسوم والخرائط والأوراق التي تحرر في المحافظة العقارية.
- ج- الأوراق والتقارير والميزانية السنوية التي تصدرها الادارات البلدية.
- د- كتابة أسماء جميع الادارات والمحاكم والأحياء والميادين والشوارع والأزقة والدروب.
- هـ- جوازات السفر وطاقات التعريف وورقات الإذن في سوق الائتمويلات.
- (10) الاحتفاظ بالأسماء المغربية للمدن والقرى والشوارع والأحياء المغربية، وعدم تغييرها بأسماء أجنبية.
- = (11) الاعتناء بتصحيح الانشاء واثقان الترجمة وإجادة الرسم في جميع المخطوطات العربية التي تستعملها الادارة أو تعرض في الطرق والمحلات العامة.
- (12) اعتبار المؤلفات المكتوبة باللغة العربية مقبولة في الجوائز الأدبية والعلمية للدولة، مثلا "الجائزة الأدبية للمغرب" و "الجائزة العلمية للمغرب".
- 15- العلم المغربي والأعياد القومية والتشريفات
- (1) إحترام العلم المغربي الاحترام الواجب له، ورفع أياام الجمعة والأحد والأعياد الرسمية. فوق جميع الإدارات والمحاكم الموجودة بالنواحي المدنية والعسكرية.
- (2) سن قانون لمعاقبة كل من أهان العلم المغربي.
- (3) احترام الأعياد الاسلامية، واعتبارها أيام عطلة رسمية في سائر الادارات والمحاكم .
- (4) إيقاف الأعمال الادارية المتوقفة على حضور المسلمين، وعدم استدعاء الخصوم والشهود والمحلفين للمحاكم يوم الجمعة.
- (5) اعتبار اليوم الفاتح للعام الهجري، ويوم تتويج جلالة السلطان يومي عيد رسمي للدولة المغربية.
- (6) وجوب ذكر اسم جلالة السلطان في خطب الجمعة والأعياد بسائر أنحاء المغرب، حواضر وبوادي.
- (7) الافتتاح بالنشيد المغربي الشريف في سائر المناسبات الرسمية.
- (8) عدم استعمال لقب (صليب) في الأوسمة الشريفة بسائر درجاتها.
- (8) سنتعرف بعد كيف أنه وأسرتة اختار الجنسية الفرنسية، كما احترف التجسس لفائدة الفرنسيين مبكرا فاختراره رقييا على الصحافة الوطنية.



الحاج محمد افرج ومعه بودخيل
بن بلقاسم احمد بن محمد
تاريخ الصورة 1946



من الشيخ أبو
شعيب الدكالي
بدليل نقط الفاء من
فوق وجدت ضمن
مجموعة من
الرسائل عليها
تاريخ 1326



الصورة حول قضية أبو فركا
بمكتاس 1937



مولاي احمد الشيبهي أبعد 1944
هو والعالم الجليل محمد بن عبد
الرحمن العراقي إلى قرية الطاوس
الجنوب الأقصى للمغرب



الأستاذ محي الدين
القليبي
الحزب الدستوري
التونسي القديم



الأستاذ محمد الخنوبوي الحسني
من الرعيل الوطني الأول وقد
اختاره الشيخ شعيب الدكالي
لتعليم أبنائه. ثم سجل التاريخ
في حقه قيود المقاومين الذين
حققوا الاستقلال

1936/4/2
محرران اللجنة
طبعة في عهد المحقق
بنيسو

مشررات اللجنة (الفرنسية)
خاص ببرنامج العمل
1936



البيان رقم 6 في مشكلة المجالس

مضرة للدخ الكريم:

ما زالت القضية تجري مجراها الاعتيادي وما زالت موضوع الدرس ضمن مهمتهم هذا الشأن. أيضا المبعوثون الفرنسيون الثلاثة الذين كنا انما ناكم عنهم سابقا فقد رجعوا الى المغرب آخر الاسبوع المنصرم دون ان يتكلموا عنى تكمل اللجان البرلمانية. المجالس. وذلك ما يدل دلالة واضحة على انهم لم يفتفروا في سعيهم. وعلى انهم لم يستنجعوا ان يهبطوا في بارز الجول الذي يبه يصحادون. وقد سبق لمسيو كوفيدي، مبعوث لجنة الامور الخارجية لمجلس الشيوخ، ان يهتهم الى هذه العاقبة لو ارادوا ان يههم. وقد صرح لهم حين اجتمعوا به قائلا: (ان كثير من الفرنسيين ينسبون ان المغرب ليس له مصارعة في الانتخابات الفرنسية. وانه من الواجب علينا ان نحسب للمغاربة حسابهم لانهم الاكثرية ولان لهم حقوقا سيحتقرها البرلمان) انا ببارز جان لجنة المستعرات وبلاد الحماية التي اديت هذه المشكلة في جدول أعمالها فدأخرت اجتماعها الى يوم الأربعاء 6 فبراير واستتمعت في هذه الجلسة مشلبي للثقافات الفرنسية بالمغرب ثم تشتغل بدرس جميع التقارير التي عرضت عليه في مشكلة المجالس والحلاف القائم حولها وتخذ قرارها الاخير لتعرضه على وزارة الخارجية كما ستدرس مشكلة كنجحة وتاخر النجوة الفرنسي في اذارتها بسبب الاتفاق الاخير المبرم بين الحكومتين الفرنسية والاسبانية.

وقد انتهت كثلثنا هنا سيرة هذا الاجتماع جمعته الى رئيس اللجنة يوم الخميس 25 في الفعدة البرقية الآتية:

« نعتنم فرصة اجتماع كتتمك للنظر في الحلاف الحاضر عندكم كم بوجهة نظرنا مع الامارات من غيتنا في ان يفتقر أعضاء اللجنة تقارب رأينا في مفراتهم. ونقول بكل تأكيد « ان واعم النزاع الفرنسي المحتجج ترمي الى انشاء نظام ادراتي مبني على الحكم المباشر يجعل المغرب مجرد مستعمرة. وانما المحتجج بكل صراحة على هذه النزاع وتعلن « بيان مجلس شعوري الحكومة الحالي القائم على الحكم المباشر يجب على الحكومة ان تدبكله وتزود المغاربة بمجالس شعورية فومعية. » ونها كالتفة بروح العدالة التي مثلونها على اننا نؤمل ان تحبضوا حفوف «المغرب الشرعية وذلك بالوجاه لما تقتضيه الجهود التي التزمت بها وبناسا. » وقد كان يوم الجمعة المذكور أيضا موعدا للاجتماع الثاني للمجلس الاعلى للبحر المتوسط. ثم وقع تأجيله ليوم السبت الموالي. وسينظر بوجهه خاص في دراسته المسألة المغربية وعرض الحالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لبلدان

(٤)

الشمال الإفريقي وبلاد مغربنا، ثم التفكير في الكوادر السياسية في الشرق الإسلامي
 وبلغ تأثيرها على الأوساط المغربية. وقد استُدعي هذه المرة للخطاب في هذه الجلسة
 سعادة المستشار السلطاني الميسر هيرازان الذي كنا نقابلنا معه في مشكل
 المجلس

وفي يوم الـ ٢٤ يبرابر تقابل سعادة المفوض العام الميسر بونسو مع سعادة وزير الخارجية
 الميسر قلايذان وتحدثوا ملياً في مختلفات الاجتماع.

ولما علمت كنتلنا بحبر هذا الاجتماع وجهت في الكمين البرقية الآتية لكل من رئيس
 الوزارة، ووزير الخارجية، والمفوض العام، والكتاب العام للمجلس الأعلى المذكور، ونصها:
 « بمناسبة انعقاد المجلس الأعلى للبحر المتوسط تجدد تذكير الكوافة بوجهة نظرنا
 الخاصة بالخلاف من بينها لليونس الشديد الذي يقاسمه المغاربة وما في ذلك من
 الأخطار. وما يستدعيه من التدابير المستعجلة لإفناذ العناصر المغربية المهددة
 بالجموع وتأسيس حالة المعيشة والشغل. ثم نعلن بكل تأكيد أن بوادير الاستياء
 المغربي أخذت تظهر بين أرباب الحرب والعملية المغاربة في جاس وفكناس طرابلس
 وذلك بما ضاربهم عن الشغل وتغديهم للولادة مطالب تستحق كل العناية.
 ونوصيكم أن إفناذ الكيفية للعاملية لا يتم بحد رخص مكابها، ولا بتدابير
 وهمية أو الترحيل من موكب آخر حسب فظنة قد تفسر، ولا كمن بالنظر في الحالة
 وتكليف بنماج إصلاحى عاجل لرقبات الآفة التي وقع عرضها في مطالب الشعب المغربي
 «وصي بس تلك التدابير المستعجلة، نذكر بكل تأكيد نكتم الغرائب (لا نرضى عنها) نذره
 «وجازر» في طرف استخلاصه ووجوه المغاومة العينية للاستغلال الذي يلافيه
 الشعب من رجال الإدارة والشركات والاجراد.

« ونلمح كذلك في نشر التعليم وإصلاح العدالة المغربية وتبديل السياسة
 الحاضرة بسياسة عمادلة حرة تسمح للمغاربة المحرومين من كل تمثيل ووسيلة
 للتعبير عن رأيهم، بالمشاركة في تدبير شؤون بلادهم الخاصة والتمتع بالنعام
 الأوربية واليهودية من الحريات»

فاتح ذي الحجة 1354 / 24 يوليوز 1936 كتلة العمل الوطني





الوطني الصادق الأمين
أحمد حكوار



جَ أحمد الزبدي أحد قادة الفكر بالرباط الصورة
عام 1925 وهو الذي كان قد أسس أول مدرسة حرة
في المغرب بمدينة الرباط عام 1906 إلى جانب
بوهلال وبركاش وهي التي انضم إليها المرحوم
محمد لمعري في نفس السنة



الاستاذ عبد الله الجراي المفتش
بوزارة التربية الوطنية وهو من رواد
الحركة الوطنية



عبد اللطيف الصبيحي رحمه الله من
اعلام مدينة سلا الرجل الأول الذي
قاوم الظهير البربري عن طريق
الصحافة



الزعيم التونسي عبد العزيز
التعالبي رحمه الله



الزعيم النقابي التونسي علي
باش حانبه رحمه الله



الحاج محمد الفزاوي
الواسطة الأمين بين محمد
الخامس ومجموع الوطنيين



الأستاذ حسان
جلاتي رئيس
الحزب الاصلاحى
التونسي

السادة من اليمين إلى اليسار

- 1) محمد الحارثي حجي
- 2) محمد بن الطيب العلوي
- 3) محمد الجعايدي
- 4) جَ عبد الله اعمار مقاول ساهم في
بناء مدرسة النهضة السلاوية بنصيب
مهم وقد كان له اثر في بناء المدارس
الحرّة بالمغرب



زعيم الجزائر
الحاج مصالي

التهامي عبابو حاجب السلطان في عهد
المولى يوسف وقد كان له دور مهم وصادق
إلى جانب السلطان ضد الظهير البربري في
عهد اليوطي من 1914/9/14 إلى 1925م



محمد بن الحسن
الوزاني مؤسس
الحزب القومي
الذي أطلق عليه
حزب الشورى
بعد 1946

رجال الوطنية بالأطلس المتوسط وهم الجماعة التي ساهمت
في بناء مدرسة أمير الأطلس الحرة مدينة أزرو



الوطنيون المغربية قبل الشتات



الحاج محمد أفرج مؤسس
مدرسة النهضة الوطنية بقصر
زناكة فجيج



محمد بن عبد السلام بريشة
باشا مدينة تطوان



فضيلة الشريف الفقيه العلامة محمد
المير قاضي العاصمة التطوانية



العلامة السيد احمد بن محمد
الرهوني وزير عدلية المنطقة الشمالية
وقاضي قضاتها



- | | | |
|-------------------------|---------------------------|-----------------------------------|
| 14) إسماعيل فرج | 7) محمد ملين | أسماء من في الصورة بدءا من اليمين |
| 15) محمد بن عبد الله | 8) محمد ملين | 1) عبد العزيز فنجر |
| 16) علال الراشدي | 9) المعطي الشرقاوي | 2) محمد بن المعطي بوهلال |
| 17) محمد الجابري | 10) السيتل العيساوي | 3) عبد الله السويسي |
| 18) عبد العزيز الزواق | 11) الطيب بنونة | 4) محمد السليمانى |
| 19) محمد اليزيدي بوشعيب | 12) عبد الرحمن اقصبي | 5) التهامي الزبيدي |
| | 13) محمد بن العباس القباج | 6) أبو بكر القباج |

جماعة الرعيل الأول من الوطنيين الرباطيين وقد اطلقوا على تجمعهم «الجوق المغربي» بالرباط للتمثيل العربي وقبلها كانت جمعية قداماء الثانوية الاسلامية بفاس عام 1921.

Al-Chihâb

« Al-Mountaqid a été suspendu ; mais voici son frère, al-Chihâb.

« Un Chihâb « étoile » de la Liberté, de la Fraternité et de l'Égalité, idéaux exaltés par l'islam, et ceux-là mêmes pour lesquels sont morts les Français libres, et qui sont restés la devise de la France...

« Un Chihâb « flambeau » qui dissipe les ténèbres de l'ignorance, des superstitions et de l'erreur..., et illumine le Chemin de la Vérité et la Direction aux missionnaires de l'Islâh et de la Droiture.

« Un Chihâb « météore » vigilant, défenseur de la religion véridique contre les atteintes des imposteurs et des fauteurs d'innovations blâmables. »

(Extraits de l'éditorial du n° 1)

(12 nov. 1925)

Page de titre du Chihâb, revue musulmane algérienne mensuelle. — Ses centres d'intérêt : tout ce qui favorise l'évolution du musulman algérien. — Fondateur : Abd al-Hamid Ben Bâdis. — Paraît à Constantine au début de chaque mois lunaire. — Notre principe en matière de réformisme spirituel et temporel : « Cette communauté ne connaîtra le succès dans sa postérité que par ce qui en a fait le succès à ses débuts » (Mâlik ben Anas). — Comptons sur nous-mêmes et mettons notre confiance en Dieu. — Prix : 5 francs.



الشريف حمزة الطاهري من
أوائل من قرأ اللطيف بجامع
القرويين، وأحد أفراد الجماعة
الوطنية الأولى بفاس



الأستاذ الهاشمي الفيلالي
الانصاري وهو الذي كون أجيالا
من الوطنيين

مجلة الشهاب التي كان يصدرها بالجزائر الإمام المصلح عبد الحميد بن
باديس رحمه الله



محمد الخامس أمام قبر الجندي المجهول
بفرنسا 1930. وقد نظمت له تلك الرحلة عن قصد
حتى يوقع الكاهن العميل محمد المقرئ الظهير
البربري بصفته الوصي المفروض على العاهل



علال الفاسي
من رواد الفكر الوطني



محمد الجزولي الرباطي
والشاعر السلفي البليغ



الحاج العربي بوعبياد أول من افتتح
اللطيف بجامع القرويين، وأحد أفراد
الجماعة الوطنية الأولى بفاس



العالم الجليل الطيب بن أحمد العلوي
رائد الوطنية في الأطلس المتوسط وهو
الذي أبعده الفرنسيون 1934 من
أميريت إلى سجن مكناش مشيا على
الأقدام ومدة نفي محمد الخامس
فضاها في السجن إلى أن عاد



أحد رجالات الوطنية عبد
العزیز بن إدريس العمروي



الوطني الغيور ج أحمد بركاش
مندوب المعارف سابقا



رفیق الدرب محمد العربي الوديع
الأسفي ازداد بأسفي سنة 1923.
من رواد الفكر الوطنيين الأوائل
1943 كون أجيالا قبل الاستقلال
ثم جاهد من أجل تحقيق
الاستقلال ولما تحقق عرف الظلم
والاضطهاد هو وأبناؤه. لكنه عرف
كيف يدرخ لعصره من خلال
شعره البديع راجع قصيدة
"بكاء الشيطان".



المرحوم مولاي هاشم بن
الصالح احد اقطاب
الوطنية بالأطلس المتوسط



العالم الجليل محمد
المختار السوسي



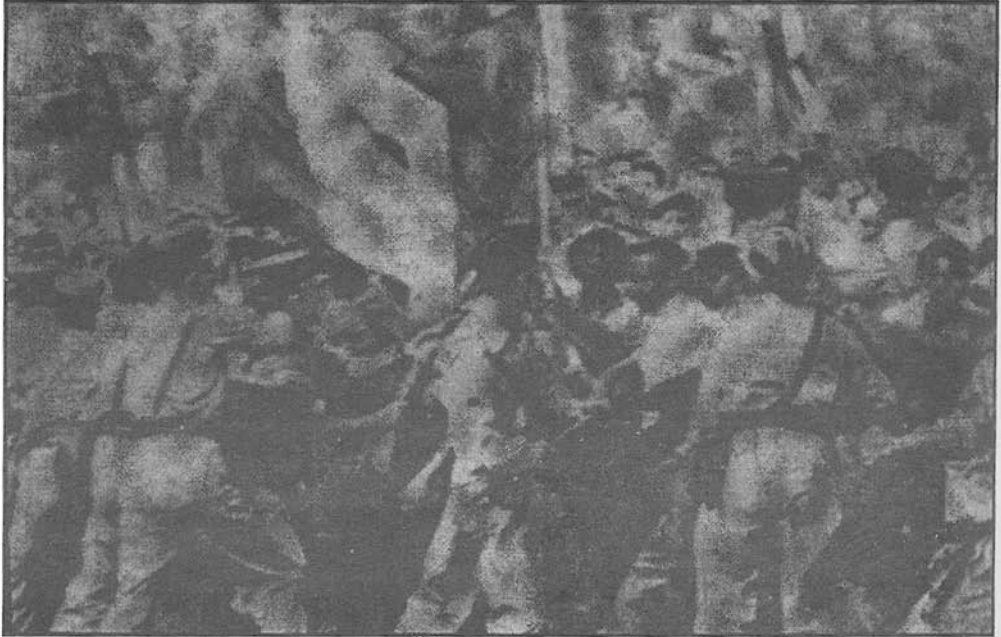
الوطني الكبير ج.عمر
المتوكل الساطي



محمد اليزيدي و عمر بن عبد الجليل اللذان امتازا بغدرهما وخيانتها، في إكس لبيان غشت 1955. وبينهما محمد غازي



المرحوم مسعود الشكر أحد رجال الوطنية الصادقين تولى منصب المدير العام للديوان الملكي ووزارة الداخلية في عهد محمد الخامس فكان مثال النزاهة والأمانة. ومن الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال



أثناء حوادث أبو فكران بمكناس 1937



في سبيل تعزيز الوحدة العربية

بفلم عبد الله إبراهيم

وإيران ، ثم مات بسكر صديقي
ولكن الاتجاه الذي دفع فيه
العراق ، بقي حياً ، يلبس على الساسة

الغرب يتحرك ليسو . ان الذين ظنوا ان المغرب قد خمد
خطرون . ان نضالات الامم ليست فورات ولا مقامر .
ولكنها ثقافة تجل وحياة تشا .

كتب المستشرق المعروف ،
دوبر . مونتاني ، مقالاً مسهباً في
ال - France Mediterranee

العراقيين خطفهم ا

كل من نظر الى الفكرة العربية هذا النوع من النظر ،
لا بد ان يسقط في هذه الاوهام نفسها . او في نوع اخر شبيه
بها ، ولكن الوحدة العربية شي . اوسع بكثير من هذا ، او
يجب ان تكون شيئاً اوسع بكثير من هذا ، واشد عمقاً
وخطورة منه ؛ فالتقدم الذي تحوزه مملكة من الممالك العربية ،
في اي صورة من صور نشاطها الطبيعي ، وهو الوحدة العربية
نفسها ، لان هذا التقدم هو للوسيلة الوحيدة لخلق الكتلة
البشرية التي تتكلم كلاماً واحداً ، وتفكر بقرعة واحدة ،
وتحس إحساساً واحداً ، وترجو رجاءً واحداً ، وتحشى خطراً
واحداً .

فالفكرة العربية بهذا الاعتبار ، يجب ان تقتصر دائماً وفي
جميع الظروف والاسواق ، اجل ايجب ان تقتصر ، ولا يمكن
ان تنهز ، مطلقاً ، أمام اية عرقلة من العراقيل ؛ اما الذين يريدون
ان « يخلصوا » الوحدة العربية في برنامج سياسي ضيق ،
يضمب تحقيته اليوم ، فاننا يجاهدون في الحقيقة محل الخطورة
والقوة ، في هذه الفكرة العربية ، ويضمونها في ارجوحة الجائر .
ولكن وحدة « الشعب » العربي ، يجب ان تأخذ وضعها الطبيعي
لان خلاياه تكمن فيها الحقيقة وأهميتها الممتازة .

اتنا في مراكش ، نطلع للكتاب المصريين والسوريين
والعراقيين وغيرهم فنفهم عنهم كما نفهم عن كتابتنا المحليين ،
ولكن الثقافة العربية ستتخذ الرأى جديدة من التقدم فيتوجد
الشعور العربي بيننا اكثر مما هو موجد الآن ويجانب هذا التفاهم
في العقليّة ، يوجد تفاهم اخر في المثل العليا ، استغرافاً ؛ بل
يوجد امتزاج في المثل العليا ، هل نسمى جميعاً بشي . غير رفع

« enne et Africaine » تحدث فيه عما سماه « أزمة الوحدة
العربية » وبين فيه العوامل التي وقفت تقدم الوحدة العربية ،
أو قهرتها الروا ، وهذه العوامل تتلخص عنده في ثلاث نقاط :
١ - الصدمة الزعجة التي عانتها النظم السياسية الحرة في
العراق وأصر وسورية ، وتزوع حكومات هذه الممالك الى
مبدأ الطغيان وسحق المارضة .

٢ - تقدم الفكرة الصهيونية .
٣ - الاسكندرون ، وتستطيع ان تظهر غداً بظهور غلاب
جد في شأن حلب المهذبة بالترز التركي ؛ او في شأن بقعة اخرى
قد لا تكون ساب نفسها .

هذه هي الصدمة التي عانتها الفكرة العربية في السنوات
الاشيرة ، عند هذا المستشرق . وربما كان من اليسير ان نتعمد
بانه كان واهماً في بعض هذه النقط وكان تقديره لانتائج غير
صحيح ، في بعضها الاخر ؛ ويرجع ذلك الى انه كان يطل على
فكرة الجامعة العربية ، من زاوية غير الزاوية التي يطل العرب
انفسهم منها على هذه الفكرة . وهو ينظر اليها نظراً بلاءه
الارن المحلي ، والأحداث غير المستقرة ، وهو يقدر موضع قوتها
وموضع ضعفها ، تقديرأ ضعيفاً في بعض الاحيان ، ويخطئنا ساقطاً
في بعض الاحيان الاخرى . وما قدره مثلاً ، عن مستقبل العراق
السياسي ، لم يكن صحيحاً الى حد كبير ، فالعراق لا يزال
مقللاً قوياً للفكرة العربية ، بل لم يكن اقوى ابداً في هذه
الفكرة ، منه اليوم . ولكن المسيو . مونتاني يرى العراق قد
سقط في شكل من اشكال الحكم الطاغني ، منذ تولي قيادته
ديكتاتور قوي ، هو الجزائر صديقي ، وقضى على العناصر
العربية المتطرفة ، وأحكم أواصر المردة والتحاليف مع تركية

جماعة الوطنيين عام 1934 قبل الشتات. عبد الله إبراهيم الحسني المصلوحي رائد الوطنية بمدينة مراكش وهو الرجل
الوحيد الذي تولى منصب الوزير الأول في عهد الاستقلال من 25 ديسمبر 1958 إلى 26 ماي 1960 فكان مثال النزاهة
والخلق والإستقامة

القضية المقدسة . ولأجل ان يكون المرتبرون على علم بشؤون البلاد العربية ، يجب ان ينظروا جانباً دائمة للدراسة السياسية والاقتصادية والثقافية لهذه البلاد ، الى جانب اعادة سرعامة للمجلس .

ويعدل المجلس العربي الاعلى على إصدار صحيفة رسمية للآية العربية نفسها ، تكون لسان تقارب بين الامم العربية كما يخصص المؤتمر - بتماضد مع الدول العربية المستقلة دائماً - جوائز عالية لمن يؤدي اكبر خدمة للجامعة العربية ، بجهاده السياسي ارفع له ، على شكل جائزة نوبل للسلام ، مثلاً . ان هذا الميل هو الذي يميلنا من كم مهمل ، الى كم يحنى خضاره ويفيد الشعوب العربية في كفاحها . وهو الذي يخلق روحاً في (الحلف العربي) تجمله . شروغاً انشائياً كبير الفائدة ، وقد اتاحت لنا ذاروف ممزنة ان نجرب فيه تجارب في القاهرة ولندن فكلمات كلها من الوجهة العربية بالنجاح .

فهذا هو المشروع الذي ترى مراکش ان تقدمه لشقيقتها الشعوب العربية ، في هذا الظرف الملائم ، وبمدان ظهر للعالم العربي أي ارتباط تقوم عليه الدلائق اليوم بين مختلف الاجناس ، وخاصة بين افراد إسرائيل في جميع انحاء الارض . ومراكش اذ تقدم هذا المشروع للاشقيقتان تكون سيدة بان تكون حريصة على تنفيذه بكل ما تملك من استطاعة واخلاص .

مراكش الحمراء . غير الله ابراهيم

التير الاوروي من كاهلنا ؟ هل نسمى نجيباً لشي . غير استرجاع كراهتنا المتصورة وتبوءاً مركز محترم في الكرة الارضية ؟ ان مثلنا الانسانية واحدة ، ما في ذلك ريب .

وبجانب هذا وذلك ، يوجد تجارب في العادات والحياة الاجتماعية الشعبية ، والاثنال الدارجية ، لا يمكن ان يكون وجوده اتفاقاً بحتاً . وهو اكبر برهان طبيعي على وجود هذه الوحدة في حيز الواقع ا

وبعد افا هو فضل العدة اليوم اذن ، على الوحدة العربية ؟ ما الترة فلا توتر بقدر ما هي قوتها نفسها ، بل بقدر الاحكام والنظام الذين يسيطران على اتجاهها نحو الشيء . الذي توتر فيه ، والوحدة العربية لا يوزها الرجال ، ولا قوتها الترة المنوية ، بقدر ما يعوزها النظام والاحكام ، ان حوادث فلسطين ، كان لها اثر بالغ في التريب بين العرب ، وتوحيد شعورهم ، بهذا يعترف زعماء العرب اليوم ، ولكن ، أولاً يرجع هو لا الى انفسهم ، فيرون ان هذا الاعتراف يعني ان شؤون العرب اليوم قروضية ، وان معظم ما يكتبه الكتائرون عن الجامعة العربية ، ليس الا جمجمة من غير طعن ، لان العرب لم يضعوا في برنامجهم اليوم المحصورة بين العرب واليهود ليستعيدوا على حساب هذه المحصورة لتفكرتهم ، وانما كانت حوادث فلسطين نتيجة محارة لا تدبير للعرب فيها . والاثر الجليل الذي استفاده العرب لتضيقهم ، انما كان نتيجة لهذه المحارة نفسها .

خير لنا ان نزع الوقت ، ونتجه لتنظيم عمل انشائي . ولتكن بداية هذا العمل ، ان يرؤس مجلس عربي عام ، تمثل فيه جميع الشعوب العربية ، بواسطة وزراء خارجية الدول المستقلة ، وزعماء الدول التي ما تزال تحت التير العربي ، ويعقد هذا المجلس مؤقراً سنوياً المذاكرة في احوال البلاد العربية ، واصدار انوع القرارات الممكنة . ويستعين المجلس العربي بلجان متعددة للاقتصاد والثقافة والاجتماع والسياسة تكون - سرولة أمامه ، ويتدخل المجلس باسم الشعوب العربية في حسم الاختلافات القائمة بين المخلصين العرب والحكومات الاستعمارية التي في بلادهم .

ان مؤتمر فلسطين امطانا فكرة من النجاح الذي يتنظر مثل هذه الفكرة وليس هناك عذر إذن للذين يتهيبون المشايخ من أجل صوابتها ، اذ نحن لا نطالب الانتنظام . مؤتمر سنوي لجميع الشعوب العربية ، مثل المؤتمر الذي اقيم في القاهرة للدفاع عن



مصالح



لجنة من قدامى المحاربين

والتحرير ١٩٤٤ حركة من ١٤ ماي ١٩٥٨ وتكون في ١٩٥٨
في ٢٥ فبراير ١٩٢٦ اتت به حزب نجم شمال أفريقيا لتتمهله في مؤتمر مقاومة الاستعمار وتحقيق
حرية الشعوب المستعمرة .

في سنة ١٩٢٠ أي بعد مرور مائة سنة على احتلال فرنسا للجزائر قدم السيد مصالي مذكورة إلى
عصبة الأمم يشكو فيها الوضع في الجزائر والخطية بأرجاع حقوقها .

ولما طالب الجزائريون بفصل شوون الدين عن الحكومة كان مصالي الحاج في طليعة الذين
نادوا بهذا المطلب وذلك في شهر يونيو ١٩٣٤ ، وقد قامت هذه الحركة على اثر الفاشيون
الذي أصدرته الحكومة الفرنسية واعتبرت فيه اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ، كما سيطرت
بمقتضاها على الاوقاف وأغضبت المساجد إلى الإدارة .

وفي أول نوفمبر ١٩٣٤ ألقى عليه القبض بحجة أنه قام بحملة ضد الجيش الفرنسي لأنه يخاف من
التحاق الجزائريين به ، وقد تم بصفة مستحجلة في يوم ٦ من نفس الشهر إلى المحاكمة وصدر ضده
الحكم بالسجن لمدة ٦ أشهر مع الشرامة هو وبعض زملائه وتجريد من حقوقه السياسية باعتباره
عربيا .

في سنة ١٩٣٥ انتخب رئيسا للاتحاد القوي الاسلامي في شمال أفريقيا بعد أن أصدرت
الحكومة الامر بحل حزب " نجم شمال أفريقيا " .

وقد اختارت سنة ١٩٣٦ بكثرة المحاكمات التي قدم اليها السيد مصالي وخصوصا في مدينتي
البيان وباريس .

ولما اعتدت الجيش الايطالي على الحبشة في نفس السنة ترحم السيد مصالي الحركة التي قامت
بها الجالية المغربية في فرنسا لمقاومة هذا التوسر .

في ٤ سبتمبر ١٩٣٥ بعد هذه الحركة التي قام بها اندبته الجاليات المغربية للذهاب
إلى عصبة الأمم حيث قدم اليها احتجاجا ضد المدوان الايطالي على الحبشة .

وقبل رجوعه قدم إلى المحاكمة بباريس في ١٢ سبتمبر ١٩٣٥ وصدر ضده حكم ضايق بالسجن
لمدة سنة ، فيفي في جنيف كلاجئ سياسي إلى أن صدر المرفوعه بعد ذلك بصفة أشهر ،
وكان ذلك على اثر تأليف حكومة الجبهة الشعبية في باريس .

في ١٤ يولييه ١٩٣٦ بمناسبة العيد الفرنسي القوي سار على رأس مظاهرة كانت تضم ٥٠ ألفا
من المشاركة يهتفون بتحرير شمال أفريقيا وسوريا والعالم العربي بأسره .

في ٢ أغسطس ١٩٣٦ رجع إلى الجزائر بعد أن غاب عنها في فرنسا ١٦ عاما قضاه في
الكنا من أجل بلاده ، فاستقبل استقبالاً حافلاً ، وخطب في ٢٠ ألفا من سكان عاصمة
الجزائر ، وكان هذا الاجتماع بمثابة نقطة تحول في الوطنية الجزائرية ، وقد طالب في
خطابه لأول مرة بفصل الجزائر عن فرنسا فتمالت أصوات الحاضرين بالهتاف للجزائر المستقلة .



مصالح الحاج

- في ١١ مارس ١٩٣٧ أسس السيد مصالي حزب الشعب الجزائري * وقد ألقى عليه القبض نسى
٢٧ أغسطس من نفس السنة مع أعقاب الحزب الجديد * لان التطورات الأخيرة التي عرفت فيها
الحركة في الشهر السابق جعلت الحكومة الفرنسية تنتظر بعين الفزع الى الحالة في الجزائر .

- وفي أكتوبر ١٩٣٨ انتخبه الشعب بأغلبية ساحقة كعضو في مجلس العمال بينما كان نزول السجن
بعيدا عن التأثير في تلك الانتخابات .

- وفي ٢٧ أغسطس ١٩٣٩ بعد أن مضى عليه نحو سنتين في السجن أطلق سراحه * ليحتفل
بعد ذلك في ٤ أكتوبر من نفس السنة على اثر اعلان الحرب العالمية الثانية التي أعلنت يوم ١٩/٩/١٩٣٩

- وفي ١٧ مارس ١٩٤١ قدم الى المحكمة العسكرية وحكم عليه بست عشرة سنة أسغالا شاقسة *
و ٢٠ سنة نفيًا وتجريدًا من حقوقه المدنية وصادرة كل ما يملك . أما التهم الموجهة اليه
فمنها : الساس بالسيادة الفرنسية * ومباشرة النشاط في حزب حلته الحكومة * وقد عومل
في السجن معاملة أي مجرم عادى .

- وفي ٢٦ أبريل ١٩٤٣ - أي بعد نزول حملة الحلفاء بخمسة أشهر - صدر العفو عنه بمقتضى
العفو الصادر عن جميع المسجونين السياسيين * ولكن بينما أنصرف باقي عملاء السياسيين -
وتلى رأسهم الشيوعيين - الى استئناف نشاطهم السياسي في حرية تامة * ظل السيد مصالي
الحاج محدود الافاقة في مدينة بوضاري بجلبوب الجزائر * وقد قضى في هذه المدينة ٨ أشهر
ثم مدت اقامته بعد ذلك في قرية عين صالح في الصحراء الجزائرية . وفي يناير ١٩٤٤ نقل
الى الافاقة الاجبارية في قرية " الشلالة " .

- وفي ١٨ أبريل ١٩٤٥ نقل الى أفريقيا الاستوائية حيث ظل معتقلا الى ٢٠ يولييه ١٩٤٦ حيث
نقل الى باريس .

- وفي أكتوبر من نفس السنة نقل الى الجزائر وحددت اقامته في " أبو زريعة " بخواحق عاصمة
الجزائر * وبالرغم من أن السلطة منحته من زيارة بعض المدن الجزائرية فقط فقد ظل مفتوحا نسى
نفس الوقت من ممارسة تلك الشاحية .

وغير تالفة ثلاثة أيام
كتميتها غير له بعد
كل وقتة (بشخصه) البشري
وتسار زيارته في وقت
بعض الزمان الجزائر
١٩٤٥/١٠

- وفي ١٤ مايو ١٩٥٢ نقل الى مدينة تيبور بفونسا حيث لا يزال معتقلا ^{بفونسا}
ومما يلاحظ أن السبب في كثرة نقله من مكنى الى آخر يرجع الى الروح الوطنية التي كانت تعجز
وتنتشى في كل مكان نقل اليه الامور الذي كان يحمل السلطة على المسارعة الى تبديل منفاء .

- أما الفترة الوحيدة التي تمتع فيها بحريته منذ ١٩٣٧ الى ^{١٩٥٤} ١٩٥١ حيث قضى ثلاثة أشهر متفرقا بين البلاد الحربية ومنها ^{بفونسا}
فيها السلطة الفرنسية بالحج في ١٩٥١

- ^{بفونسا} في تونس البيوليس السياسي الفرنسي على حراسة السيد صالح الحاج في منفاء في قرية صغيرة غرب المغرب
فرنسا - وقد شدد الفرنسيون عليه الحراسة بعد التطورات التي أنشأت الحركة الوطنية
في تونس ومراكش * ويحاصر منزله ١٦ من رجال الشرطة - وقد منعه الفرنسيون من زيارة
زوجته وهي تحتضر ^{بفونسا} فلم يتمكن من أن يكون الى جانبها وهي تمت ولا أن يشيع
جنائزتها . ^{بفونسا} منزل منزل هذا (بفونسا) (بفونسا) (بفونسا) (بفونسا) (بفونسا) (بفونسا) (بفونسا) (بفونسا) (بفونسا) (بفونسا)

الشيخ

الفصل التاسع والستون بعد المائتين

سياسة المقيمين وأثرها في تطور الفكر السياسي

كان تعاقب المقيمين وتصارع الأغراض وتضارب المصالح الطاغية لفرق المستعمرين بالمغرب، قد أفقد السياسة الفرنسية كل صفات العمل المدروس بالطريقة التي استطاع بها ليوطي ولفترة أكثر من عقد ونصف أن يركز للاستيطان والسيطرة والاستعمار بحيله ومكره ودهائه، لكنه في سنة واحدة هي سنة 1936 عرف المغرب فيها من المقيمين العامين ثلاثة هم: بونصو 1933-36 وبيروتون والجنرال نوجيس 1936-1942، والذين يرجع الفضل أكثر الى بطش آخرهم وعجرفته في زيادة إشعال النار بالاضطهاد الذي كون في المغاربة حماسا قويا كرد فعل ضد السياسة الفرنسية الرامية لمحاربة الذاتية المغربية والقضاء عليها، ولم يكن الجنرال نوجيس في كل ما أقدم عليه عن وعي وتدبر، بقدر ما كان عن غطرسة واندفاع وغرور، من أجل تحقيق فكرة ظهرت على يد رئيسه المباشر لوسيان سان الذي كان قد أسند إليه قبل إدارة الشؤون السياسية، ولما حل مكانه مقيما حكم السيف وقوة الحديد والنار مكان العقل والمنطق حيث ألقى بالناس في السجون والمنافي النائبة بسبب وبغير سبب، وكانت حُجته المطالبة بالاصلاحات الوطنية التي قدمت إليه، وإذا هو بالغ بقسوة قاسية وعنفة عنيفة، فإن تصرفه كان ناتجا عن عقلية سادت منذ أواخر العقد الثالث، وكان الذي دشنها قبل هو اليهودي وزير العدل الفرنسي السابق استيج الذي حل مكان ليوطي، والذي نصب المشانق وصادر الممتلكات بعقلية متهورة طائشة، سجلت أخس وأحقر صفحة في تاريخ فرنسا السياسي بالمغرب، خصوصا وأن تلك العقلية تمكنت من نفوس العسكريين الذين عاشوا فروسية وشجاعة المغاربة في الحرب العالمية الأولى، ثم هم آمنوا بما كتبه دهاقنة الاستعمار من أن المغاربة بحكم روح الفروسية لا يخضعون الا للقوة، لأنه لا أمان من المغاربة خصوم وأعداء

الجنس الأوروبي الكافر كما عرفوا بهم في مختلف كتاباتهم وأنهم يقتلون كل من تمكنوا منه من الفرنسيين، وكان الجنرال نوجيس أكثر الذين طبقوا تلك القسوة بطريقة وحشية تحتفظ بها مذكرات وذاكرات الوطنيين المعاصرين، خصوصا عندما سقطت الجبهة الشعبية (9) بفرنسا. والتي كانت سذاجة بعض المغاربة تدفع إلى أن يعلقوا عليها وعلى الأحزاب اليسارية آمالا عجافا، خصوصا في طفولة الحركة الوطنية وأيام الحماس الأول زمن الكتلة الوطنية التي ولدت ميتة بسبب الأنانية غير الواعية التي مزقت الصفوف، مما جعل الحركة الوطنية تتعثر دون أن يكون لها تنظيم سياسي عقائدي تفيد منه البلاد والأجيال الصاعدة، وإذا كنت هنا لم ألتزم بالكشف عن تلك المثبطات التي يردها الرعيل الأول من رجال الوطنية في كل من فاس وسلا والرباط ومكناس ومراكش والأطلس المتوسط، ومنها الكثير مما لم يذكر فيما كتب عن تاريخ تلك المرحلة التي لا يزال معظم أفرادها على قيد الحياة ونحن في عام 1965م، فما ذلك الا تقديرا لجهود السابقين ومستواهم في مجال الكتابة.

يقول عبد المجيد بن جلون في كتابه "هذه مراكش ص 218" إذا كانت هناك بعض العجلة في نشأة الحياة الوطنية في مراكش "المغرب" فقد كانت هناك؛ أيضا بعض العجلة في إنشقاقها" لكن كيف إنشقت وما أسباب الإنشقاق وعوامله؟ هذا ما لم يتعرض له أحد حتى الآن بتفصيل. ونحن نجمل القول حوله كذلك في كلمة واحدة هي "الأنانية والمركب"

(9) كان صعود الاشتراكيين والجبهة الشعبية قد دفع إلى إستصدار الكثير من القوانين لفائدة العمل والعمال للحد من ساعات العمل، وأجرة العامل وحدها الأدنى. كما حصل إنشاء النقابات المهنية وسط الأوروبيين، الأمر الذي دفع بعض المغاربة إلى أن يتعرفوا على سياسة الحرمان وعدم المساواة التي نهجها الفرنسيون في المغرب، ولعل الرجل الذي يذكره تاريخ الوطنية بكل اعتزاز في هذا المجال ولرحلة ما قبل الاستقلال هو المحبوب بن الصديق الكناسي الفيلاي البوعصامي، والذي سنتعرف على مواقفه البطولية الصادقة بعد. أما الجبهة الشعبية فقد كان تأسيسها في شهر نوفمبر 1936 في الوقت الذي كان التونسيون قد أسسوا الحزب الدستوري الجديد يوم 1934/3/2 وحزب الشعب الجزائري يوم 1937/3/11 وذلك اثر مشروع فيوليت بلوم. وكان حزب الشعب قد حل مكان منظمة نجم الشمال الإفريقي الذي تأسس عام 1923 وحل بتاريخ 1937/1/25 كما حاول الفرنسيون تكوين فرع للحزب الاشتراكي الفرنسي يستقطب بعض الشباب المغربي وقد تطوع لهذه المهمة بعض الجزائريين المتجنسين فرنسيا بتقديمهم بعض عملائهم علي ياطا ومحفوظ الخطيب ابن الترجمان الذي استورده العميل محمد كاباص المعروف بـ "محمد الجباص" عمر الرزيني المعروف بـ "الخطيب" عميل القسم الثاني وقد كان أول إجتماع لهم بمدينة الجديدة وعلى نفقة الحزب الاشتراكي الفرنسي عام 1936م لكنه انتهى الى فشل لان الغاية لم تكن سليمة.

وأغراض الدخلاء ومع ذلك فقد أدت مرحلة الكتلة واجبا وطنيا يذكره التاريخ السياسي لكل الذين ساهموا فيها من مراكش الى فجيج وعلى رأس الجميع الاستاذ الموجه باحث الوعي الوطني ومحرر الفكر المغربي شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي رحمة الله عليه.

كانت مرحلة كتلة العمل الوطني هي التي تطور فيها الوعي السياسي في المغرب سواء بواسطة المطالب التي قدمت عام 1934 كما سبق والتي هي وكما نرى شبيهة ببرنامج توجيهي تضمنت ما عدّ تنويرا للفكر الوطني والوعي السياسي. فمن خلالها تعرف المتفتحون وقتها ما هي الإصلاحات السياسية والحريات العامة، كما تعرفوا من خلالها على مدى تطاول الإدارة الفرنسية على تلك الحقوق والحريات العامة ظلما وعدوانا، وأنه من الواجب التضامن للدفاع عنها، وهو ما حصل بواسطة البرقيات التي وجهت للتضامن والاحتجاج على تصرفات الفرنسيين عام 1935م واشتد أزر محمد الخامس الذي من وقتها حدد موقفه من سياسة التمزيق الفرنسية بحيث صدر قانون إلحاق شؤون المغرب بوزارة المستعمرات في شهر فبراير من عام 1934 بعد ما كانت تابعة لوزارة الخارجية الفرنسية، لأن المغرب كدولة ذات سيادة لم تفقده معاهدة الحماية تلك السيادة رغم ما حاوله كل من استيخ ولوسيان سا، وبونصو، وبيروتون من إرهاب باستعمال القسوة والعنف، حتى إن الأخير منهم وهو بيروتون الذي كان قد جرب قسوته مع التونسيين.. صرح للصحفيين قبل أن يغادر مرسيليا الى الدار البيضاء بعد تعيينه في أبريل 1936م بأنه "يفتخر بكونه قضى على حزب الدستور في تونس، وكان تأسيسه كما أشرنا بتاريخ 2/3/1934 وأنه كذلك سيقضى على الكتلة الوطنية في المغرب وكان هذا الأسلوب من بيروتون هو ما يقتضيه الجواب على تصريح سلفه بونصو أمام لجنة المستعمرات وبلاد الحماية في جلستها التي إنعقدت بتاريخ 13/2/1936م، والذي نشرته كتلة العمل في نشرتها الدورية رقم 7 بتاريخ 1/3/1936 والذي جاء فيه "يجب علينا أن نهتم إهتماما جديا بالحالة السياسية في المغرب. خصوصا وأن حوادث الشرق العربي توجه نظرنا إلى البلاد الإسلامية التي لها ارتباط بفرنسا" ثم تساعل "ما هي السياسة التي يجب أن نتبعها في المستقبل ازاء المغاربة... الخ..

وفعلا تقرر تلك السياسة بحضور جميع ممثلي فرنسا في المستعمرات والمحميات في جلستين برئاسة رئيس الحكومة الفرنسية "السيد سارو" يوم 22/24/1936م تبعتها اجتماعات متعددة سجلها منشور الكتلة. وإذا ما انتصرت الجبهة الشعبية في الانتخابات ثم صعدت الى الحكم في شهر ماي من عام 1936م، وقد كان لأحزاب اليسار فيها قوة بعثت الآمال في السذج من المغاربة كما سبق، ثم دفعت الى تكوين وفد ذهب الى باريز قصد التذكير للذين طالما أظهروا عطفهم الباهت والمتصنع على المستضعفين، لكن عبثا فعلوا ثم رجعوا بخفي حنين، الأمر الذي أوجج حماسهم وحماس جماعة الرعيل الثاني، فكان عقد المؤتمر الذي عرف بمؤتمر الرباط يوم 25/10/1936 وهو المؤتمر الذي جمع بعض عناصر الرعيل الأول والثاني من مختلف مدن المغرب والذي وضع فيه التخطيط الجديد للسياسة الوطنية التي منها تعميم الاتصال بكل المدن المغربية بواسطة جولة سياسية لعرض البرنامج، وإذا كان قد قدم الى الجهات المعنية. فإنه وكما سبق قد عرف الشعب بسببها ألوانا من الاضطهاد عمت البلاد من الغرب الى الشرق. ولنضرب المثل لذلك نستدل بأسماء رواد الوطنية في قصور فجيج النائبة بل المعزولة في شرق البلاد. والتي كانت بحق سباقة للدفاع عن كرامة الوطن في كل زمان، فقد عرفت هي الأخرى من نكال إدارة الحماية عام 1937 ما عرفته كل من فاس وسلا ومكناس ومراكش والرباط إذ سجن من رجال فجيج في ذلك الوقت المبكر بعض أعلام الرعيل الأول في الوطنية أمثال: الحاج الطيب بن الغازي والحاج محمد بن أبي القاسم بن موسى، ومحمد بن عبد الرحيم، والحاج محمد بن كروم، والد الوطني المعروف بنضاله الصادق في فترة التحرير وهو المولى سليمان بن كروم وغيرهم من الذين وسعوا المجال بعد أمثال مولاي أحمد والصغير وولده مهاجر محمد العربي والحاج محمد افرج وسليمان أمسعود وج عبد الرحمن وولده ج محمد بوفلجة. وكثير من بقية قصور فجيج الذين لم تحضرني أسمائهم والذين استمر صراعهم الى عهد الكومندار بيرو رئيس الناحية برونال. ومثل أهل فجيج عرف رجال الرعيل الأول من الوطنيين في كل من وجدة وبركان وبني يزناسن من نكال نوجيس ومن فواجع إدارته ما يحفظ التاريخ السياسي لتلك المرحلة من فضاءع.

ومهما يكن فإن ما تبع الكتلة من نشاط باسم الحزب الوطني يناير عام 1937.. يعتبر عمليا وفي عهد حكومة كميل شوتان، الثمرة الحقيقية للدعوة السلفية التي أيقظت الشعب، ذلك أن أبرز عمل في هذه الفترة 1937-1939 هو رد الفعل الذي قام به أهل مكناس إثر سقوط حكومة بلوم اليسارية قبل شهر إذ سقطت بتاريخ 21/7/1937، ففي شهري 8-9-1937 عندما أعلنت إدارة الحماية بإشراف شارل نوجيس وتحت ضغط مجموعة من المعمرين بناحية مكناس، الأمر بتحويل ماء "عين بوفكران" (10) الخاصة والتي كانت من قديم، وقفا على مدينة مكناس وما حولها من مزارع المواطنين، والتي عليها مدار حياة المدينة منذ ما قبل عهد المولى إسماعيل الذي أكد به بظهير، مما دفع بالمواطنين أن يعتبروا الأمر ظلما واعتداءً على حياتهم لصالح المستعمرين الذين بلغت أراضي المزارع التي اغتصبوها وقتها نحو المائتي ألف من الهكتارات أي بنسبة 3.0٪ من مجموع الأراضي المزروعة وقتها فقامت المظاهرات التي أدت إلى الفوضى والى قتل أربعة عشر من المواطنين لم تذكر أسماءهم وقتها خوفا من ظلم الفرنسيين (11). وجرح العشرات كما كانت مظاهرات لخميسات وبني يازغة حيث نشط المجرم البزازي الذي كان مؤيدا بالجنرال بلان، في مراكش وناحيتها آيت يمور حيث نشط الجلالي التهامي الذي كان بعد لا تزال يده لم تجف من سفك دماء المجاهدين بالاطلس إمتدت الى آيت يمور مدفوعة بالجنرال دولوستال، وإذا كانت مدينة مكناس وقتها قد اشعت بقوة أكثر على بقية المدن المغربية، وفي وقت مبكر أيضا فإنها مع الاسف لم يقابل إشعاعها بما يليق من الإعلام.

ومهما يكن فإن مدينة مكناس وقتها عرفت طفرة كبيرة في مجال الوعي الوطني بسبب حادث ماء بوفكران بحيث بلغ عدد الوطنيين الملتزمين فيها رقما كبيرا لكنهم تعرضوا للإهمال بسبب انتصارهم لمحمد بن الحسن الوزاني عندما أسس له الحزب

(10) ظهرت وثيقة مهمة في الموضوع باسم "التبيان لمعركة ماء أبي فكران" للشيخ إبراهيم الهلالي الغرفي ط النجاح الجديدة بالبيضاء عام 1985م وقد ورد فيها ما يدل على صحة وسلامة الوعي الوطني في مدينة مكناس وما عرفته من رجال الرعيل الأول الذين عاشوا مغمورين. وربما السبب هو ما أشرنا إليه أعلاه وهو الأثنية والجهل.

(11) ذكرها أخيرا الشيخ إبراهيم الهلالي في التبيان ص9 ط البيضاء 1985 ومثل هؤلاء في مدينة سلا الذين سوف نتناول الحديث عنهم بعد زمن وثيقة الاستقلال 11/1/1944 الخ.

القومي في يناير 1937 بعد انسحابه من الكتلة والذي أقبل عليه كثير من المكناسيين بدافع ما قام به محمد بن الحسن الوزاني من نشاط ونشر لصالح قضيتهم أولاً. ثم بعامل آخر هو علاقة علال الفاسي مع محمد غازي المسطاسي المكناسي حيث كان لهذا الأخير كثير من الناقلين على سلوكه في موطنه الذي هو مدينة مكناس حتى إن هذه المدينة رغم تأسيس الحزب الوطني في نفس المرحلة بقيت متمنعة عن الجماعة التي كان لها الظهور في هذا الجانب ولم ينضموا لحزب الاستقلال إلا عندما تركز فيها نشاط عمر بن شمسي الذي كان في ميدان التعليم وأدريس المحمدي الذي كان يزاوّل مهنة المحاماة بها. ومع ذلك فإن الواجب يقضي ألا نفعل كما فعلوا، ونذكر أسماء الرعيّل الأول من رجال الوطنية الكرام في هذه المدينة وهم:

محمد بن عبد الكبير السباعي	عمر بن شمسي*
محمد المزوري نسبة إلى سلام بن مزوار بن علي بن محمد بن إدريس بن إدريس	الديغوسي محمد بن أحمد المرغادي نسبة إلى قصر تادايغوست المجاهد أهله
محمد بن أحمد برادة	عبد السلام بوزويج
محمد بن عبد الوهاب بن عزو الوافلاوي	عبد السلام بن الحسن المراني
محمد مدان السلاوي	محمد بن المهدي الطاهري
الهادي بن الطابع	العباس المراني
إدريس مراني العلوي	أحمد بن عبد السلام بن شقرون
ج محمد بن الطاهر	المختار السننيسي
إدريس بن ج محمد	العربي بن قاسم بن العربي المجذوبي
محمد بن التهامي التروكي	ج العلمي الصنهاجي
العلمي بن رحال	العلمي بن يحيى
أحمد بن المعطي بن عبو	ج الحسن الصنهاجي
العربي بن حمود	ج أحمد السعيدي

* وسوف يوقع على عريضة الاستقلال 11 يناير 1944 بل ويعمل بنزاهة وخلق رفيع في ميدان السلطة وبلدة أربعين سنة في عهد الاستقلال الذي كان هو عهد الامتحان الكبير للوطنية. راجع ج الاتحاد الاشتراكي ع4703 ت 1996/6/26 ص1.

- أحمد الزياتي
 ج أحمد بن محمد العمراني
 ج العربي العفنونى
 محمد بن العربي لعلج
 صالح أسفندلة
 محمد بن ج محمد أجانا
 محمد بن لمرايط
 ج التهامي الذكالي
 محمد بن البشير
 محمد بوغالب
 قدور اشويلا
 رقية الريفية "شهيدة"
 سعيد الإسلامى
 السعيد العرايشى
 العلمي العرايشى
 عمرو بن محمد "شهيد"
 إدريس بن بوسلهام
 المالكي علال بن محمد
 أحمد بن إدريس السكتاني
 مسعود لعسكري
 بنعيسى التولالى
 ج الغالى وج الحريف
 محمد بن العباس الفيلالى
 ج محمد بن أحمد الرراكى
 أحمد بن محمد بن بوعز الحسناوى
 ج محمد بن أحمد الإمامى
 الفقيه عبد السلام الصافى
 ج عبد الله بن شقرون
- ج أحمد أغربى
 بنعيسى الملولى
 ج عبد الرحمن الصايغ
 محمد بن عمر
 عبد السلام القشتالى
 عبد القادر بن جعفر العلوى
 محمد الكتانى
 محمد بن عبد الكريم لعيسى
 العربى حمود
 الحسن بن اسليمان العلوى "الاكل"
 محمد بن المهدي الطاهرى
 محمد بن علال الزهراوى
 محمد بن عبد الهادى الطاهرى
 حمزة بن عمر الطاهرى
 محمد بن عبد السلام لمنونى المدعو الحق
 محمد بن المدني بنانى
 عبد الرحمن بن هاشم العلوى
 محمد بن لمقدم برادة
 عبد الرحمن بن زيدان "المؤذخ"
 عبد المالك لمنونى
 محمد الأمغارى
 العلمى بن يحيى
 إدريس فرموج
 العيساوى المسطاسى
 مجمد السباعى الساعاتى
 الهادى المزوارى
 عبد الرحمن الشيبهى
 ج عبد الرحمن الصايغ

وبالتالي نعود فنؤكد أن مدينة مكناس بحق أشعت على كل المدن المغربية بالطفرة التي أحدثتها في الدفع بتيار الوعي الوطني، حيث كانت ولدة شهرين من سنة 1937 هما غشت وسبتمبر لا حديث عن شيء سوى الموقف المشرف الذي وقفه رجال الرعيل الأول من الوطنيين بمكناس إزاء تحويل ماء نهر أبي فكران لفائدة المعمرين وحرمان المدينة منه، بل التضيق حتى على مزارع المواطنين، فكانت المظاهرات والاصطدامات التي خلفت عشرين من الشهداء وأربعا وتسعين من الجرحى، ومع ذلك وبكل أسف لم نجد لهم في التاريخ ذكرا الا ما كان من العموميات كالحديث عن ماء بوفكران. وحوادث بوفكران، ومظاهرات بوفكران وشهداء بوفكران من غير تفصيل، هذا في حين أنه كان للحركة مسيرين نشيطين يقرب عددهم من المئة إحتفظ لنا بإسمائهم الشيخ إبراهيم الهلالي، والذين يجب على ذوي الغيرة الوطنية من المؤرخين والأدباء أن يهتموا بتاريخ هؤلاء الكرام الذين كان لهم فضل السبق أمام الشعب في الطريق الذي حقق له العزة والكرامة، ولعل أبناء مدينة مكناس ومنهم الكتاب والمؤرخون وذوي الكفاءات في مختلف المجالات اليوم أولى وأحسن للقيام بتلك المهمة التي وإن كانت لا تعنيهم وحدهم، بل هي قاسم مشترك بين المغاربة جميعا، الا أن أهل مكة أدرى بشعابها والتفرغ للبحث عن أسرارها.

وهكذا فإنه رغم أن الذي كتب حول أبطال أبي فكران من رجال مكناس جاء متأخرا، ورغم أنني وكما إلتزمت في كتابي هذا أن أقول للمحسن أحسنت وللمسئ أسأت، ورغم أنني لا أعرف ما فعلته الظروف بالذين ذكرهم الهلالي بالاسم خصوصا ظروف الماضي القريب وبالأخص بعض الشوريين الذي استسمحهم إن قلت إن فضاء وفضائح أمثال أحمد بن سودة صاحب أحمد بن المعطي بوهلال، وعبد الهادي بوطالب صاحب أحمد بن الحسن العلوي وجماعة مدرسة العطارين بفاس بالدرجة الأولى وغيرهم ممن يعتبر السكوت عنهم وعن فضاءاتهم وفضائهم أحسن لأنهم دنسوا ساحة الشرف السياسي ولطخوا صحيفة الخلق الوطني للقوميين الصادقين لا بتقليبهم اليوم بين مختلف الأحزاب قديمها وجديدها، حتى أصبحوا حطبا لكدر الطين الملوث التي إحترقوا تحتها وهي خاوية لم يدخر المرجفون في جوفها الا الدلجان(12) الذي تفحم واشتد سواده

كظاهاها الذي ران عليه الدنس، ونسي القوم أن الكذب جسم متعفن نتن بلا حركة، وأن الفضيحة طائر بجناحين لا يستقر في مكان ولا يفنيه زمان، ولهم عبرة من المفلسين السابقين سواء أمثالهم من الذين أساعوا الى الرمزية المقدسة في المغرب أو في مختلف الأوطان، ومع ذلك فإن لمدينة مكناس عطاءً جيداً وعبيراً نستنشق شذاه، ونكبر ما بقي منه للخلف من الشذاة(13)، ومعذرة عن هذا الإقحام(14) الذي فيه دلالة على ما في القلب من حسرة على حاضر ومستقبل هذا الشعب الذي أعياه السلب والابتزاز والنهب ولم يجد رحمة في قلوب الدخلاء والمفلسين الذين أصبح بيدهم (القرار) أولئك الذين استمرؤوا الاجرام السياسي، بل ران على قلوبهم ما يفترونه على "الديمقراطية"، والدين من أنواع الكلام حتى أصبحوا لا يفرقون بين الحلال والحرام، ونسوا أن حياتهم مهما طالت هي دقائق تجري وساعات وأيام تقضي وسط الزحام وأن التاريخ يسجل ويدون.

(13) بقية القوة والشدة = الشذاة.

(14) لعل الذي دفع اليه هو إشارة الناشر إبراهيم الهلالي وما أورده في ص44 حيث قال "على أن كل ادعاء في الموضوع يخالف الحقيقة. والجدير بالذكر أن الوطنيين الموجودين في هذه الصورة -يعني صورة أعضاء اللجنة- هم من الحركة القومية بمكناس السادة مؤلف هذا الكتاب ثم أضاف إليه خمسة آخرين من المجموع الذي هو 17.

الفصل السابع والعشرون لعبة الاسبان وموقف الفرنسيين من الحزب الوطني

سبق لنا أن تعرفنا قبل على أن وجود الاسبانيين بالمغرب كان نتيجة إتفاق مع الفرنسيين وأنهم رغم ذلك لاقوا في سبيل التمكين لوجودهم كل شدة وعنف عنيف من مجموع قبائل الشمال بزعامة الشريف محمد أمزيان لتلك الحروب التي كلفت الأسبان الكثير جدا من الضحايا ثم بعدها الحروب التي قادها الشريف أحمد الريسوني، وأخيرا تلك التي عرف العالم وبطلها محمد بن عبد الكريم الخطابي رحم الله الجميع، وإذا كان على رأس اسبانيا ألفونسو 13، فإنها وقت ذاك عرفت موجة من الفتن في قطالونيا قام بردها الجنرال بريمودي ريفيرا الذي كان أيضا قد طوع منطقة الشمال المغربي بقسوة قاسية وعنف عنيف، إثر استسلام محمد بن عبد الكريم عام 1926 كما أن ألفونسو 13 نفسه خلع يوم 14/4/1931م إثر إنتصار أنصار الجمهورية في الانتخابات (15) البلدية حيث أقيمت الجمهورية مرة أخرى وأحرزت الأحزاب الرادكالية الأغلبية في الانتخابات التي جرت عام 1936، ثم ثار فريق من ضباط الجيش بقيادة الجنرال فرانسيس فرانكو الذي كان منطلقه من المنطقة الشمالية للمغرب، وبرجال مغاربة انطلق بهم من جبل سبته والذي كان مكتبه بتطوان حيث جند بها أكثر من أربعين ألف 40000 من رجال الريف وغيرهم من قبائل شمال المغرب كلهم لاقوا حتفهم في سبيل إستيلائه على الحكم، وإذا ما كان للمغاربة من أمل في هذا الجانب فإنه انعدم بظهور نزعة الدكتاتورية التي تزعمها فرانكو الذي أعلن خروجه عن الجمهورية الاسبانية الثانية بتاريخ 18/7/1936 تلك الثورة التي ما كان لها أن تتمكن دون القضاء على كل النزعات وضمها نزعة

(15) راجع "الاتحاد الاشتراكي 13/1/1995م راجع ما نشره الطيب ابن لونا باسم وثائق وطنية في شمال المغرب ج 1 ط تطوان 1980 ونضالنا القومي والطريس صور من حياته، جمع وتنسيق جمعية الطالب المغربية تطوان ط 1970م، ثم ما نشر محمد بن عزوز حكيم حول "وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب" ج 1 ط تطوان 1980.

الاشتراكيين الاسبان والشيوعيين الفرنسيين وغيرهم من الأوربيين الذين بلغ عددهم 9500 متطوع ما بين غشت وسبتمبر 1936 يقول "سكو تلسكي" فيما كتب حول المتطوعين الأوربيين والفرنسيين إلى جانب الجمهوريين الاسبان، بل وغيرهم من الديمقراطيين الفرنسيين الذين كانوا يتعاطفون مع أحرار المغاربة أمثال وزير الثقافة السنيور دولوس ريوس، والأديب الاسباني السنيور أرخيللا اللذين كان لهما إتصال مع أحمد بلا فريج كديمقراطيين أيام إشرافه على جريدة المغرب بباريز، كما كان كلا من الأستاذ علال الفاسي وبعض الوطنيين بشمال المغرب قد إتصلوا ببعض رجالات الاسبان عام 1932م وكان في مقدمة هؤلاء عبد الخالق الطريس الأمر الذي أدى إلى تأسيس حزب الإصلاح الوطني، حتى يكون العمل منظما وشاملا مثل ما حصل في منطقة النفوذ الفرنسي، كما تأسس "حزب الوحدة المغربية" برئاسة المكي الناصري الذي قال عنه علال الفاسي "أنه كان أول من إتصل بمدير الشؤون الأهلية في المنطقة الشمالية. وذلك بعد ماظهر ما قيل عنه إنفتاح بين الكتالانيين والمغاربة أيام الكتلة الوطنية، ذلك الانفتاح الذي وإن فشل فإنه أحدث تغييرا في سياسة فرانكو الذي بعث للمغرب شخصية مخالفة لما عرف قبل، ذلك هو"السنيوربيك بيدير" فكان أن صرح للناصرى حتى يبلغ لرجال الكتلة الوطنية الشمالية أن إسبانيا الفرنسية مستعدة لمساعدة المغاربة بالحريات الديمقراطية التي منعهم منها الجمهوريون ثم اتصل إخواننا بالإقامة العامة الإسبانية يقول علال وسمحت لهم بإصدار جريدة "الريف" التي كان يديرها التهامي الوزاني وجريدة "الحرية" التي كان يشرف عليها عبد الخالق الطريس، وقد سافر المكي الناصري يقول الفاسي للرباط ليبلغنا التطورات التي دخلت على الموقف في المنطقة الخليفية، فقررت كتلتنا بعث الأستاذ ج الحسن بوعياذ ليتذاكر مع إخواننا في الشمال في الخطة التي يجب اتباعها(16) ونظرا

(16) راجع الحركات الاستقلالية ص 210 ط 1948، أما المكي الناصري فهو من مواليد الرباط 1904 من أسرة متواضعة بحيث كان والده محاسبا بقاعة الزيت بها وبعد جولات دراسية في مصر عاد ثم استقر في تطوان التي تعرف عليها بواسطة عبد الخالق الطريس، لكنه رحل عنها ثم عاد إلى الرباط غير أنه لم يستقر فيه طويلا وعاد إلى تطوان حيث تلقى دعما ماليا من الاسبان لتأسيس حزب جديد منازع لحزب الإصلاح سماه حزب الوحدة" ثم أسس له مقرا بتطوان فتح يوم 1937/6/7، ولذلك كان هو وعبد السلام ابن لونا المتوفى 1935/1/1 يعملان ضد فرنسا وحسب توجيهات اسبانيا وحتى يصبح له اعتبار بين التطوانيين وفي المنطقة الشمالية من المغرب عين مديرا لمعهد المهدي الذي تأسس في تطوان عام 1938 وعند ما ظهرت الدعوة لفكرة الجامعة العربية وكان الاسبان =

لظروف المنطقتين وقع الاتفاق على أن يسلك كل فريق ما يلائم الوضع الذي كان ديكتاتوريا شريطة الإلتزام بالمبادئ التالية:

(1) العمل لحرية المغرب واستقلاله

(2) وحدة التراب المغربي في ظل العرش العلوي

(3) الإسلام والعروبة

(4) الوفاء للعرش ولجلالة الملك سيدي محمد بن يوسف.

وإذا ما انطلق عمل رجال الشمال وكان في مقدمتهم الخليفة السلطاني الأمير الحسن بن المهدي بن إسماعيل بن السلطان محمد بن عبد الرحمن حيث تأسس المعهد الحر، ثم بدأت الحركة الوطنية التي حاول رجال حزب الإصلاح فيها أن يهمشوا الناصري، حسب التعليمات التي حملها الحاج الحسن بوعبياد فإنه أصبح على الناصري أن يستجيب لما إقترحه مدير الشؤون الأهلية "بيك بيدير" الذي لم تمض عليه بضعة أسابيع يقول علال الفاسي - حتى أحدثت أساليبه إنشقاقا وسط الإخوان، وأدى إلى انحياز المكي الناصري ليؤسس حزب "الوحدة المغربية" كما أصدر جريدة باسم الحزب بالعربية وأخري بالإسبانية، وإذا ما اشتد التنافس صحفيا بين حزبي الإصلاح والوحدة، فإن الأول تقوى بالأغلبية وأصبح مشاركا في حكومة المنطقة بطريقة انتهت إلى إقرار أن لا فائدة من المشاركة، فانسحب الطريس من الأوقاف ومحمد داود من وزارة التعليم، ولعله لهذا الموضوع بقية يرجع فيها إلى موضوع شيخ الإسلام محمد العربي العلوي والدعوة إلى التعليم الحر وهو ما فصلناه أكثر.

لكن لماذا عرفت سياسة إسبانيا ذلك التغيير الذي أدى إلى ماسبق؟ من انسحاب الطريس ومحمد داود ثم التراجع من الإسبانين أنفسهم.

لقد كانت السياسة الإسبانية قد أخذت طريقها في العهد الجديد الفرانكوي نحو

= يريدون التقرب من العرب عملوا على تكوين بعثة ثقافية إلى مصر كما وجهوا ابن الخليفة إليها حيث كان يدرس بمدرسة الأورمان بالقاهرة ثم فتحوا "بيت المغرب" الذي ضم بعثة قوامها 38 طالبا، وكان عنوانه 12 ش السلولي بالقاهرة كما سبق لنا في موضوع التعليم الحر، على أن التاريخ يجب أن لا يهمل عمالة عبد السلام ابن لونة وأولاده للإسبانين باستثناء إدريس رحمه الله.

التمكين للديكتاتورية، ولذلك وضعت خطة للهدنة في المنطقة التي كان وضعها من عوامل انزعاج الحكومة الإسبانية، خصوصا وأن واقع فرنسا في منطقة حكمها أخذ يتبدل من سياسة القهر والإذلال بسبب ما ظهر من تيارات عالمية أخذت تتجه نحو البلاد المتخلفة في أواخر العقد الرابع. ذلك لأن إرهابات الحرب العالمية أخذت تظهر بإشارات تدرك من تصريحات وكتابات الكثيرين من قادة أوروبا ومفكرها، ولذلك أيضا كان على الفرنسيين أن يعملوا محاولة للحد من تيار الحقد ضدهم في منطقة نفوذهم، وبهم إقتدى الاسبانيون الذين كانوا دوما يراغبون سياسة الفرنسيين فيعملون إما على نهجها أو عكسها، أملا منهم في تحقيق وضع أحسن لوجودهم في المغرب، وفي هذه الفترة أيضا ظهر بالمنطقة الشمالية من المغرب نشاط ألماني مكثف، كان أول ظهوره منذ الحرب العالمية الأولى وما عرفناه سابقا من عمل للمولي عبد الحفيظ وجماعة الجهاد الإسلامي ثم حزب "تركيا الفتاة" مما تعرضنا له بتفصيل قبل حين كلامنا عن ثورة محمد بن عبد الكريم.

وإذا كانت سياسة اللين الفرنسية قد واجهت مقاومة عنيفة من المعمرين الفرنسيين الذين كان لهم نفوذ قوي في باريز، وعلى حكومة فرنسا، فإنهم فعلا قد أثروا، وبذلك تراجعت الحكومة الفرنسية حسب رغبة الإقامة العامة، فأصدرت أمرا بإلغاء سياسة اللين والمهادنة، واستعمال الشدة التي كانت تستهوي نوجيس الذي خاض معارك لا يحسد عليها، انتهت به إلى ما لم يعرف قبل من وحشية، أو بالأحرى إنتهى إلى مصير مظلم كان للمغاربة فضل في محاولة إنقاذه من اللقاء المؤكد مع حتفه ذليلا مهانا يوم فرالجبان تاركا وراءه الذل والعار حتي أصبح وهو الخائن الطريد من وطنه يدير محطة للوقود بالبرتغال(17)

بقي لنا أن نشير إلي أنه من الأسباب التي عرفت السير إلي الأمام، ثم حورت السياسة الفرنسية والاسبانية هو ما جد في صفوف الحركة الوطنية إذ بعد تأسيس الحزب الوطني الذي تم في يناير 1937 لم يعلن التأسيس حتى حصل الانفصال والشتات،

(17) زار المغرب بعد موت محمد الخامس وقد شاخ وظهر اعيازه وبؤسه، حيث جاء يطلب نوال رفيق دربه عبد الحفيظ بن الحبيب العلوي الذي أصبح بعد جنرالا ثم وزيرا للقصور الملكية.

انفصل عنه محمد بن الحسن الوزاني ليدعو إلى الحركة القومية بعدما كان هو الأمين العام للحزب بانتخاب انفصل إحتجاجا على رئاسة علال الفاسي التي كانت لها جذور منذ عام 1926 حين أنتخب علال رئيسا للجمعية السياسية التي أسسها طلبة جامع القرويين. كما أسسوا لهم وقتها جمعية ثقافية، وقد سجل ذلك محمد المختار السوسي في الإلغيات كما سبق، وكان إنفصال الوزاني بدعوى أن علال لا يتوفر على مؤهلات الرئاسة، وإن كان الواقع والتاريخ أثبتا عدم صدق رأي الوزاني، ورفعا لمكانة الأستاذ علال الفاسي إلى درجة الزعامة فإنه لم يزاخمه فيها أحد قط من زملائه ثباتا وعملا من أجل تحرير المغرب واستقلاله، بل رغم ما عرفه علال من إضطهاد الفرنسيين وعدائهم الشديد لشخصه لأنه كان حقا يمثل المغرب المسلم المستمسك بمقومات الذات المغربية، وبحقوق المواطنة الصادقة من غير أن يتحول أو يتراجع أمام ما كانت إدارة الحماية تستعمله من وسائل الترغيب والإتهيب، وهذا ما جمع كل الذين تكونوا في ميدان السلفية والذين جمعتهم أفكار الكتلة الوطنية على الإتفاق على زعامته، خصوصا وأن نشاطه كان قد إشتد بعد حل الكتلة التي أعلن عن حلها يوم 1937/3/18م وهو الأمر الذي أصدره المقيم العام نوجيس، واقتنع الجميع بمواهب علال الفاسي أكثر في المؤتمر الذي إنعقد بالرباط في شهر أكتوبر من نفس السنة، ومما زاد تمكيننا لتلك الزعامة بين العاملين في الحقل الوطني وقتها، تقديمهم لعالل كمفاوض في المداولة التي حصلت مع الجنرال بلان حاكم ناحية فاس، ورئيس الشؤون السياسية بها، وإلى جانبه عدو الوطنيين محمد التازي محافظ المدينة، والقبطان شاربوني رئيس قلم الترجمة (18)، وأنه يقول الفاسي نفسه قد إستطاع إنتزاع الإعتراف بالحزب الجديد مقابل تبديل المكان الذي كان مركزا للكتلة بحي النواعيين من فاس المدينة، إلى آخر جديد، ثم ترك القسم حين قبول المنخرطين في الحزب كما أن هناك مواقف أخرى مكنت لزعامة علال وأصبحت رصيда للحزب الوطني.

كان مؤتمر الرباط الذي إنعقد بتاريخ 1937/10/13 قد خرج بقرارات توضيح تكشف موافقة الإقامة العامة وحكام النواحي كما وضعوا برنامجا قيل من ثمان نقط، التزم الجميع بتحقيقها ومجملها حول مقاومة سياسة الجنرال نوجيس الذي أصبح لعبة

بيد المعمرين(19) الأمر الذي دفع بهذا الأخير إلي أن أرسل مدير ديوانه "جايا" إلى باريز التي كان العبد الابق والمجرم الغاوي التهامي الجلاوي قبل قد توجه إليها لإقناع المسؤولين بخطورة الحركة الوطنية وبعد إثني عشر يوما على مؤتمر الرباط أصدر الجنرال نوجيس بصفته المقيم العام لفرنسا في المغرب أمزه بالقبض على علال الفاسي، ومحمد اليزيدي وعمر بن عبد الجليل وأحمد مكوار حيث أبعده الفاسي إلى الجابون بإفريقيا الاستوائية وذلك بتاريخ 1937/11/3 كما ألقى القبض على محمد بن الحسن الوزاني الذي رغم انفصاله عن الحزب الوطني لما استدعى للاستنطاق يوم 1937/10/29 أعلن تضامنه مع المقبوض عليهم، وقد أبعده هو الآخر إلى أسول ثم إلى قرية "إتيزر" بالأطلس المتوسط دائرة ميدلت، أما الشهيد المرحوم محمد القرى وجماعة أخرى من الذين إنضموا وقتها إلى الوزاني فقد أبعدها مع بقية أعضاء الحزب الوطني من مختلف الجهات إلى مراكز كلميمة وأسول وإميل شيل وتونفيت وأملاكو من الأطلس المتوسط، وبالتالي فقد عم الاضطهاد جميع المدن والقرى التي عرفت وقتها بنشاطها الوطني، فاس، ومكناس، وسلا، والرباط، ومراكش، والقنيطرة، ووزان، وتازة، ووجدة، وبركان، وفجيج، وإذا ما تحرك رجال المنطقة الشمالية وعمت المظاهرات كلا من تطوان، والشاون، والعرائش، فإن الإسبانين إقتدوا بالفرنسيين، وحصل ما سبق أن أشرنا إليه، مما كان له أبلغ الأثر في التعريف بالحركة الوطنية التي كان لها وقتها شباب إرتبط نشاطهم بجهات مختلفة من العالم العربي والأوروبي، كاسويسرة حيث شكيب ارسلان وباريز، وبرلين، لكن رغم ذلك فإن ما عرفه المغرب في تلك المرحلة من عنف عنيف وقسوة قاسية من إدارة الحماية وعملائها بتضامن مع الحكومة الفرنسية برئاسة كاميل شوتان، ووزير الخارجية دبلوس، بل وحتى الأحزاب السياسية، كما صرح بذلك نوجيس وقتها، لأن الجميع لم يحركوا ساكنا ولا استنكروا فعل المقيم وزبانيته حتى إن المغرب من أقصاه إلى أدناه أصبح يحكم عسكريا، الأمر الذي حد من نشاط الحركة الوطنية التي لم يبق لها مجال غير مجال الفكر السلفي بحيث أصبح مجال محاربة البدع والطرق الضالة هما الوسيلة

(19) المصدر السابق 55.254 وكتاب المغرب الأقصى للمرحوم المهدي بن بركة النسخة العربية ص 176 ط

الوحيدة لبعث الوعي السياسي والتمكين للحركة الوطنية التي فقدت منشطيهما الذين إمتلأت بهم السجون والمنافي ولم يبق في الميدان غير قلة تعمل في الخفاء، إذ كانت حركة شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي لم تتوقف بحكم مركزه كرئيس للاستئناف الشرعي، ثم وزير للعدل عام 1938، والذي استطاع أن يؤثر أكثر بدوام اتصاله مع العاهل العظيم محمد الخامس الذي أصبح من مقدمات إهتماماته رعاية الحركة الوطنية التي كانت الحرب العالمية وما جد من حوادث في ميدان الصراع قد دفع بها إلى الأمام، وبسرعة كبيرة إستجاب لها المغاربة ملكا وشعبا، خصوصا وأن مقدمات الحرب فسحت المجال لدعاية الألمان التي هزت كيان الفرنسيين حين إستهوت طائفة من المغاربة الحاقدين على الاستعمار والمستعمرين الفرنسيين، وكان منطلقها من منطقة النفوذ الاسباني.

الفصل الواحد والسبعون بعد المائتين

نشاط المحور في أقطار العرب

وفي المغرب العربي الكبير

في الوقت الذي أخذت فرنسا تكثف نشاطها الإرهابي ضد أقطار المغرب العربي الكبير، كانت ألمانيا قد أخذت تتحرك نحو الدكتاتورية النازية التي ستتمكن بعد ثم تلقن فرنسا درسا يتفق ودناءة استعمارها(20)، وفي ترجمة هتليير(21) والحزب النازي ما يكفي لمعرفة أسباب وديوافع الحرب بعد تكوين الحزب، وما عرفته ألمانيا من كوارث نسب تعددها وتزاحمها لليهود الذين كانوا ضحية حقد هتليير، ذلك الحقد الذي تمكن من نفسه منذ 1913 وقت أن عرف هتليير مرارة الفقر وما عاشه وغيره من مواطنيه من ذل الفاقة التي كان وراءها اليهود والرأسمالية اليهودية مما هيأ الظروف لدعاية هوبلز والتمكين لعداوة اليهود من نفوس الألمان كما مكن لهتليير الذي كون فرق الإرهاب ضد خصومه بعدما أقبل عليه رجال الصناعة الذين إندفعوا من أجل تحقيق أهدافهم وراء ديكتاتوريته التي بدأت معالمها تظهر، وسوف تصبح واقعا، ذلك أنه قبل إنتخابات عام 1931 كانت

(20) يرجع تاريخ العداوة بين الفرنسيين والألمان إلى ما يزيد على الألف سنة أي إلى عهد القبلية.

(21) راجع أدولف هتليير (1889-1945) في كتاب تاريخ الفكر السياسي 386-394 ط دار النجاح بيروت كما ترجم له في الموسوعة العربية أنه : ديكتاتور ألماني وزعيم "قوهرر" الحزب النازي ومؤسس الرايخ الثالث ولد في باراوناو بالنمسا العليا من أب كان موظفا صغيرا بالجمرك النمساوي راجع المصدر المشار إليه ص 189 ط 1965، ولعل أسوأ ترجمة كتبت له هي التي وردت في مذكرات تشرشل تعريب رفيق عطوى ص 13 ط الشركة اللبنانية بدون تاريخ، ولقد أكد التاريخ أنه أخس من ذلك لأن ما جره على الإنسانية لم يكن بدافع شعور الاعتزاز بالجنس والنعرة العنصرية فحسب، بقدر ما كان نتيجة المركب الثقيل بالنقص الذي كان يعاني منه ثم راجع تاريخ العالم تأليف ف.م هتليير ترجمة ابراهيم ميخائيل عودة ط بيروت 1956 ص 465.490 ومعالم تاريخ الإنسانية هـ ج ولز ص 1560-1592 ط القاهرة 1961 ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد وتاريخ العالم لنفس المؤلف 376. ط القاهرة 1958 وأحمد بهاء الدين روز اليوسف عدد 1315 ص 76.

أزمة ألمانيا الاقتصادية قد إشتدت حتى اقتربت من الإفلاس، الأمر الذي قوى جانب النازيين، ودفع بهم في الانتخابات، وإذا ما أعيد إنتخاب هند برج رئيسا للدولة الألمانية بإحرازه على تسعة عشر مليوناً صوتوا بجانبه عام 1932م، فإن هتلير زعيم الحزب النازي أحرز على ثمانية عشر مليوناً كما أحرز تايلمان الشيوعي على أربعة ملايين إلا ربعا صوتوا بحماس لصالحه وبذلك وجه الحزب النازي نشاطه للسيطرة وقد أصبح زعيمة يتطلع إلى رئاسة الحكومة حيث بدأ عمله بالدعوة إلى عدم المشاركة في مؤتمر نزع السلاح الذي كان قد عقد في جنيف وفي السنة التالية 1933 أصبح هتلير مستشار الرايخ فحول ألمانيا إلى دولة نازية، وإذا كان هتلير لم يعرف الاعتدال فإنه إزداد إندفاعا بجر الدكتاتور الإيطالي موسوليني "1883-1945" الذي كان هو الآخر قد بدأ نشاطه الفاشي مع جماعة من قدماء محاربي الحرب العالمية إلى أن زحف هو الآخر على رومة بسبب إضراب العمال 1922/10/28 فكلفه فكتور عمانويل 3 ملك إيطاليا بتأليف الحكومة، فوجدها فرصة للبطش بخصومه وأوقف الحكومة البرلمانية، وبتضامنه مع النازية. أعلننا إستقلال النمسا عندما تقابلا بالبندقية، وكان هذا بعد ماظهر هتلير ببلاده عام 1934 من كل خصومه السياسيين يتقدمهم الرئيس "فون هندبرج" وبذلك أصبح هتلير الرئيس المطلق، وتحت سلطة الإرهاب والتخوف حصلت ألمانيا على منطقة السار باستفتاء عام 1935م واقتداء بهتلير هاجم موسوليني الحبشة، وأعاد هتلير تسليح منطقة الراين عام 1936م وهو العام الذي أعلنت فيه ثورة فرانكو بشمال المغرب من أجل غزو إسبانيا والقضاء على الحكم الملكي فيها بمساعدة ألمانيا وإيطاليا، بل وحزب المحافظين لبريطاني مما أكد نجاح فرانكو، خصوصا وأن الحلف الهتليري الموسوليني عزز عام 1937م باليابان ضد الشيوعيين الذين كانوا ضد فرانكو.

وفي هذه المرحلة كانت فرنسا تعاني من الإنحلال الخلقي والتقلب السياسي بحيث ربما هي الدولة التي كانت وخلال سبعين سنة قد عرفت من الحكومات التي توالى على الحكم فيها مائة وثمانية 108 وفي عام 1936 كون الحزب الشيوعي والاشتراكي والرادكالي وكما رأينا الجبهة المتحدة لمناهضة النازية والفاشيستية برئاسة بلوم، ولكنها تفككت بسبب فشل حزب المحافظين، الذي هو أحد الأحزاب السياسية الكبرى في بريطانيا،

والذي كانت أهدافه ومبادئه محاربة الإشتراكية وتشجيع الانتاج الوطني والتفضيل الامبراطوري والمحافظة على رؤس الأموال الكبرى وعلى حقوق الطبقة الأرستقراطية(22) الانجليزية وإن كانت سياسته لا تتعارض مع التجديد والإصلاح الاجتماعي، وإذا ما فشلت الجبهة التي كانت تعاني من الاستعمار الفرنسي الأنجليزي، خصوصا وأن ألمانيا سنة 1938 ضمت إليها النمسا كما جمع مؤتمر ميونيخ الذي نتجت عنه معاهدة 26/9/30/1938 كلا من اتشامبرلن، وإداوارد دلاديه، وهتلير، وموسوليني، حيث مكن هذا المؤتمر ألمانيا جزءا من تشيكوسلوفاكيا، ودمر تحصيناتها، كما ضمت إيطاليا ألبانيا، وفي نفس السنة دخل فرانكو مدينتي مدريد وبرشلونة، مما فسح المجال للدعاية الألمانية في المنطقة الشمالية من المغرب، ومنها عمت جهات كثيرة من منطقة النفوذ الفرنسي، ذلك أن الألمان النازيين كي يتصلوا بالشعوب الناقمة على أعدائهم أعلنوا لهم تأسيس ماأسموه "عصبة مقاومة الاستعمار" التي تأسست ببرلين، وكان من عملائها الأوائل من المغاربة الذين وجههم الأسبان التاجر عبد السلام ابن لونا التلمساني التطواني 1888-1935م وهو أول عميل ورغم ماسونيته أخلص للألمان بتوجيه من الأسبان حيث وزع نشراتهم بالمغرب، بل وفي برلين كان المؤتمر العربي الذي انعقد بها عام 1929م وفي صيف هذه السنة التالية 1930 ولفائدة الفكرة زار شكيب إسبانيا ومنها إلى مدينة تطوان لشد أزر الدعاية الألمانية لفائدة عصبة مقاومة الاستعمار المشار إليها ووقتها كان المغرب قد عرف مقاومة الظهير البربري، وبالتالي فإنه في هذه المرحلة إلى نهاية العقد الرابع كانت ألمانيا بزعامة هتلير قد إستعدت للحرب، بل وأصبحت دعائيتها تغزو أفكار القاصرين والناقمين على دول الغرب الاستعمارية شرقا وغربا منهم بعض المغاربة الذين كان لهم حساب مع الفرنسيين الذين سبق أن عرفنا طغيانهم في المغرب وما اقترفه المقيمون من عهد غورو إلى عهد نوجيس وكما يقول المثل السائر فإن عدو العدو صديق، وإذا ما وقعت ألمانيا النازية مع السوفييت حلفا، ثم غزت ألمانيا بولندا، فأعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب ضد ألمانيا، وإذا ما انهارت بولندا فإن ألمانيا وروسيا إقتسمتا أراضيها كما إمتد أيضا سلطان روسيا إلى استونيا، ولاتفيا، ولتوانيا، ثم غزت فنلندا وأما ألمانيا

فقد استولت على الدانمارك والنرويج مما أدى إلى طرد تشامبرلن نفيل شقيق آرثر، لأنه كان رمزا لسياسة التهدئة إزاء المحور بعد توليه لرئاسة الوزارة خلفا لبلدوين عام 1937 وأنه الذي وقع ميثاق ميونيخ عاصمة بافاريا مع هتلير وموسوليني وإدوارد دالادييه، بتاريخ 30/9/1938م ناهيك وأن تشامبرلن كان قد قابل هتلير في برمسجادن، لبحث مسألة تشكوسلوفاكيا، وسلم لطلب هتلير بضم بعض الجهات على الحدود، وإذا تمكنت الدعاية الألمانية ضد فرنسا وبريطانيا، فإن كثيرا من البلاد الواقعة تحت وطأة الاستعمار الفرنسي الانجليزي جُلها صفتت للصفعات التي لطمت وجه فرنسا، الأمر الذي أغرى بعض الوطنيين من المغاربة الذين كانوا في منطقة النفوذ فاندفعوا بحماس ضد فرنسا والاستعمار الفرنسي، وكثير منهم كانوا متأثرين بزعماء المشرق العربي يتقدمهم الزعيم الإسلامي الكبير أمير البيان وصديق المغاربة الذي رفع صوتهم ضد سياسة فرنسا أيام الظهير البربري، الأمير شكيب أرسلان "1869-1946" (23) وهو صاحب مجلة "الأمة العربية" التي كانت تصدر بجنيف والتي أسسها بالمشاركة مع رفيقيه في الكفاح: إحسان بك الجابري ورياض بك الصلح، وإذا كانت فرنسا قد شددت من حملاتها سواء في الصحافة أو الإذاعة وقتها ضد شكيب أرسلان فإن المغاربة كانوا يعتبرون ذلك وسيلة من وسائل نشر الوعي الوطني، ناهيك وأن ما كانت تنشره إذاعة برلين ضد الفرنسيين كان له من الوقع في نفوس أبناء المغرب العربي ما لم تستطع الوقوف أمامه وسائل المنع التي كانت تلجأ إليها فرنسا، كما تأثر المغاربة أيضا بأمين الحسيني مفتي فلسطين "1896-1970" الذي كان أول داعية للجهاد ضد الاحتلال اليهودي لفلسطين عام 1937م كما شارك في ثورة رشيد علي الكيلاني (24) ضد الحكم لبريطاني بالعراق 3/4/1941م، والتي قيل أنها كانت بمساعدة الألمان مما دفع بأمين الحسيني إلى أن يفر إلى برلين التي كان يذيع منها الأحاديث لإذكاء همة العرب وتأجيج نار عداوتهم

(23) توفي رحمة الله عليه يوم الإثنين 14 محرم 1366هـ راجع مجلة لسان الدين تطوان عدد 98 بتاريخ ربيع الأول عام 1366. إبريل ومارس 1947 ص 14 وحول آل أرسلان راجع. د المعارف بإدارة فؤاد أفرام البستاني ج 1/163 ط 1956 مادة أرسلان و م ع 118 ط 1965.

(24) حول حركته راجع عثمان كمال حداد ص 106-108 ط مكتبة صيدا العصرية. وكمال الدسوقي السياسة الدولية 1970 ود.عبد العظيم رمضان في السياسة الدولية أيضا 1971.

للاستعمار، ومثل شكيب والكيلاني والحسيني الضابط المصري عزيز المصري، (25) وعبد العزيز جاويش، ومحمد فريد، وسليمان الباروني وغيرهم ومن المغاربة القداما على باش حامبة التونسي الذي كان هو الآخر يقود عام 18-1917 جماعة من المغاربة ليسهم بهم في الحرب العالمية الأولى مع ألمانيا و ضد فرنسا من أجل تحرير شمال إفريقيا، بل تكونت جمعية وطنية مصرية في إيطاليا لهذا الغرض برئاسة الطبيب المصري الطيب ناصر، وهذا ما وقع تونس وبإيها محمد المنصف في الشبكة بعد الهدنة التي وقعتها حكومة فيشى في تومبين بتاريخ 1940/6/22 كما سنتعرف على ذلك بعد حين كلامنا عن مآسي ما بعد وثيقة الاستقلال بالمغرب "يناير 1944م"

لقد سجل التاريخ أنه كان للألمان مطامع توسعية في إفريقيا منذ ما بعد حربهما مع فرنسا وانتصارها عليها عام 1870 ولا داعي هنا لذكر ما سبق أن تعرفنا عليه من مقاصد زيارة غليوم الثاني لطنجة 1905م وقضية البانتشير بأجادير 1911 وتدخلهم في الجنوب المغربي عندما ظهرت حركة الهيئة ابن ماء العينين بمساعدة الألمان وفي الشمال حين ظهر عبد المالك حفيد محيي الدين، وجماعة الجهاد الإسلامي التي كان لها كل التأثير على المولى عبد الحفيظ وما بذله من مال لكل من أحمد الريسوني ومحمد بن عبد الكريم الخطابي ومحمد أحمو الزياني، بل وما كان لعيسى بن عمر العبدوي وزير خارجية المغرب في عهد المولى عبد الحفيظ من علاقة مع الألمان بمثله عبد الله بن اسعيد الصنهاجي عامل مدينة سلا أيام كان بدار النيابة، وما جره عليه ذلك الإتصال وعلي عيسى بن عمر حتى أن هذا الأخير وبعدما عرفه من عز وجاه وسلطان، مات مشردا بمدينة سلا، بل ولا نحتاج إلى استعراض ما عرف لمحمد بن عزوز كبير وزراء حكومة الخليفة السلطاني بالمنطقة الشمالية، بل ولا ما كان للمغرب من أثر في إشعال نار الحرب عام 1914 و 18 كما سبق وتأكد ما كان لديلكاسيه من أثر في ذلك مما فصلنا فيه قبل.

(25) راجع البحث عن الذات لأنور السادات ، ص 75-59 حيث قال : إنه كان للألمان نشاط في مصر بواسطة المخضرم عزيز المصري الذي عاصر الثورتين لعرايية، وثورة الكمالين والذي كان مفتشا عاما للجيش المصري، وأنه كان على إتصال مع الألمان بواسطة - أبلر، وساندي - وأن عزيز بث في صفوف بعض الضباط العطف على الألمان من أجل مصر و ضد الانجليز، ثم راجع خريف الغضب لمحمد حسنين هيكل 69.460. ومجلة العربي عدد 238 بتاريخ رمضان الاتصالات المصرية السرية بدول المحور أثناء الحرب العالمية الثانية، له حول اختطاف الألمان لعزيز المصري راجع ثعالب الصحراء لبول كارك ج 2 ص 323 ط دار القلم بيروت 1969م.

بل وفي كل ما سبق كانت علاقة الألمان مع المغاربة سطحية ومع أفراد من الذين لم يكونوا يقصدون من تلك العلاقة خدمة مصالح الألمان، بقدر ما كانوا يهدفون نكاية الفرنسيين والتشويش عليهم، لكن بعد الحرب العالمية الأولى وانهيار ألمانيا، أخذت هذه الأخيرة تستعد ضد الفرنسيين، وبعد ما مهدت الطريق للتفوق بقوة صناعتها وكما رأينا أخذت تعمل بوحى من هتليلر ضد كل أوربا غير النازية وضد الشيوعيين، وكان عليها أن تعمل كي تتمكن في المراكز الاستراتيجية، ومنها شمال إفريقيا التي يخبرنا عن مطامعها فيها الكتاب الذي نشر في برلين عام 1941 تحت عنوان "الأرض والرايخ" فقد جاء فيه ما يلي "وفي هذه الحرب حصلت ألمانيا على ممر إلى تونس تبعا لرغبة فرنسا في التعاون معها، كما حصلت على ممر آخر عن طريق إيطاليا وصقلية، ولكن الطريق الأصح يجب أن يكون عن طريق فرنسا وإسبانيا، فإسبانيا هي المعبر الجيد بين أوربا وإفريقيا، ولكن هذا غير مستطاع مادام جبل طارق في أيدي الأنجليز، ولهذا يجب إضعاف مركز جبل طارق باستخدام المحطات الجانبية البحرية في الدار البيضاء ووهران وبنزرت، ويجب أن نذكر دائما ما كتبه وولف سيفرت، منذ أعوام من أن من يملك تونس يسيطر على أهم جزء ملاحى بين موانئ شرق وغرب البحر الأبيض المتوسط، كما يسيطر على الصحراء الإفريقية(26).

ذلك ما كان يعنى الألمان من الناحية الإستراتيجية بالنسبة للمغرب العربي الكبير، أما من الناحية البشرية والحصول على الرجال الأشداء في المغرب الأقصى الذين تعرفوا عليهم في الحرب العالمية الأولى، وخرب الريف، فقد سجلت التقارير السياسية للمسؤولين الألمان ما كانوا يقومون به من أجل ذلك، ثم من أجل زعزعة الفرنسيين في شمال إفريقيا، كما يخبرنا القنصل الألماني بالعرائش في تقريره الذي رفعه إلى المسؤولين في بلاده يوم 18 أوت 1933 وكما أورد صاحب كتاب "كشف الستار(27) المشار إليه قبل، وفيه

(26) الأرض والرايخ ص 84.

(27) كشف الستار لحامد المليجي ص 58.57 ط القاهرة ماي 1937 ثم راجع فيه أيضا مطامع الإيطاليين

وتطلعاتهم إلى استعمال المغرب في الحرب التي كانوا مقبلين عليها ص 60 .

يقول: «وزع الرفيق شيليشتنك مندوب حزب النازي المركزي في المغرب الإسباني وهو يشتغل مهندسا مدرسا عند لافجنها مهندس المناجم بتطوان، وزع منشورات عن الدعاية التي تبثها جمعية نيشتة، وأرسل مثل هذه المنشورات إلى المغرب، وقد صادر البوليس الفرنسي المنشورات الأخيرة بالدار البيضاء، ومن المحتمل أن يكون السبب الأصلي في هذه المصادرة راجعا إلى تخوف السلطات الفرنسية والإسبانية في المغرب، أن الدعاية الألمانية تثير القلاقل بين العرب وتزيد صعوبتها في إعادة الأمن إلى نصابه في هذه المستعمرة كما ورد في نفس الكتاب ما يلي:

"كتب شيليشتنك مندوب الحزب النازي أيضا في شمال المغرب، وذلك في 5 يناير 1934 ما ياتي «أخذت مساعينا هنا في الانتشار، وامتدت من طنجة إلى وهران، وفي الشهر المقبل سنواصل المساعي في داخل المنطقة الفرنسية، وأرى من الضروري تصدير أحد رجال الحزب النازي من أصحاب النشاط والحكمة الطويلة لاستمرار العمل بروح نازية حقيقية» (28).

وقرر يوهان المندوب النازي في 5 يوليوز عام 1935 أن القنصلية الألمانية تمكنت من نشر مقالات في الصحافة الإسبانية، وأن هذه المقالات قوبلت بمقابلة حسنة، وكذلك قرر أن الملحق الصحفي الألماني بتطوان ذو علائق حسنة بمندوبي الصحف واستطرد فقال تشير الصحف العربية إلى شؤون ألمانيا بلهجة تشف عن الإطراء مما يحمل قراؤها؟ على الظن بأن للنشاط الألماني ضلعا في مظاهر الاستحسان التي تبديها (29) وفعلا عندما ظهرت الدعاية للنازية وبضرباتها القاسية لمعسكر الديمقراطية "التمثل" في بريطانيا وفرنسا الدولتين الاستعمارييتين اللتين لهما حساب طويل وزمن أطول في الإساءة لدول الإسلام عموما، والشرق العربي خصوصا، ظهرت كذلك وكما عرفنا في عالم العرب طائفة من الوطنيين المتطرفين في ميدان النضال من أجل التحرر والاستقلال، وإذا

(28) راجع المصدر السابق وكذا كتاب الجواسيس المتآمرون في إسبانيا تأليف سيبا هاجن ص 123 .

المصدر السابق 124-26.

(29) نفس المصدر 126. ويبدو من كانت الصحافة العربية في المنطقة المذكورة تطوان والتي سيكتب حولها الجاسوس الشهير عبد الوهاب بن منصور التلمساني الفرنسي الجنسية وقتها بعد تقريرا مفصلا يتقرب به للفرنسيين كما سنرى بعد في فصل مقبل بعنوان : السر المجهول عن أسباب حوادث 29 يناير 1944م.

ما كانت هذه الطائفة قد عاشت الكثير من التجارب مع الجانب الديمقراطي ثم هي لم تعرف منه غير المأسى التي كان أوضح مثال لها هو الشريف حسين الكبير، صاحب الثورة العربية الكبرى التي إنخدع فيها وبسلامة طوية بالإنجليز، ثم الأمير شكيب (30) أرسلان الذي حاول وعمل ما وسعته المحاولة والعمل، حتى يكون الفرنسيون الذين تسلطوا على بلاد الشام حقيقة يمثلون مبادئ "الثورة الفرنسية" لكن عبثا كانت محاولاته، وعبثا كان حسن ظن الشريف حسين، ولذلك ورغم أن فريقا من العرب كان لا يزال حسن الظن "بالديمقراطيين" فإن فريقا آخر كان قد تحقق من أنه لا فائدة ترجى منهم ولربما نفس الشعور كان نحو المعسكر النازي إلا أن التجربة لم تحصل بعد حتى يكون الحكم مماثلا وصحيحا، ولذلك حاول زعيم هذا الفريق وهو الأمير شكيب أرسلان أن يطرح الشرط مقدما من أجل أن يكون الميل والمساعدة للمعسكر النازي هو الاستقلال للشعوب العربية الواقعة تحت نير الاستعمار الانجليزي الفرنسي الإيطالي الإسباني، وإذا كان شكيب أرسلان قد إستصدر بعض التصاريح من أجل استقلال تونس على غرار ما إستصدره الدكتور الطيب الناصر المصري رئيس جمعية مصر الوطنية، التي كان مقرها في إيطاليا، والذي حصل بعد على تصريح ألماني إيطالي بتاريخ 3 يوليو 1942 مضمونه إحترام وضممان استقلال وسيادة وادي النيل» (31) وأنه «لا تدخل قوات المحور القطر المصري دخول في

(30) لا يفوتني هنا وقد سجل التاريخ أن أكثر من إستمال بعض العرب للتعاطف مع الألمان قبل أن تكون النازية وبعد ما ظهرت إنما هو الأمير شكيب أرسلان رحمه الله، والذي هو الآخر يعتبر ميله الذي سجل التاريخ أنه كان من أجل تحرير بلاد الإسلام بدأ عاطفيا، وذلك بتعارفه مع غليوم الثاني الذي حين زار سلطان آل عثمان عبد الصميد عين معه هذا الأخير الأمير شكيب أرسلان مراققا له مدة زيارته. ولذلك دامت المودة بينهما وبلا شك عن طريقه تعرف على كثير من الألمان وأصبح له ع qar في ألمانيا وحتى حين تنازل غليوم عن العرش إثر الحرب العالمية الأولى ثم نفي إلى مدينة دروي بهولاندا كان يتصل بالأمير شكيب الذي كان يزوره في منفاه كما يخبرنا بذلك المجاهد الفلسطيني المرحوم محمد علي الطاهر فيما كتب حول رثاء الأمير شكيب أرسلان في مجلة لسان الدين التطوانية ص 41 عدد 9.8 السنة الأولى بتاريخ 2 ربيع 2 عام 1366 غبريار - مارس 1947م، وبالإضافة إلى هذا فيما يتعلق بالمغرب فقد كانت علاقة شكيب أرسلان قوية مع الحاج أحمد بوعباد وصنوه الحاج الحسن بوعباد وكلاهما من مواليد بريطانيا حين كان والدهما الحاج العربي بوعباد من أوائل المغاربة الذين هاجروا إلى بلاد الانجليز أواسط القرن التاسع عشر. بل وهو الذي جر تعاطف شكيب أرسلان مع مسألة الظهير البربري وفي مذكرات السيدة كنزة بوعباد زوجة السيد محمد الغزاوي حول زيارة والدها لشكيب أرسلان وامتداده ماتى ذاكرتها زمن الطفولة حين كان المرحوم أحمد بوعباد يمر على صاحبه بأسويسرا.

(31) مجلة العربي المصدر السابق

أرض معادية، بل تدخلها بقصد طرد الأنجليز منها ومتابعة الأعمال العسكرية لأنجلترا، تلك الأعمال التي ستحرر الشرق الأدنى من السيطرة البريطانية» (32) ومثل هذا التصريح حصل عليه رشيد علي الكيلاني من نائب وزارة الخارجية الألمانية بتاريخ 3 أبريل 1941م ومضمونه أن «ألمانيا التي لم تحتل قط أرضاً عربية لا تستهدف أن تستولى على أي جزء من البلاد العربية، وهي «تري» أن الشعب العربي وهو شعب عريق ذو ثقافة قديمة، وقد برهن على لباقتة الإدارية وفضائله العسكرية لجدير بأن يحكم بنفسه، ولهذا فإن ألمانيا تعترف باستقلال البلاد العربية استقلالاً تاماً، وبحق البلاد العربية التي لم تستقل حتى الآن في أن تنال استقلالها التام» (33) وقد كان تحت هذا الوعد بالاستقلال والمساندة أن قامت ثورة رشيد علي الكيلاني بالعراق في ماي 1941م ودخلت الأقطار الواقعة تحت نير الاستعمار في دوامة من فوضى الآمال الكاذبة والتعلق بالانتصار للمحور حتى تحصل على استقلالها، ومنها أقطار المغرب العربي وشعوبه التي قال عنها الأمير شكيب أرسلان في رسالته التي وجهها إلى الدكتور الطيب الناصر رئيس "جمعية مصر الوطنية" بروما وذلك بتاريخ 12/21/1942م (34) والتي جاء فيها قوله حول أقطار المغرب العربي "يسرني أن أسمع كون المسلمين في شمال إفريقيا جميعاً يتمنون انتصار المحور وقهر أعدائه، مما يدل على أنهم عارفون بالداء والنواء أبلغنا الله جميعاً آمالنا وسدد أعمالنا وعلى الله فليتوكل المومنون.. إلخ

ولعل رأي المرحوم شكيب أرسلان هذا كان نتيجة الدوامة التي كانت قد جرفت الجميع حقداً على الاستعمار والمستعمرين، وذلك ما كان عليه كل المغاربة طبعاً حتى الكثير من رجال السلطة كما سيخبرنا المنشط لدعاية الألمان في الأطلس المتوسط "الغازي هلال"، بل أكثر من هذا وكما رأينا سينجر بعضهم أمثال الأستاذ عبد الخالق

(32) نفس المصدر وهو عن مجلة السياسة الدولية عدد أكتوبر 1971.

(33) مجلة العربي المصدر السابق وهي عن مذكرات عثمان كمال حداد تحت عنوان "حركة رشيد علي الكيلاني ط صيدا المكتبة العصرية ص 106-108 وقد أكد وجود الخطاب في الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية الألمانية، مجلد السكرتير الثاني للدولة - العراق - ج 1 ص 5 - 25510 - 106 أنظر محمد كمال الدسوقي ثورة رشيد علي الكيلاني والقومية العربية والسياسة الدولية عدد يوليو 1970.

(34) اكتشفها د. عبد العظيم رمضان ثم نشرها في مجلة العربي عدد 238 ص 49 بتاريخ رمضان 1398

الطريس إلى أن يرحل إلى برلين بتوجيه من الأسباب وبالتأثير السابق من عميلهم عبد السلام بن لونة ثم يتصل ببعض المسؤولين الألمان في حكومة هتلير، كما حصل في تونس القريبة من حلفاء المحور ما لم يحصل في بقية أقطار المغرب الكبير، مما دفع شكيب أرسلان أيضا إلى أن يقول في الرسالة المشار إليها الكثير مما يعني تونس وتونس بالذات، والتي لها قصة يجدر تناولها بشيء من التفصيل وكما يقول عبد العظيم رمضان(35) لاتصالها بالوثيقة التي بين أيدينا، وهي قصة شارك فيها كل من أمين الحسيني وشكيب وغيرهما من رجال تونس كما سنرى.

فمنذ هزيمة فرنسا على يد ألمانيا وتوقيع اتفاقية الهدنة في كومبين يوم 22 يونيو 1940 وقعت تونس تحت إدارة حكومة فيشي، وكانت أطماع إيطاليا التي قدمتها إلى ألمانيا في المقابلة التي جرت بين الكونت شبانو، ورينتروب في 19 يونيو 1940 تتضمن تونس إلى جانب نيس وكورسيكا والصومال، الفرنسي، ولذلك كان من المتوخى أن تكون تونس بعد انتصار المحور من أسلاب إيطاليا، وهذا شيء أدركه التونسيون لكنهم إختلط عليهم الأمر بسبب عدم التركيز.

على أنه بعد معركة العلمين في 23/10/1942 ونزول القوات لبريطانية والأمريكية في الجزائر(36) في 7/11/1942 والمغرب يوم 8/11/1942 وانقلاب وضع المحور إلى الدفاع أصبح من الضروري القيام بعمل ما، وكان من الطبيعي أن ينصب الإهتمام على تونس التي لم تنزل بها قوات الحلفاء، فقررت القوات الألمانية إحتلالها، وتمشيا مع أوامر حكومة فيشي الخاضعة للألمان، سحب الجنرال جورج باريه القائد العام الفرنسي في تونس جيشه صوب الجنوب الغربي، وفي يوم 9/11/1942 نزلت الطائرات الألمانية الأولى

(35) نفس المصدر ص 46 ثم راجع ثعالب الصحراء مصدر سابق ج 2، ص 89.471 ومذكرات رومل ثعلب الصحراء ج 1/247.95 ط دار إحياء التراث العربي بيروت 1970.

(36) سمي هذا في مذكرات تشرشل بـ "المشعل: ج 1/38/4 ط القاهرة اخترناك، ورغم الحقد والتحقير اللذين تناول بهما الكتابة حول جنرالات فرنسا في المغرب العربي: دارلان وجوان، وجيرو ونوجيس، وغيرهم فقد كان بحق أوضح من كتب حول نزول الحلفاء في كل من الجزائر والمغرب وتونس والمتناقضات التي تخبط فيها جنرالات فرنسا وقتها لكن الجنرال دوكول لم يجهل ذلك وكتب عنه بنفس الأسلوب في مذكراته ترجمة خيربي حماد ط مكتبة المثى بغداد 1964م وحتى ان القارئ لمذكرات دغول ليدرك بلا عناء أن للرجل حساسا مع الانجليز كان يتحرق لتصفيته، وإذا لم يجد لذلك وسيلة فلا أقل من تلك النفثات التي أوردتها في مذكراته وخصوصا حول تشرشل.

في تونس، ثم وصلت القوات الإيطالية في 13/11/1942 ولكن القيادة العليا كانت للألمان، ولما كانت قاعدة بنزرت البحرية ذات أهمية عسكرية عظيمة، فقد أمر الفيلد مارشال كسلرنج القائد العام للجبهة الجنوبية في أواخر نوفمبر بإتخاذ إجراءات أمن من القاعدة للحيلولة دون انضمام قوات فيشي ووحداتها البحرية المعسكرة هناك إلى الحلفاء، وفي 8/12/1942 تلقى الجنرال دريان الفرنسي إنذار ألمانيا بتسليم السفن والطائرات وكل تسهيلات الميناء والعتاد الحربي فلم يملك سوى الازعان، وبذلك تم احتلال بنزرت وبه تم احتلال تونس من قبل الألمان احتلالاً كاملاً.

ومنذ احتلال المحور لتونس جرى التسابق بين الإيطاليين والوطنيين العرب المواليين للمحور على مصير البلاد، فقد سعت روما إلى إقامة نظام إحتلال إيطالي - ألماني في تونس كمقدمة لسقوطها في يد إيطاليا بعد الحرب، ولذلك طلبت أن ينتزع المحور الإدارة بالتدريج لضعضة مركز فرنسا، ومن جهة أخرى كان الوطنيون العرب في إيطاليا وسويسرا يطالبون إيطاليا وألمانيا بإصدار ما يطمئن العرب على مصير بلادهم وكان الحاج أمين الحسيني مفتى القدس السابق مقيماً في روما أثناء نزول الحلفاء في شمال إفريقيا، فأجرى اتصالات مع المسؤولين الإيطاليين مكنته من ارسال رسالة صيغت في حذر شديد إلى باي تونس عن طريق مندوب خاص عبر فيها عن عطف المحور على العرب ووعد بالاعتراف بوضع الباي وحكومته من الناحيتين القانونية والسياسية، وأوضح أن ألمانيا وإيطاليا فهمتا أمانى الأمة التونسية التي ترغب في الحرية المدنية والدينية والتقدم الاقتصادي، وكانت هذه الرسالة بمثابة وعد بعدم تغيير وضع الحماية إلى وضع أسوأ.

ولم يلبث المفتى أن غادر روما إلى برلين حيث قدم في 18/11/1942 مذكرة إلى القيادة المسلحة الألمانية وصلت إلى وزارة الخارجية الألمانية في أول ديسمبر 1942 قدم فيها عدداً من المطالب السياسية، فقد طالب بإصدار تصريح يعترف فيه المحور بحرية واستقلال البلدان العربية في شمال إفريقيا، وأن يعقد معاهدات على نمط المعاهدة الأنجليزية - المصرية. أو المعاهدة الأنجليزية العراقية، أما بالنسبة للإيطاليين فقد اقترح المفتى إقامة علاقات مع تونس تستند إلى نفس المبادئ التي وضعها السير ستافورد

كرييس في عام 1942 بصدد العلاقات الأنجليزية الهندية، وطالب المفتى بتحرير تونس من الفرنسيين، وتشكيل جيش تحرير مغربي من أسرى الحرب وعرب المغرب الذين يعملون في فرنسا، ومن التونسيين وغيرهم ودعوة عرب شمال إفريقيا العاملين في الجيش الفرنسي وكل عرب المغرب (37) إلى الانضمام إلى جيش التحرير هذا، وإثارة ثورات القبائل في ظهر الحلفاء، كما طالب بإطلاق سراح الوطنيين التونسيين في السجون الفرنسية، وكان على رأسهم الحبيب بورقيبة، وأبدى المفتى استعداداه للتوجه إلى تونس للتمهيد لقيام ثورات في شمال أفريقيا.

ذلكم هو الدور الذي قام به المجاهد العظيم أمين الحسيني بدافع روح النضال والياس من تفهم المعسكر "الديمقراطي" الذي كانت تجره بريطانيا وكاهنها الكبير تشرشيل، العدو اللدود لشعوب العرب والمسلمين، بحكم صهيونيته من جانب وبواغترار أمين الحسيني رحمة الله عليه بكلام ساسة المحور الذين أغدقوا من ذلك ما اغتر به أمير البيان المناضل شكيب أرسلان رحم الله الجميع، والذي كان له هو الآخر دور في المسرحية نتبينه مما يلي بشيء من التفصيل لم نتعرف عليه قبل لولا الوثيقة التي قدمها لنا د. عبد العظيم رمضان والتي حصل عليها من د/ الطيب ناصر المصري.

في الوقت الذي كان أمين الحسيني يقدم فيه تلك المذكرة كان الزعماء التونسيون في السجون قد أطلق سراحهم على أيدي الألمان في أوائل ديسمبر 1942م مما أثار حماسة شديدة لدى التونسيين، دعت المبعوث الألماني في شمال إفريقيا "رودلف راي" إلى الإصرار على إطلاق سراح الوطنيين المسجونين في فرنسا في الحال، وكانت القوات

(37) وبهذه المناسبة يذكر أن أول من أعلن تطوعه من المغاربة كان عبد العزيز الماسي الذي كان من مبدئي وخلفه محاربة الاستعمار حتى وإن كان من الألمان ضد الفرنسيين. وهو الذي سيكون له دور هام زمن الغداء وبعد نفي محمد الخامس بل هو الذي سوف يرى العذاب في عهد الاستقلال زمن تصفية الحساب مع الوطنيين والمقاومين في عهد الخونة محمد أفقيير وأحمد الداليمي ضد الوطنيين حيث عرفوا من منهم الماسي ما لم يعرف ولا بعضه من الفرنسيين، وقد كتب حول "الماسي محمد العربي الأسفي كتابا صفحات 179 تكريما ط دار النشر المغربية بالبيضاء 1982 هذا مع العلم أن تعلق الماسي بمحمد الخامس كان فوق العادة لكن رحم الله جمال عبد الناصر الذي قال لنا يوم قمنا بمظاهر احتجاج ضد مقال الباقوري الذي نشره بمجلة الهلال 1956/4/30 وقد كانت ثورتنا ساخنة "ستعود إلى المغرب أفلاي" نعم... أتمنى أن لا تصدموا في عاطفتكم النبيلة هذه إلخ" لكن التاريخ أثبت أن الصدمة كانت عنيفة، بل وتلقاها محمد الخامس نفسه قبل ان يغادر هذه الحياة رحمه الله.

الألمانية قد دخلت الجزء المحتل من فرنسا في نوفمبر 1942م فتمت الموافقة على هذا الطلب وتوجه الزعماء التونسيون إلى إيطاليا ليستقبلوا استقبالا رسميا، ولكن الحبيب بورقيبة إشتراط في مباحثاته مع الإيطاليين أن تنتقل السلطة إلى الباي على أن تعاونه حكومة وطنية، ففشلت المباحثات ورفض الحبيب بورقيبة التعاون مع المحور إلا إذا نفذت شروطه السياسية، وطالب بإرجاعه إلى تونس، وكان لابد أن يؤثر سكوت بورقيبة على الموقف فبدأ أتباعه يبدون تحفظا إزاء المحور، وأحست السلطات الألمانية والإيطالية بأن عدم عودة الزعماء التونسيين إلى تونس سوف يحرم المحور من عطف السكان التونسيين فبدأ منذ 1943/2/26م نقل هؤلاء الزعماء إلى تونس، وفي يوم 4/9 عاد الحبيب بورقيبة ذاته، واستبعدت فكرة عودة المفتي مع بورقيبة إلى تونس، نظرا للمغزى السياسي من الزاوية "القومية" لمثل هذه الزيارة واحتمال أن تؤدي إلى توجيه هجوم شديد للإدارة الفرنسية، وتهديد الأمن العام، وهو ما كان الألمان شديدي الحرص على تجنبه، وحين تم طرد قوات المحور من تونس أعلن حزب الدستور الجديد بايعاز من بورقيبة إنضمامه إلى الحلفاء، وسوف يستفيد بورقيبة من هذا الموقف أكبر فائدة.

سبق لنا ذكر أن شكيب أرسلان الزعيم العربي الإسلامي والمعروف بعطفه واهتمامه بقضية المغرب العربي واتصاله الوثيق بزعمائه المعاصرين، ولذلك كان اهتمامه باستقلال هذه الأقطار لا يقل عن اهتمامه بموطنه ونجد في الرسالة الشخصية التي وجهها إلى الدكتور الطيب ناصر، والمشار إليها قبل، وفيها يتحدث عن مشروع استقلال تونس تعرض فيه إلى أنه يجب على دولتي المحور أن تعلن استقلال تونس التام، وفي مقابل ذلك يعقد إتفاق بين المحور وباي تونس سرا على شرط الإستقلال التام، وعقد تحالف بين المحور والتونسيين إلى عشرين سنة.

والرسالة تقول رواية د. عبد العظيم رمضان مؤثر في أعلاها بالقلم الأحمر بما يفيد ترجمة الجزء؛ الخاص منها، وإرساله إلى وزارة الخارجية الإيطالية على النحو الآتي:

"ترجم نص جزئى منه وأرسل إلى رئيس غرفة وزير الخارجية الإيطالية بخصوص

استقلال تونس في 14/1/1942م، كما أشر في نهايتها بقلم حبر أسود بالآتي(38) إلخ أما ما يعني عموم شمال افريقيا مما ورد في الرسالة المشار إليها فهو ما يلي "إننا نعيش في أيام تاريخية لها ما بعدها وهو هنا يعني حرب المحور- ونستضع حملها عن نتائج تعم الشرق والغرب، ولكننا واثقون في كرم الله، لا تهولنا الزعازع، ولا نبالي بعناد المنازع، ولا بد للأمة العربية من أن ترقى وتصعد، وعسى أن تكون الحرب في شمال افريقيا خيرا كثيرا على الإسلام والمسلمين في تلك الديار، وسببا يخلقه الله لأجل استردادهم حقوقهم المهضومة واستئنافهم مجدهم السابق، وبهذه المناسبة أقول: إنه لو أرادت دول المحور أن تنال عطف المسلمين فعلا، وجب عليها أن تعمل في تونس ما عملته في مصر، فكلما أعلنت إيطاليا وألمانيا اعترافهما بالاستقلال التام، وكررتا هذا الإعلان مدة أشهر، واستمالتا به عطف جميع المسلمين، وجب أن تعلنا استقلال تونس التام، وتظهر الفرق بين نيتهما ونية أعدائهما، لأنه لا أمل من مداجات فرنسا، وليس من الفرنسيين واحد من الألف يتمنى نجاح دولتي المحور، وعلى فرض أنه لا بد من بعض المدارات، فيمكن عقد الإتفاق بين المحور وياي تونس سرا على شرط الاستقلال التام، وعقد تحالف بين المحور والتونسيين إلى عشرين سنة، يسرني أن أسمع كون المسلمين في شمال افريقيا جميعا يتمنون انتصار المحور وقهر أعدائه مما يدل على أنهم عارفون بالداء والدواء أبلغنا الله جميعا آمالنا وسدد أعمالنا وعلى الله فليتوكل المومنون"(39).

كان ذلك هو واقع المغرب العربي عموما وذلكم هو شعور شعوبه إزاء المحور نكاية وحقدا على الاستعمار الفرنسي الذي كان وقتها قد بلغ الذروة في إرهاب شعوب المغرب بالاضطهاد وإزهاق الأرواح والانتقام ومصادرة الأراضي وملء المعتقلات، منذ ما بعد فشل آخر الظهائر البربرية 16 ماي عام 1930 وهي السنة التي عرف المغاربة فيها أكثر إقبال أمير البيان شكيب أرسلان على قضايا المغرب والدفاع عن حقوق المغاربة، ولذا تراه يصف شعور شعوب المغرب بما بلغه عنها، وربما لم يكن مبالغا فقد كانت شعوب المغرب الكبير عموما والطبقة الوطنية غير الواعية بواقع النازية العنصرية طبعا تفرح

(38) مجلة العربي مصدر سابق.

(39) المصدر السابق ص49.

لانهيار فرنسا وتتمنى الانتصار لعدوها ما عدا قلة واعية كان على رأسها شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي كان أول من دعى إلى محاربة النازية ومقاومتها، والانتصار إلى "الديمقراطية" والعمل من أجلها، ذلك لأنه كان الباعث للوعي الإسلامي ونشر الفكر السلفي عمليا بين جماهير الشعب كما رأينا، خصوصا وأن الشيخ وكما عاش المغاربة جميعا حياته ونضاله الذي لم يكن أثناءه قط بالمتردد ولا بالمتقلب أو المنقاد، بل كان صاحب عقيدة وهدف والتزام، عارفا قصده، ساعيا لتحقيقه بأوضح الوسائل وأسماها، غير يائس ولا مغرور، بل بتفكير سليم وعمل صادق، واعتداد وثقة، وبذلك وكما يشهد تاريخ المغرب السياسي المعاصر كان هو الزعيم الرائد الوحيد الذي لم يختلف حول زعامته وريادته إثنان من المغاربة الوطنيين اللهم إلا بعض الخونة والعملاء أو لربما واحد فقط من أولئك العملاء المخلفين وفاء لرسالة الاستعمار وهو أحمد رضا كديرة الذي استطاع في عهد الاستقلال وبعدما اندس وتمكن من مناصب ثلاث من أعلى مناصب الدولة، أن يصرح بما كتب في جريدة العمالة التي أنشأها على حساب الشعب (40) ثم كتب فيها ما كتب أيام الحملة من أجل الدستور الذي كان شيخ الإسلام وحزب الاتحاد الوطني وقتها من المعارضين لصدوره بالطريقة التي صدر بها وفيه لمسات دوفيرجي كما عبر كويديرا، ونسي القوم أن الرجل الذي كان له بالأمس وفي أحلك الظروف رأيه

(40) إنه أحمد رضا ابن التهامي كويدرة الاسباني الأصل ولد فاطمة بوعلو الذي لم نجد بدا من ذكر اسمه بالشر الذي هو أهله والذي نعلم ان ذكر اسمه إنما يندس هذا الكتاب، فهو الذي كتب عن شيخ الإسلام في جريدته "LES PHARES" المنارات "تحت عنوان" الضبال عن الصراط المستقيم ص4 عدد 12 بتاريخ 3 رجب 1382هـ = 1962/12/1م راجع ما قاله ابن القيم في كتابه الطرق الحكيمة 163-166 حول شهادة الفاسق. على أن حقيقة ولد فاطمة بوعلو معروفة لأهل الرباط وغيرهم حتى إن راحته فاحت حتى وصلت إلى مصر فتلوثت جريدة الجمهورية التي عرفت به ثم قرنته مع نوري السعيد وإن كان هذا الخائن الحقير أشرف منه وأفضل راجع جريدة العلم ص1 بتاريخ 1963/4/3 بل لو أردنا الكشف عما آل إليه أمره بشراء العقارات في شارع هنري مارتان بباريز ولن.. لكنت الفضيحة أنكى خصوصا وأن الكبير والصغير يعرف أنه فقط وإلى الأمس القريب وهو غلام "م.ر.ن" وهو لا يقتل الجوع إلا على مائدة "عدوه" اليوم محمد الرشيد ملين الذي تنكر له هو الآخر، بل والذي في ملف محاكمة عمر بن مسعود 1972 ما يكفي للتعريف من هو أحمد رضا كويديرا الذي اندس ثم فتح الباب للدخلاء الذين أرقوا هذا الشعب فأصبحوا يملكون أرضه وبحاره عن طريق استغلال النفوذ وهو ما سوف تكشف عنه الدراسات السياسية في المستقبل القريب أو البعيد لامحالة، وبذلك يستمر ذكر المحسن بإحسانه والمسئ بسيناته، بل وبالكاتبه عنه بغير طريقة الارتزاق التي احترفها الدخيل المختار المرتزق مصطفى الشحمي لعموري.

الصادق وفراسته التي لم تخطئ حول مصير أمة وحياة شعب والذي وقف أشرف المواقف لصالح الشعب والعرش هو نفسه الرجل الذي قال رايه في الدستور الذي ناضل حياته كلها من أجل تحقيقه في ظل الإسلام.

وبالتالي لا يعجب أحد من إقحامي لهذا الموضوع بين هذه السطور عن قصد فما ذلك إلا لأعطي صورة كاملة على حقيقة فراسة شيخ الإسلام وسليم رأيه الذي خالف به الآراء حتى يوم كان كل رجالات العرب والشعوب المستعمرة تهتف ناقمة على الغرب الفرنسي وتتمنى نجاح النازية والمحور نكاية في فرنسا وقتها وقف هو ونادى بوجوب مقاومة النازية مهما كلف ذلك من ثمن، وتقدم الصفوف بما أذاع ونشر، وقد حقق الواقع والتاريخ صدق فراسته، ففي الوقت الذي تعددت أصوات المنافقين تأييدا للدستور عام 1962 وقف هو قائلاً ليست هذه الطريقة التي يجب أن يوضع بها الدستور وقد بنى رأيه على قاعدة إسلامية واضحة وحتى لو كان ذلك هو رأيه الشخصي وهو المخطئ في نظر أمثال العميل أحمد رضا كديرة، أوليس من حقه التعبير عنه، لنسأل الماضي القريب كم مرة حصل فيها تعديل الدستور 1972-1992 إلخ والبقية تأتي، لكن كيف ومتى، ولصالح من كل هذا الصراع المنهك المضنى، والذي كان له أبعاد الأثر في نفوس المغاربة وما عرفوه من تحول خطير لم يتضرر منه المندسون والانتهازيون يتقدمهم الشياطين الخمس ما بين أعور، وأقرع، وأسود وأعرج وقزم في الرباط.

وبعد، ماذا كان موقف المغاربة من النازية، وكيف كان تنشيط الدعاية لها في

المغرب؟

الفصل الثاني والسبعون بحث المائتين المغاربة والنازية قبل الحرب وأثناءها في المغرب

كانت بداية الحرب العالمية عندما هاجمت ألمانيا بولاندا في فاتح سبتمبر 1939 قد عجلت بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين المغاربة ما عدا ثلاثة استشهد واحد منهم، وهم علال الفاسي الذي كان قد أُلقي عليه القبض يوم 1937/10/25 أبعد إلى الجابون، ومحمد القري الذي استشهد بضربة على رأسه من حارس مجرم في كميمة عمالة قصر السوق، ومحمد بن الحسن الوزاني الذي كان مبعدا بقرية إترز دائرة ميدلت كما اعتقل نحو الخمسين شخصا بمدينة مراكش بمناسبة زيارة المسيو رمادي الذي كان إذ ذاك خليفة كاتب الدولة في الاشغال العمومية بفرنسا لما تقدم إليه بعض المتظاهرين يتقدمهم عبد المجيد الشراط وعبد الله ابراهيم وعبد القادر حسن ليوضحوا له حالة البؤس التي كان عليها سكان الجنوب المغربي ثم وقعت أعمال قمع أخرى خلال شهر أكتوبر 1937 حيث وقع قمع سكان لخميسات يوم 22 لاحتجاجهم ضد السياسة البربرية يقول "المهدي بن بركة في كتابه عن المغرب الاقصى ص 176 ط القاهرة 1951 ومحمد الحبيب الفرقاني في كتابه "الثورة الخامسة"؟ ص 140 ط 1990.

وفي هذه المرحلة من تاريخ المغرب السياسي اشدت نشاط عملاء النازية بعموم شمال افريقيا، وبالأخص في المغرب حيث كان المنطلق هو منطقة الشمال التي كانت تحت النفوذ الإسباني أملا في ثورة فرانكو التي كانت علي وفاق مذهبيا مع النازية، ولذلك فر إليها كثير من الذين لم يأمنوا مغبة مكر الفرنسيين، وفي مقدمة هؤلاء رجل كان جم النشاط كثير الحركة شديد الحقد على الاستعمار الفرنسي، ذلكم هو ابراهيم بن عبد الله الوزاني التازي المولود في مدينة تازة عام 1332هـ 1914م والمقتول غيلة وظلما مع زميله عبد السلام الطود وعبد القادر برادة بدار بريشة"؟" بتطوان تقول رواية أعلام

الjasوس المشهور عبد الوهاب ابن منصور في ذي القعدة 1375هـ يونيه 1956م ولقد كان الوزاني من المناصرين للحزب القومي الذي بينا كيف نشط زعميه في حركة بوفكران بمكناس بما قدمه للقائمين بها من مساعدة بالإعلام وبسبب هذه الحركة دخل ابراهيم الوزاني السجن 3 أشهر، ولما خرج منه توجه إلى تطوان التي حل بها في أواخر شهر ديسمبر 1937م وذلك في الوقت الذي رسن فيه بيكبيدير محمد المكي الناصري الذي كون له حزب الوحدة، قام الوزاني بدور آخر هو تكوين "مكتب الدفاع الوطني". وهكذا ما كاد الوزاني يستقر به المقام في منطقة الشمال 1937 حتى إنساق وراء مختلف التيارات السياسية، لكن شرعاه الذي لعبت به الرياح الهوج توقف عند شاطئ النازية التي عرفت لها وقتها نشاطا قويا ومركزا في المنطقة، وإن كان "صاحبه" بل غلامه عبد الوهاب بن منصور يقول عنه إنه كان على رأس الجماعة التي كانت تعمل لصالح المحور(41)، كما عمل أيضا في قلم المخابرات الأنجليزي، ثم الألماني، ثم يعود فينفي عنه العمالة ويحسبها وطنية ولقد كان شارل أندري جوليان أرفق بالوزاني من غلامه الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور راجع افريقيا الشمالية تسير ط تونس ص 378 بل سوف نرى عمالة التلمساني المتفرنس ابن منصور وتطوعه بالتجسس لخدمة الفرنسيين وما جره تقريره على الوطنيين المغاربة عموما إثر تقديم عريضة الاستقلال 11 يناير 1944.

عاش المغاربة كيف بدأت الحرب العالمية الثانية كما بدأت الأولى ظاهريا بسبب عراق بشأن الأقليات القومية في شرق أوروبا(42) وانهارت فرنسا بمجرد جولة خاطفة قامت بها قوات الألمان في يونيه 1940 وهو الشهر الذي وقع فيه المارشال بيتان هدنة الذل والعار بتاريخ 22 منه مع كل من ألمانيا وإيطاليا وإثر ذلك تحركت اسبانيا للمطالبة بالاستيلاء عسكريا على منطقة الحماية الفرنسية، فكان أن وافق فرانكو على احتلال الألمان لبعض الموانئ المغربية كما طرد المندوب السلطاني من طنجة واحتلت السفارة الألمانية مقر المندوبية التي فر منها التازي وهذا في الوقت الذي كان جلالة الملك محمد

(41) راجع ما نشره باسم "أعلام" المغرب العربي ج1/180-86.

(42) راجع تاريخ العالم من 1914 إلى 1950 للدكتور دافد تومسن ص 209 ط 1956 ومسيرة النصر تأليف بالاشوف بوبيليف ليبيتسكي ص 134-186 ط دار التقدم موسكو 1979، ثم راجع بتحفظ أيضا مذكرات المهدي المومني التيجاني أو "دار بريشة" أو قصة مختطف تقديم الحاج أحمد معنينو ط 1408هـ 1987م ص 125.

الخامس قد أعلن مسبقا وبوحي من شيخ الإسلام الذي تزعم الموقف ضد النازية العنصرية أنه لامكان للمحور في المغرب، بل في نفس الشهر سبتمبر 1939 ويوم 3 منه سبق أن أعلن العاهل الحرب باسم المغرب ضد المحور والفاشية واقتداء به، بعث الحزب الوطني وباستشارة مع شيخ الإسلام كذلك رغم كون عدد من أعضائه كانوا لايزالون في المنفى وفدا إلى الإقامة العامة يوم 26 أغسطس 1939 لتأكيد تضامن المغرب مع فرنسا وعرض مساعدته أمام الخطر الداهم، راجع كتاب المغرب الأقصى للمهدي بن بركة ص177 عربي ط 1951 بالقاهرة" وإثر هذا وبعد أسبوع أي بتاريخ 3/9/1939 وجه العاهل خطابا للأمة المغربية ثم تلي رسميا في المساجد يطلب فيه "مساندة فرنسا في حريها مساندة مطلقة. وإعطائها كل الموارد بدون تردد، والتضحية بكل الوسائل.." وكان من نتيجة ذلك أن جندت فرنسا من المغاربة فقط تقول مصادرهم 30.000 جندي مغربي والواقع أنه أكثر من 360.000 مواطن مغربي حسب التقدير الذي كان يوحي ما قامت به الإدارة العسكرية ومجموع القواد في بادية المغرب عموما من تجنيد للمواطنين في مجموع التراب الوطني خصوصا الأطلسين المتوسط والكبير، ومع ذلك وان منيت فرنسا بأقبح هزيمة في شهر جوان من عام 1940 فلم يتبدل موقف العاهل.

وتسابت الأحدث وتطور الموقف فامتنتع أمريكا وبريطانيا وروسيا من مهادنة ألمانيا، كما أنجرت فرنسا بحبل مده الأحرار من أبنائها يتقدمهم الجنرال دي غول الذي أبان بعد في أخريات حياته 1958 وبسلوكه الذاتي أنه كان أهلا للقيادة، ذلك أن الحرب العالمية الثانية بالنسبة لفرنسا غير ما كانت عليه بالنسبة للأولى، إذ تحطمت وتمزقت بأول ضربة من عدوها التقليدي بحيث كما أشرنا ترجع عداوة الشعبين إلى أكثر من ألف سنة مضت إلى أيام القبلية المتوحشة وقد نالت فرنسا من الويل ما أضر بشعبها وألقى به في دوامة السقوط والمهانة واليأس الذي استولى على أكثر جنرالاتها وماريشالاتها، لولا مبادرة الجنرال دي كول التي اندفع إليها بشعور أن في بعض المستعمرات والمحميات إمكانات ورجال أدركوا حقيقة وأهداف مغامرات دول المحور، ألمانيا وإيطاليا واليابان، وأنهم أخس وأرذل ما عرف تاريخ الإنسانية لما قامت عليه أنظمتهم من فاشية وعنصرية ساقطة وخبيثة، فباسم قوة تلك الشعوب في المستعمرات أمكن لدي كول أن

يصبح حليفا لبريطانيا وأمريكا، وإن كان لولا ما تحمله من رذالة تشير شيل وخبثه وهو ما يظهر من مذكرات الرجلين معا، لما أمكن للجنرال دي غول أن يستمر في تحالفه مع الأنجليز الذين أكثر كاهنهم تشرشيل من الدس والتحقير من شأن الفرنسيين في نظر الأمريكيين حتى أنه التجأ إلى الكيديين دي كول وجيروحين أظهر تفضيله لهذا الأخير حتى يكون حليفا باسم فرنسا وكما عبر عن ذلك في مذكراته، ولولا تدخل فرانكلين روزفيلت ووساطته بين كل من جيرو ودي كول اللذين كان لكل منهما جيش يسيطر عليه وبقي الأمر لتشرشيل لما تم الاتحاد بين الرجلين وبلدهما في أحط درجات الذل والتحقير من الجميع، يصبح ويمسي شعبها على ركل أحمذية الألمان. لكن دي كول قطع عليه الطريق بصبره وثباته، ولعل ما تحمله دي كول يدرك من مذكراته(43) ومن مذكرات الصهيوني الأنجليزي تشرشيل، والواقع أنه لولا جرأة دي كول ومبادرته لكان تراجع الجنرالات واستسلامهم قد وضع حدا لفرنسا ثم بدل مستقبلها بالمستعمرة الممزقة، وذلك ما أكده المرحوم شكيب أرسلان حسبا تراءى له من خلال ما عاش ورأى وأمل، ذلك أن التمزيق حسب معطيات الواقع وما عرفته فرنسا في تلك المرحلة إذا لم يكن من الألمان كان سيحصل من قبل الحلفاء، بسبب الإنهيار الذي انتهت إليه مختلف مرافق الدولة، وفي طليعتها حياة الجنرالات الذين كان منهم في المغرب الجبان نوجيس، وفي تونس الأميرال استيفا.

كان محمد الخامس وكما أشرنا وبلا تردد قد أعلن حرب المغرب ضد الفاشية والنازية، وبالتالي ضد المحور، وحين نزل الحلفاء بشمال افريقيا في الجزائر يوم 7/11/1942 وفي المغرب يوم 8 منه، وإذا كانت تونس وهي ذات المركز الهام المماثل لموقع المغرب وجبل طارق ستعرف من النازية مباشرة ما لم يعرفه قطر من أقطار المغرب العربي مما عرفنا وستتعرض له بعد ما نتطرق قبل إلي ما حصل من تأثر المغاربة بالدعاية النازية وما كان لها من رواج في المغرب بسبب الحقد القوي على الفرنسيين

(43) راجع من المذكرات: نداء الشرف 1940-1942 ج 1/ ترجمة خير حماد نشر مكتبة المثنى بغداد 1964 ومذكرات تشرشيل نشرم اخترنا لك، ط القاهرة ج 1-4، ومهما يكن فإن روح الإنسانية تدفع إلى احترام دي كول لأنه حرر شعبه من الاستعمار الألماني، لكنه فعل عكس ذلك مع المغاربة الذين حرروا بلاده. وشعبه من ركل أحمذية الألمان.

واستعمارهم، وإن كان كل الذين كتبوا حتى اليوم ينفون ذلك ما عدا الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور في أعلامه الحرضانية والذي سنعرف بعد أنه في تلك المرحلة ولما يتجاوز سنة التاسعة عشر بدأ حرفة التجسس لفائدة الاستعمار الفرنسي الذي سيتخذ منه بعد وبسبب إخلاصه إلى جانب حمله للجنسية الفرنسية كجزائري تلمساني وقتها رقيباً على الصحافة الوطنية وهي أعلى وظيفة في التجسس والتي كان لايشغلها وقتها إلا فرنسي أصلاً أو روحاً.

اعترف الأبعاد والأقارب وكما رأينا من خلال النصوص المطبوعة أنه كانت هناك شبكة للمحور في المغرب إذ في السنوات الأخيرة من العقد الرابع، ازداد نشاط ألمانيا وإيطاليا في المغرب كما رأينا وربما وبتخطيط تأسست شبكة جديدة للمحور في تطوان، كان من أبرز عناصرها الوطني المتظلم والمغمور ابراهيم الوزاني التازي الذي أشرنا قبل إلى أنه التجأ إلى المنطقة الشمالية الواقعة تحت النفوذ الإسباني اثر حوادث 1937 وبعدما كان يسكن مع والدته السيدة خديجة في حومة الطالعة بفاس المدينة يقول رفيقه في درب الكفاح الوطني الحاج أحمد معينو الذي رويت عنه بعض ترجمته، وعن ابن عمته العدل ح الحسين بن سعد شقيق عبد الرحمن بن سعد.

كان ابراهيم الوزاني من الذين وقعوا تحت تأثير الدعاية النازية التي كان يتزعمها في المنطقة "تيودوراور" وغيره من أنصار المذهب النازي الذين انتشروا كذلك أيضا في منطقة النفوذ الفرنسي، والذين وجدوا لهم مجالا بسبب ما انتهى إليه الفرنسيون من استعمال كل وسائل القهر والإذلال ضد المغاربة، ولما أعلنت الحرب وقوي نشاط الألمان إندمج ابراهيم الوزاني بصفة أشد ثم جر معه جماعة من الوطنيين الذين كانوا على نهجه من أبناء المنطقة، والذين كون منهم جماعة عرفت بنشاطها الوطني(44) وقد عرفنا عليهم الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور في تقريره الذي كتبه لإدارة الشؤون السياسية الفرنسية معرضا بهم وفيما نشر بعد باسم "الاعلام" الحرضانية وهم بعد ابراهيم الوزاني وابن خالته:

(44) راجع أعلام الجاسوس المشهور عبد الوهاب ابن منصور ج/1 مقابل ص184. المطبعة الملكية بالرباط 1978.

- 1- عبد الرحمن بن سعد
- 2- عبد القادر العلمي
- 3- عبد الرحمن أنكاي
- 4- المختار الوسيّني
- 5- عبد القادر السعيدي
- 6- عبد الرحمن الفلوس
- 7- أحمد بن تاويت
- 8- أحمد بن الرقاد
- 9- محمد التسماني
- 10- أحمد بوسلهام
- 11- محمد عيسى
- 12- الصديق الصفيروي.

وعند كثير من هؤلاء من ترجمة الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور ما يكفي للدلالة على الدور الساقط الذي قام به وقتها وما أحدثه بين الوزاني والطريس إلى درجة أن نتونته أركمت الأنوف ونشرت الوباء وكما سنرى حول حوادث 1944.

وهكذا لما استقرت أحوال ابراهيم الوزاني المادية استقدم ابن عمته عبد الرحمن بن سعد التازي، كما استقدم صاحبه بل غلامه الذي كان قد تركه بفاس وهو عبد الوهاب بن منصور الذي تقول الرواية أنه ما كاد هو الآخر يستقر بتطوان حتى تعرف على زبون آخر أقوى من صاحبه الوزاني الذي كان قد دخل في صراع عنيف مع القوي المغربي لصاحبه، بحيث ظاهريا اتخذ الصراع صبغة سياسية والواقع أنها كانت خصومة نواسية يتندر بها المعاصرون حتى اليوم، ولسوف تتطور الأوضاع إلى أن يرتمي بسببها عبد الوهاب بن منصور في أحضان إدارة الشؤون السياسية الفرنسية، وحتى يبرر موقفه سوف يجر كل الأذى على كبار الوطنيين إثر تقديم عريضة الإستقلال كما سنرى في يناير عام 1944 ومن خلالها التقرير الكاشف الذي تطوع به ابن منصور لإدارة الشؤون السياسية الفرنسية وقتها عندما ألقى القبض على عبد الرحمن بن سعد، فخاف

ابن منصور على نفسه وقدم التقرير المذكور ورغم كل ما أورد ابن منصور من فظائع وفضائح يستدل بها على حقيقة ابن منصور قبل أن يوصم بها الوزاني الوطني الغيور والمتظلم رحمه الله، والتي ورد فيها ما يدل على صحة ما سنعرف بعد من خلال ترجمة الجاسوس المدسوس بل المشهور عبد الوهاب بن منصور نُورد ما يلي حول نشاط الوزاني مع النازية ولصالح المحور ضد فرنسا واستعمارها الظالم كما يقول صاحبه بن منصور الذي كان عليه أن يكون هو آخر من يصف الاستعمار الفرنسي بالظلم وهو الذي خدمه بإخلاص ووفاء لم يزاحمه فيه إلا التمسساني المحكوم بحرمانه الأبدي من صفة مواطن والمهاجر اليوم عند ساداته الفرنسيين الذين لا يتنكرون لأصفيائهم، واليك ما يقول ابن منصور في صاحبه إبراهيم الوزاني بلا خجل ولا وجل:

"ولما اشتعلت نيران الحرب العظمى الثانية، ووقفت إسبانيا الفرنكية موقفا متعاطفا مع دولتي المحور، وضع المترجم يده في أيدي الألمان والاطليان كما وضعها في أيديهم عدد من قادة الرأي في الأقطار الإسلامية.. كما سعى في إنشاء محطة سرية للاتصال اللاسلكي بالرباط "؟" لتوجيه الأخبار إلى طنجة وتطوان، وتلقي التعليمات منهما، وكم من مرة اكتشف الحكام الفرنسيون حملة هذه الرسائل والمناشير فاعتقلوهم واعتقلوا من وجهت إليهم بغير علمهم وأخذوهم بجرم لم يقترفوه، منهم من قتل ومنهم من سجن بعد ما عذب "؟؟؟" ثم يضيف في تكلف واضح الافتعال ومسديا خدمة لزميله في الصنعة "ومن ضحايا هذه الرسائل والمنشورات الأستاذ أحمد ابن سوادة "الوزير المستشار" الحالي لجلالة الملك الذي لم ينج عنقه من حبل المشنقة إلا بأعجوبة "؟ ونسي أن ابن سوادة القومي أيضا في هذه المرحلة كان فقط يتقلب حسب إشارة أمثال أحمد بن المعطي بوهلال، والذي هو الآخر له دور في مجال القوم، بل أضاف إلى ابن سوادة ابراهيم الكتاني ورشيد الدرقاوي "الذان حكم على كل منهما بثلاث سنوات والنفي سنتين ومصادرة أملاكهما، وكذا ابن خال المترجم. ومبعوثه في هذه المغامرات عبد الرحمن بن سعد الذي قال عنه التمسساني "؟" والذي قضى سنين طويلة في السجن بعد أن كاد يموت تحت العذاب" إلخ إلخ ونسي ابن منصور أن يقول لنا أن ابن سعد كان لا يعرف ولا يثق إلا في القوميين ولذلك قصدهم "بمناشيره" ونسي أن يقول لنا إن ابراهيم الكتاني وقتها

كان قوميا، بل ونسي ان يقول لنا أنه في هذه المرحلة مرحلة سقوط فرنسا واشتداد وطأة الرقابة كان هو نفسه الذي تحول إلى عميل في قلم المخابرات الفرنسي بإدارة الشؤون السياسية بالرباط، وذلك في الوقت الذي كان الوطني المتظلم عبد الرحمن بن سعد التازي يقوم بدور الموزع المناشير الدعاية لصالح المحور وضد الفرنسيين في عموم التراب المغربي، إلى أن سينتهي به المطاف إلى مدينة أزرو ثم كرانو (45) حيث العميل عدي وبه، مرورا بمدينة الرباط التي كانت محطته بها منزل المرحوم إدريس رودياس الذي سجن كذلك ومنه كانت توزع المناشير على كل من عرف بعدها للاستعمار الفرنسي في الرباط كما سنرى وكما سيسجل أسماءهم ابن منصور في تقارير ويقدمها لإدارة الشؤون السياسية بالرباط.

قيل إن عبد الرحمن بن سعد كان يعمل أيضا بقلم المخابرات الانجليزي يقول ابن منصور في أعلامه. وعبد الرحمن بن سعد هو ابن عمه ابراهيم خديجة بنت الفقيه، الطيب بن سعد والذي بعد التعذيب صودرت ممتلكاته بحكم يوم 1945/11/3 ثم حكم عليه بعشرين سنة سجنا، وكان الذي اشترى ممتلكاته هو شقيقه حسن بن سعد الذي يعمل اليوم عدلا بمدينة سلا وليس عبد الرحمن هو الذي عذب فقط بل والده خطيب الجامع الأعظم بتازة وأخويه الحسن بن سعد العدل حاليا بمدينة سلا وشقيقه الثاني محمد بن سعد المفتش بمندوبية التعليم بوجدة، بل وغيرهما في الناحية الشرقية بني يزناسن وقد كان أهل تافوغالت من بني يزناسن من الذين نالهم النكال بقسوة قاسية وعننف عنيف وهم اليوم وفي عهد الاستقلال كغيرهم من الوطنيين الصادقين يتعرضون لنكران الجميل، ففي أبركان مثلا وليس على سبيل الحصر السادة الحسن شاطر الوكوتي الذي أبعده إلى أسول حيث ربط المنفى بينه وبين الوطني الغيور الحسن عابي البوكيلي ساكن مدينة الريش حاليا وابن امرو الوكوتي المتوفى بالرباط 1992 في حالة يرثى لها وهو الذي عرف النفي في عهد الاستعمار إلى الطاوس ويونيب ومحمد بن عبد الله الحافي، وعبد السلام بن الحاج مولاي، ومحمد بن اسعيد الورطاسي وقدرور الورطاسي، ومحمد بن الطيب الورطاسي، وفي تافوغالت السائح بن عمر الوسلاتي والشيوخ حماد بن بومدين

(45) مكان كانت تمر منه قوافل التجارة بين فاس وتافيلالت فلا تحب الإقامة فيه.

اللياوي، وعمرو لعميري، وفي قيادة الدخيسي، محمد بن عبد النبي التزغيتي، وفي وجدة أحمد بن دالي، ومحمد بن عبد الله الصغروشني وكل هؤلاء ألقى عليهم القبض عام 1944 وكلهم اتهموا بالمحور وقد نالهم من تعذيب الضابط الفرنسي المختص "باشلو" مانالهم في سبيل الله والوطن، والسبب ذكر اسمائهم فيما حمله ابن منصور من أوراق الذين كانوا يتلقون النشرات التي كان يصدرها ابراهيم الوزاني والتي قدمها ابن منصور ضمن ما قدم من تقرير بقي في محفوظات وزارة الداخلية إلى سنة 1959 ومنها انتقل إلى خزانة عبد الكريم الفيلاي بعد ما كان في طريقه للحرق بأمر من المهدي الصقلي المفتش العام لوزارة الداخلية وقتها وقد نقل التقرير من خزانة المؤلف إلى الخزانة الملكية يوم 14/6/1968 كما سنرى مفصلا بعد.

كانت اتصالات عبد الرحمن بن سعد تسجل لدى السفارة الأنجليزية(46) التي أشارت بوضعه تحت الرقابة الفرنسية بإشراف "كونينو" ومساعدة عبد الوهاب بن منصور التلمساني الفرنسي الجنسية وصديق ابن سعد وهكذا فإنه حول ابراهيم الوزاني ونشاطه في الدعاية للمحور لم يقتصر على المغرب بل تعداه إلى مصر حيث كان يوجه إليها من أجل التمهيد للبعثة الثقافية التي كانت اسبانيا قد سمحت بتوجيهها بإشراف محمد المكي الناصري أيام "بيك بيدير" والانفتاح الذي عرفته المنطقة، لكن الوزاني لم يوفق في مصر حيث تناولته الصحافة المصرية بالنعت المحوري الذي كان السبب في إخراجهم مطرودا منها وقد لاحقته تلك الصفة إلى سنة 1952 حيث حصل التنكير بها من "الحزب بالاتصال مع سامي حكيم محرر الشؤون العربية بجريدة الأهرام وهو بدوره نقلها إلى فتحي الذيب المسؤول الأول عن قلم المخابرات بالجيش المصري، وبذلك حرم الوزاني من الإقامة بمصر التي لم يكن وقتها للحزب الذي ينتمي إليه وهو حزب الشورى حظ ولا نصيب بمكتب المغرب العربي بالقاهرة رغم المحاولات التي بذلها المرحوم محمد بن عبد الكريم الخطابي تأييدا للاستاذ الوزاني رحم الله الجميع.

(46) ومن اخبر ابن منصور أن ابن سعد وضع تحت الرقابة بتوجيه من السفارة الانجليزية إن لم يكن ضمن رجال المخابرات الموكل لهم ذلك خصوصا في تلك المرحلة.

أمام كل هذا نجد من يهمس في أذن الكاتب الأمريكي دوجلاس(47) "الذي كتب ما كتب بعنوان التطورات السياسية في المملكة المغربية حيث قال "ازداد نشاط ألمانيا وإيطاليا وتأسست كتلة جديدة للمحور في تطوان تحت زعامة ابراهيم الوزاني وهو لاجئ من المنطقة الفرنسية كان قد هرب أثناء حركة الإعتقالات التي كانت قد جرت هناك1937".

ورغم أن دوجلاس يقول أنه استقى من جوليان وريزت من الأوربيين وعلال "الفاسي" من المغاربة فإنه لم يتوصل ولا الذين استقى منهم إلى حقيقة ما عرف للدعاية النازية في المغرب، بل حتى الخبر الذي ساقه حول إتهام الوطنيين الذين أشار إليهم مع أحمد بلافريج لم يزد على أنه قال "قرر المقيم العام إلقاء القبض على بلافريج واليزيدي وستة عشر آخرين من زعماء الوطنيين بتهمة التعاون مع الألمان" وقد نفى دوجلاس هذه التهمة إعتقادا على ما أورده(48) ريزت وجوليان، على أن النفي الصادر عن جهل من الذين يؤرخون لبلد يجهلون عنه الكثير، يكذبه المغاربة أنفسهم، خصوصا الذين تجردوا للبحث من أجل التاريخ والكشف حتى يتميز الخبيث من الطيب، وحتى تتعرف الأجيال اللاحقة على تاريخ هذا البلد كما هو وليس ما يريد له المفلسون، خصوصا وأن كل الاتصالات التي كانت في هذا المجال مع المحور كانت من أجل خلاص المغرب من قيود الاستعمار الفرنسي ولم تكن من أجل الخيانة والعمالة؟ على أن هذه الاتصالات أيضا كانت حقيقة وواقعا عاشه بعضهم أمثال محمد اليزيدي بوشعيب والذي ذكر أنها كانت

(47) راجع الكتاب المذكور ص 69-70 فصل 2 وت 54 منه ط بيروت 1963م، على أن جل ما كتبه دوجلاس هش يحتاج إلى تصحيح، خصوصا ما استقاه من الأفواه غير النظيفة والتي فيها ماء، ويكفي أنه بكل بساطة كان يكشف القائل، وإذا لم يفعل يعرف من السياق، ولا داعي للخوض في ما لم يكن له أي مفعول في النفوس ولا في تاريخ المغرب السياسي، لأن الغاية من عمل دوجلاس كانت هي وضع "فيش" للمغرب بمنظمة "لاسيان" قلم المخابرات الأمريكي، وقد حصل بعد مباشرة وبواسطة المشرفين.

(48) راجع كتاب الأحزاب السياسية في المغرب ص 145 ط 1955 بياريز، وأندري جوليان في تاريخ المغرب ص 345 ط 1953 ولو أنه اطلع على كتاب كشف الستار لحامد المليجي ص 57 ط القاهرة صفر 1356هـ مايو 1933م لما انساق وراء الهادف الهش مثل الدساس أندري جوليان الذي احتقى به الأغبياء من المغاربة اغترارا ببعض الظاهر الذي لم يتعرفوا على غيره بدافع الجهل ثم راجع كتاب الجواسيس المتأمرون في إسبانيا تأليف ف سبيلها جن ص

في نوفمبر 1942 (49) وهو الشهر الذي نزل فيه الحلفاء بالمغرب مما يضفي على الرواية نوعا من الافتعال لأنه لم يروى إلا بعد أربع وأربعين سنة؟ وهو في جل ما يروى عنه غير أمين.

لقد ورد في جريدة العلم أيضا عدد 7751 بتاريخ 11/9/1971م أن الاتصالات التي قام بها الوطنيون "مع الألمان كانت قبل نزول الحلفاء؟" وكان محور المحادثات مستقبل المغرب رغم عدم وضوح الاتجاه، واقتصر الأمر على مبادلة الآراء بصفة عامة، لكن من المتصل؟ ومع من اتصل؟ هذا ما أطلق في الهواء مع دخان القطار ليلا، ومثل هذا القول أيضا قاله الأستاذ الهاشمي الفيلاي الغرقي ثم الانصاري في كتابه دروس في تاريخ المغرب ص 267 ط 1958 لكنه قول غير مسند بحجة رغم أنه من رجل صادق نزيه لأن أكبر الرؤوس وطنية وقتها لم يكن لها أي مؤهل ولا أية وسيلة للاتصال بالحلفاء الذين هم بريطانيا وأمريكا وفرنسا، لكن السذاجة وعدم إدراك معنى التوثيق التاريخي تدفع غير المركز إلى قول ما لا يقبله العقل ومنطق الحوادث ناهيك وأن مركب النقص كثيرا ما يدفع الأغبياء إلى الكذب حبا في الاستعلاء اعتبارا منهم أن مذكرات الشعب المفتري عليه ضاعت ولم يعد ثمة من يحافظ عليها، وهذا هو ما ذهب إليه بائع مدرسة الشعب بل النصاب القادري والمضحك ابن سودة والمنعوت ابو طالب والدساس المعروف المهدي ابن لونه أولئك الذين لهم في مذكرات الشعب المفتري عليه وما كتبه الأستاذ علال الفاسي من فصول أعرفها وأعجب من عدم الإفصاح عنها.

ومهما يكن فإن كل ما قاله القوم لا يعتمد تاريخيا، لأنه بعيد عن الإقناع، وبالتالي

(49) راجع جريدة العلم عدد 8230 بتاريخ 11/1/1973 ص 3 عمود 3 وإن كانت رواية الزبيدي غير مأمونة لأنه لم يستطع المحافظة على رأسه وقت اقتطاف الرؤوس قبيل وبعد الاستقلال وبمعنى آخر أنه رضي لنفسه أن يحتل منصبا تشريفيا رئيسا لإدارة منجم جرادة ويتقاضى مرتبا ضخما على حساب المستضعفين وهو بمنزلة زنقة الجبلي رقم 9 بالرباط من غير أن يقوم بالمهمة لعجزه أولا لأنه لم يكن غير قابض ضرائب متجول على دراجة هوائية في شبابه وليس له من الدراسة ما يؤوله للإشراف على إدارة المنجم الذي تشرد عماله ولأنها ليست مهنته ثانيا مماجر على المنجم العجز، والإفلاس بل زاد أكثر حين طلب عام 1986 امتلاك قصر هو في ملكية المنجم بثمن قدر خديعة بـ 50 مليون سنتيم دفعت عليه، كما سنرى في حين بيع القصر بمليارين ونصف هذا في الوقت الذي انتهى فيه الرجل إلى عجز الشيخوخة بإشرافه على 90، وحتى الولد الوحيد الذي كان منتظرا أن يرثه توفي. أف للنهم والشره من المجرمين في حق شعب يتكاثر للفقر والجهل والمرض انه الاستدراج الإلهي من أجل الطمس والتمزيق والتشويه.

فإن هذه الصفحة من تاريخ المغرب السياسي رغم أنها تمثل حلقة لا بد منها للربط بين حوادث فترة معينة وحاسمة، تعرضت للإهمال وعدم العناية، حتى من الذين تعنيهم مباشرة ، والذين تمثل صفحة من تاريخ مذكراتهم الشخصية، والسبب في إهمالها لم يكن مقصودا بقدر ما كان ناتجا عن عدم الاكتراث شان القوم جميعا .

يقول علال الفاسي من غير أن يعرفنا عن المصدر الذي استقى منه في الحركات الاستقلالية ص 266 ط 1948 إن الألمان حاولوا أن يجدوا من رجال الحزب الوطني مساعدا لهم على عملهم فلم يظفروا بأحد" ولعل السبب في ذلك هو "معرفة الوطنيين الذين كانوا في فرنسا بحقيقة الألمان"؟ يقول الفاسي، ومعنى هذا وكما قال حول دعاية الألمان وما قام به بلافريج من أجل التعرف على اتجاهات الألمان أي المحور، وأنه أيضا تعرف على مواقفهم بعض زعماء العرب لأن ألمانيا كانت لا تريد أكثر من تشييد امبراطورية مبنية على التفوق الجنسي الآري، وبذلك كتب للإخوان اي بلافرج يحذرهم من أكاذيب المحور" ومعنى هذا وهو الواقع أن بلافريج لم يتصل فقط بالألمان، ومن عرف طبع هذا الرجل المفكر السليم والرصين، لا يغامر الشك أن مثله لا يندفع، بل في كل المواقف مهما كانت حدة تأثيرها لأنه كان لا ينفعل بقدر ما يستقرئ الرأي ويتدبره ومن خلال ذكر علال للزعماء العرب الذين تعرف عليهم بلافريج ومن خلالهم على مقاصد الألمان يدرك من المعني وأنه شكيب أرسلان الذي تعرف عليه بلافريج وعمل معه مدة منذ عام 1938 والذي كان يلقبه في مراسلاته المغاربية بـ ولدنا أحمد- نور العيون- قرة العيون ولو لم يكن له من نعت جميل غير هذا لكفاه راجع بحذر ما كتبه بعضهم في تطوان ثم سماه نضالهم القومي "ط بنونة ص 83 ط طنجة 1980" وأما التهمة التي وجهها الفرنسيون لبلافريج بعد، فقد كانت غير صحيحة وإنما كانت من وحي تقرير عبد الوهاب بن منصور، وهو التقرير الذي سوف نتعرض له بعد بتفصيل ونتعرف على فضائحه وهكذا فالفرنسيون في الواقع بنوا تهمهم لبلافريج ورفاقه الستة عشر الذين ذكرهم دوجلاس على فرية ما ورد في تقرير الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور، الذي هو اليوم موسخ للملكة، والذي سوف نتعرض لموضوع فريته التي افتراها ضد الوطنيين كي يبرر بها موقفه حين هرب من صاحبه ابراهيم الوزاني وأقبل على العمل بإدارة

الشؤون السياسية وحيث عين كجاسوس ورقيب على الصحافة الوطنية وقت إلقاء القبض على عبد الرحمن بن سعد التازي، كما سنرى والذي زكى تهمة الفرنسيين لبلافريج أيضا اعتمادا على ما قرره لهم ابن منصور الذي كان يعلم ان بلافرج كان يتلقى المناشير التي كان يوزعها بن سعد وعلاقة بلافريج مع شكيب أرسلان الذي عرفنا أنه كان من المناصرين للمحور الناقمين على الاستعمار الفرنسي، وبلافريج عمل إلى جانبه في الصحافة قبل بجنيف لمدة ثلاث سنوات من 1930 إلى 1933م بل وفي هذه الفترة عمل معه محمد بن الحسن الوزاني، ولولا أنه كان منذ 1937 مبعدا بقرية إتزري بالأطلس المتوسط تحت الرقابة الفرنسية، لشملة التقرير ولفقت له التهمة التي إفتراها ابن منصور والتي نكبت الكثير من الرجال.

وفي هذا الموقف أيضا لا ننسى ما عرف من محاولة لزعيم حزب الإصلاح الذي كانت له ظروف خاصة مع الألمان. تلك التي إندفع إليها عبد الخالق الطريس إقتداء بعبد السلام ابن لونة الذي كان من عملاء الاسبان المقربين، خصوصا مرحلة بيك بيدير الذي أعطى بسخاء حين انساق مع الماسونيين المغاربة في المنطقة ولعل في وثائق وزارة الخارجية الاسبانية من عمالة عبد السلام بنونة وكذلك المهدي والطيب ما يستدل به على خدمة القوم لفائدة الاسبان، اعداء الفرنسيين بل وضمن وثائق علال الفاسي وما كان يتلقاه من مراسلات الاصفياء في الشمال وفيها ما يكفي للدلالة على ذلك، منذ عهد بيكبيدير الامر الذي دفع بوطنية الطريس أن يستغل الانفتاح الفج المصطنع للاسبان مع المغاربة في المنطقة الشمالية، وميلهم للألمان ضد فرنسا، مما دفع بالطريس أيضا الى القيام بزيارة لبرلين في مطلع عام 1941م اتصل أثناءها بإثنين من وزراء هتلر، هما "غورينج وهملر" دون أن يحقق أي نفع غير الحكم عليه غيايبا ومن طرف فرنسا بالإعدام عام 1944م، وأنه هو الآخر شمله التقرير الذي جاء فيه أن الذي كان وراءه من مؤيدي زيارته لبرلين وتعاطفهم مع المحور اولاد بنونة ومن سماهم محمد عبد السلام والخطيب، وعبد القادر والرياحي، والطيب السبتي، ومحمد داود الخ كما وردت في تقرير ابن منصور أسماء بعض المشاركة من الذين لهم علاقة بالطريس من غير شكيب أرسلان، وإذا علمنا أن ابن منصور لما اختلف مع صاحبه ابراهيم الوزاني كان قد إستعمله

الطريس زما، لكنه رماه عندما لاحظ عليه الحنين إلى المنزل الأول، ولعل لتلك الفترة تاريخ يحفظه كل من الناصري ومغنيو، بتفصيل وإن كان الذي سجل كل تفاصيله هو المرحوم عبد الرحمن أنجاي، وبلا شك هو في ذاكرات كل من المختار الوسيني: وعبد القادر السعيد وعبد الرحمن الفلوس، والاستاذ محمد بن تاويت. وأحمد بن رقاد والزميل المجرم الجاني محمد التسماني، وأحمد بوسلهام، ومحمد عيسى والصدیق الصفريوي(50) هؤلاء الأحياء من الذين كانوا مع إبراهيم الوزاني في منظمته التي أُلّف بين أفرادها من أجل مقاومة الاستعمار الفرنسي إعتمادا على مساعدة الإسبانين والمجور، وإذا كانت النوايا صادقة من الجميع وقتها، فإن خاتمة بعضهم كانت سيئة بسبب خيانة الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور وزميله الجاني محمد التسماني الذي يعيش حتى اليوم محروما من صفة المواطن المغربي جزاء خيانتة وما قدم ضد المغرب والمغاربة، بعد لما هرب ابن منصور الى تلمسان بالجزائر فحل مكانه التسماني الذي لا يختلف في شيء عن خيانة ابن منصور وربما دونه، كلاهما عمل جاسوسا بإدارة الشؤون السياسية الفرنسية وكلاهما عمل رقبيا على الصحافة الوطنية، بل ابن منصور كان يحمل الجنسية الفرنسية ثم بقيت له ولأسرته حتى بعد إستقلال الجزائر وبسببها أُلقي القبض على ابن أخيه وقت عبوره للحدود الفرنسية رفقة "زميل" بسبب فرار "علي" بن منصور من أداء الجندية كفرنسي الخ.

هذا بعض ما أهمل من تاريخ علاقة أبناء المغرب العربي بالمجور والدعاية له في الخارج مما يستدل به على حقيقة أنه كان هناك إتصال لبعض الوطنيين القوميين الذين لا يمثلهم ابراهيم الوزاني فقط وإنما غيره ممن ذكرناهم وان هذا الاتصال لا يغير من معالم الصفحة المشرقة لتاريخ الوطنية في المغرب قليل ولا كثير، بل كان من أجل هدم الاستعمار الفرنسي قبل كل شيء.

لكن بعد كل ما سبق ماذا عن الدعاية للمجور في داخل المغرب، وكيف كان تنظيم الشبكة التي كانت تروج لتلك الدعاية في الداخل ومن هم الأفراد الذين إستجابوا لها، وكيف كان الربط بينهم.

(50) راجع: أعلام بن منصور المذكور قبل 184/1 ط الملكية 1979 على أن الذي دفع ابراهيم الوزاني إلى تلك المغامرات هو وعيه القوي المبكر وقتها وينظرة خاطفة على بعض ما ورد في مذكرات "روبنتروب" حول توجهات ستالين باسم الروس وغيره نتعرف على واقع الالمان وما كانوا عليه وقتها.

لقد كان بطل هذه الشبكة رجل شبه مغمور عند المغاربة لكنه مشهور في الأطلس المتوسط، وكل ما عرف به أن له زاوية تابعة للطريقة التيجانية التي وقع في حبالها نصابها العميل المجرم في حق الإسلام والمسلمين ابن عمرو التجاني فكانت لطريقته الضالة زاوية بمدينة أزرو يقوم بكل شؤونها الوطني الصادق الغازي هلال الذي أسسها في عقار له ومن ممتلكاته، ثم جهزها بإمكانياته البسيطة يستقبل زوارها ويطعم الغرباء الواردين عليها من ماله وما كان يجمع من تبرعات اصدقائه، والدافع لكل ذلك جذور تمتد أصولها وتستمد استمرارها من مشيخة جده الغازي بن العربي الحسني شيخ الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، ذلكم هو سليله صاحبنا هلال بن محمد بوزماون(51) الذي كان مقره مدينة أزرو، وقد عرف بين أهلها بكل ما سبق وما سنفصل بعد.

كان هلال من الوطنيين الصادقين الذين شمروا لمحاربة الظهير البربري من أول وهلة في الأطلس المتوسط، وحتى إذا ما ظهرت الدعاية للمحور ضد الاستعمار الفرنسي وجدها فرصة للعودة الى ما كان له من إتصالات مع الذين استجابوا قبل بحماس لمحاربة الظهير البربري، من عامة المواطنين ولعل ظروف التذمر من الفرنسيين المعتدين وقتها وقد سقطوا شجعتهم على الاتصال ببعض رجال السلطة المغاربة الذين أنس منهم العون على الثورة إذا ما قامت في الأطلس المتوسط والكبير وتأييدها، لكن كيف كان إتصال هذا الرجل بالعاملين للمحور من المنتصرين له، حتى أنه أخذ عن طريق الحجاز الى الشام والعراق ثم اتصل بشخصيات لم يكشف له عن الاسماء الحقيقية لأصحابها

(51) هلال هذا من سلالة الشيخ الغازي بن العربي الحسني دفين سجلماسة وهلال من مواليد 1303 وكان والده محمد يلقب بـ "بوزماون" ومعناه باللهجة البربرية قاتل السباع إذ تقول الرواية المحلية أنه قتل آخر أسد كان بالأطلس المتوسط وقد رويت عن هلال قصة تعاونه مع المحور مرتين متباعدتين زما حتى أتأكد من صحة روايته، كانت الأولى رفقة المرحوم الوطني المعروف حميدة بوعريش الودغيري الفجيجي رئيس أزرو يوم 1959/1/10 والثانية رفقة الاخ هلال العربي الودغيري يوم 1975/1/15، ورغم طول العهد لم أجد خلافا في الرواية إلا ما كان من تقديم أو تأخير بعض الأسماء. وقد توفي هلال يرحمه الله يوم 27 رجب 1409هـ/1988م بمدينة أزرو وبها دفن وكم كنت أود لو أن ولده المعروف باسم "غازي الشيخ" بإذاعة المغرب تقدم لكتابة مذكرات والده التي فيها الكثير من مواقف الآخرين سلبا وإيجابا حول الظهير البربري وقد كتب حوله بويكر القادري صفحة في جريدة "العلم فبراير 1967" أورد فيها بعض المواقف التي سوف نتعرف عليها بعد راجع تعليق 63 بعد.

وإن كان يصفها بكل دقة، وربما منها رشيد علي الكلاني.

إحتفظ هلال بذكريات أول إتصال له كان قبل سقوط فرنسا بسنتين مع أحد المهندسين الإيطاليين بقرية الريش من الأطلس المتوسط عام 1938 تعرف عليه بمنزل عدي وبه، ثم أخذ يتردد عليه خفية كلما مر الايطالي بمدينة أزرو، كما كان يتردد على غيره من الذين تعرف عليهم في مدينة أزرو وكذلك تمكنت صداقته معهم أمثال حدو واعي آيت لحسن، وموحا والهادي، وحمو والغازي، وعبد الله بن أحمد البلغيثي العلوي، وكل هؤلاء انتقلوا إلى رحمة الله، وقبل نهاية 1939 وكان كثيرا ما تناول معهم المهندس الإيطالي في حديثه خبث الفرنسيين وعدم احترامهم للدين وكراهيتهم للإسلام والمسلمين، مما جعل هلال وغيره يغتربون ويطمثنون إليه وإلى أسلوبه الإعلامي الذي كان قبل نهاية السنة المذكورة وحين قامت الحرب جاء إلى هلال بمجموعة من المناشير عليها صور الصليب المعكوف، وتكررت الإتصالات التي انتهت إلى اقتناع الوطني هلال، والذين معه بالعمل ضد الفرنسيين الذين قامت قيامتهم، والذين مؤكدا وحسب الدعاية سينتصر عليهم الألمان فيتمكن منهم الضعف وتحرر البلاد من شرورهم ولذلك قام هلال بجولة في الأطلس المتوسط تردد خلالها على مجالس القواد ورجال السلطة الذين كان له بهم اتصال، وهم الذين سنتعرف عليهم بعد بالإسم، وذلك حتى يتعرف من خلال ما كان يروج في مجالسهم حول الألمان والفرنسيين، وما كادت الضربة القاضية تهوى على فرنسا وتنداس بأحذية الألمان عام 1940 حتى وجدها الكل وسيلة للتشفي في الذين بالغوا في إهاناتهم للمغاربة وتقتيلهم بلا رحمة ولاشفقة، وحتى إذا ما أطلق سراح المعتقلين من الوطنيين كذلك كان أول الناس اعتقادا بالنهاية حسب الضعف الذي انتهت إليه فرنسا وأنه لا محالة سيحل الألمان محل الفرنسيين حسب معطيات الفكر البدوي الذي كان هو مجال هلال وميدان اتصالاته. وفعلا بدأ هلال يوزع المناشير التي أصبح يزوده بها المهندس الإيطالي، وإذا هو لم يحصل ما يكدر في المرة الأولى فإنه خطى خطوة إلى الأمام بالاتصالات التي امتدت إلى ما خلف المنطقة غربا إلى بني ملال ثم بلاد أحمر وناحية مراكش وسوس، وكان الذي يلح عليه أكثر في التعرف علي مصدر المناشير هو عدي وبه ولحسن اليوسي وأخذ رواج فكرة النقمة ضد الفرنسيين في الانتشار، وتكثفت

الاتصالات من سوس إلى وجدة، وفجأة اختفى المهندس الإيطالي 1940 ليحل مكانه في التزويد بالمناشير المدعو عندهم بـ عبد الرحمن الطنجاوي، الذي كان يتحدث عنه المهندس الإيطالي، ويصفه لهلال وللآخرين بنعوت كلها بطولات علما ودينا وصلاحا إلخ.

وفعلا كان أول يوم قدم فيه "عبد الرحمن الطنجاوي". وما هو إلا عبد الرحمن ابن سعد التازي التلمساني الأصل وابن عمه ابراهيم الوزاني(52) وحامل تعليماته ومناشيريه والذي كانت وجهته هذه ولأول مرة مدينة أزرو حيث صاحب الزاوية التجانية هلال، والذي كانت عادته المعروف بها، استقبال الغرباء وبإنفتاح وترحيب أكثر لمن يندمج وسط الجماعة التجانية حين قراءة "الوظيفة" التي كانت لازمة يوميا وقتها، ويتواعد لها بعض المريدين، وعرف ابن سعد وهو ابن خطيب الجامع الأعظم بمدينة تازة لمدة ثلاثين سنة، كيف يتقمص شخصية الرجل المغترب المتعلق بالدين، ومنطقة آيت امجيلد التي بها مدينة أزرو تعودت على استقبال الأشراف، وطلبة العلم، والمرابطين، وغيرهم من مستجدي الأعشار والصدقات، حتى إنه أصبح من العادة بينهم أن يكون لكل قبيلة، أفراد أو فرد ينتمي لآل البيت وخصوصا من أهل مدغرة تجمع له أعشارها وصدقاتها سنويا حتى لو كان من غير احتياج وهي عادة لا تزال باقية لم يتركها الأغبياء ولذلك لم يكن ثمت حرج على أي شخص يستضيف الغريب، خصوصا إذا كان في مظهره ما يوحي أنه ينتحل جانب الدين، أو ممن يبيعون صكوك الغفران بإسم آل البيت المفترى عليهم، وبعد صلاة العشاء التي صلاها عبد الرحمن بن سعد مع المصلين الذين لم يعرف منهم أحدا في زاوية هلال كان على هذا الأخير وقد اعتاد استقبال الغرباء - أن يأخذه معه إلى منزله المجاور للزاوية والمفصول عنها بزقاق ضيق، وإذا هو لم يكن وحده الذي تناول معه العشاء، فإن ابن سعد كان حديثه المفتعل حول التجاني وكراماته وربما كان قرأ لذلك "بغية" العربي بن السايح أو جواهر المعاني للتجاني مما أكبره في عيون الحاضرين الذين فارقوا مجلسه على مضض بعد تناول العشاء والسهر طويلا، حيث هيأه هلال

(52) هو ابن عمته السيدة خديجة يقول السيد حسن بن سعد شقيق عبد الرحمن والعدل حاليا بمدينة سلا، 1989 وله شقيق آخر مفتش في التعليم بمدينة وجدة.

مكان نومه ثم نبهه أنه سيستيقظ مبكرا لصلاة الصبح قبل طلوع الفجر، وفعلا أكد ابن سعد على هلال أنه كذلك لا بدله أن يستيقظ هو الآخر، وقبل توديعه سأله هلال عن إسمه ومن أي جهة هو، فأخبره أن إسمه عبد الرحمن وأنه من طنجة، وبدل أن يذهب هلال إلى مخدعه، أغلق باب البيت وجلس إلى جانب الرجل ثم كرر عليه السؤال، وبنظرة فاحصة وقلب مطمئن رد عليه بتكرار الإسم، والموطن، ثم زاد فأخرج من داخل ثيابه مجموعة من المناشير شبيهة بتلك التي كان يزوده بها المهندس الإيطالي، وكاد هلال يستريب من الرجل، لكنه إهتدى إلى وسيلة يتحقق بها من هوية الرجل، وهي أولا طلب منه أن يصف له المهندس الإيطالي وأين هو، فأخبره عن وصفه بكل دقة، وأنه شك في تشديد المراقبة عليه فاختمى ودخل لإسبانيا، وثانية حتى يتأكد هلال من حقيقة الرجل، سأله عن بعض من يعرف في مدينة مكناس، وأزرو، فأجاب به بأسماء الذين كان يتعرف عليهم المهندس وأنه بعد لم يتعرف عليهم، ومع ذلك بقي هلال لم يستجب لابن سعد إلا بعد ما قضى مدة ثم رحل وتغيب أكثر من شهرين، ثم عاد ومعه رسالة موقعه من جماعة من الكناس - يقول هلال إنهم - إستحلفوه بعدم ذكر أسمائهم أحياء كانوا أم أمواتا خوفا على أنفسهم وذويهم؟؟ ونظرا لما قطعه من عهد فقد امتنع عن ذكر أسمائهم لنا رغم كل المحاولات.

ومهما يكن فقد تمكنت الصلة بين هلال وعبد الرحمن "الطنجاوي" كما يريد منا هلال أن نسميه وكلما تمكن تقدم المحور كلما وجد هلال من الذين إتصل بهم إقبالا. أما عن الأفراد الذين تأثروا بالدعاية وأقبلوا على العمل لصالح المحور من عامة المواطنين فهم كثيرون، وقد كان لهم سجل مزقه هلال ثم أحرقه بسبب الظروف القاسية التي ألمت به بعد، وأما القواد ورجال السلطة الذين مكثهم من المناشير، والذين أبدوا استعدادهم للمساعدة إذا ما قامت الثورة وجلهم لصالح الألمان وكلهم يقول هلال كانوا من الراغبين في المحافظة على مناصبهم عندما سقطت فرنسا وتآلفت حكومة فيشي الموالية للمحور، ولم يكونوا بعد قد عرفوا الاتجاه الذي سيتحقق معه الانتصار، وهؤلاء هم القواد وغيرهم من الذين إحتفظت بهم ذاكرة هلال، وكما رتبهم في ذهنه وهم من القواد علي الزدكي ميدلت، وعدي وبه الزدكي، كرانو، واحماد اقمي تالسينت آيت بومريم، ولحسن اليوسي،

بأيت يوسي، ومسعود بقبيلة امتيوة، والعيادي بن الهاشمي قبيلة الرحامنة، وحدوث ميلود بامريرت، وسعيد العطاوي بواويزغت، وسنتعرف بعد على هذا مع الحنصالي عام 1951م ومحمد بن حدو تاكريرت، وقاسم بكرامة، وكان قبل شاوش ببومية ويسكن اليوم بأيت امجيلد، وحدو هموشه ببني مطير، والعربي أجوران ومحمد انعيشة، ومحمد ميمون بأيت أجادير ناحية إيتزر، ومحمد اعلى ايشقيرن، وزايد اسكنتي أيت مرغاد، وميمون اترمون بأيت مرغاد، وأعرجي بأيت مرغاد، والقائد اعلي بأيت احديدو والقائد المهدي المنتاكي بسوس، ومحمد بيضوض بإداوتتان سوس، ومحمد الجامعي بالرباط وعلال ولد اعمر وحميدو، والقائد أمهروق باخنيفرة.

هؤلاء بعض رجال السلطة الذين استطاع هلال أن يأخذ منهم الوعد بالمساعدة إذا ما قامت الثورة المسلحة ضد الفرنسيين بمساعدة المحور إن إقتضى الحال، وقد كانت هذه الثورة على وشك الوقوع في منطقة الأطلس المتوسط لولا ما حصل من إكتشاف الفرنسيين لعبد الرحمن بن سعد، عندما ذهب إلى عدي وبه من غير سابق معرفة، فالقى عليه القبض وقدمه بما معه من مناشير إلى الفرنسيين، أما وقائع تلك القصة فهي كما يلي:

أشرنا قبل إلى أن الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور أخبرنا أن ابن سعد كان يعمل في قلم المخابرات الأنجليزي وهو محض افتراء، وقد علمنا من الواقع أن الذي أخبر به الفرنسيين كذلك هو بلديه التلمساني الجاسوس المشهور عبد الوهاب ابن منصور، وبذلك وضعوه تحت المراقبة من بعيد، حيث إقتصرت تلك المراقبة على تحركاته بين الرباط والمنطقة الشمالية، وكان من نتائجها أن ألقى القبض على إدريس رودياس بالرباط وكان الذي أخبرهم هو الجاسوس المشهور والذي وجهت إليه تهمة التعاون مع المحور، وكان هذا إثر مرور ابن سعد بالرباط من غير أن تعلم إدارة المخابرات أنى إتجه، بيد أنه توجه إلى مدينة أزرو في أكتوبر عام 1943 قاصدا صاحبه هلال الذي كان قد مضى على التعامل معه ما يقرب من سنتين، لكنه ما كاد يتصل بأهله حتى أخبروه أنه متغيب وربما لن يحضر قريبا، وفعلا يقول هلال أنه كان قد توجه إلى بني ملال في زيارة

لصاحبه الباشا بوجمعة المسفيوي ووقتها طراً على ابن سعد أن يتوغل في الأطلس ويمدد رحلته(53) إلى حيث عدي وبه، الذي طالما حدثه عنه كل من المهندس الإيطالي وكذلك هلال.

كان عدي وبه وهو خائن مجرم قديم، وأبوه راعي غنم بقبيلة آيت ازدك إذ هو من فرع آيت ارهو أحد فروعها كما سبق، وهو من الذين مهدوا مع الفرنسيين منطقة الأطلس المتوسط، بل هو كما سيتعرف عليه في تاريخ عام 1957 غداة إعلان الاستقلال وكيف إستغله المفلسون والفرنسيون معا، حتى أنه كاد يجهض الإستقلال لو لا تدخل شيخ الإسلام الذي غل يده وفوت الفرصة على خصوم المغرب من الاستعماريين الفرنسيين في الداخل والخارج يتقدمهم الجنرال سالان بالجزائر فوت عليهم الفرصة التي هيأوها له ولغيره وفي هذه القصة كان عدي وبه عام 1943 وهو حاكم منطقة بتافيلالت من كرانو إلي آيت عثمان والذي كان يجتاز مرحلة عداوة شديدة مع الحاكم الفرنسي المحلي بدائرة الريش الذي هو القبطان "روسو"(54) وذلك بسبب حادثة قتل كان السبب فيها المسمى الحو احسن شقيق القائد حسن حاكم منطقة آيت خوجمان وكرس والريش وسكانه في آيت إنو وهو المزاحم لعدي وبه في المنطقة وأخوه هو الذي قتل أحد الأشراف بمقهى مدام كيمو التي كانت بآيت عتو بطريق كرامة وإذا ما تعلق آل

(53) وتقول رواية مولاي الحسن أحيزون بقرية إترز إن ابن سعد فعلاً مر بهم ورتبوا له الاتصال خفية مع الأستاذ محمد حسن الوزاني الذي كان مبعدا في قرية إتزار الواقعة في الطريق إلى كرانو موطن عدي وبه، وإذا كان أهل القرية قد أقبل الواعون منهم على الاتصال بالوزاني ندرك الجو الذي وجده ابن سعد وأنه توسع بلا شك في الحديث مع الوزاني حول مهمته ومقاصده، وهذا فصل من الفصول التي سقطت من مذكرات الوزاني فيما أعلم مما قرأت له.

(54) «روسو» هذا أدخلته وحشية عدي وبه تاريخ المنطقة حيث قيل فيه بالهجة البربرية « امستيموت «روسو» بنو غيف سرورت إسيكالي»، وقد أصبحت أغنية رددت كثيرا. ومعناها: إذا توفي «روسو» سنبنني عليه ضريحا لأنه الولي الذي خلصنا من حكم عدي وبه. ولعدي وبه قصص فاجرة يحتفظ بها الأدب الشعبي في المنطقة مثل قصته مع آيت الكاع الذين احتال عليهم بالنصب والاحتيال حتى أفقرهم انتقاما بسبب إبدائهم الرغبة في مصاهرته اتقاء لشوربه، فرأهم غير أهل لذلك، وأنهم تطاولوا... الخ. وقصة رسوله إلى المرأة المتزوجة بد أعلي التي راودها رسول عدي وبه اليها في الطريق وهو قادم بها إليه فأخبرت عدي وبه الذي أدخل الرجل على شقيقته في الظلام، ثم أمره أن يواقعها من غير أن يكلمها، ثم إن هي تكلمت قبل أن يباشرها تقتل، ولما حصل من الرجل ما حصل أوقد في وجهه المصباح، فوجد نفسه وقد وقع في شقيقته... إلخ أما الفرنسي روسو فقد قتل بعد حوادث غشت 1953 بالدار البيضاء بيد الفدائيين لأنه كان شديد الحقد على المغاربة.

القتيل بعدي وبه ثم دخل في صراع مع القائد حسن وآله فإن الحاكم الفرنسي روسو الذي شَم رائحة الارتشاء والفسق المكشوف (55) من عدي وبه، وقد كانا بمنزلة الهواء والماء في حياته الداعرة، حتى إنه من أجل ذلك أوقع الرجل في شقيقته لأنه أراد مزاحمته على امرأة متزوجة هي بداعلي التي إغتصبها عدي وبه من زوجها ثم كلفه باستقدامها وفي الطريق رواها عن نفسها مما دفع بها استخفافا به أن تكيد له عند صاحبه الذي دبر له ما دبر حتى وجد نفسه مكشوف العورة حين فاجأه عدي وبه ومعه المعاون عسو حاملا المصباح الذي كشف الرجل وقد واقع شقيقته في الظلام، وتلك يازمان مكرمة عظيمة من المكارم التي أهلت عدي وبه ليصبح إثر إعلان الاستقلال عاملا رشحه الذي لا يختلف عنه جهلا وغباء وهو الحسن اليوسي الذي أصبح وزيرا للداخلية وأصبح معه عدي وبه حاكما لإقليم تافيلالت الذي كان وقتها 1956 وقبل التقسيم يتمثل في مساحة قوامها 106000 كم و500000 نسمة وهو الأمي المجرم والخائن العريق الذي لم يكن أبوه وجده غير راع من رعاة الغنم وبأجرز هيد، بل وجراح المجاهدين من الآباء الصيد بالإقليم لا تزال من أثر غدره دامية.

هذا هو عدي وبه (56) الذي توجه إليه عبد الرحمن بن سعد مثقلا بالأمان والمناشر، وما كاد الرجل يكشفه بما في جعبته من أسرار حتى حسبها عدي وبه مكيدة

(55) له مذكرات سود في هذا المجال كما يعرف سكان المنطقة وكان المخلب هو المسمى الطالب اعلي من تاكيريبت بكرامة، وكثير من ضحايا عدي زوجات كن في عصمة أزواجهن، ومنهن أم بعض أولاده بد اعلي كما سنرى بعد. (56) يرجع عدي وبه أصلا إلى آيت رهو فرع آيت يحيى وخليفة من آيت ازدك، وقد كان والده في أول أمره راعي غنم حقيير، وللعلم فإن قبيلة آيت ازدك التي تعني "المزيين" أي الخليط لا ترجع إلى أصل واحد أو أصول متقاربة. بل عبارة عن خليط تواردوا علي المنطقة عندما أخلاها المولى اسماعيل كما سبق عام 1104هـ من قبيلة كروان وتولال ودخيسة ثم حولهم ناحية مكناس بعد ما قتل منهم إثني عشر ألف بدافع الانتقام جزاء ما قاموا به إلى جانب الدلائين في حرب الكارة بتافيلالت كما سبق عن الزياني وقد كان كبار آيت ازدك هم آيت السومر إلى عهد الفرنسيين الذين اختاروا المرتزق عدي وبه لسقوطه ودنائه وخيانتته، ولعل مخازي عدي وبه لاحصر لها ونذكر منها على سبيل المثال قضية دفنه للشاعر البربري عدي والمسعود الذي كان قد هجاه وذلك دفنه حتى العنق في مزبلة ثم خاطبه من ربه! وإذا كان الشاعر يعرف قصده فإنه أجابه بقول "أنت فأطلق سراحه بعد تهديد ووعيد والثانية : قضية بدا على بنت اسعيد نايت اعلي من آيت موسى وعلي زوجة سكر وعياش من نفس القبيلة اختطفها بواسطة أعوانه من بيت زوجها شبه عارية، ثم استأثر بها من غير أن يطلقها الزوج المذكور وقد ولد معها عدي وبه في الحرام من الأولاد امبارك، وفاطمة ورابحة، وخدوج، ومحجوبة، كما يعرف كبار القبيلة وصغارها ويردون.

مديرة من القبطان روسو أو القائد حسن فأوثقه بعنف عنيف وقسوة قاسية، ثم أمر بحمله إلى أن قدمه للقبطان روسو حاكم دائرة الريش، وتلك كانت بداية المتاعب التي تسببت في هلاك رجال وضياع أسر وخراب بيوت، في مقدمتهم ثاني رجل ألقى عليه القبض بعد إدريس رودياس بالرباط. هو هلال بن محمد "بوزمان" بأزرو والذي كانت وثائق الكشف عنه طرية وقريبة من تناول القبطان روسو الذي أخبر به إدارته العليا بقصر السوق والتي طيرت خبر اكتشاف الرجل الذي يسير أخطر شبكة تعمل لصالح المحور في المنطقة، لكنه من لطف الله وتدبير حكيم يقول هلال لم يكن ابن سعد يعرف غير ثلاثة من مكناس وأربعة في أزرو، ثم عدي وبه وهلال، وبعد العذاب الشديد الذي ذاقه عبد الرحمن بن سعد، والذي شمل والده الشيخ المسن والعالم الجليل المرحوم السيد الطيب بن سعد الذي كان قد مضى على خطابه بالجامع الكبير لمدينة تازة أكثر من ثلاثين سنة، كما شمل شقيقاه (57) محمد بن سعد، والحسن بن سعد، وكل من يمت له بصلة قرابة وكان في منطقة النفوذ الفرنسي وقد بقي تحت التعذيب إلى أن صدر الحكم في حقه بعشرين سنة سجنا ومصادرة ممتلكاته بعد نهاية الحرب يوم 3/11/1945م ولم يطلق سراح الرجل الذي ساهم في تنمية الوعي الوطني حسب الطريقة الموالية وقتها إلا بعد الاستقلال حيث تبرع عليه القوم بوظيفة في إذاعة طنجة بقي بها تحت رحمة العملاء الذين كان وراءهم الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور الذي كان حقه عليه شديدا ويريد له الإقبار حتى تقبر معه فضائح ابن منصور، لكن هيهات ثم هيهات فقد توعد الله ذوي الفضائح بفضحهم حتى يكونوا عبرة للآخرين ومن الآخرين رجال الطبقة الجديدة في عهد الاستقلال، والتي فضائحها أكبر وأفظع كما ستقرأ الأجيال من خلال

(57) محمد بن سعد يشغل منصب مفتش للتعليم بمدينة وجدة وشقيقه الحسن يعمل عدلا بمدينة سلا ومن أغرب الصدف انني التقيت بالأول وقت صلاة المغرب يوم 5/10/1988 بأحد الجوامع بوجدة ولما قدم لي نفسه باسم ابن سعد وأنه تازي سألته إن كان يعرف عبد الرحمن بن سعد فأجاب : إنه شقيقه وإذ كنت على عجل فإنه دلتني على ثالث لهما شقيق، وكان هو الحسن العدل بمدينة سلا الذي اتصلت به ومنه حصلت على صورة عبد الرحمن ومعلومات أخرى في الموضوع تتعلق بتاريخ الحكم وما حصل له واللأب والأخ محمد والوالد الذي هو المرحوم الطيب بن سعد خطيب الجامع الأعظم بمدينة تازة لمدة 30 سنة رحمة الله عليه. والأسرة أصلها من تلمسان، وهي من الأسر التي هاجرت بدينها من الاحتلال الفرنسي الذي كان يضيق على الأحرار بالجزائر.

"مذكرات الشعب المفتري عليه" وهكذا إنتهى نشاط إبراهيم الوزاني في منطقة النفوذ الفرنسي، ووقتها يقول الرواة إشتد نشاط الغدر من الخونة الذين كان قد سبقهم إلى القمة عبد الوهاب بن منصور الذي أصبح بعد يحتل مقعده الحقير في الخيانة والتجسس والذي تمثل وقتها في الرقابة السياسية على الصحافة الوطنية ووقتها أيضا كتب تقريره الظالم الذي كمل به ما أنكره أونسيه ابن سعد أو لم يعترف به لا هو ولاهلال رغم كل أنواع العذاب، التي ذاقها الأول والذي كانت نهايته الحكم بالسجن لمدة عشرين سنة لم يتحرر منها إلا بعد الاستقلال كما سبق.

أما هلال الذي سارعت السلطات العسكرية في المنطقة للقبض عليه بعد حصار شديد، لكل المنطقة والذي تم في ليلة من ليالي شهر غشت من عام 1943م فإن له قصة عجيبة جدا وفي نفس الوقت لها من الطرافة ما يستدل به على أن الرجل كان يعرف ما يفعل، وأنه ما أقدم على ما أقدم عليه إلا بعد تفكير رصين وتدبير سليم.

كانت المنطقة تحكم عسكريا، ورغم ذلك وبسبب حالة الحرب من جانب، ونكبة الفرنسيين المحتلة بلادهم من جانب آخر فإن الإدارة أصبحت تعتمد أكثر على ولاء رجال السلطة من جانب، ومن جانب آخر على بعض رجال القوات المساعدة الذين أصبحوا قلة في المنطقة بل منطقة أزرو والحاجب وعين اللوح إلى امريرت وخنيفرة لم تكن تتوفر على أكثر من خمسين جنديا من جنود القوات المساعدة يتناوبون في حراستهم الخارجية على خمسة وعشرين حصانا، خمسة في الحاجب وعشرة في أزرو، وعين اللوح، ثم عشرة في اخنيفرة، أما المخابرات فقد كان يعتمد فيها على القواد وأعوانهم من شيوخ ومقدمين، وذلك هو الحصار الذي كانت السلطات العسكرية المتمثلة في الضابط الفرنسي تشدده علي مختلف المناطق، كلما استشعرت ما يستوجب ذلك من الظروف، ومنها حادثة ابن سعد وهلال الذي أصبح بعد ما إنتهى ابن سعد والذين اعترف بهم إلى مصيرهم، وبقي لنا هلال الذي نريد أن نتعرف على قصته الطريفة.

قبل أن يوجه ابن سعد من مكناس إلي تازة لإتمام بقية البحث الذي ستتكب بسببه أسرته وأقاربه، صدرت الأوامر من مكناس إلى أزرو حتى يلقى القبض على هلال الذي كان قد علم بما حصل لا بن سعد في كرانو على يد عدي وبه، ولذلك وحتى لا يعرض

نفسه لخطر تأكيد التهمة إن كان ابن سعد قد كشف كل شيء ولذلك عاد إلى أزرؤ وبقى في منزله لمدة يومين لم يغادره كالعادة، إلا إلى زاويته التجانية المقابلة للمنزل والتي لا يفصلها عنه إلا الزقاق، وبعد صدور الأوامر التي تلقاها حاكم أزرؤ بالهاتف يقول من روى ويؤكد هلال أمر جنود القوات المساعدة العشرة بمحاصرة المنطقة بدءاً مما حول إدارة الحاكم إلي "طيط أحسن"، وهي مكان يبعد قليلاً عن منزل هلال ناحية الشمال الغربي ولو أن الحاكم إستعمل فقط مخابراته المدنية من المتطوعين وقتها مقابل قليل من السكر، لما إحتاج إلى شيء، بل ولما أزعج قواته التي لو حصل تحرك من أقل جماعة لما أغنته شيئاً قليلاً، لأن أمن البلاد واستقرارها كانا يعتمدان على رغبة العاهل وما رده المذيع من صوت شيخ الإسلام موجها للمواطنين بذلك منذ بداية الحرب ناهيك وأنه لما يمض سوى عام وبعض العام على مروره رفقة محمد الخامس في الزيارة التي خص بها إقليم تافيلالت عن قصد شتاء عام 1940 وحتى يؤكد حمايته لليهود ضد المحور، والذين كانت جمعهم أكثر في المنطقة ما بين الرباط ومكناس وفاس وصفرو وتافيلالت والصويرة ومراكش، بل كان بعض اليهود يحيون حياة البداوة مع القبائل.

وفعلاً ألقى القبض على هلال (58) الذي لم يكن في وسع حاكم أزرؤ أن يوجهه إلى مكناس مع أكثر من جندي واحد بحصانه الذي يشد المحبوس إلى سرجه بالنطاق، ثم يتوجه به ماشياً خلف الحصان، والجندي على ظهره إلى مدينة الحاجب (15 كم بين الشعاب) حيث يسلمه إلى حاكمها الذي بدوره يأمر من الجنود من يقوم بنفس المهمة إلى مكناس، وما كاد الجندي يقطع نصف المرحلة راكباً وهلال ماشياً شبه مجرور حتى كان تمهل سير الحصان بما لا يراه من معانات صعود الجبال المحجرة وهبوطها، يدعوه إلى الاستراحة، حيث أرسى بجانب شعب به مجرى ماء بقبيلة بني مطير، وإذا كان على الجندي أن لا يزيل السرج من على ظهر الحصان الذي يتصبب عرقاً حتى يستريح ثم يشرب الماء ويعلف ما في المخلاة مدة استراحة الجندي وتناوله الطعام مع صاحبه هلال، فإنه ما كاد يفعل حتى طلب إليه هلال أن يسمح له بالتهيؤ للصلاة وحتى "يستريح" كان

(58) وفي نفس اليوم القي القبض على أزيبا احبيبي بن اعراب لغريسي في أزرؤ بنفس التهمة وكان ساعي بريد لكن أطلق سراحه بتدخل من القائد اسعيد إركلون.

عليه أن ينزل إلى الشعب حتى يتوارى عن نظر الجندي "محمد بن المعطي المجاطي"، وفعلا سمح له بذلك فتوجه نحو الشعب، وفي الوقت الذي كان الجندي يدبر غداءه إنتزع هلال برنسه ثم وضعه علي حجر مرتفع بمدخل الشعب بعدما وضع عليه عمامته فتحوّلت الحجرة إلى ما يشبه شخص هلال وكأنه جالس القرفصاء ليقضي حاجته، بيد أنه تسلل مع الشعب ثم توجه راجلا نحو مدينة الحاجب التي قضى بها ليلة عند القائد المختار بن حمو الذي حاول أن يستجير به وبما لخيانته وما له من حظوة عند الفرنسيين، لكنه لم يقبل وحتى يسدي إليه معروفا كما قال له، فإنه لم يقدمه للحاكم وعليه أن يتوجه إلى حال سبيله وإذا هو خرج متوجها نحو فاس فإن الجندي محمد بن المعطي المجاطي كان قد وصل عشية اليوم قبله إلى الحاجب ثم أخبر حاكمها بما حصل له مع صاحبه من غير زيادة ولا نقصان، وفعلا كان الحاكم قد أخبر القائد المختار وأمره بمحاصرة المنطقة، ولكونه لم يكن يعرف حقيقة التهمة الموجهة إلى هلال ولا أخبره بها الحاكم الفرنسي، ثم هو أيضا له علاقة طيبة مع هلال المعروف باحترامه في المنطقة، وبالتالي فالوقت زمن حرب واعتبار أوامر الحاكم بعد مهانة دولته لم تعد مزعجة، ولذلك تصرف المختار مع هلال على النحو الذي سبق، لكنه ما كاد يلتقي بالحاكم وجها لوجه، ويخبره بحقيقة التهمة ثم يصرخ في وجهه أنه يعلم أن هلال قضى الليلة في منزله، حتى إرتعدت قوائمه وتلعثم لسانه، وإذا كان قبل قد رصد له من يتعرف على قصده، فإنه سهل عليه أن يوجه من يتداركه في مختلف الاتجاهات، لكنهم لم يحصلوا عليه إلا بعد أيام، ثلاث وقد تجندت قبيلة بني مطير لذلك على "حد الصائم" ولما جرى به وكان قد غير ثيابه بأحسن مما ترك على الحجرة، وإذا هو لم يكن بيده شيء عند ما ترك حارسه ينتظر، فإن هذا الأخير بُهت عند مارآه على هيئة أحسن من هيئة القائد المختار نفسه، لكنه رغم ذلك لم يقل شيئا، وأمر حاكم الحاجب هذه المرة أن يوضع هلال في طريقه من الحاجب إلي مكناس تحت حراسة ثلاثة من الفرسان والذي يمتطيه هلال هو الرابع (59)، لكنهم هذه المرة شدوا قربوصي السرج الذي يمتطيه هلال بحبال إمتدت على فخديه يمينا وشمالا حيث يمسك

(59) قال إنه أعطى له الحصان مثل الحراس حتى لا يثير الإنتباه وقت وصوله لمدينة مكناس فيثور الوطنيون

بها حارس اليمين وحارس الشمال في شكل غير مثير إلى أن أشرفوا على المدينة ثم توجهوا به إلى أن سلموه إلى كبير الجنود بالإدارة العسكرية لناحية مكناس، وهي التي كان لها الإشراف على المنطقتين مكناس وما حولها وتافيالات وما حولها، وقد كانت حدود إقليمها قرية تمحضيت جنوباً.

ورغم أن هلال قد أصبح تحت رحمة الزبانية من الذين تدريبوا على تعذيب المواطنين والتنكيل بهم في تلك المدينة منذ حوادث بوفكران 1937 فإنه وبدهائه المعروف استطاع أن يجعل بينه وبينهم حبلاً من الأمل يحول بينه وبين إكراههم له على الاعتراف بواسطة التعذيب كما فعلوا مع ابن سعد. وحتى يكشف لهم عن الشبكة التي إهتزت لها مختلف الدوائر الفرنسية في طول البلاد وعرضها بعدما كشف لهم البحث مع ابن سعد أنها ممتدة من الشمال إلى الجنوب وأنها تتوفر حتى على بعض الإسبانين والإيطاليين الناقمين على الذين يعملون ضد ثورة فرانكو، وكان الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور قد زودهم قبل بمثل ذلك.

كان هلال كما يذكر عند ما استدرج الحارس في شعب آيت مطير قد خطط للخلاص من تلك التهمة التي هي أخطر ما يواجه لمن أريد هلاكه في تلك الفترة القاسية زمن الحرب، وبتدبر حكيم أدرك أن الذي يكفيه شر إنتقام الفرنسيين ويحول بينه وبين التعذيب الذي مهما تجلد سينتزع منه من الاعترافات ما يحط من قدره في نفسه قبل إعتبار الآخرين وأن الذي ينقذه هو التجاؤء إلى الحرم الإدريسي بمدينة فاس، والذي كان الفرنسيون بالنسبة إليه يلتزمون باحترامه حسب البند الثالث من عقد الحماية، وأنهم قط ما ثبت أنهم أكرهوا من التجاؤء إليه واستجار به على مغادرته بالقوة حتى ولو كان قاتلاً، لأن ذلك كان في إعتبارهم من الشروط الواردة في عقد الحماية باسم المحافظة على الدين(60).

وإذا هو فشل في تلك المحاولة قبل، فإن عليه هذه المرة أن يحقق رغبته وأن يستدرج

(60) وليس الضريح الإدريسي فحسب بل وحتى ضريح المولى الحسن بالرباط داخل الحى الملكي وتعي ذاكرتي أن آخر من التجاؤء إليه هما الهاشمي وشقيقه العباس ابني الترجمان أحمد التجاني الجزائري رحمه الله وذلك منهما قراراً من الجندية بالجيش الفرنسي عام 1946م لكونهما في نظر الفرنسيين يتمتعون بالجنسية الفرنسية، وذلك كان هو الشأن مع كل من يتمتع بها، عليه أن يؤدي الخدمة العسكرية.

القوم بحيلة رغم أنف الإدارة العسكرية وحراستها المشددة بقوة الحديد والنار، بل وبرغبة من رؤسائها وشوق، يتفوقون جميعا على التوجه به إلى مدينة فاس، وإلى الأزقة التي تمكنه من الدخول إلى الحرم الإدريسي بسهولة ويسر.

ذلك ما خطط له هلال وهو في زنزانته منفردا في السجن العسكري بمكناس، وإذا كان تقرير القبطان روسو، عن عبد الرحمن بن سعد بلا شك قد تضمن اسم هلال وغيره، وإذا كانت تقارير تازة موطن عبد الرحمن بن سعد قد تضمنت أسماء جل الذين إتصل بهم عبد الرحمن من القوميين أو الذين لم يتصل بهم وتضمنهم ما كتبه بتفصيل الجاسوس المشهور عبد الوهاب بن منصور صاحب التقرير الذي غرق ابن سعد وغير ابن سعد، كما سنرى بعد فإنه على هلال وقد أستدعى للبحث أن يتظاهر بمنتهى السذاجة، وأنه مستعد للاعتراف بجميع ما يعرف عن الشبكة وأن يدلهم على الذين يتعامل معهم من أفرادها الذين يعرفهم شخصيا، ويعرف أماكنهم، وأما الأسماء التي كانوا يتقدمون إليه بها فهي مستعارة وغير حقيقية وعليهم أن يكتبوها إذا شاؤا(61)، وفعلا أملى عليهم بعض الأسماء المكتوبة التي يستطيع تذكرها مرة ثانية إذا ما طال مقامه في سجنه ولم يذهبوا به قريبا، وفعلا ذلك ما حصل فقد قضى في سجنه الانفرادي مدة أسبوع، وبعده جاء لإستنطاقه آخرون، وبعد يومين تقرر الذهاب به مقيدا بالحديد إلى مدينة فاس، حيث يوجد أفراد الشبكة الخياليين الذين "تعرف عليهم"(62)

(61) كان البحث بواسطة إثنين من الضباط الفرنسيين نوي خبرة بالعربية واللهجة البربرية، وترجمانين جزائري ومغربي هو علي والحنفي المرغادي من أيت يحي أزرو، وكان الكاتب "ريرت" قد أطلع على وثائق تلك المرحلة حين أورد ما أورده من نفي لما سمي بالتعاون ص 145 والذي اعتمده بوجلاس ص 82 كما اعتمد على رأي جوليان حول التعاون مع الألمان ص 345 والذي هو من اختلاق غابريال بيو الذي أوحى إليه به تقرير عبد الوهاب بن منصور الذي سنتعرف عليه بعد .

(62) يذكر محمد الغزالي أنه وقتها تلقى تنبيهاً من أحد رجال الأمن الوطنيين وهو المفتش عبد الجليل الوليدي أن يكون على حذر ويحذر الرجال الذين وردت أسماؤهم في تقرير عبد الوهاب بن منصور، والذين هم مستهدفون لاعت ابن سعد وشخص آخر من "الجيليين" وفعلا قام محمد الغزالي الذي كان قد تلقى نفس التحذير من أحد الفرنسيين الذي كان قد إمتلكه بما كان يقدم له من مال، ولذلك قام بإخبار كل الجماعة الذين أمكنه إخبارهم بدءاً من أحمد مكار وعبد الكريم بن جلون وغيرهما إلخ مما هو محفوظ في ذاكرة محمد الغزالي وأحمد لصماني ختات حتى اليوم، وبما يؤسف له هو عدم كتابة المذكرات من هؤلاء الوطنيين الذين عاصروا تلك المرحلة بمأسيتها وما نتج عنها من تكوين للفكر الوطني في المغرب، وبعض الذين كتبوا بنفوس مريضة تشم من كتابتهم رائحة ما انطوت عليه نفوسهم وما يقصدون لم يكن ما كتبه غير البهتان المكشوف الذي عبر عن مقاصدهم الساقطة ونواياهم التي فضحتها الأيام.

والذين كان يتردد عليهم كما إعترف وكتب المكلفون بالبحث في التقرير، وهنا أيضا كان على هلال أن يحتال حتى لا يقيد بالحديد وحتى لا يكون القيد حائلا بينه وبين هدفه، وفي صباح يوم الرحيل به إلى فاس، امتنع ورفض بحجة أنه إذا ظهر مقيدا أمام من يعرف من أفراد الشبكة فإنهم يفرون منه ويتنكرون له، وعلى الإدارة أن ترسل معه بدل الواحد إثنين وبدل الإثنى أربعة، لكن بشرط أن يراقبوه من بعيد، وحتى إذا ما اتصل بأحدهم وانسجم معه في الحديث بعدما يقدمهم هلال واحد بعد واحد إلى المتحدث إليه، وكأنه يعرفهم عليه بصفتهم من رجال الشبكة، وبعد أن يعرفهم على الجميع عليهم أن يعودوا به، وحتى إذا ما وضعوا الحديد في معصميه وقتها فإنه يكون قد أدي المهمة، ووقتها أخذ القوم يناقشون الفكرة ثم بعد ما غابوا عنه رجعوا بعدها متفقين على إقتراح هلال الذي اقتضى تبديل الحراس من المخبرين الذين سيذهبون معه، بحيث أصبحوا ثلاثة، واحد من قلعية الريف اسمه ميمون، ويحفظ القرآن، واثنان لم يتعرف منهما إلى أي الجهات ينتميان، وقد صدرت إليهم التعليمات حتى يطبقوا إقتراح هلال حرفيا، وزيادة في تطمينهم منذ اللحظة التي ركبوا فيها الحافلة العمومية التي ستنقلهم من مكناس إلى فاس إنسجم معهم في الحديث حتى أصبحوا ولا أحد يستطيع أن يتبين أنهم غير رفقاء، خصوصا وأن القوم أمروا أن يرتدوا الجلابيب والأحذية المغربية، وإذا كانت السيارة تتحرك بالفحم الحجري بدل الوقود فإنها لم تقطع بهم مسافة 60 كم بين فاس ومكناس إلا بعد ساعتين ونصف تقريبا، خصوصا وأن بعض الركاب كانوا ينزلون ليدفعوا الحافلة في العقب التي يصعب صعودها على السيارة، وبعضهم يسبقها مشيا على الاقدام إلى نهاية العتبة.

نزل القوم بباب الملاح وهي حارة اليهود من مدينة فاس، حيث إنتحوا بهلال إلى جانب منعزل ثم استفهموه كيف يتصرفون معه فأوحى إليهم أن عليهم أن يذهبوا مجتمعين إلى حين يخبرهم بالابتعاد والمراقبة مدة مسافة الطريق من "باب الملاح إلى عقبة الشرابليين وبقوا كذلك حتى إذا ما دخلوا سوق صانعي المنافيخ "الرابوز" طلب منهم أن ينتظروا قليلا قبل أن يلتحقوا به، وعليهم أن يراقبوه من بعيد، وعلى مسافة 20 خطوة كما عبر لأنه سيتصل بأولهم ويتحدث إليه طويلا وربما سيجلس قليلا معه أمام

دكانه قبل أن يقدموا عليه حسب الإتفاق، ذلك ما سمع القوم ثم تركوا هلال وقد بدل من خطوه نحو السرعة بيد أنهم توقفوا قبل أن يواصلوا السير خلفه على مهل في الزحام.

لقد كان هلال خبيراً بدروب فاس، عارفاً بأزقته، وما كاد يبتعد عن القوم قليلاً حتى كان أمام زقاق النجارين الضيق والمفضي إلى الحرم الإدريسي، وقبل أن يخترقه مسرعاً رفع يده وقد صاح في القوم "هاني اهنا خلطوا علي" أي الحقوا بي ويقول هلال أنه فعل ذلك حتى يبرر جريه مخترقاً ممر دكاكين النجارين المفضي إلى الحرم الإدريسي الذي كان كل من إجتاز منه خشبة "المعارض" يكون قد نجا وذلك ما فعله هلال الذي بقي محاصراً إلى ما بعد الحرب وإصدار العفو العام وبذلك إنتهت قصة (63) واحد من المغاربة الذين كانوا يحققون على الاستعمار الفرنسي لكنه كبقية الذين وصفهم المرحوم محمد المختار السوسي في الإلغيات (64) والذي يقول إنه كتب ما كتبه في تلك الفترة حيث وصف هذا العالم الجليل بصدق وأمانة أفكاره وما قاله غيره وقتها بواسطة المذيع، ومن خلال ما كتب صور لنا واقع الشعور الوطني وقتها عند بعضهم في المغرب، وكيف كانوا يحققون على الفرنسيين ويتمنون الانتصار للألمانيين دون وعي، وإنما إرضاء لروح الحقد التي أوجبتها تصرفات الجنرال نوجيس وأعمال أمثاله الإرهابية ضد المغاربة الذين أشاعوا ما قاله بساحة النجارين 1937م "إلى أين يصل اللطيف" لكن شخصية عظيمة وهو شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي الذي كان وقتها قد أشرف على نهاية الستين سنة مضت من عمره الحافل بالمكرمات وتجارب النضال الصادق من أجل رفعة الإسلام والاعتزاز به، بل والذي كان واسع الإطلاع على أحوال العالم كما يظهر لمن تعرف على ما كان يطلع عليه من جرائد ومجلات وما كان يلتقطه سماعاً من مختلف

(63) إن قصة هلال هذه كتبها بعضهم بطريقة فهلوانية ومن أجل أن ينسب الكاتب إلى أنه كان من العاملين في الحزب الوطني قديماً، وهو في الواقع لم يكن كما رويت عنه. بل إنه تعرض للاتهام من الحزب حتى أن الأوامر صدرت بوضع قنبلة في زاويته التجانية عام 1954 وضعها الطفل المجاهد وقتها وهو أبو سيدي البلغيثي العلوي ساكن أزرو حالياً والذي يعمل اليوم كاتب الضبط بمحكمة نفس المدينة وذلك كما قيل بسبب اتصال هلال بالخائن ابن عمرو التجاني وحول ما كتب عن هلال في جريدة العلم والكاتب أبو بكر القادري بطريقة غير مركزة راجع عدد 6107 بتاريخ الجمعة 30 شوال 1386هـ = فبراير 1967م وتضيف هنا أنه كان قد التحق به ثم التجأ إلى الحرم الإدريسي كذلك ابن أخيه إدريس الذي بسبب عمه كان قد تعرض للمضايقة.

الإذاعات، الشيء الذي كون له رأيا مخالفا لجل الآراء وقتها، الذي تأيد برأي رجل واحد حق أن يذكر بكل إكبار وتقدير إنه محمد لمعمري الزواوي، والذي قال بكل صدق وأمانه : إن سيدي محمد بن العربي خدم دينه وأمته والعرش العلوي منذ أوائل هذا القرن، وقد كان لرأيه ضد حرب المحور أثره الفعال في نفسية المغاربة وعلى رأسهم صاحب الجلالة إلخ.

والواقع أنه برأيه ذاك الذي وصفه لمعمري وسلوكه، بل بخوضه المعركة بكل شجاعة، ساهم في إنقاذ المغرب وملكه من نكبة كانت محققة وأن الغلبة كانت للرأي المتطرف المشار إليه، وكان له تأثير على جلالة الملك وقتها، أو حتى لو أنه تصرف كما تصرف الوطني الغيور جلالة المغفور له محمد المنصف باي تونس الذي أراد لبلادته فقط أن تكون محايدة، لكن ولاء بعض رجال حكومته لحكومة فيشي وتبادلته المراسلة مع المحور ومع روزفيلت رغم صراحتها في الحياد إنتهت، وكما سنرى إلي تلك النهاية الأليمة، وتلك أيضا قصة مأساة شهم نبيل وجب أن نلم بها حتى نتعرف على حقيقة الدور الذي قام به الشيخ الإمام محمد بن العربي العلوي من أجل إنقاذ المغرب ملكا وشعبا.

الفصل الثالث والسبعون بحث المائتين تونس والمجور ومصير محمد المنصف باي

كان الواقع الذي نشطت به وسائل الدعاية والإعلام النازي قد ركز في الأذهان أن فرنسا إنتهت إلى ضعف سيؤل بها إلى الانهيار الذي لم يعد لها معه كبير إعتبار، أكد هذه الدعاية الكثير من رجالات فرنسا نفسها خصوصا سلوك بعض العسكريين الذين إنهارت معنوياتهم ومن خلالهم صرح شيخ الإمبراطورية لبريطانية ورجلها الثاني الذي هو الفيلد مارشال شميپس رئيس مستعمرة جنوب إفريقيا وقتها. فقد خطب وصرح تصريحاً خطيراً فيه الحكم بزوال ألمانيا، وانتهاء إيطاليا، وذهاب فرنسا، وكان هذا التصريح خطيراً في حق فرنسا، إذ يعني أن فرنسا ذهبت كدولة كبرى بالنسبة لأمريكا وروسيا وحتى بريطانيا، والذي أعطى للتصريح نوعاً من الخطورة هو أن صاحبه كان مشهوراً بالحنكة السياسية والعسكرية، وأنه كان قد تنبأ بإنقضاء زعامة أوروبا وزوال نفوذها، وسيطرتها على بعض أجزاء المعمور، وأن إدارة الدنيا بعد الحرب ستكون بيد أمريكا وبريطانيا، وروسيا" كما صرح، وكان تصريحه هذا أهم بأن ألمانيا سوف لن تكون ألمانيا، وأن إيطاليا إنتهت وأن فرنسا ذهبت(65) وقبل وبعد تصريح شميپس هذا كان العالم العربي عموماً وأقطار المغرب الكبير كذلك قد وقعت تحت تأثير الدعاية النازية التي مكن لها ما كان عليه سلوك الفرنسيين والأنجليز كما عرفنا قبل.

ولقد عرفت تونس الظروف التي سبق أن بينها، والتي تعني إهتمام كل من الأمير شكيب أرسلان والمفتي أمين الحسيني، وهي بالتالي ذات المركز الإستراتيجي حريياً كما وصفها كل من هتلر كما سبق، ومثله تشرشيل، ومونتغمري، ورومل، وغيرهم، وعندما

(65) راجع التصريح في مجلة المصور المصرية ص 1 عدد 1000 بتاريخ 1943/12/10 وصورة صاحب التصريح في ص 6 بتاريخ 1943/12/17 عدد 1001.

سقطت فرنسا لأول ضربة بيد المحور، وتآلفت حكومة فيشي أراد المقيم العام الأميرال الخائن لأمته وبلاده أسيتيفا أراد لتونس أن تحول ولاءها إلى حكومة فيشي التي أسسها المارشال بيتان بعد عقد الهدنة، في حين أن محمد المنصف باي الذي كان صادق الوطنية والذي لما يمض على حكمه إلا قليل بحيث نصب يوم 19/6/1941 خلفا لأحمد باي الذي كان ألعوبة بيد الفرنسيين، لأنه كان حسب وصف التونسيين جاهلا غبيا، خلافا لمحمد المنصف باي، الذي وإن كان ضعيف الثقافة، فقد كان ذكيا إستطاع أن ينسجم مع الوطنيين بانضمامه للحزب الحر عام 1922 وهو الحزب الذي كان قد تأسس عام 1919 في عهد محمد الناصر والد محمد المنصف وكان مؤسسه هو عبد العزيز الثعالبي، فكان محمد المنصف من أنصاره، ويحكم إتصالاته وقع تحت تأثير الحقد على الاستعمار الفرنسي والتطلع للاستفادة من عدو فرنسا الأمر الذي جعله بعد يدفع الثمن غالبا، فيتعرض للخلع والنفي حين تنفست فرنسا الصعداء إثر نزول الحلفاء بتونس كما سنرى. ولعل الذي أوقع السياسة التونسية، وقتها في الارتباك بالإضافة إلى ما أشرنا إليه فيما يتعلق بزعماء العرب شكيب وأمين الحسيني، هو ما عرفته تونس من تناقضات ومسرحيات مثلت على أرضها، ولكل منها ممثلين غرباء بالدرجة الأولى وشبهه وطنيين بالدرجة الثانية، ومسيطرين مستبدين بالدرجة الثالثة، فالمقيم الخائن "الأميرال استيفا" الذي وإن كان سيلاقي جزاءه بالسجن المؤبد. مثل دوره في المسرحية كمقيم مستبد إلى أن ظهرت حكومة فيشي(66) ثم حكومة برلين وحكومة روما وما كان بينهما من صراع

(66) أورد فيليكس فاراس رسالة كتبها الأميرال إستيفا إلى لافال بتاريخ 24 فبراير 1943 قال فيها "إني قد فرضت العمل الإجباري رغم ما ينتج عنه من عواقب وخيمة، وعملي هذا يرمي خاصة إلى توطيد مراكز الألمان فلا يمكن لأي كان أن يناصر الألمان أكثر مما فعلت وينتهي به الأمر إلى نزع البلبلة في الأفكار وحث الضباط على الخيانة والفرار من الجندية إذ ألقى ندا في الخامس والعشرين من فبراير 1943 جاء فيه "يا ضباط القوات الفرنسية وأنتم أيها الجنود، إن أسرى الحرب الذين ألقى عليهم القبض من طرف الألمان قد حرروا بعد ذلك عملا بالاتفاق المبرم بين هلتير والحكومة الفرنسية، فمنهم من رجع إلى فرنسا ومنهم من أقام بتونس حيث توجد عائلته ومصالحه الحيوية، وعندما وقعت الهدنة في جوان 1940م أمرت جميع رؤوسي بالإمتثال إلى أوامر الحكومة الفرنسية وممثلها المارشال بيتان والسيد بيير لافال، وامتل الناس فعلا إلى قولي واليوم فقد أصبح مصير البلاد بين يدي هذين الرجلين، ولذا فإني أطلب منكم جميعا أن تتبعوهما، وتجاروهما ففرنسا وتونس تترقبان رجوعكم فهذا واجبكم. وإذا ما قمتم به فسوف تتحررون وترجعون إلى عائلاتكم" راجع بورقيبة ومولد أمة لفليكس فاراس ص 103-104 ط منشورات مكتب الصحافة والنشر للحزب الحر الدستوري التونسي بدون تاريخ.

فاحت رائحته بسبب تطلع إيطاليا ذات المصالح المقصودة منذ ما قبل حماية فرنسا لتونس 1881م، ولما إحتدم الصراع ثم انقلبت إيطاليا، وكانت تتمنى أن يكون لها نصيب من إعتبار الحلفاء حيث استأنفت سمفونيتها على نفس النغمة، وربما ذلك هو الذي كان السبب في الاتصال بالزعامة الفرنسية التونسية، ولما إندحرت قوات المحور، وظهرت حكومة دي كول بالجزائر مدعومة بالأمريكيين والأنجليز، وجد التونسيون أنفسهم وعلى رأسهم محمد المنصف باي داخل دوامة لم يجدوا معها حولا ولا قوة لتبيان الطريق إلى شاطئ الأمن والخلص، بحيث غم على القيادة التونسية الرسمية والممثلة في محمد المنصف باي أن يدرك ما أدركته القيادة المغربية من أن شمال إفريقيا لم ولن يتخلى عنه الغرب حتى ولو كلف أن يكون هو وهو فقط مجال تصارع القوتين بكل ما لدى الغرب من قوة، ولعل شيئا من ذلك أدركه الزعيم الحبيب بورقيبة حيث أنه لم يقبل سياسة المحور حين طلب نقله من إيطاليا إلى تونس بعد ماوضع شرطه لصالح بلاده بقيادة محمد المنصف باي ولم يقبل ذلك الشرط، أو ربما كان الحظ إلى جانبه حين إتجه ضد ما سمع من ميل السياسيين المنافسين أمثال محيي الدين لقليبي وصالح فرحات لحكومة فيشي التي أصبحت تمثل النازية والمحور، وكان منها ذلك بلا شك تأثرا بالرائدين العربيين شكيب أرسلان وأمين الحسيني، وإذا كانت وجهة نظر الحزب الحر الدستوري التي عبر عنها بواسطة جريدته إفريقيا الفتاة، ثم إستطاع أن يباشر نشاطه ولو سرا عندما أطلق سراح رأسه الحبيب بورقيبة يوم 1/12/1941م الأمر الذي أعاد إلى الحزب رشده ثم ابتعد به عن النهج الذي جر الدمار على الآخرين، وفي مقدمتهم المرحوم محمد المنصف باي الذي لم يكن نازيا ولا فاشيا بقدر ما كان محبا لشعبه ساعيا لتحريره وتقدمه، وذلك كان سلوكه منذ حياة والده الناصر باي، وإذا هو إنسجم مع الوطنيين من رجال الحزب الحر الدستوري واتفق معهم كل الاتفاق مما جعلهم يلهجون بإسمه ويؤلفون حوله قلوب المواطنين، وبذلك إستطاع أن يكون اللسان المعبر عن آمال الشعب التونسي ومطالبه التي قدمها إلى المقيم الخائن لوطنه وشعبه الأميرال استيفا، حتى يقدمها بدوره إلى حكومة فيشي ورئيسها الماريشال بيتان، ومعنى هذا أنه اعترف بهذه الحكومة التي لم تكن شرعية ولا وطنية في عرف الفرنسيين، مع أن المطالب كانت معقولة وتمثل ما كان يريه

هذا الرجل العظيم لشعبه الذي كان عليه أن ينضم لكفاحه كمناضل أيضا، بعد ما حرره من ذل تقبيل يد الباي الذي كان معمولا به قبله، لأنه أراد لشعبه أن يتمتع بالكرامة وبالديمقراطية عن طريق تحقيق الدستور الذي كان ينادي به الحزب الحر إذ بحق كان محمد المنصف باي يريد لشعبه أن يتمتع بالحريات العامة وتحريره من حالة البؤس التي كان التونسيون قد تردوا فيها ثم أصبحوا يعانون بسبب غلو سياسة الفرنسيين واستحواذهم على كل مقدرات البلاد، على أن تقديم تلك المطالب بواسطة المقيم الأميرال استيفا لم يصادف استحسانا ولا قبولا من هذا الأخير، فكان ما أدى إلى غضب الباي عليه في المقابلة التي حصلت حين قدم عليه بمناسبة عيد الفطر بتاريخ 12/10/1942م، وقد عرفت هذه المقابلة التي كان لها ما بعدها في تاريخ تونس السياسي بحادث "باردو"، وهو القصر الذي عرف توقيع معاهدة الحماية قبل سنتين سنة مضت، ومن وقتها دخل محمد المنصف مع الفرنسيين في دوامة الصراع الذي لم يكن فيه تكافؤ بين الجانبين بل حتى الشعب التونسي نفسه وإن كان متعلقا به، فإنه بعد لم يكن يتوفر لا على الوعي الكافي سياسيا ولا الثوري تنظيميا، وإن كان رأي الدكتور الحبيب ثامر رحمه الله يخالف هذه الرأي(67).

وبسبب ذلك أيضا ولما إنتهت جولة المحور في تونس وانقلب الوضع بعد نزول قوات المحور بمساعدة الفرنسيين يوم 9/11/1942 وتم لهم الاحتلال يوم 14 منه حيث إرتبك عمل الجنرالات والأميرالات الفرنسيين بييري، ودارلان، وديريان، وليورد، ونفس الاضطراب حصل في سياسة الباي الذي تلقى مراسلة من ملك إيطاليا وهتلر، يقول فيها أنه إذا ما وجد مساعدة من الباي على إحتلال إفريقيا فإن تونس ستمنح الاستقلال وتضاف إليها منطقة قسطنطينة. كما سبق أن بينا قبل، فأجاب أنه يريد لبلاده أن تقف موقف الحياد، الأمر الذي استوجب قدوم موسى الحسيني شقيق مفتي فلسطين أمين الحسيني بتلك الرسالة، حتى يتأكد الباي من أن وعد هتلر صحيح ولا تراجع فيه، ومع ذلك ينخدع الباي، وكل الذي حققه من تلك العلاقة العابرة مع الألمان إطلاق سراح بعض السجناء السياسيين ورغم عدم استجابة الباي لمطالب الألمان فإن الإيطاليين حاولوا محاولتهم أيضا

(67) راجع هذه تونس ط 1948.

حين أرسلوا بومبيري بإسم الحكومة الإيطالية إلى الباي حتي يخبره أن الحكومة تعترف بشرعية المطالب التونسية، فكان لهذه العلاقة التي لم يحقق الإيطاليون بها ما كانوا يقصدون أن حقق الباي أيضا بواسطتها إطلاق سراح بورقيبة ومن معه من سجون فرنسا والذين بعد السراح كانوا من الضيوف النازلين على شرف ضيافة روما يوم 1943/1/9 ويقول قاراس(68) في كتابه المشار إليه والمأخوذ من كتاب هذه تونس لثامر وإذا رأينا الملك المنصف يسلم أحيانا تحت ضغط استيقفاً فذلك لأنه لم يجد وجها للتخلص من الإمتثال لأوامر المقيم العام، وعندما أمره بمنح رجال السلطة الألمانية والإيطالين وسام الافتخار لم يمتثل إلا بعدما تلقى منه أمرا كتابيا، وعندما ألقيت القنابر على مدينة المرسى لم يحتج على موقف الحلفاء كما طلبه منه ممثل الحكومة الألمانية، وكل الذي فعله هو أنه أجاب على رسالة الرئيس الأمريكي روزفيلت فرنكلين بتاريخ 1943/11/13 بقوله "إننا نشعر بواجبنا ونود أن نحافظ على موقفنا الحيادي ونأمل ألا يدخل هذا الوطن المعمعة"(69) وهو نفس الجواب الذي رد به على رسالة هتلر والذي كان قد سلمه إلى المقيم العام استيفا، وإن كان هذا الحياد(70) يمنع الباي من عزل وزيره الأول الهادي الإخوة لميله إلى المحور، وتسمية شنيق مكانه وهو معروف وقتها بعمالته لفرنسا، بل ستكشف الأيام خيانتته وغدره للباي الوطني، لأن محمد المنصف الرجل الواعي بواجبه، والتمسك بحقوق شعبه أزجج الفرنسيين منذ جلس على عرش تونس 1941/6/19 وذلك بكشفه عن طغيان سلطة الحماية التي كانت باستمرار تسير من سيء إلى أسوء، منذ 1881 حتى إن المقيم أصبح في تونس هو كل شيء وبيده كل الاختصاصات التشريعية والتنفيذية. والعلاقة الخارجية، مما دفع الباي مسندا بالرأي التونسي وحزبه الوطني إلى العمل من أجل إسترجاع إختصاصاته كمرحلة أولى تأتي بعدها مرحلة إلغاء نظام الحماية مما دفع إلى الإنتقام منه بعد التجربة التي قام بها

(68) مصدر سابق ص 106 وهو عن الحبيب ثامر 102-103.

(69) نفس المصدر ص 103.

(70) د الحبيب ثامر 102 ولا نريد الإطالة في موضوع العمل لفائدة النازية أكثر بذهابنا إلى مصر التي هي

الأخرى عرفت تجسس الراقصة حليلة فهمي وحسين جعفر الألماني الأصل والذي إنتحل إسم زوج أمه إلخ بل وتأثير عزيز فهمي وما عرفناه قبل عن الدكتور الطيب وغيرهم راجع أعلاه فصل 259.

الجنود الأنجليز حين نزول الحلفاء يوم 8 ماي 1943 بدعوي أن مقاومة حصلت ضدهم وكان قوامها جماعة أرشدهم شخص من حاشية الباي، كان قد إرتدى ثياب راع ثم كشف للعدو ملجأ السرية الأنجليزية، ولذلك توجهوا إلى القصر ليأخذوا الباي نفسه بتهمة الشخص المطلوب، وفعلا ورغم كل المحاولات أخذوا الباي عنفا إلى مقر الإقامة العامة مركز قيادة الجيش الفرنسي الحليف، حيث إستغرب الفرنسيون هذا التصرف الأنجليزي، الذي لا شك صدر عن إثنين من الأنجليز لأن المثل يقول إثنان من الأنجليز ألعوبة مضحكة وثلاثة يحسبون أنهم يؤلفون إمبراطورية: ونفس المثل هو الذي ينطبق على تصرف الجنود مع الباي محمد المنصف، لكن الفرنسيين رغم إستغرابهم إكتشفوا بخبثهم الذي كان يتمثل في الجنرال جوان وقتها أنها فرصة يجب أن تستغل من أجل الخلاص من عدوهم اللدود خصوصا وان التونسيين محيط الباي لا شجاعة لهم.

وفعلا بعد ثلاثة أيام على فعلة الأنجليز التي وضع لها حد ثم أدركوا أنهم السفهاء، توجه الجنرال جوان وربما بأمر من الجنرال جيرو، ومعه زبانيته التي منها الجنرال بييري وقائد الدرك ماريكو، ومن التونسيين حسين باي ولي العهد ورئيس الوزراء توجه إلى جلالة المنصف في قصره حيث استقبله يوم 11/6/1943 وذلك ليبلغه خبر عزله فرد عليه الباي بقوله المشهور "الله والشعب وحدهما قادران على عزلي" وإذا كان بحضرة الباي كل، من شنيق الوزير الأول وحسين باي ولي العهد، فإن الجنرال جوان طلب إلى الباي أن يتحدث إليه على انفراد، ولذلك أراد حسين باي أن ينسحب لكن شنيق نبه جوان الذي كان بجهل البروتوكول وما ينتج عن ذلك الإنسحاب لو تم وانقلت حسين باي إلى مكان مجهول، وذلك حتى لا يغادر المكان حيث قال شنيق "يجب ألا تفارق الباي مهما كانت الظروف" فرد عليه الجنرال ماريكور "إنك ياسي شنيق قد أضعت فرصة ثمينة للصمت(71)" وهذه شهادة علي خيانة وغدر شنيق الذي لا يختلف في شيء عن محمد المقرري والجلالوي في المغرب، لكن الجنرال جوان الذي حسب برعونته وجبروته أنه كان يخدم الاستعمار الفرنسي، نسي أنه بتلك الجهالة العمياء، إنما دفع قطار المغرب العربي

(71) فاراس مصدر سابق 107 ومع كل هذه الخيانة السافرة سوف يفسح المجال لشنيق حين المناورات من أجل الحكم الذاتي بعد عام 1951.

الكبير إلى أن يأخذ طريقه نحو التحرر واسترجاع الاستقلال بنفس الوسيلة التي لم يعرف الجنرال غيرها، تلك الطريقة التي مرغت شرف فرنسا في الوحل والتي استعملها مع الباي محمد المنصف الذي أبعده عن عرشه يوم 13/6/1943 إلى الصحراء بالجزائر "الاغواط" ثم مدينة أزرو بالمغرب ثم مدينة(72) "بو" بفرنسا، وبعدها وضع مكانه محمد الأمين باي، وبقي المنصف مبعدا إلى أن توفي رحمة الله عليه مشلولاً يوم فاتح سبتمبر عام 1948 هذا بعدما نفذت القوات الفرنسية حكم الإعدام في العشرات من التونسيين رمياً بالرصاص، بدون محاكمة ونسفت القرى الآمنة بسكانها، وألقى بالمئات من الوطنيين في غياهب السجون وذلك قصد إحداث الرعب والقضاء على الحركة الوطنية(73)، وذلك ما سيعرفه المغرب ملكا وشعبا من الجنرال جوان نفسه وزبانيته وكما سنرى حين يعين بالمغرب في جوان عام 1947 كمقيم عام لفرنسا بالمغرب، لكنه نسي أنه لولا وجهة نظر محمد الخامس الداعية، وقتها إلى السلم والذي كان يحث عليه وعلى عدم استعمال العنف لكان الجنرال قد قتل نهارا في قارعة الطريق على مرأى من زبانيته، ومع ذلك فمذ حل جوان بالمغرب 17 جوان 1947 بعد ما فعل بمحمد المنصف ما فعل وبعد زيارة محمد الخامس لمدينة طنجة وهو يدبر مثل ذلك للعاهل العظيم محمد الخامس، لكن تديبره الذي فشل فيه ثم استمر عليه من جاء بعده وهو الجنرال جيوم وجماعة المعمرين طال لمدة ست سنوات، فلم يتم إبعاد محمد الخامس بتلك الطريقة والتي مثلت نهاية الجبن والخبث والندالة بل الغدر والخيانة الفرنسية، ومع ذلك لم تتم إلا بعد صراع خاضه العاهل والشعب المغربي بشرف سجله كما سجل شعبه الشجاع الوفي الأمين في سجل الخالدين، حيث بقي يوم 20 غشت 1953 ولا يزال وسيبقى أهم يوم في التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، لأنه كان منطلق المقاومة المسلحة التي خاضتها شعوب المغرب العربي الكبير، مساندة، ومتكاملة بشرف كما سنرى.

كانت هذه الجولة مع محمد المنصف باي تونس ومالاقاه من معاناة ، وما وقع فيه

(72) كان نزله بمدينة أزرو بالأطلس المتوسط موطن هلال عن قصد حتى يتعظ الذين تأثروا وقتها بدعاية المحور والمنزل اليوم في ملك صديقنا الوطني الفيور المكي زكاغ الذي بقي زمنا يحتفظ فيه بالمقعد الذي كان يجلس عليه المرحوم محمد المنصف باي في مكان معين وأمام شرفة معينة رحمه الله .
(73) راجع هذه تونس د الحبيب ثامر مصدر سابق ص 104 .

من ارتباك بسبب عدم وجود المشير الحكيم، قبل أن يقع في يد العدو المتربص، مما يستدل به على الدور الذي قام به شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي رحمه الله في إنقاذ المغرب ملكا وشعبا بموقفه الشجاع ضد المحور، والذي لم يخف معه عداوته الأكثر لكل أنواع الإستعمار، وفي مقدمته الفرنسي الذي اشتدت مقاومته قبل الحرب وأثناءها وبعدها، الأمر الذي نستدل منه أن موقف الشيخ ضد المحور وإلى جانب "الديمقراطية" كان من أجل المغرب والمغرب فقط. وسوف نزداد إعجابا حين نتعرف على الزمان والمكان اللذين نضج فيهما ذلك الرأي، واختار فيهما شيخ الإسلام الاستمرار في ذلك الموقف، وما عرفه العالم في فترة ما بعد الاختيار من إنتصارات المحور الفجة التي بهرت الملايين في مختلف البلاد التي كانت ترزح وتئن من قيد الإستعمار، بيد أن شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي كان يعرف وقد قرأ الكثير عن النازية والفاشية أنهما أشد وأمر ما ستعرفه البشرية من أنواع العبودية والإذلال إذا ما تم لهما النصر، وذلك ما كان يقرره ويتنبؤلها بالانهيار والسقوط، وهو ما دفع إلى إعلان الحرب رسميا ضد المحور وأهدافه الفاشية، بحيث كان له رأي مخالف لجل الآراء وقتها بشجاعة أعلنه عن طريق الإذاعة وما ذلك إلا عن دراية واستقراء واقتناع، الأمر الذي جعله الرائد المفكر والباحث والموجه حتى النصر كما سنرى.

الفهرس

الجزء التاسع

* تتمة الباب الخامس والعشرون :

المغرب والضلال وجهاد شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي

- 7 الفصل الرابع والخمسون بعد المائتين: الصراع بين السلفية والوثنية
- 19 الفصل الخامس والخمسون بعد المائتين: شيخ الإسلام وسلفية المصلح محمد بن عبد الوهاب
- 37 الفصل السادس والخمسون بعد المائتين: البدعة طريق الى الشرك أصولها ومصادرها
- 51 الفصل السابع والخمسون بعد المائتين: التجاني والتجانية
- 65 الفصل الثامن والخمسون بعد المائتين: الشرك والكفر والضلال في طريقة التجاني من خلال البغية وجواهر المعاني
- 93 الفصل التاسع والخمسون بعد المائتين: من شرك التجاني إلى كفر وضلال الكتاني
- 103 الفصل الستون بعد المائتين: المغاربة والتيه في مجال العقيدة والضلال الفصل الواحد والستون بعد المائتين: السلفية والاتجاه الجديد في عهد السلطان عبد الحفيظ
- 113 الفصل الثاني والستون بعد المائتين: الصراع الذي مكن لجهاد شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي ودعوته السلفية
- 151 الفصل الثالث والستون بعد المائتين: طبعة الرعيل الأول في تاريخ بعث الوجدان الوطني في المغرب العربي الكبير
- 175

الفصل الرابع والستون بعد المائتين: شيخ الإسلام وجمعيات قدماء الثانوية الإسلامية، والقرويين بفاس وبدايات التنظيم الوطني عام 1920-1930م

195 وأثره في عموم المغرب

الفصل الخامس والستون بعد المائتين: مدرسة شيخ الإسلام وأول تجربة

219 سياسية في المغرب 1926م كان مجالها الإصلاح الاجتماعي

* الباب السادس والعشرون :

الفصل السادس والستون بعد المائتين: بصمات الفرنسيين ضد التعليم

235 في الجزائر وتونس

الفصل السابع والستون بعد المائتين: التعليم الحر والتخطيط لمقاومة

255 الاستعمار في المغرب

* الباب السابع والعشرون :

الفصل الثامن والستون بعد المائتين: محمد الخامس وبداية النضال لتحقيق

297 الاستقلال من الكتلة الوطنية الى الحزب الوطني 1934-1937

الفصل التاسع والستون بعد المائتين: سياسة المقيمين الاستبدادية

347 وأثرها في تطور الفكر السياسي

الفصل السبعون بعد المائتين: لعبة الاسبان وموقف الفرنسيين من

357 الحزب الوطني

الفصل الواحد والسبعون بعد المائتين: نشاط المحور في أقطار العرب وفي

365 المغرب العربي الكبير

الفصل الثاني والسبعون بعد المائتين: المغاربة والنازية قبل الحرب العالمية

381 وأثناءها في المغرب

الفصل الثالث والسبعون بعد المائتين: تونس والمحور ومصير

411 محمد المنصف باي